

٢٥

بَابُ

القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح لا يكون مؤمنًا إلا بأن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلموا - رحمنا الله وإياكم -، أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح.

ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقًا، ولا تجزئ معرفة بالقلب، ونطق باللسان، حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاث: كان مؤمنًا، دلَّ على ذلك القرآن، والسنة، وقول علماء المسلمين.

فأما ما لزم القلب من فرض الإيمان: فقول الله تَعَالَىٰ في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ إلى قوله تَعَالَىٰ: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

....

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]... الآية.

فهذا مما يدلك على أن على القلب الإيمان، وهو التصديق والمعرفة، ولا ينفع القول إذ لم يكن القلب مصدقًا بما ينطق به اللسان مع العمل، فاعلموا ذلك.

وأما فرض الإيمان باللسان: فقوله تَعَالَىٰ في سورة البقرة: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٦-١٣٧] الآية.

وقال تَعَالَىٰ من سورة آل عمران: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٨٤]... الآية.

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله وأني رسول الله»(١) وذكر الحديث.. فهذا الإيمان باللسان نطقًا فرضًا واجبًا.

وأما الإيمان بما فرض على الجوارح تصديقًا بما آمن به القلب، ونطق به اللسان: فقوله تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ إلى ﴿تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ في غير موضع من القرآن، ومثله فرض الصيام على جميع البدن، ومثله فرض الجهاد بالبدن، وبجميع الجوارح.

....

(١) أخرجه البخاري في «الزكاة»، حديث [١٣٩٩]، ومسلم في «الإيمان»، حديث (٢٠، ٢١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

فالأعمال -رحمكم الله- بالجوارح: تصديق للإيمان بالقلب واللسان، فمن لم يصدق الإيمان بعمله بجوارحه، مثل الطهارة، والصلاة والزكاة، والصيام والحج والجهاد، وأشباه لهذه ورضي من نفسه بالمعرفة والقول، لم يكن مؤمنًا، ولم تنفعه المعرفة والقول، وكان تركه للعمل تكذيبًا لإيمانه، وكان العمل بما ذكرناه تصديقًا منه لإيمانه، وبالله التوفيق.

وقد قال الله تَعَالَىٰ لنبيه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]، فقد بيَّن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته شرائع الإيمان أنها على هذا النعت في أحاديث كثيرة، وقد قال تَعَالَىٰ في كتابه وبيَّن في غير موضع أن الإيمان لا يكون إلا بعمل، وبيَّنه النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلاف ما قالت المرجئة، الذين لعب بهم الشيطان قال الله تَعَالَىٰ في سورة البقرة: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ إلى ﴿ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٧٧].

قال محمد بن الحسين: سأل أبو ذر النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان، فتلا عليه هذه الآية.

[٢٥١] أخبرنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا سلمة بن شبيب قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن مجاهد: «أن أبا ذر سأل النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان؟ فقرأ عليه: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٧٧] ... الآية»(١).

....

(١) إسناده صحيح إلا أنه منقطع؛ فمجاهد لم يسمع من أبي ذر.

قال محمد بن الحسين: وبهذا الحديث وبغيره يحتج أحمد بن حنبل في كتاب الإيمان أنه قول وعمل، وجاء من طرق.

[٢٥٢] وحدثناه أبو نصر القلاس في كتاب الإيمان قال: حدثنا أبو بكر المروذي قال: حدثنا أبو عبد الله قال: حدثنا عبد الرزاق، وذكر هذا الحديث[(١)].

وحدثناه ابن أبي داود، من غير طريق.

[٢٥٣] وأخبرنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة قال: حدثنا جعفر بن عون قال: أنا عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي، عن القاسم، عن أبي ذر قال: جاء رجل، فسأله عن الإيمان؟ فقرأ عليه: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ [البقرة: ١٧٧] قال - يعني: الرجل -: ليس عن البر سألتك، قال له أبو ذر: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله كما سألتني؟ فقرأ عليه كما قرأت عليك، فأبى أن يرضى كما أبيت أن ترضى، فقال: ادن مني، فدنا منه، فقال: «المؤمن الذي يعمل حسنة فتسره ويرجو ثوابها، وإن عمل سيئة فتسوءه ويخاف عاقبتها»[(٢)].

قال محمد بن الحسين: اعلموا - رحمنا الله وإياكم - يا أهل القرآن، ويا أهل العلم بالسنن والآثار، ويا معشر من فقههم الله تَعَالَىٰ في الدين بعلم الحلال والحرام، أنكم إن تدبرتم القرآن كما أمركم الله تَعَالَىٰ، علمتم أن الله تَعَالَىٰ أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله: العمل، وأنه تَعَالَىٰ لم يُثن على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم وأنهم قد رضوا عنه وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة، والنجاة

....

(١) إسناده صحيح إلا أنه منقطع؛ فمجاهد لم يسمع من أبي ذر.

(٢) في إسناده انقطاع؛ لأن القاسم بن عبد الرحمن لم يلق أبا ذر، وروى هذا الحديث محمد ابن نصر المروزي في كتاب «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٤١٦) رقم [٤٠٨]: حدثنا إسحاق بن إبراهيم أنا عبد الله بن يزيد المقرئ والملائي قالا: ثنا المسعودي عن القاسم به. وفيه الانقطاع المذكور.

من النار، إلا بالإيمان والعمل الصالح، قرن مع الإيمان العمل الصالح، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده، حتى ضم إليه العمل الصالح، الذي وفقهم له، فصار الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقًا بقلبه، وناطقًا بلسانه، وعاملًا بجوارحه، لا يخفى على من تدبر القرآن وتصفحه، وجده كما ذكرت.

واعلموا - رحمنا الله تعالى وإياكم - أني قد تصفحت القرآن فوجدت فيه ما ذكرته في شبيه من خمسين موضعًا من كتاب الله تعالى أن الله تبارك وتعالى لم يدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده، بل أدخلهم الجنة برحمته إياهم، وبما وفقهم له من الإيمان، والعمل الصالح، وهذا ردٌّ على من قال: الإيمان معرفة، وردٌّ على من قال: المعرفة والقول، وإن لم يعمل. نعوذ بالله من قائل هذا.

المؤلف: يسوق هذه الآيات ويستنتج منها: أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وهو هنا يركز على العمل الذي ينكر المرجئة دخوله في الإيمان، فالإيمان عندهم إما معرفة وإما قول باللسان وتصديق بالقلب، وليس العمل من الإيمان على اختلاف مذاهب هذه الفرق المرجئة، فالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من الأعمال الصالحة المُحتَّمة، هذه كلها عندهم لا تدخل في الإيمان، وهذه مصادمة صريحة للآيات الواضحة من كتاب الله وللأحاديث الصريحة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، تثبت أن العمل من الإيمان، والله قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] الإيمان هنا الصلاة بإجماع العلماء[1]، فأطلق على الصلاة إيمانًا، لأنها من أساسيات الإيمان والإسلام.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ١٦٧-١٦٩)، و«تعظيم قدر الصلاة» للمروزي (١/ ٣٤١-٣٤٤)، و«مجموع الفتاوى» ابن تيمية (٣٥/ ٣٧)، و«فتح الباري» لابن رجب (١/ ١٧٥-١٧٦).

والنبي ﷺ يقول: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى من الطريق**»[(١)] والآيات التي تثبت أن الأعمال من الإيمان إلى جانبها الوعيد على من يفرط في هذه الأعمال، فلماذا يتوعدهم عليها وهي ليست من الإيمان وليست بواجبة؟

على كل حال، مرجئة الفقهاء يوافقون أهل السنة في أن العمل لابد منه، وإن كانوا لا يدخلونه في الإيمان، ويوافقونهم في لحوق الوعيد بمن يقصر في الأعمال، الوعيد بالنار والعذاب،وأما سائر المرجئة فلا يدخلون العمل في الإيمان وترك الأعمال كلها لا يضر بالعبد ولا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة عندهم-نسأل الله العافية-.

هنا ساق المؤلف قول الله تبارك وتعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] الرسول ﷺ لمنزلته عند الله أسند إليه بيان المجملات من القرآن وتخصيص العمومات وتقييد المطلقات، وهذا وارد في الصلاة وفي الزكاة وفي الصوم وفي الحج ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] لم يبين أوقاتها ولا عدد الركعات ولا الأذكار في الركوع والسجود والتشهد وما شاكل ذلك، كل هذا قام به وقام ببيانه رسول الله ﷺ، وبيانه وحي من الله عز وجل، وعرفتم أن الصلوات فُرضت على الرسول ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، وفي صبيحتها جاء جبريل يعلم النبي ﷺ كيفية الصلاة وأعدادها وأوقاتها.

---

(١) سبق تخريجه.

فقد روى الترمذي في «أبواب الصلاة» حديث [١٤٩]، وأبو داود في «مواقيت الصلاة» حديث [٣٩٣] بإسنادهما إلى نافع بن جبير بن مطعم، قال: أخبرني ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أمني جبريل** عَلَيْهِ السَّلَامُ **عند البيت مرتين، فصلى الظهر في الأولى منهما حين كان الفيء مثل الشراك، ثم صلى العصر حين كان كل شيء مثل ظله، ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس وأفطر الصائم، ثم صلى العشاء حين غاب الشفق، ثم صلى الفجر حين برق الفجر وحرم الطعام على الصائم، وصلى المرة الثانية الظهر حين كان ظل كل شيء مثله لوقت العصر بالأمس، ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثليه، ثم صلى المغرب لوقته الأول، ثم صلى العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل، ثم صلى الصبح حين أسفرت الأرض، ثم التفت إليَّ جبريل فقال: يا محمد، هذا وقت الأنبياء من قبلك، والوقت فيما هذين الوقتين**».

ونحوه حديث عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رواه الدارقطني في «السنن» (١/ ٢٥٦).

وهناك أحاديث أخر كحديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحديث بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تتفق مع حديث ابن عباس وجابر إلا في وقت صلاة المغرب في اليوم الثاني، فإن فيهما أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى صلاة المغرب عند سقوط الشفق، هذا في حديث أبي موسى.

وفي حديث بريدة: فصلى المغرب قبل أن يغيب الشفق، رواهما مسلم في «كتاب المساجد» حديث (٦١٣، ٦١٤).

والأوامر بالزكاة جاءت في القرآن مجملة بيَّن الله لنا تفاصيلها على لسان نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البقر والغنم والإبل والزروع والثمار والذهب والفضة بيَّن مقاديرها وأنصبتها وأوقات وجوبها، وهي المجملات في القرآن شرَّف الله رسوله وكرمه أن يبيِّن هذه الأمور من القرآن، القرآن بيِّن ومحكم، ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أجمل بعض الآيات ليكون للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ منزلة، وعلى ما يقول بعض العقلاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس بمنزلة البريد فقط يأخذ الرسالة يسلمها وهو يابس جامد، الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابد أن يبيِّن ويكون له دور وتأثير إكرامًا له وإحلالًا له بالمنزلة التي أنزله الله إياها.

الشاهد: الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن أعمال الإيمان وأن الصلاة من الإيمان وأعمالها كذا وكذا، وتوعد من يتركها وكفَّر من يتركها، والزكاة بيَّن أنصبتها وهي من الإيمان وجمع ذلك في قوله: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى من الطريق**» تفاصيل هذا الحديث موجودة في القرآن والسنة.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧] إلى آخر هذه الآية.

البرُّ: اسم جامع لكل أعمال الخير وخصال الخير، ولهذا جاء بيان ما هو البرُّ، قال: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾، فالإيمان بالله من البر ﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ هذه عقائد داخلة في هذا البر ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ [الانفِطَار: ١٣-١٤]

الأبـرار الذيـن قاموا بالإيـمان والأعمال الصالحة، استكملوا أعمال الإيـمان الصالحة وتجنبـوا المحرَّمـات ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ هذا عمـل ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾ عمل بالجوارح ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ يصـل هذا وينفق عن هذا ويتصدق عـلى هـذا ويبذل لهذا، عطاء بطيب نفس وسـخاوة يد، لا يمنعه حب المـال من إنفاقه في وجوه البر والإحسان.

﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ هـو يحـب المـال، ولكنـه مـع ذلـك يبذلـه لهـؤلاء الفقراء والمسـاكين، فيعطيهـم وهو يحبه، وقد يرتفع إلى درجة أعلى فيبـذل المال ويؤثر المؤمنين به على نفسه وهو يحتاجه، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الأنصار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

يؤتي المال على حبه ذوي القربى، لأن أولى الناس ببره أقرباؤه، أبواه وأبناؤه وإخوانه وأخواله وأعمامه هم درجات، «من أحق الناس بالبر يا رسول الله؟» قال: «**أمك**» -**يعني**: بالمال وغيره-، قال: ثم من؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أبـوك**»، وفي حديـث: «**أخاك ثم أدنـاك وأدناك**»، فهو يقوم بهـذه الحقوق وهي أعمال -أعـمال جـوارح- واليتامى فقـدوا آباءهم يحتاجون إلى المسـاعدة فيعطيهـم هذا المؤمن انطلاقًـا مـن إيمانه، إيمانه يدفعه إلى العمل وإلى البذل هنا وهنا وهنا، وإعطاء كل ذي حق حقه.

﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾: يختلـف العلـماء في الفرق بين المسـكين والفقير هنـا، الفقير يدخل في المسـكين، كـما في قاعـدة: «**إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعـا**» إذا قيل: والفقراء والمسـاكين: هنا يفترقان، هذا يشـكل نوعًا، وهذا يشـكل نوعًا آخر، الفقير الذي لا يجد

شـيئًا، والمسـكين هو الذي يجد شيئًا **يعني**: يسد مسـدًّا من حاجته لا كل حاجته، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في قصة الخضر وموسى عند خرق السفينة ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ [الكهف: ٧٩] قالوا: هؤلاء عندهم سـفينة ومع ذلك أطلق عليهم أنهم مسـاكين، فهذا يـدل على أن الفقير أدنى حالًا من المسـكين، وهنـاك اختلافات بين الفقهاء في هذا ليس هذا موضعها.

﴿ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المسـافر، سـافر ويكون محتاجًا ينقطع به المال، وقد يكون تاجرًا، لكن في هذا البلد -بلد الغربة- ما عنده شيء فيعطيه هذا المؤمن البار، يعطي هذا المسافر الغريب وهو لا يدري عن حاله غنيًّا أوفقيرًا.

﴿ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ **يعني**: عتق الرقاب، وهذا أمر عظيم في الإسـلام، الإسـلام ليس فيـه إلغاء الرق، والجهاد ماض إلى يوم القيامة، والـرق ماض معه إلى يوم القيامة، وليس في الإسـلام إلغاء الرقيق؛ لأن أعداء الإسـلام أذلوا المسـلمين وقضوا على شعيرة الجهاد ومستلزماته وما يتبعه.

عتق الرقاب يأتي في كثير من أبواب الدين، مثل: كفارة الظهار وكفارة المجامع في نهـار رمضـان وكفـارات الأيمان وفي أبـواب التطـوع، وفي الجهاد وهو مـن مقومات الجهاد.

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد: ٤] إذا أثخنَّا فيهم نأسرهم، ثم من شئنا أن نسترقه نسترقه، ومن شـئنا أن نعتقه نعتقه ونعفو عنه، والذي يُسْـتَرَقُّ يكون أخاك، وقد يكون هذا الاسترقاق خـيرًا له، وأدركنا والله هذا الرِّق، والله إن الرجل ليرى رقيقه كابنه ويُفضِّله ويحبه، وهذا

الرقيق يحب سيده ويجعله مثل أبيه، ما بينهم أحقاد وعداوة، من بر الأولياء بأرقائهم والأرقاء بسادتهم، الآن الخدم كيف يُعاملون؟ والله يعاملون معاملة أسوأ من معاملة الرقيق، فألغوا الرقيق وأوجدوا رقًّا آخر -مع الأسف الشديد-.

﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ عمل فيه ذكر باللسان وعمل بالجوارح وبالقلب هذه من الأعمال.

﴿ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ عمل بالجوارح ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ ﴾ من أعمال القلوب الوفاء بالعهود والمواثيق من الإيمان، والغدر والخيانة من صفات المنافقين ومن صفات الكافرين، والوفاء بالعهود من صفات المؤمنين التي وعدهم الله عليها الجنة ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد: ٢٠ - ٢١] وبيَّن جزاءهم.

﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾ إذا عاهد مسلمًا أو عاهد كافرًا مسالمًا أو عاهد حربيًّا لابد من الوفاء بهذه العهود، وقد ضرب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أروع الأمثلة في الوفاء بالعهد، وفي صلح الحديبية بدأ يكتب الصلح بين الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين قريش، يمثلهم سهيل بن عمرو وكان مشركًا آنذاك ولكن أسلم بعدُ وصار من خيار المسلمين، فكتبوا الاتفاقية بينهم على بنود من ضمنها: أن من يأتي إلى مكة من المسلمين لا يُرد إلى رسول الله وإلى المدينة، والذي يفر من المسلمين من مكة إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرد إلى المشركين بمكة، هكذا تعنت ممثل قريش على الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجاء بهذا الصلح الغريب مما أزعج الصحابة واستنكروه، ولا سيما عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يقول:

يا رسـول الله لماذا نعطي الدنية في ديننا؟ ألسـنا مؤمنين وهم كافرون؟ أليس هم في النار ونحن في الجنة؟

فيقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نعم، فيقول عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فلماذا نعطي الدنية في ديننا؟ فيقول: «**إني رسول الله ولن يضيعني**»، وكان رسول الله أعلم، وكان أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أعلم، ورضي الله عـن عمـر، عمر فعل هذا غـيرة على دين الله، ولكن الرسـول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: إني رسول الله ولن يضيعني عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أبـرم الصلـح وقبـل أن يُوَقَّـع عليه أقبل ولد سـهيل بـن عمرو يرسـف في القيود والأغلال ويقول: يا معشر المسلمين لا تردوني إلى هؤلاء فيفتنوني، وأبوه يقول: لابد أن يرجـع وإلا لا يتـم هذا الصلح، حاول الرسـول أن يقنعه بترك هـذا الولد معنا قال: أبدًا وأبـو جندل يصيح، فأصر سـهيل بن عمرو عـلى إرجاع أبي جندل ابنه بنـاءًا على الكلام الـذي حصل قبـل أن يُوقِّع، فالرسـول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لن يضيعـك الله يا أبا جندل واصـبر**»، قـال: يفتنونني في دينـي، قال: «**اصبر وسـيجعل لك الله فرجًـا**»[1]. وجعل الله لـه فرجًا ومخرجًـا، وكان هذا الصلح فتحًا عظيمًا للإسـلام والمسـلمين وأنزل الله فيه سورة الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١-٣][2].

---

(١) انظـر القصـة كاملـة في البخـاري كتـاب «الـشروط»، حديـث (٢٧٣١، ٢٧٣٢)»، و«مسـند أحمد» (٤/ ٣٢٣).

(٢) انظـر: «صحيح البخاري»، كتاب «المغازي»، باب: «غزوة الحديبية» حديث برقم [٤١٧٢] وحديث برقم [٤١٧٧].

سماه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فتحًا في هذه السورة مرتين، والبشر مهما بلغ من الكمال والعلم والعقل فإن عقله لا يدرك كل شيء، ولكن الوحي فوق كل هذه الأشياء، علم الله الذي يبلغه رسوله فوق هذه المدركات كلها.

كان فتحًا عظيمًا، وأسلم في مدة الصلح خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وابن شيبة، وهاجروا واختلط المسلمون بالكفار، ودخل كثير من الناس في الإسلام[1] ثم كان الفتح الأكبر بعد ذلك وهو فتح مكة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ① وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ② فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١ - ٣] هذا استطراد.

قال: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ الصبر من أعمال القلوب ﴿فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ البأساء الفقر والشدة، والضراء المرض.

﴿وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾ حين القتال فهو يصبر على مختلف الحالات، فهذا الصبر في هذه الأحوال كلها من الإيمان.

الشاهد: أنه جاء في تفسير البر، والبر ينوب عن الإيمان وينوب عن التقوى وجاء في الحديث: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة...**» هنا ذكر عددًا من شعب الإيمان، كلها من خصال البر، وهي من خصال الإيمان.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] أولئك الذين صدقوا في إيمانهم وقولهم إنا مؤمنون وإنا مسلمون،

---

(١) انظر: «السيرة» لابن هشام (٢/ ٢٧٧-٢٧٨)، و«زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٢٧٥-٢٨١)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٤/ ١٦١-١٦٣).

صدقوا فصدَّقهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، حيث قاموا بهذه الأعمال -أعمال القلوب وأعمال الجوارح وأعمال اللسان وأقوالها-.

فهـذا حجة على المرجئة على اختلاف أصنافهـم الذين يقولون: إن العمل ليس من الإيمان، فقولهم باطل يصادم آيات كثيرة، ويصادم أحاديث كثيرة ومن الآيات هذه الآية ومن الأحاديث قوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله -قول باللسان-، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق**» عمل بالجوارح.

سـأل أبـو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ النبـيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان، فتـلا عليه هذه الآية، وسـاق إسناده إلى أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وفي الإسناد الأول: مجاهد، وهو لم يدرك أبا ذر، فهذا الإسناد فيه إرسال.

وسـاق الإسناد مرة أخرى وفيه: المسعودي عن القاسم عن أبي ذر، والقاسم هذا لم يـدرك أبا ذر وهو يرسـل، ولكن حيث جاء مـن طريقين، فإنه يدل أن له أصلًا فيتقوى فلا ينزل عن درجة الحسن، وأشار المصنف إلى أنه رواه عن شيخه ابن أبي داود من طرق، فلعل له طرقًا أخرى، لو عثرنا عليها يزداد بها الحديث قوة، نسأل الله أن يهيئ لنا الوقوف عليها.

قـال أبو ذر: جاء رجل إلى النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسـأله كما سـألتني، سـأله عن الإيمان فتلا عليـه الآيـة ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧] يقـول: «فأبـى أن يـرضى» **أي:** مـا عـرف ومـا فهـم، فقـال لـه الرسـول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**المؤمـن الـذي يعمل حسـنة فتسـره ويرجـو ثوابها، وإن عمل سـيئة فتسوءه ويخاف عقابها**».

إذن، العمل عليه حساب وعليه جزاء، عليه جزاء من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وكرامة ومنزلة في الجنة يرجوها المؤمن، فالعمل بالحسنات يُسرُّ بها ويرجو ثوابها، هذا من الإيمان، يجمع فيها بين عمل القلب وعمل الجوارح، عمل حسنة بلسانه **مثل**: أمر بمعروف ونهى عن منكر، قال كلمة طيبة لمؤمن يسره بها، عزَّاه في مصيبة، إلى آخره، هذه حسنة يفرح بها ويسر بها ويرجو ثوابها من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وإن عمل سيئة استاء منها قلبه، يؤنبه ضميره -كما يقال-، يشعر بالقلق من هذه السيئة، وفي نفس الوقت يخاف من عقابها، لأنه يعلم أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يعاقب على هذه الذنوب من شاء من عباده، فيخاف ألا يدخل تحت رحمة الله فيدخل النار، هذا عمل عليه ثواب وعليه عقاب، سواء كان من أعمال اللسان أو أعمال جوارح أو أعمال.

وهذا دليل على أن الأعمال من الإيمان؛ لأن عليها ثوابًا وعقابًا، والمؤمن يفرح بها إذا كانت حسنة ويستاء منها إذا كانت سيئة، ولو كانت الأعمال ليست من الإيمان ما أعطيت هذه المنزلة في الإسلام.

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلموا -رحمنا الله وإياكم- يا أهل القرآن ويا أهل العلم بالسنن: **يعني**: لا يقصد أهل الكلام والروافض والخوارج والمرجئة وغيرهم من أهل الضلال والبدع، فهو يخاطب الذين عندهم عناية بالقرآن، وعناية بالسنة فيأخذون منها عقائدهم وعباداتهم وأعمالهم، ويقدمونها على العقول وعلى الأفكار والآراء، هو يخاطب هذا الصنف من الناس، يخاطب أهل السنة والجماعة.

«ويا معشر من فقههم الله تَعَالَىٰ في الدين بعلم الحلال والحرام»: تحليل الحلال وتحريم الحرام، هو أعمال والأعمال من الإيمان.

«**إنكم إن تدبرتم القرآن كما أمركم الله**»: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، فالله يحث على تدبر القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، فالله حثنا على تدبر القرآن وإذا تدبرنا القرآن فهمنا عقائده وحلاله وحرامه وجزاء المؤمنين وجزاء الكافرين على هذه الأعمال وغير ذلك مما يستفيده المؤمن من الفقه في دينه و«**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(١) في الدين فقهًا شاملًا، في العقائد والعبادات، في الأعمال، وفي كل المجالات.

«**علمتم أن الله تَعَالَىٰ أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله العمل الصالح**»: وكم من الآيات ومن الأحاديث التي تدل على أن الله أوجب على عباده العمل الصالح، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

فالإنسان قد يحب شيئًا وهو يضره، وقد يكره شيئًا وهو ينفعه، فالجهاد مكروه، لأن فيه إزهاق النفوس وبذل الأموال، ولكن له جزاء عظيم عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهو واجب من الواجبات، ومن قام به أدى واجبه، وكُفي الوعيد الذي توعد الله به من يثبطون ويتأخرون عن الجهاد، وشرع للمسلم أن يجاهد بنفسه وماله وشدد القرآن في ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [التوبة: ٣٨].

فالجهاد أمره عظيم وهو ذروة سنام الإسلام، والصلاة عمود الإسلام، والصوم جُنة، إلى آخر الفضائل والمزايا لهذه الفرائض العظيمة والشرائع العظيمة، وكلها واجبات

(١) سبق تخريجه.

مُحتَّمات، والقرآن مليءٌ بهذا أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأوجب تبليغ القرآن وتهدد على كتمانه، وأمور كثيرة كلها تدل على أن الأعمال من الإيمان، وأن الله أوجب أعمالًا عظيمة على الناس، وتوعدهم إن لم يقوموا بها بالعذاب الشديد، ورتب عليها الرسول ﷺ الكفر أحيانًا، وتوعد على أمور محرمات ونهى عنها.

فالقرآن والسنة مليئان بالحث على الأعمال الصالحة والزجر عن الأعمال السيئة، واجتناب الأعمال السيئة من الإيمان، كما أن ارتكابها يزعزع الإيمان، كما قال ﷺ: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع إليها الناس أبصارهم وهو مؤمن»**(١) **يعني**: في هذه الحالة يفارقه الإيمان، هذا دليل على أن ترك هذه القبائح من الإيمان، تركها لله ليس رياء وسمعة، لأنه قد يخطر بباله المعصية فيتركها لله، فالله يرفعه درجة ويكتبها له حسنة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله عَزَّ وَجَلَّ: إذا تَحَدَّثَ عَبدي بِأَن يَعمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكتُبُهَا له حَسَنَةً ما لم يَعمَل فإذا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكتُبُهَا بِعَشرِ أَمثَالِهَا وإذا تَحَدَّثَ بِأَن يَعمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغفِرُهَا له ما لم يَعمَلهَا فإذا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكتُبُهَا له بِمِثلِهَا»**.

وقال رسول الله ﷺ: **«قالت المَلَائِكَةُ رَبِّ ذَاكَ عَبدُكَ يُرِيدُ أَن يَعمَلَ سَيِّئَةً وهو أَبصَرُ بِهِ، فقال: ارقُبُوهُ، فَإِن عَمِلَهَا فَاكتُبُوهَا له بِمِثلِهَا، وَإِن تَرَكَهَا فَاكتُبُوهَا له حَسَنَةً، إنما تَرَكَهَا من جَرَّايَ»**.

---

(١) تقدم تخريجه.

وقال رسول الله ﷺ: «**إذا أَحسَنَ أحدكم إسلامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعمَلُهَا تُكتَبُ بِعَشرِ أَمثَالِهَا إلى سبعمائة ضِعفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعمَلُهَا تُكتَبُ بِمِثلِهَا حَتَّى يَلْقَى الله**»[1]، **يعني**: من أجلي.

إذا همَّ بالحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، وإذا هم بالسيئة وتركها من جراء الله، من أجل الله وخوفًا من الله ومراقبة لله وحياءً منه، كتبها الله له حسنة، ولا يهلك على الله إلا هالك.

قال هنا: «بعد إيمانهم بالله ورسوله أوجب عليهم العمل، وأنه تعالى لم يثن على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم وبأنهم قد رضوا عنه وأثابهم على ذلك الدخول في الجنة والنجاة من النار، إلا بالإيمان والعمل الصالح».

فالقرآن يشهد بهذا، كثير من الآيات يرتب الثناء ويثني على عباده المؤمنين ويعدهم بالجنة بالإيمان مع العمل الصالح، **يعني**: ما يستحقون هذا الثناء وهذا الجزاء العظيم في الآخرة إلا بالإيمان والعمل الصالح ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧ - ١٠٨].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [البينة: ٧ - ٨] هذا الثناء وهذا الرضا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فهذا يؤكد ما يقوله المؤلف رحمه الله.

قال: لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده حتى ضم إليه العمل الصالح، فالإنسان لا يستحق النجاة من النار والدخول للجنة بدون عذاب، إلا إذا قام بالإيمان والأعمال الصالحة.

(١) رواه مسلم في «الإيمان»، حديث [١٢٩].

أمـا إذا لم يأت بالأعمال الصالحة وارتكب المسـاوئ، فهذا يسـتحق دخول النار إن كان كافرًا دخل بكفره، وإن كان موحدًا بقي له شيء من الإيمان، يدخل النار إن أراد الله إدخاله ثم يخرج منها.

الشـاهد: أنه ما يسـتحق هذا الرضا وهذا الوعد بدخول الجنة رأسًـا، والنجاة من النـار إطلاقًـا إلا إذا قام بالإيـمان والعمل الصالح، وأما إذا قـصر في الواجبات وارتكب المحرمات، فهذا ليس له هذه الضمانات، الضمانات لمن قام بالإيمان والأعمال الصالحة.

فصـار الإيـمان لا يتحقق لأحد حتـى يكون مصدِّقـا بقلبه وناطقًا بلسـانه وعاملًا بجوارحـه، ولا بـد مـن أعمال الجـوارح ومن أعمال القلـوب، مما لا يكـون مؤمنًا إلا بها، كحـب الله وحـب رسـوله وبغض الكفـر والأوثـان والمعبـودات مـن دون الله، كما قال إبراهيـم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والذين معـه: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فلابـد من الكفـر بالطواغيـت، والطواغيت الآن لها اصطلاح جديـد، الطواغيت في الدرجـة الأولى: الأوثـان التي عبدها قوم نوح وقوم صالح وقـوم هود وقوم إبراهيم وغيرهـم من أقـوام أنبياء الله عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هذه الأوثان هـي الطواغيت، ويدخل في الطواغيـت أمور أخرى، فالشـيطان طاغوت، والسـاحر طاغـوت، والكاهن طاغوت، والحاكـم الكافـر طاغوت، والإمام السـوء والـرءوس في البدع طواغيـت، ليس الحكام الظلمـة وحدهم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، رؤسـاء البدع والضلال يحكمون بغير ما أنزل الله أسوأ من أولئك، يفسدون أصول الأديان.

ولهذا قلنا غير مرة: إن القرآن ركز على اليهود والنصارى وليست لهم دول وما كان يحارب رءوس الحكام كما يحارب الأحبار والرهبان ورءوس الشرك وما شاكل ذلك، يحارب هؤلاء ولو كان ما عندهم ملك؛ لأنهم يفسدون الأديان ويفسدون العقائد ويفسدون الكتب، فجنايتهم أعظم من جناية الحكام الجهلة، ويغرون الناس ويخدعونهم أكثر من الحكام، الحكام الظلمة مبغوضون عند الناس، لكن هؤلاء يخدعون الناس بلباسهم للدين.



قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِنْ قَالَ: فَاذْكُرْ هَذَا الَّذِي بَيَّنْتُهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، لِيَسْتَغْنَى غَيْرُكَ عَنِ التَّصَفُّحِ لِلْقُرْآنِ، قِيلَ لَهُ: نَعَمْ، وَاللهُ تَعَالَىٰ الْمُوَفِّقُ لِذَلِكَ، وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٦ - ٥٧]، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧٢ - ١٧٣]... الآية، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ٩ - ١٠]، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ

....

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٨]، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٢ - ٤٣]، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٍ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٠ - ٢٢]، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٍ أَيْضًا: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [التوبة: ٨٨].

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعْتَبِرُوا رَحِمَكُمُ الله بِمَا تَسْمَعُونَ، لَمْ يُعْطِهِمْ مَوْلَاهُمُ الْكَرِيمُ هَذَا الْخَيْرَ كُلَّهُ بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ، حَتَّى ذَكَرَ عَزَّوَجَلَّ هِجْرَتَهُمْ وَجِهَادَهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ذَكَرَ قَوْمًا آمَنُوا بِمَكَّةَ، وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاذَا قَالَ فِيهِمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾ [الأنفال: ٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ قَوْمًا آمَنُوا بِمَكَّةَ، وَأَمْكَنَتْهُمُ الْهِجْرَةُ إِلَيْهَا، فَلَمْ يُهَاجِرُوا، فَقَالَ فِيهِمْ قَوْلًا، هُوَ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ٩٧]، ثُمَّ عَذَرَ جَلَّ ذِكْرُهُ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الْهِجْرَةَ وَلَا النُّهُوضَ بَعْدَ إِيمَانِهِ، فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ

....

ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ [النساء: ٩٨]... الآية.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: كُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الإِيمَانَ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، وَلَا يَجُوزُ غير هَذَا، رَدًّا عَلَى الْمُرْجِئَةِ، الَّذِينَ لَعِبَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ، مَيِّزُوا هَذَا تَفْقَهُوا إِنْ شَاءَ الله، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي سُورَةِ يُونُسَ: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [يونس: ٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾ [يونس: ٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [يونس: ٦٣ - ٦٤].

وقال تَعَالَى في سورة الرعد: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾ [الرعد: ٢٨ - ٢٩]، وقال تَعَالَى في سورة إبراهيم: ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [إبراهيم: ٢٣]. وقال تَعَالَى في سورة الإسراء: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩]. وقال تَعَالَى في سورة الكهف: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [الكهف: ١ - ٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠] إلى

....

قولــه: ﴿ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف : ٣١]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف :١٠٧]. وقــال تعالى في سـورة مريـم: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [مريم : ٥٩ - ٦٠]، وقال تعالى في سـورة مريم أيضـا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦]. وقــال تعالى في سـورة طـه: ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ [طه : ٧٦]. وقال تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [طه : ٨٢]... الآية. وقــال تعالى في سـورة الحـج: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [الحج : ١٤]. قـال عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ ﴾ [الحج : ٢٣]... الآية. وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحج : ٤٩-٥٠]. وقال تعالى : ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [الحج : ٥٦]. وقــال تعالى في سـورة العنكبوت: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت :٧]. وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥٨-٥٩]. وقــال تعالى في سـورة الـروم: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [الروم : ١٤ - ١٥]. وقــال تعالى في سـورة

....

لقمان: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ [لقمان: ٨ - ٩]. **وقال تعالى في سورة السجدة:** ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٨-١٩]. **وقال تعالى في سورة سبأ:** ﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سبأ: ٤]. **وقال:** ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]. **وقال تعالى في سورة فاطر:** ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [فاطر: ٧]. **وقال تعالى في سورة الزمر:** ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] **إلى قوله:** ﴿أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤]. **وقال تعالى في سورة حم عسق:** ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الشورى: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشورى: ٢٣]. **وقال تعالى في سورة الزخرف:** ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٦٧ - ٧٢]. **وقال تعالى في سورة الجاثية:** ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨] **إلى قوله:** ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ

ٱلْمُبِينُ ﴾ [الجاثية: ٣٠]. وقال تعالى في سورة الأحقاف: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣-١٤]. وقال تعالى في سورة محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ١ - ٢]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [محمد: ١٢] إلى قوله: ﴿ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢]. وقال في سورة التغابن: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التغابن: ٩]. وقال في سورة الطلاق: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الطلاق: ١١]. وقال تعالى في سورة إذا السماء انشقت: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الانشقاق: ٧] إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [الانشقاق: ٢٥]. وقال تعالى في سورة البروج: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [البروج: ١١]. وقال تعالى في سورة التين والزيتون: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين: ٦]. وقال تعالى في سورة البينة: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [البينة: ١] إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٧]. وقال عز وجل في سورة العصر: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ - ٣].

قال محمد بن الحسين: ميزوا - رحمكم الله - قول مولاكم الكريم: هل ذكر الإيمان في موضع واحد من القرآن إلا وقد قرن إليه العمل الصالح؟ وقال تعالى:

....

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، فأخبر تعالى بأن الكلام الطيب حقيقته أن يرفع إلى الله تعالى بالعمل، فإن لم يكن عمل بطل الكلام من قائله، ورد عليه، ولا كلام طيب أجل من التوحيد ولا عمل من أعمال الصالحات أجل من أداء الفرائض.

[٢٥٤] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء قال: حدثنا أبو عبيدة الناجي أنه سمع الحسن يقول: قال قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنا لنحب ربنا، فأنزل الله تعالى بذلك قرآنًا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، فجعل اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم علمًا لحبه، وكذب من خالفه، ثم جعل على كل قول دليلًا من عمل يصدقه، ومن عمل يكذبه، فإذا قال قولًا حسنًا، وعمل عملًا حسنًا، رفع الله قوله بعمله، وإذا قال قولًا حسنًا، وعمل عملًا سيئًا، رد الله القول على العمل، وذلك في كتابه تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]»[1].

[٢٥٥] حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا يزيد بن عبد الصمد قال: حدثنا آدم -يعني: ابن أبي إياس- قال: حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: في قول الله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ [البقرة: ١٧٧] يقول: تكلموا بكلام الإيمان، وحققوه بالعمل»[2]. قال الربيع بن أنس: وكان الحسن يقول:

....

(١) إسناده ضعيف؛ لأنه من مراسيل الحسن البصري ولأن فيه أبا عبيدة الناجي بكر بن الأسود، كذبه ابن معين مرة، وضعفه مرة أخرى، وضعفه النسائي والدارقطني، انظر «الميزان» للذهبي (١/ ٣٤٢-٣٤٣).

(٢) في إسناده ضعف؛ لأن فيه أبا جعفر الرازي صدوق سيئ الحفظ.

«الإيمان كلام، وحقيقته العمل، فإن لم يحقق القول بالعمل، لم ينفعه القول».

قال محمد بن الحسين: وكذلك ذكر الله المتقين في كتابه في غير موضع منه، ودخولهم الجنة، فقال: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، وهذا في القرآن كثير يطول به الكتاب لو جمعته، مثل قوله في الزخرف: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] إلى قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، ومثل قوله في سورة ق، وفي الذاريات، والطور، مثل قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٧ - ١٩]، وقال تعالى في سورة المرسلات: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات: ٤١ - ٤٣].

ساق المؤلف: آيات كثيرة يستدل بها على أن الله تبارك وتعالى لا يكرم عباده بالجنة ولا يرضى عنهم إلا إذا قرنوا الإيمان بالعمل، فالذي لا يقرن الإيمان بالعمل لا يستحق هذا الوعد العظيم، بل يستحق العذاب والسخط من الله تبارك وتعالى.

فإذا قصَّر في العمل كما مرَّ في بعض الآيات: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [مريم: ٥٩ - ٦٠]، فتوعدهم الله على ترك العمل واتباع الشهوات، هنا ترك الصلاة واتباع الشهوات، هذا الوعيد الشديد.

وفي سورة المدثر قال لهم أهل الجنة: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢] **يعني:** ما الذي أدخلكم في النار ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [المدثر: ٤٣-٤٦].

فدخول النار بهذه الأمور كلها ليس بسبب التكذيب فقط، بل بترك الصلاة وبعدم العطف على المساكين وبالخوض في الباطل، هذه كلها أعمال، فترك الأعمال فيه وعيد شديد، والقيام بالأعمال عليه وعد عظيم برضا الله ودخول الجنة.

والمؤلف: ساق هذه الآيات ليثبت هذه القضية وأن العمل من الإيمان، الإيمان ليس كما تقول المرجئة: هو التصديق أو المعرفة، الإيمان: قول وعمل واعتقاد، قولٌ باللسان وعملٌ بالأركان واعتقاد بالجنان، وإن شئت فقل: الإيمان: قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، فلابد من العمل ومن أعمال الجوارح ما لو تركه الإنسان لكفر، كالصلاة على قول الصحابة وجمهور المسلمين من السلف والخلف، ومن أعمال الجوارح ما يكون كبيرة من الكبائر التقصير فيه، ومن أعمال القلوب ما هو تركه كفر، كحب الله وبغض الكفر، هذا لابد منه أن يحب الله وأن يخافه وأن يتوكل عليه وأن يرغب إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذه الأمور قلبية لابد منها وتركها كفر، فالأعمال مهمة جدًّا، فليكن المؤمن يقظًا لهذه الأمور الخطيرة -فنسأل الله العافية-.

وفقنا الله وإياكم للإيمان الصادق والعمل الصالح، إن ربنا لسميع الدعاء.



قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كل هذا يدل العاقل على أن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب، وصدقته الأعمال، كذا قال الحسن وغيره.

وأنا بعد هذا أذكر ما روي عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وعن جماعة من الصحابة، وعن كثير من التابعين: أن الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، ومن لم يقل عندهم بهذا، فقد كفر.

[٢٥٦] حدثنا أبو العباس أحمد بن عيسى بن السكين البلدي قال: حدثنا علي ابن حرب الموصلي قال: حدثني عبد السلام بن صالح الخراساني، قال: حدثني علي ابن موسى الرضا، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، ويقين بالقلب»[(١)].

هذا الإسناد فيه ضعف، لكن الآيات هذه التي ساقها المؤلف كلها تدل على هذا، القرآن مليءٌ بأن الأعمال من الإيمان، أعمال القلوب وأعمال الجوارح كلها من الإيمان.

والحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى من الطريق» أعلاها قول وأدناها عمل، ومن الأول من الألف إلى الياء يتخللها أعمال عظيمة وأعمال مستحبة وأعمال واجبة وهكذا.



(١) إسناده ضعيف؛ لأن فيه عبد السلام بن صالح الخراساني: صدوق، له مناكير، وقال العقيلي: «إنه رافضيًا خبيثًا».

[٢٥٧] حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن أبي حسان الأنماطي قال: حدثنا هشام ابن عمار الدمشقي قال: حدثنا شهاب بن خراش قال: حدثني عبد الكريم الجزري، عن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: «لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بقول، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا نية إلا بموافقة السنة»[١].

هذا الأثر ضعيف، لكن هذه الآثار الصحيح منها حجة، والضعيف منها يُستأنس به، ويسنده القرآن والسنة، **يعني**: ما يسوقونها عبثًا ولا تكثرًا بما لا ينفع، هذا الهدف، طريقة السلف أنهم يأتون بالحجج الأصول في الباب والحجج القوية من الآيات والأحاديث، ثم يتبعونها بالآثار والأحاديث التي قد يكون فيها ضعف، لكن ليس للاحتجاج، وإنما هو للاعتضاد وللاستئناس، معانيها صحيحة يؤيدها القرآن والسنة.



(١) **إسناده ضعيف لانقطاعه**، عبد الكريم الجزري لم يدرك عليًّا ولا ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه هشام بن عمار وشهاب بن خراش، فيهما ضعف، والأثر: رواه ابن بطة في «الإبانة» حديث [١١٠١].

[٢٥٨] وأخبرنا خلف بن عمرو العكبري قال: حدثنا الحميدي قال: حدثنا يحيى بن سليم قال: حدثنا أبو حيان قال: سمعت الحسن يقول: «الإيمان قول، ولا قول إلا بعمل، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا قول وعمل ونية إلا بسنة»(١).

[٢٥٩] وأخبرنا أيضًا خلف بن عمرو قال: حدثنا الحميدي قال: حدثنا يحيى بن سليم قال: سألت سفيان الثوري: عن الإيمان؟ فقال: «قول وعمل»، وسألت ابن جريج، فقال: «قول وعمل»، وسألت محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان، فقال: «قول وعمل»، وسألت نافع بن عمر الجمحي، فقال: «قول وعمل»، وسألت مالك بن أنس، فقال: «قول وعمل»، وسألت فضيل بن عياض، فقال: «قول وعمل»، وسألت سفيان بن عيينة، فقال: «قول وعمل»(٢).

قال الحميدي: وسمعت وكيعًا يقول: «أهل السنة يقولون: الإيمان قول وعمل، والمرجئة يقولون: الإيمان قول، والجهمية يقولون: الإيمان المعرفة».

الإسناد ثابت إلى هؤلاء الأئمة: أن الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح.

ومرجئة الفقهاء يقولون: الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب، ليس قولًا فقط، لكن الكرَّامية -هؤلاء جاءوا بعد وكيع- قالوا: الإيمان قول، والمنافقون عندهم مؤمنون، لأنهم جاءوا بالإيمان، وهو القول باللسان، وهذا ضلال.

---

(١) **إسناده حسن؛** لأن فيه يحيى بن سليم الطائفي، صدوق سيئ الحفظ؛ لكن رواية الحميدي عنه جيدة. رواه ابن بطة في «الإبانة»، أثر [١١٠٢] عن الآجري به، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، الأثر [١٨].

(٢) **إسناده حسن،** خلف بن عمرو وثقه الخطيب، ويحيى بن سليم الراوي عنه الحميدي كما سلف، فلا ينزل حديثه عن درجة الحسن.

ولو أن بعض المرجئة في عهد وكيع قالوا بهذا القول، لكن ما نُقِلَ لنا هذا.

إن الجهمية يقولون: الإيمان المعرفة، ومرجئة الفقهاء يقولون: إن الإيمان تصديق بالقلب ونطق باللسان، ولا يدخلون العمل في الإيمان، لكنهم مع ذلك يوجبونه، ويرون أن تاركه معرض للوعيد ومستحق للعقوبة.



[٢٦٠] حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا علي بن خشرم قال: حدثنا يحيى ابن سليم الطائفي، عن هشام، عن الحسن قال: «الإيمان: قول وعمل»، وقال يحيى ابن سليم: فقلت لهشام: فما تقول أنت؟ فقال: «الإيمان: قول وعمل»، وكان محمد الطائفي يقول: «الإيمان: قول وعمل».

قال يحيى بن سليم: وكان مالك بن أنس يقول: «الإيمان: قول وعمل»، قال يحيى: وكان سفيان بن عيينة يقول: «الإيمان: قول وعمل»، قال: وكان فضيل بن عياض يقول: «الإيمان: قول وعمل»(١).

[٢٦١] وحدثنا ابن أبي داود قال: حدثنا سلمة بن شبيب قال: حدثنا عبد الرزاق قال: سمعت معمرًا، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن جريج، وسفيان بن عيينة يقولون: «الإيمان: قول وعمل، يزيد وينقص»(٢).

يزيد الإيمان بالطاعات والأعمال الصالحة، وينقص بالتقصير في العمل وارتكاب المعاصي.



---

(١) إسناده ضعيف؛ لأن فيه يحيى بن سليم، والراوي عنه غير الحميدي لكن المتن له شواهد من أقوال هؤلاء الأئمة المذكورين، ومنها ما سلف، ومنها ما يأتي، وروى عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم [٦٣٧] من طريق يحيى بن سليم عن هشام قول الحسن فحسب.

(٢) إسناده صحيح.

[٢٦٢] حدثنا ابن مخلد قال: حدثنا أبو داود السجستاني قال: سمعت أحمد ابن حنبل قال: «الإيمان: قول وعمل، يزيد وينقص».

قال أحمد: «وبلغني أن مالك بن أنس وابن جريج، وفضيل بن عياض قالوا: الإيمان: قول وعمل»[١].

يقول لكم المؤلف: هؤلاء أئمة الإسلام يقولون هذا الكلام: إن الإيمان قول وعمل، من أين جاءوا به؟ من الكتاب والسنة بخلاف المرجئة، ما فقهوا الكتاب والسنة في هذا الباب.



---

(١) إسناده صحيح.

[٢٦٣] وحدثنا ابن مخلد قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا أحمد قال: حدثنا إبراهيم بن شماس قال: سمعت جرير بن عبد الحميد يقول: «الإيمان: قول وعمل، يزيد وينقص»[(١)].

قال إبراهيم بن شماس: وسألت بقية بن الوليد وأبا بكر بن عياش فقالا: «الإيمان: قول وعمل»، قال إبراهيم: وسألت أبا إسحاق الفزاري فقلت: «الإيمان قول وعمل»؟ قال: نعم، قال: وسمعت ابن المبارك يقول: «الإيمان: قول وعمل».

والزيادة والنقص هذه ثابتة في الكتاب والسنة.

وجبال العلم والدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.



---

(١) إسناده صحيح.

[٢٦٤] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا أبـو الحسـن أحمد بـن محمد بن أبي بـزة قال: سمعـت المؤمل بـن إسماعيل يقول: «الإيمان: قول وعمل، ويزيد وينقص»(١).

قـال محمـد بـن الحسـين: فيمـا ذكرتـه مقنـع لمـن أراد الله عَزَّوَجَلَّ بـه الخير، فعلـم أنـه لا يتـم لـه الإيمـان إلا بالعمل، هـذا هو الديـن الذي قـال الله عَزَّوَجَلَّ فيه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

﴿ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ لا يكون الدين دينًا قيمًا إلا بالإيمان والأعمال الصالحة التي أمر الله بها، من الصلاة والزكاة وسائر الأعمال التي شرعها الله.

المؤلـف: وجـزاه الله خيرًا، سـاق أدلةً كثيرةً وسـاق آثارًا عن أئمة الإسـلام، ليقنع طالب الحق بأن هذا هو المنهج الصحيح، وهذه هي العقيدة السليمة التي دلَّ عليها كتاب الله وسـنة رسـوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودان بها هؤلاء الأئمة الأجلَّاء من أئمة الإسلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ورحمهـم رحمة واسـعة، فهم أئمة الهدى ومصابيح الدجـى، وبهم -والله- يقتدى، فالزموا غرزهم وتمسكوا بمنهجهم، وذلك هو اتباع سبيل المؤمنين، ومن خالفه هلك.

نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على الصراط المستقيم، وأن يسلك بنا منهاجهم، وطريقتهم السديدة القويمة، إن ربنا لسميع الدعاء.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.



---

(١) **إسناده ضعيف**؛ فيه أحمد بن محمد بن عبد الله بـن أبي بزة، ضعفه أبو حاتم، انظر: «الجرح والتعديل» (٢/ ٧١)، وقال فيه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٢٧) رقم [١٥٥]: «منكر الحديث».

٢٦- باب كفر من ترك الصلاة

[٢٦٥] حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا أبو الربيع الزهراني قال: حدثنا حماد بن زيد، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة».

[٢٦٦] حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن يزيد الأدمي قال: حدثنا يحيى بن سليم قال: سمعت ابن جريج، سمع أبا الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس بين العبد المسلم وبين الشرك إلا ترك الصلاة».

[٢٦٧] حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا الحسن بن عرفة قال: حدثنا أبو حفص الأبار عمر بن عبد الرحمن عن ليث عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله: عن النبي ﷺ قال: «بين العبد وبين الكفر أو بين العبد وبين الشرك، ترك الصلاة»(١).

[٢٦٨] حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا الفضل بن زياد قال: نا أحمد بن حنبل قال: حدثنا زيد بن الحباب قال: حدثني حسين بن

....

(١) رواه مسلم في «الإيمان»، حديث [٨٢] عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه، ومن طريق ابن جريج عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ به.
وأخرجه المصنف بإسناده إلى ليث بن أبي سليم عن أبي الزبير عن جابر به، وفي الليث كلام؛ لكنه هنا قد حفظ الحديث.
والحديث رواه الإمام أحمد (٣/ ٣٨٩) بإسناده إلى أبي الزبير عن جابر به، ورواه الترمذي في أبواب «الإيمان»، حديث (٢٦١٨-٢٦٢٠) من طريق أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه ومن طريق أبي الزبير عن جابر به، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

واقد قال: حدثني عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا وبينهم ترك الصلاة، فمن تركها فقد كفر»(١).

[٢٦٩] حدثنا أبو نصر محمد بن كردي قال: حدثنا أبو بكر المروزي قال: نا أحمد بن حنبل قال: نا يحيى بن سعيد، عن المسعودي، عن القاسم قال: قال عبد الله - يعني: ابن مسعود-: «الكفر ترك الصلاة»(٢).

[٢٧٠] حدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا الفضل بن زياد قال: نا أحمد ابن حنبل قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: سمعت الأوزاعي، عن القاسم ابن مخيمرة: في قول الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩] قال: أضاعوا المواقيت ولم يتركوها، ولو تركوها صاروا بتركها كفارًا»(٣).

[٢٧١] حدثنا الفريابي قال: حدثنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي قال: نا أيوب بن سويد قال: حدثني يونس بن يزيد قال: حدثني الزهري قال: أخبرني سليمان بن يسار: أن المسور بن مخرمة: أخبره حين طعن عمر رضي الله عنه أنه دخل عليه

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٤٦، ٣٥٥)، والترمذي في «الإيمان»، حديث [٢٦٢١] من طريق أحمد بن حنبل عن زيد بن الحباب عن حسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه به، وأخرجه النسائي في «الصلاة» (١/ ٢٣١) حديث [٤٦٣]، وابن ماجه في «الصلاة»، حديث [١٠٧٩].

(٢) إسناده ضعيف؛ شيخ المؤلف لا يُعرف، والقاسم لم يُدرك ابن مسعود؛ فهو منقطع.
رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٧٧٣] من طريق المسعودي عن القاسم والحسن بن سعد، والمسعودي اختلط، والقاسم لم يُدرك ابن مسعود رضي الله عنه، وكذلك الحسن بن سعد.

(٣) إسناده صحيح، الوليد بن مسلم مدلس؛ لكنه صرَّح بالسماع، رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٧٧١] وابن جرير في «التفسير» (١٦/ ٩٨).

هو وابن عباس، فلما أصبح أفزعوه فقالوا: الصلاة، الصلاة، فقال: «نعم، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، فصلى والجرح يثعب دمًا»[(١)].

[٢٧٢] أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عفير الأنصاري قال: نا نصر ابن علي الجهضمي قال: نا وهب بن جرير، قال: نا قرة بن خالد، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، عن المسور بن مخرمة قال: دخلت على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين طعن، فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين، فقال: «الصلاة ها الله إذن، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة»[(٢)].

[٢٧٣] حدثنا ابن مخلد قال: حدثنا أبو داود قال: سمعت أحمد، يقول: «إذا قال: لا أصلي، فهو كافر»[(٣)].

[٢٧٤] أخبرنا إبراهيم بن موسى الجوزي قال: نا زهير بن محمد المروزي قال: حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد قال: نا أبو العوام القطان قال: نا قتادة، وأبان بن أبي عياش كلاهما عن خليد بن عبد الله العصري، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة، من حافظ على الصلوات الخمس على وجوههن[(٤)]، وركوعهن، وسجودهن، ومواقيتهن،

---

(١) **إسناده فيه ضعف**؛ فيه أيوب بن سويد: صدوق يخطئ، وفيه سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي: صدوق يخطئ؛ لكنه يرتقي إلى درجة الحسن؛ لأن مالكًا روى هذه القصة عن هشام بن عروة عن أبيه أن المسور بن مخرمة أخبره أنه دخل على عمر بن الخطاب وذكر القصة، وهذا إسناد صحيح.
ورواها ابن أبي شيبة في «الإيمان» قال: حدثنا ابن نمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن المسور بن مخرمة وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهما دخلا على عمر به.

(٢) **إسناده صحيح**، ويقويه ما قبله. (٣) **إسناده صحيح**.

(٤) هكذا، **والصواب**: وضوئهن، كما في المصادر الأخرى التي روي فيها الحديث.

وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها، قال: وكان يقول: وايم الله، لا يفعل ذلك إلا مؤمن، وصام رمضان وحج البيت إن استطاع إليه سبيلًا، وأدى الأمانة».

قالوا: يا أبا الدرداء وما أداء الأمانة؟ قال: «الغسل من الجنابة، فإن الله تعالى لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها»[(١)].

[٢٧٥] حدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا الفضل بن زياد قال: حدثني أحمد بن حنبل قال: حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ أبو عبد الرحمن قال: حدثني سعيد بن أبي أيوب قال: حدثني كعب بن علقمة، عن عيسى بن هلال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر يومًا الصلاة فقال: «من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا، وإضاءةً، أو قال: نجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا، ولا برهانًا، ولا إضاءةً، أو قال: نجاة، ويأتي يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف»[(٢)].

---

(١) في إسناده ضعف، خليد العصري وثقه ابن حبان، وقال الذهبي في «الكاشف»: «وثق»، وقال الحافظ: «صدوق يرسل»، وقتادة يدلس، وقد عنعن هنا، وأبان بن أبي عياش قال الحافظ فيه: «متروك»، وقال الذهبي في «الكاشف»: «قال أحمد: متروك، وقرنه أبو داود بآخر».

ورواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٢/ ٥)، وقال: «تفرد به الحنفي، ولا يروى عن أبي الدرداء إلا بهذا الإسناد، وقال: لم يروه عن قتادة إلا عمران، يعني: القطان». ورواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» رقم [٩٠٦].

وله شاهد فيما يخص الصلاة من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه رواه أبو داود في «سننه» (١/ ٢٩٥) وإسناده حسن.

(٢) في إسناده عيسى بن هلال الصدفي، قال الحافظ في «التقريب»: «صدوق»، وقال الذهبي: «وثق»، يشير إلى توثيق ابن حبان، وقال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦/ ٢٩٠): «...روى عنه كعب ابن علقمة ودراج وعياش بن عباس، سمعت أبي يقول ذلك»، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، والذي يظهر أن الرجل مستور؛ لأنه لم يوثقه غير ابن حبان، وهو معروف بتساهله.

والحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٩) والدارمي في «مسنده» حديث [٢٧٢٤].

[٢٧٦] حدثنا أحمد قال: نا محمد قال: نا أبو عبد الله جعفر بن إدريس القزويني قال: نا يحيى بن عبدك القزويني قال: نا عبد الله بن يزيد المقرئ، وذكر الحديث بإسناده إلى آخره مثله[١].

[٢٧٧] حدثنا أبو نصر محمد بن كردي قال: نا أبو بكر المروذي قال: نا أحمد ابن حنبل قال: نا عبد الله بن نمير، عن محمد بن أبي إسماعيل، عن معقل بن معقل الخثعمي قال: أتى رجل عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في الرحبة قال: يا أمير المؤمنين، ما ترى في المرأة لا تصلي؟ فقال: «من لم يصل فهو كافر»[٢].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه السنن والآثار في ترك الصلاة وتضييعها مع ما لم نذكره مما يطول به الكتاب، مثل حديث حذيفة وقوله لرجل لم يتم صلاته: «لو مات هذا، لمات على غير فطرة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٣] ومثله عن بلال وغيره، ما يدل على أن الصلاة من الإيمان، ومن لم يصلِّ فلا إيمان له ولا إسلام، قد سمى الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الصلاة: إيمانًا، وذلك أن الناس كانوا يصلون إلى بيت المقدس، إلى أن حولوا إلى الكعبة، ومات قوم على ذلك، فلما حولت القبلة إلى الكعبة قال قوم: يا رسول الله، فكيف بمن مات من إخواننا ممن كان يصلي إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس».

---

(١) مداره على عيسى بن هلال الصدفي، تقدم الكلام عليه.

(٢) إسناده ضعيف؛ فيه مجهولان، معقل الخثعمي، قال الحافظ في «التقريب»: «مجهول»، وقال الذهبي في «الكاشف»: «وثق»، وقال في «الميزان» (٤/ ١٤٧): «لا يعرف»، وفيه شيخ المصنف لا يُعرف أيضًا.

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ٣٦٨) وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٤) والبخاري في «الأذان» بلفظ: «...ما صليت، ولو مت مت على غير الفطرة التي فطر الله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

اختلف العلماء في كفر تارك الصلاة، لكنهم متفقون على أن ترك الصلاة المفروضة عمدًا من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر.

قال الإمام ابن القيم: في كتاب «الصلاة وحكم تاركها» (ص١٣): «لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدًا من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، وأن إثمه عند الله أعظم من إثم قتل النفس وأخذ الأموال، ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة، ثم اختلفوا في قتله وفي كيفية قتله وفي كفره».

ثم ساق أدلة كل من الفريقين المكفرين لتارك الصلاة وغير المكفرين، ثم مال إلى تكفيره.

وساق ابن قدامة في «المغني» (٣/ ٣٥٤-٣٥٩) اختلاف العلماء في كفر تارك الصلاة وأدلة الفريقين، ثم اختار عدم تكفيره.

ومع هذا الاختلاف، فالجميع متفقون على كفره إذا كان جاحدًا لوجوبها، ومتفقون على أن ترك الصلاة من أكبر الكبائر، وأشد من قتل النفس وغيره من الكبائر التي ورد فيها الوعيد الشديد لمرتكبيها.



٢٧- باب ذكر الاستثناء في الإيمان من غير شك فيه

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من صفة أهل الحق، ممن ذكرنا من أهل العلم: الاستثناء في الإيمان، لا على جهة الشك، نعوذ بالله من الشك في الإيمان، ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا؟

وذلك أن أهل العلم من أهل الحق إذا سئلوا: أمؤمن أنت؟ قال: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار، وأشباه هذا، والناطق بهذا، والمصدق به بقلبه مؤمن، وإنما الاستثناء في الإيمان لا يدرى[1]: أهو ممن يستوجب ما نعت الله عَزَّوَجَلَّ به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا؟

هذا وطريق الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين لهم بإحسان، عندهم أن الاستثناء في الأعمال، لا يكون في القول، والتصديق بالقلب، وإنما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان، والناس عندهم على الظاهر مؤمنون، به يتوارثون، وبه يتناكحون، وبه تجري أحكام ملة الإسلام، ولكن الاستثناء منهم على حسب ما بيناه لك، وبينه العلماء من قبلنا، روي في هذا سنن كثيرة، وآثار تدل على ما قلنا. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقد علم عَزَّوَجَلَّ أنهم داخلون، وقد دخل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[2] وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني لأرجو أن أكون أخشاكم

---

(١) ولعل الأصل: لأنه لا يدري.

(٢) أخرجه مسلم في «الجنائز»، حديث [٩٧٤]، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ١٨٠)، كلاهما من طريق شريك بن عبد الله عن عطاء بن يسار عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا، وأخرجه مسلم تحت الرقم =

لله عَزَّوَجَلَّ»[1] وروي أن رجلًا قال عند عبد الله بن مسعود: أنا مؤمن، فقال ابن مسعود: أفأنت من أهل الجنة؟ فقال: أرجو فقال ابن مسعود: أفلا وكلت الأولى كما وكلت الأخرى ؟ وقال رجل لعلقمة: أمؤمن أنت؟ قال: أرجو - إن شاء الله-.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا مذهب كثير من العلماء، وهو مذهب أحمد بن حنبل واحتج أحمد بما ذكرنا، واحتج بمساءلة الملكين في القبر للمؤمن، ومجاوبتهما له، فيقولان له: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث يوم القيامة -إن شاء الله تَعَالَىٰ-، ويقال للكافر والمنافق: على شك كنت، وعليه مت وعليه تبعث -إن شاء الله-.

[٢٧٨] حدثني أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا أبو بكر الأثرم قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل سُئل عن الاستثناء في الإيمان ما تقول فيه؟ قال: أما أنا فلا أعيبه[2].

قال أبو عبد الله: «إذا كان يقول إن الإيمان قول وعمل، واستثنى مخافة واحتياطًا، ليس كما يقولون على الشك، إنما تستثني للعمل قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ فهذا استثناء بغير شك، وقال النبي

= المشار إليه من طريق محمد بن قيس عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا مرفوعًا مطولًا، وأخرجه مسلم في الجنائز، حديث [٩٧٥] من طريق سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعًا.

(١) رواه مالك في «الموطأ»، (١/ ٢٨٩)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٦٧، ١٥٦)، كلاهما من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، ومسلم في «الصيام»، حديث [١١٠٨] من حديث أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا من دون قوله: «إني لأرجو».

(٢) إسناده صحيح.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله عَزَّوَجَلَّ» قال: هذا كله تقوية للاستثناء في الإيمان.

[٢٧٩] وحدثنا جعفر الصندلي قال: حدثنا الفضل بن زياد قال: سمعت أبا عبد الله يعجبه الاستثناء في الإيمان، فقال له رجل: إنما الناس رجلان: مؤمن، وكافر، فقال أبو عبد الله: فأين قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦].

قال: سمعت أبا عبد الله يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: «ما أدركت أحدًا إلا على الاستثناء»(١).

قال: سمعت أبا عبد الله مرة أخرى يقول: سمعت يحيى يقول: «ما أدركت أحدًا من أهل العلم، ولا بلغني إلا على الاستثناء»

قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: سمعت سفيان بن عيينة «إذا سُئل: أمؤمن أنت إن شاء لم يجبه، وإن شاء قال: سؤالك إيايَّ بدعة، ولا أشك في إيماني ولا يعنف من قال: إن الإيمان ينقص، أو قال: إن شاء الله، ليس يكرهه، وليس بداخل في الشك».

قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: إذا قال: أنا مؤمن -إن شاء الله-، فليس هو بشاك، قيل له: إن شاء الله، أليس هو شكًّا؟ فقال: معاذ الله، أليس قد قال الله تَعَالَىٰ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وفي علمه أنهم يدخلون، وصاحب القبر إذا قيل له: وعليه تبعث -إن شاء الله-، فأيُّ شك هاهنا؟ وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وإنا إن شاء الله بكم لا حقون».

....

(١) إسناده حسن، وما بعده من هذه السماعات مدارها كلها على جعفر الصندلي عن الفضل ابن زياد، فهي حسان.

وسمعت أبا عبد الله يقول: نا وكيع قال: قال سفيان: «الناس عندنا مؤمنون في الأحكام والمواريث، ولا يدري كيف هم عند الله تَعَالَىٰ؟ ونرجو أن نكون كذلك».

[٢٨٠] وحدثنا ابن مخلد قال: نا أبو داود قال: سمعت أحمد قال: سمعت سفيان يقول: «إذا سئل أمؤمن أنت؟ إن شاء لم يجبه، أو يقول له: سؤالك إيايَّ بدعة، ولا أشك في إيماني وقال: إن شاء الله ليس يكره، وليس بداخل في الشك».

قال: وسمعت أحمد قال: سمعت يحيى بن سعيد قال: «ما أدركت أحدًا من أصحابنا، ولا بلغني إلا على الاستثناء، وقال: قال يحيى: الإيمان: قول وعمل».

وسمعت أحمد قال: نا وكيع قال: قال سفيان: «الناس عندنا مؤمنون في الأحكام والمواريث، فنرجو أن نكون كذلك، ولا ندري حالنا عند الله تَعَالَىٰ».

وسمعت أحمد قال: قال يحيى بن سعيد: كان سفيان «ينكر أن يقول: أنا مؤمن»(١).

[٢٨١] وحدثنا جعفر الصندلي قال: نا الفضل بن زياد قال: سمعت أبا عبد الله يقول: حدثني مؤمل قال: نا حماد بن زيد قال: سمعت هشامًا، يذكر قال: كان الحسن ومحمد: يهابان أن يقولا: مؤمن، ويقولان: مسلم(٢).

[٢٨٢] وحدثنا أبو نصر محمد بن كردي قال: نا أبو بكر المروذي قال: قيل لأبي عبد الله: يقول: نحن المؤمنون؟ قال: يقول: نحن المسلمون.

ثم قال أبو عبد الله: الصوم والصلاة والزكاة من الإيمان، قيل له: فإن استثنيت في إيماني أكون شاكًّا؟ قال: لا(٣).

....

(١) إسناده صحيح. (٢) إسناده حسن.

(٣) في إسناده شيخ المؤلف؛ لا يُعرف.

[٢٨٣] وحدثنا أبو نصر قال: نا أبو بكر المروذي قال: حدثنا أبو عبد الله قال: حدثني علي بن بحر قال: سمعت جرير بن عبد الحميد يقول: الإيمان قول وعمل قال: «وكان الأعمش، ومنصور، ومغيرة، وليث، وعطاء بن السائب، وإسماعيل بن أبي خالد، وعمارة بن القعقاع، والعلاء بن المسيب، وابن شبرمة، وسفيان الثوري، وأبو يحيى صاحب الحسن وحمزة الزيات يقولون: نحن مؤمنون إن شاء الله، ويعيبون على من لم يستثن»(١).

قال أبو بكر المروذي: سمعت بعض مشيختنا يقول: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: «إذا ترك الاستثناء، فهو أصل الإرجاء»(٢).

[٢٨٤] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: نا محمد بن المثنى أبو موسى الزمن قال: نا عبد الأعلى قال: نا يونس، عن الحسن، قال رجل عند ابن مسعود: إني مؤمن، قال: فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، يزعم أنه مؤمن قال: فسلوه، أهو في الجنة أو في النار؟ قال: فسألوه، فقال: الله أعلم، فقال: ألا وكلت الأولى كما وكلت الآخرة(٣).

....

(١) في إسناده شيخ المؤلف؛ لا يُعرف؛ لكن الأثر رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم [٦٩٧]، قال: حدثني أبي، نا علي بن بحر به، وهذا إسناد صحيح، كما رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» [١١٩٤] قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد قال: قال المروذي: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل به.

(٢) رواه الخلال في «السنة» رقم [١٠٦١]، قال: أخبرني محمد بن موسى أن حبيش بن سندي حدثنا عن أبي عبد الله قال: بلغني عن عبد الرحمن بن مهدي به.

(٣) إسناده فيه انقطاع بين الحسن وابن مسعود، ورواه أبو عبيد في «الإيمان» أثر [٩] عن أبي الأشهب عن الحسن، وهو منقطع أيضًا.

لكنه روى عنه تحت رقم (١٠، ١١) بإسناده إلى أبي وائل ثم إلى علقمة بنحوه، وبناء على هذا فالأثر صحيح عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[٢٨٥] وحدثنا أيضًا أبو بكر قال: نا محمد بن المثنى قال: نا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم قال: قيل لعلقمة: أمؤمن أنت؟ قال: «أرجو -إن شاء الله تَعَالَى-»[(١)].

[٢٨٦] حدثنا أبو بكر أيضًا قال: حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: «قال رجل لعلقمة: أمؤمن أنت؟ قال: أرجو»[(٢)].

[٢٨٧] حدثنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن العلاء ابن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»... وذكر الحديث[(٣)].

قال محمد بن الحسين: فيما ذكرت من هذا الباب مقنع -إن شاء الله-، ولا قوة إلا به.

ساق الإمام الآجري: هذه الأحاديث وهذه الآثار عن السلف في هذا الباب لبيان مذهب أهل السنة، وأنهم على الاستثناء في الإيمان، وهذا الاستثناء منهم لا من أجل

---

(١) إسناد هذا الأثر إلى علقمة صحيح، رواه ابن أبي شيبة في «الإيمان» [٢٤] عن جرير عن منصور به.

(٢) إسناده صحيح، وهو يؤكد الإسناد الذي قبله.

(٣) رجاله ثقات إلا العلاء بن عبد الرحمن «صدوق ربما وهم»، قاله الحافظ ابن حجر، وقال الترمذي: «ثقة عند أهل الحديث»، فحديثه حسن، وقد روى هذا الحديث مسلم في «الطهارة»، حديث [٢٤٩]، والإمام أحمد (٦/ ١٨٠) من طريق شريك بن أبي نمر عن عطاء بن يسار عن عائشة ل مرفوعًا، ورواه النسائي في «الطهارة» (١/ ٩٣) من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، فيرتقي حديث أبي هريرة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى درجة الصحيح لغيره.

الشـك في الإيمان، وإنما هذا منهم من بـاب الاحتياط وهروبًا من تزكية النفس، فالله نهى عن تزكية النفس، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

وذلـك أن الإيـمان قـول باللسـان وتصديـق بالقلب وعمـل بالقلـب والجوارح، والاسـتثناء إنما هو من أجل العمل، فالمؤمن لا يشـك في تصديق قلبه ولا في قول لسـانه بالشهادتين، وإنما يخاف أن يكون قد قصر في العمل في أدائه على الوجه المشروع وفي كمال الإخلاص فيه، هذا هو مذهب أهل السنة.

وأن الاسـتثناء منهـم لا ينطلق من الشـك، ولهـم أدلتهم على أن الاسـتثناء لا يدل على الشـك كما يقول المرجئة، قال تعالى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، فهذا الاستثناء لا يدل على الشك، تعالى الله عن ذلك.

وقـول رسـول الله صلى الله عليه وسلم في تسـليمه عـلى الموتـى: «... **وإنـا إن شـاء الله بكم لاحقون**»، فليس هذا الاسـتثناء عن شـك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل لا يشك مسلم أو كافر في اللحاق بالموتى ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ لا يشك في هذا أحد.

وفي هذه الأدلة أقوى رد على المرجئة الذين يحرمون الاستثناء ويقولون إنه يدل على الشك.

وذلـك أن العمل عندهم ليس من الإيمان، فيقـول أحدهم: ها أنا مصدق وأقول: أشهد أن لا إله إلا الله، فأين الشك؟

فيقـال لهم: نحن وأنتم لا نشـك في هـذا، ولكن مجال الاسـتثناء عندنا هو العمل الذي ينكرون أنه من الإيمان، ونحن نرى أنه من الإيمان، ولا نعتقد أننا نقوم به على أكمل الوجوه، ولا نزكي أنفسنا بالقيام به على الوجه المطلوب منَّا.

ولقد اشتد إنكار علماء السنة على المرجئة الذين ينكرون الاستثناء في الإيمان، ومنهم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومنهم ابن مهدي الذي يرى إنكار الاستثناء إرجاء.

ومن العلماء من كره السؤال بقول: أنت مؤمن؟ ويرى أنه بدعة ولا يستحق هذا السؤال جوابًا.



باب ٢٨

فيمن كره من العلماء أن يسأل غيره، فيقول له: أنت مؤمن؟ هذا عندهم مبتدع رجل سوء

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا قال لك رجل: أنت مؤمن؟ فقل: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والموت والبعث من بعد الموت والجنة والنار، وإن أحببت أن لا تجيبه تقول له: سؤالك إياي بدعة فلا أجيبك، وإن أجبته، فقلت: أنا مؤمن -إن شاء الله تَعَالَىٰ- على النعت الذي ذكرناه، فلا بأس به، واحذر مناظرة مثل هذا، فإن هذا عند العلماء مذموم، واتبع من مضى من أئمة المسلمين تسلم -إن شاء الله تَعَالَىٰ-.

[٢٨٨] حدثني عمر بن أيوب السقطي قال: حدثنا محمد بن سليمان لوين قال: قيل لسفيان بن عيينة: الرجل يقول: مؤمن أنت؟ فقال: فقل: «ما أشك في إيماني، وسؤالك إياي بدعة، وقال: ما أدري أنا عند الله عَزَّوَجَلَّ، شقي أم سعيد، أمقبول العمل أو لا؟»[1].

....

(١) إسناده صحيح، ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٣٣٨)، قال: حدثني محمد بن سليمان لوين الأسدي، قال: قيل لسفيان: رجل يقول: مؤمن أنت...إلخ.

[٢٨٩] وحدثني عمر بن أيوب قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن الحسن بن عبيد الله قال: قال لي إبراهيم: إذا قيل لك: أمؤمن أنت ؟ فقل: أرجو -إن شاء الله تَعَالَىٰ-(١).

[٢٩٠/ أ] حدثنا أبو نصر قال: حدثنا أبو بكر المروزي قال: حدثنا أحمد بن حنبل قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: حدثني سفيان، عن محل بن خليفة قال: قال لي إبراهيم: «إذا قيل لك أمؤمن أنت ؟ فقل: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله»(٢).

٢٩٠/ب- قال: وحدثني أحمد قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: حدثني سفيان، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، مثله(٣).

٢٩٠/ج- وبإسناده: حدثنا أحمد قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: حدثنا حماد بن زيد، عن يحيى بن عتيق، وحبيب بن الشهيد، عن محمد بن سيرين قال: إذا قيل لك: أمؤمن أنت؟ فقل: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب(٤).

....

(١) إسناده صحيح، ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» أثر [٦٥٢]، قال: حدثني أبي ثنا عبد الرحمن عن سفيان به، وعبد الرحمن هو ابن مهدي، وحسن بن عبيد الله: ثقة.

(٢) إسناده فيه شيخ المؤلف لا يعرف؛ لكن المتن صحيح -إن شاء الله-، فقد رواه أبو عبيد في «الإيمان» [١٢] عن عبد الرحمن عن سفيان به، ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» أثر [٦٤٩] عن أبيه عن عبد الرحمن به.

(٣) في إسناده: شيخ المصنف لا يُعرف؛ لكن المتن صحيح، رواه أبو عبيد في «الإيمان» [١٣] حدثنا عبد الرحمن عن سفيان به.

(٤) إسناده صحيح لغيره، ورواه أبو عبيد في «الإيمان» [١٤] حدثنا عبد الرحمن - يعني: ابن مهدي- عن حماد بن زيد به، وعبد الله بن أحمد في «السنة» [٦٤٨] عن أبيه عن عبد الرحمن عن حماد بن زيد به.

٢٩٠/د - وبإسناده عن عبد الرحمن بن مهدي قال: حدثنا سفيان، عن الحسن ابن عمرو، عن إبراهيم قال: «إذا قيل لك: أمؤمن أنت؟ فقل: لا إله إلا الله»[١].

[٢٩١] حدثنا أبو نصر قال: حدثنا أبو بكر قال: حدثنا أحمد قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: حدثنا حسن بن عياش، عن مغيرة، عن إبراهيم قال: سؤال الرجل الرجل: أمؤمن أنت؟ بدعة[٢].

[٢٩٢] وحدثنا أبو نصر قال: حدثنا أبو بكر قال: حدثنا أبو عبد الله قال: حدثنا أبو معاوية قال: حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة: وتكلم عنده رجل من الخوارج بكلام كرهه فقال علقمة: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، قال له الخارجي: أو منهم أنت؟ فقال: «أرجو»[٣].

٢٩٣/أ - حدثنا أبو نصر قال: حدثنا أبو بكر قال: حدثنا أبو عبد الله قال: حدثنا عبد الرازق قال: حدثنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه: أنه كان إذا قيل له: أمؤمن أنت؟ قال: «آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا يزيد على هذا»[٤].

....

(١) إسناده صحيح لغيره؛ فقد أخرجه عبد الله بن أحمد عن أبيه نا عبد الرحمن ثنا سفيان به، وأخرجه ابن بطة في «الإبانة» رقم [١٢١٨] بإسناده إلى وكيع عن سفيان به.

(٢) في إسناده مغيرة بن مقسم وهو مدلس، وفيه شيخ المؤلف لا يُعرف، ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٦٥٣] عن أبيه عن عبد الرحمن -يعني: ابن مهدي- به، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١١/ ٣٨) رقم [١٤٥٩].

(٣) في إسناده شيخ المصنف لا يُعرف، لكن له متابعة رواها عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم [٦٥٧]، قال حدثني أبي نا أبو معاوية به، وهذا إسناد صحيح.

(٤) في إسناده شيخ المصنف أبو نصر لا يُعرف لكن المتن أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ١٢٨) ومن طريقه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم [٦٦٠]، وابن بطة في «الإبانة» [١٢٠٣] عن معمر به، =

٢٩٣/ب- وبإسناده عن أحمد قال: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن الحسن بن عمرو، عن فضيل، عن إبراهيم قال: «إذا سئلت: أمؤمن أنت؟ فقل لا إله إلا الله، فإنهم سيدعونك»[(١)].

[٢٩٤] حدثنا ابن عبد الحميد قال: حدثنا زهير بن محمد قال: حدثنا معاوية ابن عمرو، عن أبي إسحاق الفزاري قال: قال الأوزاعي في الرجل يسأل: أمؤمن أنت؟ فقال: إن المسألة عما تسأل عنه بدعة، والشهادة به تعمق لم نُكلفه في ديننا ولم يشرعه نبينا، ليس لمن يسأل عن ذلك فيه إمام، القول به جدل، والمنازعة فيه حدث، ولعمري ما شهادتك لنفسك بالتي توجب لك تلك الحقيقة إن لم تكن كذلك، ولا تركك الشهادة لنفسك بها بالتي تخرجك من الإيمان، إن كنت كذلك، وإن الذي سألك عن إيمانك ليس يشك في ذلك منك، ولكنه يريد أن ينازع الله عَزَّوَجَلَّ علمه في ذلك، حين يزعم

....

= وهذا إسناد صحيح.

(١) في إسناده شيخ المصنف لا يُعرف لكن رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٢١١ - ط ٢) حدثنا إسحاق قال: حدثنا عبد الله قال: حدثني أبي قال: حدثنا وكيع، وحدثنا أبو شيبة قال: حدثنا محمد بن إسماعيل قال: حدثنا وكيع، به.

والحسن بن عمرو: ثقة ثبت، وفضيل هو ابن عمرو الفقيمي أخو الحسن الراوي عنه، قال ابن معين: «ثقة حجة» وقال أبو حاتم: «لا بأس به»، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: «يخطئ». انظر: «تهذيب التهذيب» (٨/ ٢٩٣).

قلت: روى له مسلم والأربعة، وقال في «التقريب»: «ثقة»، وشيخُ ابن بطة في الطريق الأولى هو إسحاق ابن أحمد الكاذي: ثقة، وهو من تلاميذ عبد الله بن أحمد، وثقه الخطيب في «تاريخه» (٦/ ٣٩٩)، وشيخه في الطريق الثانية هو أبو شيبة عبد العزيز بن جعفر بن بكر بن إبراهيم، المعروف بابن الخوارزمي، وثقه الخطيب في «تاريخه» (١٠/ ٤٥٤)، ومحمد بن إسماعيل هو ابن البختري الحساني أبو عبد الله، قال أحمد ابن سنان وأبو حاتم: «صدوق»، وقال ابن أبي حاتم: «لا بأس به»، وقال الدارقطني: «ثقة»، انظر: «تهذيب التهذيب» (٩/ ٥٧)، فالأثر أدنى ما يقال فيه: حسن.

أن علمه وعلم الله عَزَّوَجَلَّ في ذلك سواء، فاصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم، وقد كان أهل الشام في غفلة من هذه البدعة، حتى قذفها إليهم بعض أهل العراق ممن دخل في تلك البدعة بعد ما رد عليهم فقهاؤهم وعلماؤهم، فأشربتها قلوب طوائف منهم، واستحلتها ألسنتهم، وأصابهم ما أصاب غيرهم من الاختلاف، ولست بآيس أن يدفع الله عَزَّوَجَلَّ شر هذه البدعة، إلى أن يصيروا إخوانا في دينهم، ولا قوة إلا بالله.

ثم قال الأوزاعي: لو كان هذا خيرًا ما خصصتم به دون أسلافكم، فإنه لم يدخر عنهم خير خُبئ لكم دونهم لفضل عندكم، وهم أصحاب نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والذين اختارهم الله عَزَّوَجَلَّ، وبعثه فيهم، ووصفه[1] بهم فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر السورة[2].

ساق المؤلف عن عدد من الأئمة أن المسلم إذا سئل: أمؤمن أنت؟ أن يجيب بقوله: لا إله إلا الله، فإن هذه الإجابة تفحم السائل وتسكته.

وبعضهم يرى الإجابة على هذا السؤال أن يقول المسلم المسئول: «آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله» لا يزيد على هذا، وهذا الجواب فيه إفحام للسائل المتعنت.

ويرى بعض الأئمة -كالأوزاعي- أن هذا السؤال بدعة، وما هو ببعيد، لاسيما والأسئلة من اختراع المرجئة الذين يرون أن الاستثناء يدل على الشك، وبرأ الله أهل السنة من الشك.

---

(١) كذا.

(٢) **إسناده صحيح،** رواه ابن بطة في «الإبانة» [١٢٢٤] بإسناده إلى معاوية بن عمر به.



[٢٩٥] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا زهير بن محمد المروزي قال: حدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي، عن الزهري قال: «ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على أهله من هذه - يعني: الإرجاء-»(١).

[٢٩٦] حدثنا إسحاق بن أبي حسان الأنماطي قال: حدثنا هشام بن عمار الدمشقي قال: دثنا شهاب بن خراش، عن أبي حمزة التمار الأعور قال: قلت لإبراهيم: ما ترى في رأي المرجئة؟ فقال: «أوَّه، لفقوا قولًا، فأنا أخافهم على الأمة، والشر من أمرهم كثير، فإياك وإياهم»(٢).

[٢٩٧] حدثنا أبو نصر محمد بن كردي قال ثنا أبو بكر المروزي قال حدثنا أبو عبد الله -يعني: أحمد بن حنبل- قال: حدثنا محمد بن بشر قال: حدثني سعيد

....

(١) إسناده ضعيف؛ فيه محمد بن كثير الثقفي الصنعاني ثم المصيصي، قال فيه البخاري: «لين جدًّا»، وضعفه الإمام أحمد، وقال الحافظ في «التقريب»: «صدوق كثير الغلط»، رواه أبو عبيد في «الإيمان» [٢٣]، وابن بطة في «الإبانة» [١٢٣٠].

(٢) إسناده ضعيف فيه ضعيفان: أبو حمزة التمار وشهاب بن خراش.

ابن صالح، عن حكيم بن جبير قال إبراهيم: «المرجئة أخوف عندي على الإسلام من عدتهم من الأزارقة»[(١)].

[٢٩٨] حدثنا ابن عبد الحميد قال: حدثنا يوسف بن موسى القطان قال: حدثنا الضحاك بن مخلد، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي عمرو السيباني قال: قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إني لأعرف أهل دينين، أهل ذلك الدينين في النار، قوم يقولون: الإيمان كلام وإن زنى وقتل، وقوم يقولون: إن أولينا الضلال ما بال خمس صلوات؟ وإنما هما صلاتان: أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل»[(٢)].

[٢٩٩] حدثنا أبو نصر قال: حدثنا أبو بكر قال: حدثنا أبو عبد الله قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا أبو عمرو، عن يحيى بن أبي عمرو السيباني، عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إني لأعلم أهل دينين، هذينك الدينين في النار، قوم يقولون: الإيمان كلام، وقوم يقولون: ما بال الصلوات الخمس؟ وإنما هما صلاتان»[(٣)].

[٣٠٠] وحدثنا أبو نصر قال: ثنا أبو بكر قال: حدثنا أبو عبد الله قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: حدثني حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن

---

(١) **إسناده ضعيف؛ فيه:** شيخ المؤلف لا يُعرف، **وفيه:** حكيم بن جبير الأسدي ضعيف ورمي بالتشيع.
رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٦٢٠] بإسناده إلى حكيم بن جبير المذكور.

(٢) **إسناده ضعيف؛ فيه:** يحيى بن أبي عمرو السيباني لم يسمع من حذيفة ولا من غيره من الصحابة، قال الحافظ: «روايته عن الصحابة مرسلة، مات سنة ثمان وأربعين أي بعد المائة»، وعده الحافظ في الطبقة السادسة.
روى هذا الأثر ابن أبي شيبة في «الإيمان» [٦٥]، وأبو عبيد في «الإيمان»، ص: [٨١].

(٣) **ضعيف فيه علتان:** شيخ المصنف لا يُعرف، والثانية: علة الإرسال، يحيى بن أبي عمرو لم يُدرك حذيفة ولا غيره من الصحابة.

سعيد بن جبير قال: «مثل المرجئة مثل الصابئين»(١).

[٣٠١ / أ] وحدثنا أبو نصر، قال: حدثنا أبو بكر، قال حدثنا أبو عبد الله، قال: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا أيوب، قال: قال لي سعيد بن جبير: ألم أرك مع طلق؟ قال: قلت: بلى، فماله؟ قال: لا تجالسه فإنه مرجئ، قال أيوب: وما شاورته في ذلك، ويحق للمسلم إذا رأى من أخيه ما يكره أن يأمره وينهاه(٢).

[٣٠١ / ب] قال: وحدثنا أبو عبد الله، قال: حدثنا عبد الله بن نمير، قال: سمعت سفيان - وذكر المرجئة - فقال: «رأي محدث، أدركنا الناس على غيره»(٣).

[٣٠١ / جـ] قال: وحدثنا أبو عبد الله، قال: حدثنا معاوية بن عمرو، قال: حدثنا أبو إسحاق - يعني: الفزاري - قال: قال الأوزاعي: «قد كان يحيى وقتادة يقولان: ليس من الأهواء شيء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء»(٤).

---

(١) إسناده ضعيف، شيخ المصنف مجهول، ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٦١٦] عن أبيه عن عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، وهذا إسناد حسن، لأن حماد بن سلمة سمع من ابن السائب قبل اختلاطه.

(٢) في إسناده شيخ المصنف لا يُعرف، لكن المتن حسن، فقد رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٦٥٩]، ومن طريقه ابن بطة في «الإبانة» (١٢٣٤ - رضا نعسان) قال: حدثني أبي نا مؤمل نا حماد بن زيد به، ومؤمل بن إسماعيل: صدوق كثير الخطأ. وروى نحوه أبو عبيد في «الإيمان» [٢٤] قال: حدثنا إسماعيل ابن إبراهيم عن أيوب عن سعيد بن جبير، وهذا إسناد صحيح.

(٣) فيه شيخ المؤلف، لا يُعرف، لكن المتن صحيح، فقد رواه عبد الله بن أحمد [٦١٠] عن أبيه وابن بطة في «الإبانة» (١٢٦٥ -رضا نعسان) عن أبي شيبة -عبد العزيز بن جعفر- عن محمد بن إسماعيل الواسطي - وهو ابن البختري- كلاهما -أحمد وابن البختري- نا عبد الله بن نمير قال: سمعت سفيان به.

(٤) في إسناده شيخ المؤلف، لا يُعرف، لكن عبد الله بن أحمد رواه في «السنة» [٦٤١] عن أبيه قال: حدثنا معاوية بن عمرو به، وهذا إسناد صحيح.

[٣٠١ / د] قـال: وحدثنـا أبو عبـد الله، قال: حدثنا عبد الله بن نمير، عن جفعر الأحمـر، قال: قال منصور بن المعتمر في شـيء: «لا أقـول كما قالت المرجئة الضالة المبتدعة»(١).

[٣٠١ / هـ] قـال: وحدثنا أبو عبد الله، قال: حدثنا حجاج، قال: سمعت شـريكًا -وذكـر المرجئـة- فقـال: «هـم أخبث قوم، وحسـبك بالرافضـة خبثًا، ولكـن المرجئة يكذبون على الله تَعَالَىٰ»(٢).

[٣٠٢] حدثنـا جعفـر بن محمد الصندلـي، قال: حدثنا الفضل بـن زياد، قال: سمعت أبا عبد الله، وسُئل عن المرجئ فقال: «من قال: إن الإيمان قول»(٣).

[٣٠٣] حدثنـا جعفر، قال: حدثنـا الفضل قال: حدثنا أبو عبد الله، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا سلمة بن نبيط، عن الضحاك بن مزاحم، قال: ذكروا عنده: «من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: هذا قبل أن تحد الحدود وتنـزل الفرائض»(٤).

....

(١) في إسناده شيخ المؤلف لا يُعرف، وجعفر الأحمر قال في «التقريب»: «صدوق».
ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٦١٣] ومن طريقه ابن بطة (١٢٢٤ - رضا نعسان) عن أبيه به.
ورواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» [١٨١٨] بإسناده عن حنبل بن إسحاق عن أحمد به مثله، فالأثر حسن.

(٢) في إسناده شيخ المؤلف، لا يُعرف، وحجاج: هو ابن محمد المصيصي الأعور، ثقة ثبت، روى له الجماعة، قـال أحمـد: «مـا كان أضبطه وأشـد تعاهده للحـروف»، ورفع أمره جـدًّا. انظر: «تهذيـب التهذيب» (٢/ ٢٠٥)، وهذا القول ثابت عن شريك، فقد رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٦١٤] ومن طريقه ابـن بطة (١٢٢٥ - رضا نعسـان) عن أبيه به، ورواه اللالكائـي في «شرح أصول الاعتقاد» [١٨٢٤] بإسناده عن حنبل بن إسحاق عن أحمد به مثله.

(٣) إسـناده صحيح، وأخرجه الخلال في «السـنة» (٩٥٩، ٩٦٠) من طريق حرب بن إسـماعيل وأبي بكر المروذي كليهما عن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٤) إسـناده فيـه الضحـاك بن مزاحم: صدوق كثير الإرسـال، لكن الإسـناد إليه صحيـح، وهو من قوله لا من روايته.

[٣٠٤] أخبرنا خلف بن عمرو العكبري، قال: حدثنا الحميدي، قال: سمعت وكيعًا يقول: «أهل السنة يقولون: الإيمان قول وعمل، والمرجئة يقولون: الإيمان: قول، والجهمية يقولون: الإيمان: المعرفة»[1].

قال محمد بن الحسين: من قال: الإيمان قول دون العمل، يقال له: رددت القرآن والسنة، وما عليه جميع العلماء، وخرجت من قول المسلمين وكفرت بالله العظيم.

فإن قال: بمَ ذا؟

قيل له: إن الله تَعَالَىٰ أمر المؤمنين بعد أن صدقوا في إيمانهم أمرهم بالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وفرائض كثيرة، يطول ذكرها مع شدة خوفهم على التفريط فيها النار والعقوبة الشديدة.

فمن زعم أن الله تَعَالَىٰ فرض على المؤمنين ما ذكرنا ولم يرد منهم العمل، ورضي بالقول منهم، فقد خالف الله ورسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله تَعَالَىٰ لما تكامل أمر الإسلام بالأعمال قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُني الإسلام على خمس...»، وقال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من ترك الصلاة فقد كفر».

قال محمد بن الحسين: ومن قال: الإيمان معرفة دون القول والعمل، فقد أتى بأعظم من مقالة من قال: الإيمان قول، ولزمه أن يكون إبليس على قوله

....

(١) إسناده صحيح، الحميدي هو عبد الله بن الزبير: ثقة حافظ، وخلف بن عمرو العكبري، قال الخطيب في «تأريخه» (٩/ ٢٨٤) قال الدارقطني: «كان ثقة».

مؤمنًا؛ لأنه قد عرف ربه، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩]، و: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ﴾ [ص: ٧٩]، ولزمه أن يكون اليهود - بمعرفتهم بالله وبرسوله - أن يكونوا مؤمنين، قال الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، فقد أخبر عز وجل أنهم يعرفون الله ورسوله.

ويقال لهم: أيش الفرق بين الإسلام وبين الكفر؟ وقد علمنا أن أهل الكفر قد عرفوا بعقولهم أن الله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما، ولا ينجيهم في ظلمات البر والبحر إلا الله، وإذا أصابتهم الشدائد لا يدعون إلا الله.

فعلى قولهم - إن الإيمان المعرفة - كل هؤلاء مثل[1] من قال: الإيمان: المعرفة.

على قائل هذه المقالة الوحشية لعنة الله.

بل نقول - والحمد لله - قولًا يوافق الكتاب والسنة، وعلماء المسلمين الذين لا يستوحش من ذكرهم - وقد تقدم ذكرنا لهم - أن الإيمان معرفة بالقلب - تصديقًا يقينيًا - وقول باللسان، وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمنًا إلا بهذه الثلاثة، لا يجزي بعضها عن بعض، والحمد لله على ذلك.

[٣٠٥] حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، قال: حدثنا يوسف القطان قال: حدثنا جرير، عن عطاء بن السائب، عن الزهري قال: قال لي عبد الملك بن مروان: الحديث الذي جاء عن النبي ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل

....

(١) العبارة فيها خلل.

الجنـة، وإن زنى وإن سـرق» قال: فقلت له: أين يذهـب بك يا أمير المؤمنين؟ هذا قبل الأمر والنهي، وقبل الفرائض(١).

قـال محمـد بن الحسـين: احـذروا - رحمكـم الله - قول مـن يقـول: إن إيمانه كإيمـان جبريـل وميكائيـل. ومن يقـول: أنا مؤمن عنـد الله، وأنا مؤمن مسـتكمل الإيمان، هذا كله مذهب أهل الإرجاء.

[٣٠٦] حدثنـا إسـحاق بـن أبي حسـان الأنماطي، قـال: حدثنا هشـام بن عمار الدمشـقي، قال: حدثنا عبد الملك بن محمد، قـال: حدثنا الأوزاعي قال: «ثلاث هن بدعة، أنا مؤمن مستكمل الإيمان، وأنا مؤمن حقًّا، وأنا مؤمن عند الله»(٢).

[٣٠٧] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، قال: حدثنا يوسـف بن موسـى القطان، قال: حدثنا يحيى بن سـليم الطائفي، قال: حدثنا نافع ابن عمر القرشي، قال: كنا عند ابن أبي مليكة، فقال له جليس له: يا أبا محمد إن ناسًـا يجالسونك يزعمون أن إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل، فغضب عبد الله بن أبي مليكة، وقال: ما رضي الله تَعَالَىٰ لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى فضله بالثناء على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقـال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢٢] يعـني: محمـدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال ابن أبي مليكة: أفأجعل: إيمان جبريل وميكائيل كإيمان فهدان؟ لا.. ولا كرامة ولا حبًّا(٣).

....

(١) إسناده ضعيف، فيه عطاء بن السائب: صدوق اختلط.

(٢) إسـناده ضعيـف، فيه عبـد الملك بن محمد الحميري، قـال فيه الذهبي في «الكاشـف»: «ليس بحجة»، وقال الحافظ ابن حجر: «لين الحديث».

(٣) في إسناده: يحيى بن سليم الطائفي: صدوق، سيئ الحفظ، رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» [١٢٦٤]، وفي إسـناده يحيـى بن سـليم هذا، ورواه أبو عبيـد في «الإيمان»، ص: [٧٠]، رقـم [١٨]، قال: حدثنا =

قال نافع: قد رأيت فهدان، كان رجلًا لا يصحو من الشراب.

قال محمد بن الحسين: من قال هذا، فقد أعظم الفرية على الله تَعَالَىٰ وأتى بضد الحق، وبما ينكره جميع العلماء، لأن قائل هذه المقالة يزعم أن من قال: لا إله إلا الله لم تضره الكبائر أن يعملها، ولا الفواحش أن يركبها، وأن عنده أن البار التقي، الذي لا يباشر من ذلك شيئًا، والفاجر يكونان سواء، هذا منكر، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨] يقال لقائل هذه المقالة المنكرة: يا ضال يا مضل، إن الله تَعَالَىٰ لم يسوِّ بين الطائفتين من المؤمنين في أعمال الصالحات حتى فضل بعضهم على بعض درجات.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: ١٠]، فوعدهم عَزَّ وَجَلَّ كلهم بالحسنى بعد أن فضل بعضهم على بعض.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾ ثم قال: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [النساء: ٩٥]، فكيف يجوز لهذا الملحد في الدين أن يسوي بين إيمانه وإيمان جبريل وميكائيل؟ ويزعم أنه مؤمن حقًا!!

= سعيد بن أبي مريم المصري عن نافع بن عمر الجمحي سمعت ابن أبي مليكة به.
وهذا إسناد رجاله ثقات، فثبت هذا الأثر.

[٣٠٨] حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني، قال: حدثنا سويد بن سعيد، قال: حدثنا شهاب ابن خراش، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما بعث الله نبيًّا قبلي، واستجمعت له أمته إلا كان فيهم مرجئة وقدرية، يشوشون أمر أمته من بعده، ألا وإن الله لعن المرجئة والقدرية على لسان سبعين نبيًّا، أنا آخرهم»[١].

[٣٠٩] أخبرنا الفريابي، قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: حدثنا أبو أسامة ومحمد بن بشر قالا: أخبرنا ابن نزار -علي أو محمد- عن أبيه، عن عكرمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب، المرجئة والقدرية».

[٣١٠] حدثنا أبو علي الحسن بن محمد بن شعبة الأنصاري، قال: حدثنا علي ابن المنذر الطريقي، قال: حدثنا ابن فضيل، قال: حدثنا أبي وعلي بن نزار، عن عكرمة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب، المرجئة والقدرية»[٢].

تكلم الإمام الآجري في هذا الباب على المرجئة، وهم ثلاث فئات:

١ - **غلاة المرجئة وهم الجهمية الذين يقولون:** إن الإيمان هو المعرفة بالقلب، ويخرجون الأقوال والأعمال من الإيمان.

---

(١) **إسناده ضعيف،** فيه شهاب بن خراش: صدوق يخطئ، وفيه سويد بن سعيد: صدوق في نفسه إلا أنه عمي فصار يتلقن، رواه ابن بطة في «الإبانة» [١٢١٩] -تحقيق رضا نعسان-، بإسناده إلى شهاب بن خراش.

(٢) مدار هذا الحديث والذي قبله على علي بن نزار الأسدي وأبيه، وهما ضعيفان.

أخرجه الترمذي في «أبواب القدر» [٢١٤٩]، وابن ماجه في «المقدمة» [٦٢]، ومداره على نزار وهو ابن حيان الأسدي، وهو ضعيف كما تقدم.

٢- **الكرامية وهم الذين يقولون:** الإيمان قول باللسان، ويعتبرون المنافقين مؤمنين.

٣- **ومرجئة الفقهاء وهم الذين يقولون:** الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان، ويخرجون العمل من الإيمان.

وقد ساق الإمام الآجري في هذا الباب أقوال العلماء في ذمهم على اختلاف أصنافهم، وبيَّنوا مخالفتهم للكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة من أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وبيَّنوا أهمية العمل في الإسلام، وبيَّنوا زيف قول المرجئة: إن إيمان الفاسق كإيمان جبريل وميكائيل، وشددوا النكير عليهم.

ومن جملة إنكار الآجري على المرجئة قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من قال هذا فقد أعظم الفرية على الله تَعَالَىٰ وأتى بضد الحق، وبما ينكره جميع العلماء، لأن قائل هذه المقالة يزعم أن من قال: لا إله إلا الله، لم تضره الكبائر أن يعملها، ولا الفواحش أن يركبها وأن عنده أن البار التقي، الذي لا يباشر من ذلك شيئًا، والفاجر يكونان سواء، هذا منكر. قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١] إلخ.

وقال أبو عبيد في «الإيمان» (ص٧٠): حُدثنا عن ميمون بن مهران: أنه رأى جارية تغني فقال: من زعم أن هذه على إيمان مريم بنت عمران فقد كذب.

فهو يرد على المرجئة حيث يقولون: إن إيمان الفاسق كإيمان جبريل وميكائيل، وذلك أن الإيمان عند جميعهم لا يزيد ولا ينقص، فالفاسق عندهم كامل الإيمان.

ويـرد عـلى غلاة المرجئة حيـث يقولون: لا يضر مـع الإيمان ذنب، كـما لا ينفع مع الكفـر طاعة، هـذا مع قولهم: إن الإيمان هو المعرفة بالقلـب فقط، نعوذ بالله من الضلال والخذلان.



٣٠- باب الرد على القدرية

قال محمد بن الحسين: حسبي الله وكفى، ونعم الوكيل، والحمد لله، أهل الحمد والثناء، والعدة والبقاء، والعظمة والكبرياء، أحمده على تواتر نعمه، وقديم إحسانه وقسمه، حمد من يعلم أن مولاه الكريم يحب الحمد، فله الحمد على كل حال، وصلواته على البشير النذير، السراج المنير، سيد الأولين والآخرين، ذلك محمد رسول رب العالمين، وعلى آله الطيبين، وعلى أصحابه المنتخبين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين.

أما بعد: فإن سائل سأل عن مذهبنا في القدر.

فالجواب في ذلك - قبل أن نخبره بمذهبنا -: أنا ننصح السائل ونعلمه أنه لا يحسن بالمسلمين التنقير، والبحث عن القدر، لأن القدر سِرٌّ من سِرِّ الله، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يؤمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق.

قال ﷺ: «ما هلكت أمة قط إلا بالشرك بالله، وما أشركت أمة حتى يكون بدو أمرها وشركها التكذيب بالقدر»[1].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولولا أن الصحابة كما بلغهم عن قوم ضلال شردوا عن طريق الحق، وكذبوا بالقدر، فردوا عليهم قولهم وسبوهم وكفروهم، وكذلك التابعون -لهم بإحسان- سبوا من تكلم في القدر، وكذب به، ولعنوهم،

---

(١) ضعيف، وسيأتي الكلام عليه -إن شاء الله-.

ونهوا عن مجالستهم، وكذلك أئمة المسلمين ينهون عن مجالسة القدرية، وعن مناظرتهم، وبينوا للمسلمين قبيح مذاهبهم، فلولا أن هؤلاء ردوا على القدرية لم يسع من بعدهم الكلام في القدر، بل الإيمان [بالقدر] خيره وشره واجب، قضاء وقدر، وما قدر يكن، وما لم يقدر لم يكن، وإذا عمل العبد بطاعة الله تعالى علم أنها بتوفيق منه له، فيشكره، على ذلك، وإذا عمل بمعصية ندم على ذلك وعلم أنها بمقدور جرى عليه، فذم نفسه، واستغفر الله تعالى.

هذا مذهب المسلمين، وليس لأحد على الله حجة، بل لله الحجة على خلقه، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

ثم اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أن مذهبنا في القدر أنا نقول: إن الله تعالى خلق الجنة، وخلق النار، وخلق لكل واحد منهما أهلًا، وأقسم بعزته أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين، ثم خلق آدم عليه السلام، واستخرج من ظهره كل ذرية هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم جعلهم فريقين، فريقًا في الجنة، وفريقًا في السعير، وخلق إبليس، وأمره بالسجود لآدم، وقد علم أنه لا يسجد، للمقدور الذي قد جرى عليه من الشقوة، والتي سبقت في العلم من الله عليه، لا معارض لله في حكمه، يفعل في خلقه ما يريد، عدلًا من ربنا قضاؤه وقدره، وخلق آدم وحواء للأرض خلقهما، أسكنهما الجنة، وأمرهما أن يأكلا منها رغدًا ما شاءا، ونهاهما عن شجرة واحدة أن يقرباها، وقد جرى أنهما سيعصيانه بأكلهما من الشجرة، فهو تبارك وتعالى في الظاهر ينهاهما، وفي الباطن من علمه قد قدر عليهما أنهما يأكلان منها، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

....

لم يكن لهما بد من أكلهما سببًا للمعصية، وسببًا لخروجهما من الجنة، إذ كانا للأرض خلقًا، وأنه سيغفر لهما بعد المعصية، كل ذلك سابق في علمه، لا يجوز أن يكون شيء يحدث في جميع خلقه إلا وقد جرى مقدوره به، وأحاط به علمًا قبل كونه أنه سيكون، خلق الخلق كما شاء لما شاء، فجعلهم شقيًّا وسعيدًا، قبل أن يخرجهم إلى الدنيا، وهم في بطون أمهاتهم، وكتب آجالهم، وكتب أرزاقهم، وكتب أعمالهم، ثم أخرجهم إلى الدنيا، وكل إنسان يسعى فيما كتب له وعليه.

ثم بعث رسله، وأنزل عليهم وحيه، وأمرهم بالبلاغ لخلقه، فبلغوا رسالات ربهم، ونصحوا قومهم، فمن جرى في مقدور الله تَعَالَىٰ **أن يؤمن آمن، ومن جرى في مقدوره أن يكفر كفر،** قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن: ٢].

أحب من أراد من عباده، فشرح صدره للإسلام والإيمان، ومقت آخرين فختم على قلوبهم، وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم، فلن يهتدوا إذا أبدًا، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، الخلق كلهم له، يفعل في خلقه ما يريد، غير ظالم لهم، جل ذكره عن أن ينسب ربنا إلى الظلم، إنما يظلم من يأخذ ما ليس له بملك[1].

وأما ربنا تَعَالَىٰ **فله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، وما تحت الثرى وله الدنيا وله الآخرة جل ذكره، وتقدست أسماؤه، أحب الطاعة من عباده، وأمر**

....

(١) لله الحكمة البالغة في أقواله وأفعاله وأقداره وتشريعاته، فيهدي من يشاء لحكمة يعلمها، ويضل من يشاء لحكمة يعلمها، لا لمجرد أن العباد ملكه، فهم وإن كانوا ملكه وعبيده يفعل بهم ما يشاء لحكمة عظيمة بالغة.

بها، فجرت ممن أطاعه بتوفيقه لهم، ونهى عن المعاصي، وأراد كونها من غير محبة منه لها، ولا أمر بها، تعالى عَزَّوَجَلَّ عن أن يأمر بالفحشاء أو يحبها، وجل الله تَعَالَىٰ ربنا من أن يجري في ملكه ما لم يرد أن يجري، أو شيء لم يحط به علمه قبل كونه، قد علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وبعد أن خلقهم قبل أن يعملوا، قضاء وقدر، قد جرى القلم بأمره تَعَالَىٰ في اللوح المحفوظ بما يكون من بر أو فجور، يثني على من عمل بطاعته من عبيده، ويضيف العمل إلى العباد، ويعدهم عليه الجزاء العظيم ولولا توفيقه لهم ما عملوا بما استوجبوا به منه الجزاء: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وكذا ذم قومًا عملوا بمعصيته، [وتوعدهم] على العمل بها النار، وأضاف العمل إليهم بما عملوا، وذلك بمقدور جرى عليهم، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء.

قال محمد بن الحسين: هذا مذهبنا في القدر الذي سأل عنه السائل.

فإن قال قائل: ما الحجة فيما قلت؟

قيل له: كتاب الله تَعَالَىٰ، وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسنة أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعين لهم بإحسان، وقول أئمة المسلمين.

فإن قال قائل: فاذكر من ذلك ما نزداد به علمًا ويقينًا.

قيل له: نعم -إن شاء الله-، والله الموفق لكل رشاد، والمعين عليه بمنه.

بيّن المؤلف: في هذا الباب مذهب أهل السنة والجماعة -وعلى رأسهم الصحابة- في الإيمان بالقدر خيره وشره أنه كله من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، خلافًا لما يعتقده القدرية نفاة القدر مجوس هذه الأمة، الذين يعتقدون أن الخير من الله والشر من الشيطان ومن العبد، وأن الله لا يخلق أفعال العباد ولا يريدها.

فهذا مذهب باطل يعارض نصوص القرآن والسنة، وما عليه الصحابة الكرام من أنه لا يكون شيء في هذا الكون إلا بمشيئة الله وإرادته.

وفي الجملة القدر سرُّ الله تَعَالَىٰ، ولله الحكمة البالغة فيه، والله لا يسئل عما يفعل وهم يسألون، فهو يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحكيم العليم.

فمَن هداه الله للإيمان والعمل الصالح، فليشكر الله على فضله ومنِّه وتوفيقه.

ومن عصى الله وهو مؤمن فعليه أن يندم ويتوب إلى الله، ويلوم نفسه كما في الحديث القدسي: «**فمن وجد خيرًا، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه**».

وليعلم المؤمن أن الله خلق الجنة وخلق لها أهلها، وخلق النار وخلق لها أهلًا، وأقسم بعزته ليملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين.

هذا ومن المناسب هنا أن نذكر مراتب القضاء والقدر، وهي أربع كما فصَّل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.

المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها.

المرتبة الثالثة: مشيئته لها.

المرتبة الرابع: خلقه لها.

فالمرتبة الأولى- وهي علم الله السابق: فقد اتفق عليه الرسل ؤ من أولهم نوح إلى خاتمهم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة، وخالفهم في ذلك مجوس الأمة القدرية الأولى، وقد كفرهم من أدركهم من الصحابة ثم علماء السنة من التابعين فمن بعدهم.

أدلة المرتبة الثانية من مراتب القدر من القرآن وهي كثيرة منها:

١- قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

٢- وقوله تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

٣- وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾ [النبأ: ١٢].

ومن السنة أدلة كثيرة، منها:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»[1].

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**أَوَّل مَا خَلَقَ الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **القَلَم ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكتُب، قَالَ: وَمَا أَكتُبُ؟ قَالَ: فَاكتُب مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَن تَقُومَ السَّاعَةُ**»[2].

(١) رواه مسلم في «القدر»، حديث [٢٦٥٣]، وأحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٩)، والترمذي في «القدر»، حديث [٢١٥٦].

(٢) حسن لغيره، رواه أحمد بإسناد فيه ليث بن أبي سليم وفيه ضعف، والترمذي، حديث [٢١٥٥] والطيالسي، حديث [٥٧٧] بإسناد فيه عبد الواحد بن سليم، قال الحافظ ابن حجر: «ضعيف»، ورواه أحمد (٥/ ٣١٧) بإسناد فيه ابن لهيعة.

وعـن عبـد الله بن عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قـال: كنت خلـف رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا فقال: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سـألت فاسـأل الله، وإذا اسـتعنت فاسـتعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعـوك بشـيء لم ينفعـوك إلا بشـيء قد كتبـه الله لك ولو اجتمعـوا على أن يضـروك بشـيء لم يضـروك إلا بشـيء قـد كتبه الله عليـك رفعت الأقـلام وجفت الصحف**»(١).

وقـال الإمام ابن القيم: في «شـفاء العليـل» عن المرتبة الثالثـة (ص١٧٦-١٧٧): «المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة المشيئة.

وهذه المرتبة قد دلَّ عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنـزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان، وليس في الوجود موجب ومقتض على الحقيقة إلا مشيئة الله وحده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

هذا عمود التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسـلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع، وإن كان منهـم في موضـع آخـر، فجـوَّزوا أن يكـون في الوجود ما لا يشـاء الله وأن يشـاء مـا لا يكـون، وخالـف الرسـل كلهـم وأتباعهم من نفـي مشـيئة الله بالكليـة، ولم يثبت له سُبْحَانَهُ مشـيئة واختيارًا أوجد بها الخلق، كما يقوله طوائف من أعداء الرسـل من الفلاسـفة وأتباعهم.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» حديث (١/ ٢٩٣) والترمذي في «القدر» [٢٥١٦] وأبو يعلى في «مسنده» حديث [٢٥٥٦] وابن أبي عاصم في «السنة» [٣١٦]، [٣١٧]، وصححه الألباني.

والقرآن والسنة مملوآن بتكذيب الطائفتين: فقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٤٠].

وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس: ٩٩].

وقال: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [هود: ١١٨].

وقال: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [الأنعام: ٣٥].

وقال: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة: ١٣].

وقال: ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾ [محمد: ٤].

وقال: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء: ٨٦].

وقال: ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [الشورى: ٢٤].

وقال: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٣]

وقال: في «شفاء العليل» عن المرتبة الرابعة (ص٢٠٧-٢٠٨): «وهذا أمر متفق عليه بين الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم-، وعليه اتفقت الكتب الإلهية، ودلت عليه أدلة الفطر والعقول والاعتبار، وخالف في ذلك مجوسُ الأمة، فأخرجت طاعاتِ

ملائكته وأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين -وهي أشرف ما في العالم- عن ربوبيته وتكوينه ومشيئته، بل جعلوهم هم الخالقين لها ولا تعلق لها بمشيئته ولا تدخلُ تحت قدرته، وكذلك قالوا في جميع أفعال الحيوانات الاختيارية.

فعندهم: أنه سُبْحَانَهُ لا يقدر أن يهدي ضالًّا، ولا يضل مهتديًا، ولا يقدر أن يجعلَ المسلمَ مسلمًا، والكافرَ كافرًا، والمصلي مصليًّا، وإنما ذلك بجعلهم أنفسَهم كذلك لا يجعله تَعَالَىٰ.

وقد نادى القرآن، بل الكتب السماوية كلها والسنة وأدلة التوحيد والعقول على بطلان قولهم، وصاح بهم أهلُ العلم والإيمان من أقطار الأرض، وصنَّف حزب الإسلام وعصابةُ الرسول وعسكره التصانيف في الرد عليهم، وهي أكثر من أن يحصيها إلا الله، ولم تزل أيدي السلف وأئمة السنة في أقفيتهم، ونواصيهم تحت أرجلهم إذ كانوا يردون باطلهم بالحق المحض، وبدعتهم بالسنة، والسنةُ لا يقوم لها شيء، فكانوا معهم كالذمة مع المسلمين.

إلى أن نبغت نابغةٌ ردوا بدعتهم ببدعة تقابلها، وقابلوا باطلهم بباطل من جنسه، وقالوا: العبد مجبور على أفعاله مقهور عليها لا تأثير له في وجودها البتة وهي واقعة بإرادته وإختياره، وغلا غلاتهم فقالوا: بل هي عين أفعال الله، ولا تُنسب إلى العبد إلا على وجه المجاز، والله سُبْحَانَهُ يلوم العبد ويعاقبه ويخلده في النار على ما لم يكن للعبد فيه صنع ولا هو فِعلُه، بل هو محضُ فِعل الله، وهذا قول الجبرية، وهو إن لم يكن شرًّا من القدرية فليس هو بدونه في البطلان.

وإجماع الرسل واتفاق الكتب الإلهية وأدلة العقول والفطر والعيان يكذِّب هذا القولَ ويرده، والطائفتان في عمى عن الحق القويم والصراط المستقيم».

وهذه المراتب شاملة لكل أبواب القدر.



قال الله تَعَالَىٰ في سورة البقرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

[البقرة: ٦ - ٧]

وقال تَعَالَىٰ في سورة النساء: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٥٥].

وقال تَعَالَىٰ في سورة المائدة: ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٤١].

وقال تَعَالَىٰ في سورة الأنعام: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ﴾ [الأنعام: ٢٥]... الآية.

وقال تَعَالَىٰ في هذه السورة: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وقال تَعَالَىٰ في سورة التوبة: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٩٣].

وقال تَعَالَىٰ في سورة النحل: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ ﴾ إلى قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [النحل: ١٠٦ - ١٠٨].

....

وقال تعالى في سورة بني إسرائيل: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الإسراء: ٤٥ - ٤٦]... الآية.

وقال تعالى في سورة الكهف: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٥٧].

وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ۝ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ۝ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [الشعراء: ١٩٨-٢٠١].

وقال تعالى في سورة يس: ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يس: ٧ - ١٠].

وقال تعالى في سورة الجاثية: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وقال تعالى في سورة محمد ﷺ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٦].

وقال تعالى في سورة المنافقين: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٣].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جميع ما تلوته من هذه الآيات يدل العقلاء على أن الله تَعَالَىٰ ختم على قلوب قوم وطبع عليها ولم يردها لعبادته وأرادها لمعصيته، فأعماها عن الحق فلم تبصره، وأصمها عن الحق فلم تسمعه، وأخزاها ولم يطهرها، يفعل بخلقه ما يريد.

لا يجوز لقائل أن يقول: لم فعل بهم ذلك؟ فمن قال ذلك: فقد عارض الله في فعله، وضلَّ عن طريق الحق.

ثم اختص الله من عباده من أحب، فشرح قلوبهم للإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون، فضلًا من الله ونعمة، والله عليم حكيم.

قال محمد بن الحسين: اعقلوا يا [مسلمين] ما يخاطبكم الله به، يعلمكم أني مالك للعباد، أختص منهم من أريد، فأطهر قلبه، وأشرح صدره، وأزين له طاعتي، وأكره إليه معصيتي، لا ليد تقدمت منه إليَّ، أنا الغني عن عبادي، وهم الفقراء إليَّ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

والمنة لله تَعَالَىٰ على من هدى للإيمان، ألم تسمعوا -رحمكم الله- إلى قول مولاكم الكريم حين امتن قوم بإسلامهم على النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنزل الله تَعَالَىٰ: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧].

ساق الإمام الآجري: آيات كثيرة لبيان أن الله قد طبع وختم على قلوب الكافرين الأشقياء، ثم شرحها شرحًا جيدًا تضمن معاني ما أورده من الآيات فكفى وشفى.

٣٢

باب

ما أخبر الله تَعَالَىٰ أنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وأن الأنبياء لا يهدون إلا من سبق في علم الله أنه يهديه

قال الله تَعَالَىٰ في سورة النساء: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٨٨].

وقال تَعَالَىٰ في هذه السورة - وقد ذكر المنافقين - فقال: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٣].

وقال تَعَالَىٰ في سورة الأنعام: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٣٩].

وقال تَعَالَىٰ في هذه السورة: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٩]

وقال تَعَالَىٰ في سورة الأعراف: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٦]

وقال تَعَالَىٰ في سورة الرعد: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ [الرعد: ٢٧].

وقال تعالى في هذه السورة: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١].

وقال تعالى في هذه السورة: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

وقال تعالى في سورة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقال تعالى في سورة النحل: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

وقال تعالى في هذه السورة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [النحل: ٣٦ - ٣٧].

وقال تعالى في سورة بني إسرائيل: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الإسراء: ٩٧]... الآية.

وقال تعالى في سورة الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٣ - ١٧].

وقال تعالى في سورة الحج: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٦].

....

وقال تعالى في سورة النور: ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [النور: ٣٥] ثم قال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠].

وقال تعالى في هذه السورة: ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النور: ٤٦].

وقال تعالى في سورة القصص: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦].

وقال تعالى في سورة الروم: ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [الروم: ٢٩].

وقال تعالى في سورة السجدة: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: ١٣].

وقال تعالى في سورة الملائكة: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨].

وقال تعالى في سورة الزمر: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وقال تعالى في هذه السورة: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال تَعَالَىٰ في هذه السورة لمحمد ﷺ: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ۝٣٦ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ﴾ [الزمر: ٣٦ - ٣٧].

وقال تَعَالَىٰ في سورة حم (المؤمن): ﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [غافر: ٣٣].

وقال تَعَالَىٰ في سورة المدثر: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ [المدثر: ٣١].

قال محمد بن الحسين: اعلموا يا معشر المسلمين أن مولاكم الكريم يخبركم أنه يهدي من يشاء، فيوصل إلى قلبه محبة الإيمان، فيؤمن ويصدق، ويضل من يشاء فلا يقدر نبي ولا غيره على هدايته بعد أن أضله الله عن الإيمان.

ساق الإمام الآجري في هذا الباب آيات كثيرة لبيان أن الأمر كله لله، بيده الملك، وبيده الهداية والإضلال، لا شريك له في ذلك، فمن أراد الله له الهداية والتوفيق فلا مضل له من الجن والإنس ومن في السموات والأرض.

ومن أراد الله إضلاله فلو اجتمع من في السموات والأرض، فلن يستطيعوا أن يهدوه، فالله وحده الذي بيده نواصي العباد وقلوبهم.

وفي هذا رد على القدرية الضالة:

القدرية الأولى: التي تعتقد أن الله لا يعلم أفعال العباد ولا يشاؤها.

والقدرية المتأخرة: التي تقول: إن الله لا يشاء أفعال العباد، فعندهم أن أعمال العباد لاسيما الشر منها لا يريدها الله، فهي عندهم خارجة عن إرادته ومشيئته، ومنشؤها إرادة العبد فقط.

وأهل السنة يردون هذا المذهب الباطل بالحجج والبراهين، وسيأتي تتمة الكلام.

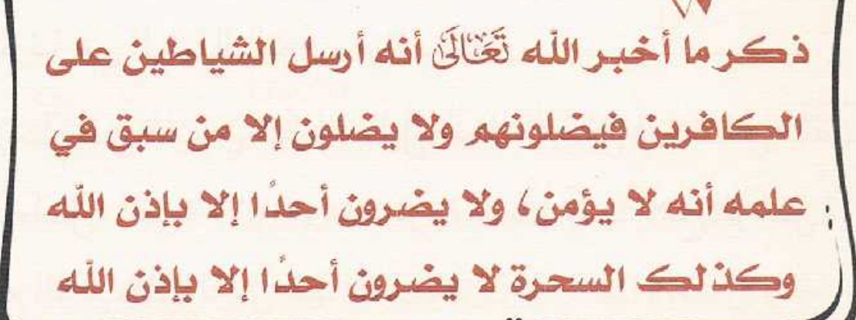
وهذه المرتبة هي المرتبة الثالثة من مراتب القدر.

قال الإمام ابن القيم في كتابه الجليل «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (ص١٧٦): «وهذه المرتبة قد دلَّ عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله....».

وساق آيات أخر كثيرة، إلى أن قال في (ص١٨٠): «وهذه الآيات ونحوها تتضمن الرد على طائفتي الضلال، نفاة المشيئة بالكلية ونفاة مشيئة أفعال العباد وحركاتهم وهداهم وضلالهم، وهو سُبْحَانَهُ تارة يخبر أن كل ما في الكون بمشيئته، وتارة أن ما لم يشأ لم يكن، وتارة أنه لو شاء لكان خلاف الواقع، وأنه لو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره وكتبه، وأنه لو شاء ما عُصي، وأنه لو شاء لجمع خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحدة، فتضمن ذلك أن الواقع بمشيئته، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته، وهذا حقيقة الربوبية، وهو معنى كونه رب العالمين وكونه القيوم القائم بتدبير عباده، فلا خلق ولا رزق ولا عطاء ولا منع ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا إضلال ولا هدى ولا سعادة ولا شقاوة إلا بعد إذنه، وكل ذلك بمشيئته وتكوينه إذ لا مالك غيره ولا مدبر سواه ولا رب غيره».

ثم ساق آيات وأحاديث تدل على هذه المرتبة العظيمة، فرحمه الله.





٣٣

بَابُ

ذكر ما أخبر الله تَعَالَىٰ أنه أرسل الشياطين على الكافرين فيضلونهم ولا يضلون إلا من سبق في علمه أنه لا يؤمن، ولا يضرون أحدًا إلا بإذن الله وكذلك السحرة لا يضرون أحدًا إلا بإذن الله

قال الله تَعَالَىٰ في سورة البقرة: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢].

وقال تَعَالَىٰ في سورة مريم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مَرْيَم: ٨٣].

وقال تَعَالَىٰ في سورة الصافات: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝١٦١ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصَّافَات: ١٦١ - ١٦٣].

[٣١١] أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي، قال: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن خالد الحذاء، عن الحسن في قول الله تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ قال: «الشياطين لا يفتنون بضلالتهم إلا من أوجب الله تَعَالَىٰ له أن يصلى الجحيم»(١).

(١) إسناده صحيح، وأخرجه أبو داود في «السنة»، حديث [٤٦١٦]، وابن بطة في «الإبانة» [١٦٩٤].

[٣١٢] وأخبرنا الفريابي، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا عبد الله ابن إدريس، عن عمر بن ذر قال: قال عمر بن عبد العزيز: «لو أراد الله تعالى ألا يعصى ما خلق إبليس، وهو رأس الخطيئة، وإن في ذلك لعلمًا من كتاب الله، جهله من جهله، وعرفه من عرفه، ثم قرأ: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦١ - ١٦٣]»(١).

قال محمد بن الحسين رحمه الله:

وقال الله تعالى: ﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٥].

وقال تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧].

قال محمد بن الحسين: قد أخبركم الله تعالى - يا مسلمون - أنه يرسل الشياطين على من لم يجرِ له في مقدوره أنه مؤمن، فيضلهم بالشياطين فيزينون لهم قبيح ما هم عليه، وقد أخبرنا الله تعالى أنه هو الذي فتن قوم موسى حتى عبدوا العجل بما قبض لهم السامري، فأضلهم بما عمل لهم من العجل، ألم تسمعوا إلى قوله لموسى عليه السلام: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥].

وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال تعالى في سورة حم المؤمن: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [غافر: ٣٧].

---

(١) **إسناده صحيح**، ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» أثر [٩٣٦] عن أبيه عن وكيع عن عمر بن ذر به.

هذا الباب امتداد للباب الذي قبله، الذي بيَّن الله فيه أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

فمن كتب الله عليه الضلال والشقاء والكفر، فإن الله يرسل عليهم الشياطين، يزينون لهم الكفر والشرك والضلال والبغي ومعاندة الرسل وتكذيبهم ورميهم بالسحر والكهانة والافتراء على الله، ويسخرون منهم ومن أتباعهم.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم: ٨٣]، **أي:** تشليهم وتدفعهم إلى الكفر والضلال وتكذيب الرسل ومعاندتهم إلى أنواع من الكفر والفجور والضلال.

وقد ساق المؤلف: عددًا من الآيات منها:

قول الله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦]، **أي:** من يتعامى عن القرآن وحججه الباهرة وأدلته القاطعة يهيئ الله له شيطانًا يضله ويهديه إلى الضلال، ويزين له الكفر والبغي والشهوات المحرمة، ويقوده إلى سواء الجحيم، وهذا القرين يلازمه ويصاحبه لقصد إهلاكه، والكافر الغبي لا يدرك ذلك، وينجي الله المؤمنين ويحفظهم من مكايد الشياطين ووساوسهم وتزيينهم للباطل، وذلك من فضل الله ورحمته بالمؤمنين؛ لأنه قد كتب لهم السعادة، ووفقهم للإيمان به وبرسله وكتبه وطاعة رسله والسير على نهجهم.



٣٤

باب

ذكر ما أخبر الله تعالى أن مشيئة الخلق تبع لمشيئة الله سبحانه وتعالى، فمن شاء الله له أن يهتدي اهتدى، ومن شاء أن يضل لم يهتد أبدًا

[٣١٣] أخبرنا الفريابي قال: نا أبو بكر بن أبي شيبة قال: نا إسماعيل بن علية، عن منصور بن عبد الرحمن قال: قلت للحسن: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩] قال: ومن رحم ربك غير مختلفين وقلت: ولذلك خلقهم؟ قال: نعم، خلق هؤلاء للجنة، وخلق هؤلاء للنار، وخلق هؤلاء للرحمة، وخلق هؤلاء للعذاب[١].

[٣١٤] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا حماد بن زيد، عن خالد الحذاء قال: قدم علينا رجل من أهل الكوفة، وكان مجانبًا للحسن، لما كان يبلغه عنه في القدر، حتى لقيه، فسأله الرجل أو سُئل عن هذه الآية: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩] قال: لا يختلف أهل رحمة الله، قال:

---

(١) أثر حسن، رجاله ثقات إلا منصور بن عبد الرحمن الغداني، قال الذهبي فيه: «وثقه جماعة»، وقال أبو حاتم: «لا يحتج به»، وقال الحافظ في «التقريب»: «صدوق يهم».

رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» برقم [٩٥٠].

﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود: ١١٩]؟ قال: خلق الله تَعَالَىٰ أهل الجنة للجنة، وأهل النار للنار قال: فكان الرجل بعد ذلك يذب عن الحسن[(١)].

وقال تَعَالَىٰ في سورة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقال تَعَالَىٰ في سورة النور: ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النور: ٤٦].

وقال تَعَالَىٰ في سورة القصص لنبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦].

وقال لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سورة الملائكة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٢-٢٣].

وقال تَعَالَىٰ في سورة حم عسق: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ﴾ [الشورى: ٨].

وقال في سورة المدثر: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [المدثر: ٥٤-٥٦].

وقال تَعَالَىٰ في سورة: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١] بعد أن حذر من النار، وشوق إلى الجنات مما أعد فيها لأوليائه، فقال بعد ذلك: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ [الإنسان: ٢٩] ثم قال:

....

(١) **إسناده صحيح**، وروى أبو داود في «سننه» كتاب السنة عددًا من الآثار عن الحسن، كلها في إثبات القدر من رقم (٤٦١٤-٤٦٢٦)، وفي بعضها تكذيب لمن رماه بالقدر.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الإنسان: ٣٠ - ٣١].

وقال تَعَالَىٰ في سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩].

[٣١٥] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو أنس مالك بن سليمان قال: نا بقية بن الوليد، عن عمر بن محمد، عن زيد بن أسلم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما أنزل الله تَعَالَىٰ على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨] قالوا: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]»[1].

قال محمد بن الحسين: اعتبروا يا مسلمون، هل لقدري في جميع ما تلوته حجة؟ إلا خذلانا وشقوة.

[٣١٦] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن إسماعيل قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي قال: قال مالك بن أنس: «ما أضل من كذب بالقدر لو لم يكن عليهم فيه حجة إلا قوله تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] لكفى بها حجة»[2].

[٣١٧] وأخبرنا الفريابي قال: نا أبو أنس مالك بن سليمان قال: حدثنا بقية، يعني ابن الوليد، عن مبشر بن عبيد، عن عطاء بن السائب، عن أبي صالح، عن

....

(١) ضعيف، لأن زيد بن أسلم لم يسمع من أبي هريرة، وفي إسناده مالك بن سليمان الألهاني فيه ضعف.
(٢) صحيح رجاله ثقات، رواه ابن بطة في «الإبانة» رقم [١٣٠٩].

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وفي قول الله تَعَالَى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ [الأعراف: ٢٩-٣٠]: وكذلك خلقهم حين خلقهم، فجعلهم مؤمنًا وكافرًا، وسعيدًا وشقيًّا، وكذلك يعودون يوم القيامة مهتدين وضلالا»[١].

[٣١٨] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا وكيع، عن سفيان يعني الثوري، عن سالم بن أبي حفصة، عن محمد بن كعب القرظي في قول الله تَعَالَى: ﴿ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٨-٤٩] قال: «نزلت تعييرًا لأهل القدر»[٢].

[٣١٩] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا أنس ابن عياض، عن أبي حازم قال: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس: ٨] قال: فالتقي ألهمه التقوى، والفاجر ألهمه الفجور[٣].

قال محمد بن الحسين: وقد قال زيد بن أسلم: والله ما قالت القدرية كما قال الله تَعَالَى، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال النبيون، ولا كما قال أهل الجنة، ولا كما قال أهل النار، ولا كما قال أخوهم إبليس، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩].

---

(١) ضعيف، فيه علل، منها: أن في إسناده مبشر بن عبيد: متروك، وروى نحوه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» أثر [٩٦١] بإسناده إلى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) إسناده حسن، رجاله ثقات، سوى سالم بن أبي حفصة فإنه شيعي، لكنه صدوق.
رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٤١٩) رقم [٩١٩] من طريق خصيف عن محمد ابن كعب، وخصيف: صدوق سيئ الحظ.

(٣) إسناده صحيح، ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٤٠٨) رقم [٨٩٠] عن أبيه عن أنس بن عياض عن أبي حازم.

وقالت الملائكة: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢].

وقال النبيون، منهم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩].

وقال أهل الجنة: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال أهل النار: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

وقال أخوهم إبليس: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩].

[٣٢٠] أخبرنا الفريابي بذلك قال: حدثنا خلف بن محمد الواسطي المعروف بكردوس قال: حدثنا يعقوب بن محمد قال حدثنا الزبير بن حبيب، عن زيد بن أسلم أنه قال هذا[1].

وبعد: فقد مرَّ بكم في دروس الآيات التي ساقها المؤلف في القدر تكررت عليكم هذه الآيات كثيرًا، ولكن تحتاج منكم إلى ضبط فقد مرَّ بكم في دروس تعليقات على هذه الآيات في أمر القدر، أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علِم في الأزل ما كان وما سيكون سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعلمه الأزلي، ومن ذلك أنه علم الأشقياء والسعداء من العباد وعلم طاعاتهم وكفرهم ومعصيتهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلم كل شيء، فما من شيء يكون أوقد كان إلا وقد علمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لا يخفى عليه منه خافية كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ

---

(١) **إسناده ضعيف،** فيه الزبير بن حبيب، قال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٦٧) رقم [٢٨٣٢]: «فيه لين».
ورواه ابن بطة في «الإبانة» رقم [١٣١٠] من طريق الزبير هذا، ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» رقم [١٠١٢] بإسناده عن الربيع بن حبيب.

إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

علم هذه الأشياء ثم كتبها في اللوح المحفوظ فكل شيء يجري في هذا الكون قد علمه الله وكتبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا أمر.

ثم بعد هذا العلم الذي علمه في الأزل وكتبه في اللوح المحفوظ لا تجري حركة في هذا الكون إلا بمشيئة الله وإرادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بما في ذلك أعمال العباد، وهذا لا ينافي أن للعباد إرادة وقدرة واختيارًا، فالله منحهم هذه المواهب، القدرة والإرادة والاختيار فيفعلون باختيارهم، لكن هل هذه الأفعال وهذه المشيئة مستقلة أو أنها تابعة لمشيئة الله؟ هي تابعة لمشيئة الله، لأن الله تنزَّه أن يجري في ملكه ما لا يريد وما لا يشاء فهذا ينافي حكمته وقدرته وعلمه وعزته وجبروته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا يكون في ملكه إلا ما يشاء.

وهنا تأتي مذاهب أهل الضلال: غلاة القدرية يقولون: إن الله لا يعلم بمعاصي العباد ولا يُقدِّرها ولا يشاءها، وهذا ينافي الإيمان والإسلام، لأن الإيمان والإسلام يقومان على الاستسلام المطلق لله رب العالمين والإيمان به وبكتبه وبرسله وبعظمة الله وجلاله، وأنه لا يخرج شيء عن ملكه في هذه الدنيا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يكون شيء في ملكه إلا بمشيئته.

فلابد من تعظيم الله ولابد من تصديق أخباره ولابد من تصديق رسله وبدون ذلك لا إيمان.

فالقدرية غَلَوا في تنزيه الله وقالوا: لو أثبتنا أن أفعال العباد بمشيئة الله وإرادته، لكان أخذهم بها وتعذيبهم عليها من كفر ومعاصٍ ظلمًا منه قبَّحهم الله، وسمَّوا أهل السنة جبرية،

لأنهم يقولون أفعال العباد بمشيئة الله وإرادته، وعند هؤلاء القدرية إذا كان الله يشاء هذه الأعمال، فمقتضى ذلك أن العباد مجبورون.

وقالت الجبرية: نعم، التزموا هذا، أن العباد مجبورون على أفعالهم فجاءوا بمذهب أسوأ من مذهب القدرية، لأن هذا يلغي كل الأوامر والنواهي والعياذ بالله أو يستهين بها.

ومذهب أهل السنة والجماعة: الإيمان بأن الله علم الأشياء قبل كونها وكتبها في اللوح المحفوظ، وأنه لا يجري في هذا الكون شيء إلا بإرادته ومشيئته وفي الوقت نفسه للعباد قدرة وإرادة واختيار هي مناط المسؤولية والمحاسبة والجزاء.

وهذا أمر يعرفه حتى الحيوانات، كما قلنا في دروس لنا سابقة: إن الحيوانات وقبلها العقلاء يميزون بين الأفعال الاختيارية وبين الأفعال الاضطرارية، فالعبد يشعر حينما يريد أن يعمل عملًا أن عنده اختيارًا، وعنده إرادة يُقدِم عليه برغبته وإرادته واختياره، وهذا بخلاف المضطر، المضطر لا إرادة له ولا اختيار وهذا شيء ملموس.

وقد ضربنا لكم مثالًا وهو أن الكلب -مثلًا- لو رميته بحجر يهجم عليك ولا يهجم على الحجر، لأنه يعلم أن الحجر لا إرادة له ولا اختيار، وأنت المريد المختار الذي أخذت الحجر واخترت رميه وأذاه، فالحيوانات تميِّز بين المختار وبين المكره المضطر.

فالقدرية ضلُّوا فقالوا: إن هذه الأفعال والمعاصي لا يريدها الله ولا يُقدِّرها.

والجبرية سلبوا العبد قدرته واختياره وقالوا: إنه مجبور على هذه الأعمال، وكل ذلك ضلال، فلله مشيئة ولا يحدث في الكون أمر إلا بمشيئة الله، ومن ذلك أفعال العباد خلافًا للقدرية، فإنهم ينفون أن تكون أفعال العباد -لاسيما المعاصي- داخلة تحت مشيئة

الله، وخلافًا للجبرية الذين يقولون: هذه الأفعال تصدر من العباد من غير إرادتهم ومشيئتهم، وإنما هم مجبورون على ذلك.

وهذا كذب يخالف العقول والشرائع والفطر حتى فطر الحيوانات، فإنها تميِّز بين الأفعال الاضطرارية والأفعال الاختيارية ويحاسبون الناس في أمور دنياهم على ما إذا ارتكبوا ظلمًا في أموال الناس أو أعراضهم، فإن الناس يلقون باللوم والمسئولية على السارق والزاني والقاتل ويستشعنون ذلك منه وينسبونه إليه، ولو نفى إنسان نسبة هذه الأفعال إلى فاعلها لحكموا عليه بالجنون والخَرَق.

هذا ما ينبغي أن تستذكروه ويكون على بالكم من أن الله علم الأشياء وكتبها في الأزل ثم شاءها وينفذ كل شيء في الوقت الذي حدده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأفعال عباده داخلة في ذلك، فأفعالهم تحدث باختيارهم وقدرتهم، ومع ذلك هي تابعة لمشيئة الله كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٩].

وسبق أن قلنا لكم أن هذه الآية وأمثالها فيها ردٌّ على القدرية، وفيها ردٌّ على الجبرية في آن واحد فقوله: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ردٌّ على القدرية وقوله: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ ﴾ فيه إثبات المشيئة للعباد، وفيه ردٌّ على الجبرية.

والآن نستعرض النصوص:

قصة الحسن: الحسن البصري من أئمة الإسلام الكبار ومن عقلائهم وفضلائهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لكن نَسَب إليه القدرية أنه يقول مثلهم بنفي القدر، واعتبروه منهم وأشاعوا ذلك عنه أنه منهم، وقد يكون هذا كذبًا منهم.

ويذهب بعض أهل السنة إلى أن هذا حصل منه ولكن تاب منه، فسواء وقع فيه وتاب منه أو لم يقع فيه وأشاعه عنه القدرية، هذا الأسلوب من أساليب أهل البدع والفتن، لابد أن يتستروا من وراء شخصية من الشخصيات البارزة، فالقدرية تستروا بالحسن وكتبوا وأشاعوا وألَّفوا الرسائل ينسبون القول بالقدر إلى الحسن كذبًا وزورًا وهو ليس منهم، وربما أنهم إلى الآن يزعمون أن الحسن البصري منهم -قبحهم الله وبرأه الله منهم-.

والخوارج كانوا يتسترون وراء شخصية عظيمة أخرى، أبو الشعثاء جابر بن زيد أحد كبار تلاميذ ابن عباس الفقهاء الكبار يتستر به الخوارج.

فهذه من ألاعيب أهل البدع، لأن بدعهم لا تروج إذا لم يتستروا من وراء أئمة الإسلام، وأنتم ترون أن الأشاعرة يلصقون أنفسهم بالأئمة يعني: أن الرجل من الأشاعرة قد يكون مذهبه [في الفروع] مالكيًّا، لكنه ينسب أشعريته إلى مالك وصوفيته ينسبها إلى مالك، وكذلك الماتردية ينتسبون إلى أبي حنيفة وهم ماتردية، ومذهبهم مشتق من مذهب الجهم بن صفوان، وكل أهل الطرق الضالة يتسترون بأئمة الإسلام، الزيدية يتسترون بزيد، الروافض يتسترون بجعفر الصادق وبأهل البيت، لأن مللهم المرفوضة لا تروج إلا بالحيل والتستر من وراء الأئمة.

وهكذا يفعل كثير من الناس، القطبية ما راجت إلا بهذا التستر من وراء ابن تيمية وابن القيم وابن باز والألباني وابن عثيمين وغيرهم من الشخصيات المعتبرة المقبولة عند الناس في العالَم، فيقولون: نحن تلاميذ ابن باز نحن على منهج السلف، ومن تلاميذ الألباني، نحن تلاميذ ابن عثيمين، ويوهمون الناس أن هؤلاء الأئمة معهم

فتنطلي ألاعيبهم على كثير من الشباب الذين يحبون العلم ويحبون العلماء ويحبون الإسلام ويحبون الحق، لكن ألاعيب هؤلاء تخدع كثيرًا من الناس فيقعون في حبائلهم.

هذا الحسن البصري أشاع عنه القدرية أنه منهم، وهذا الرجل من أهل السنة كان يحذر منه ويهجره، لكن حضر مرة فسئل الحسن عن هذه الآية إما سأله هو أو سأله غيره قال في الآية: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هُود: ١١٨-١١٩] قال الحسن: لا يختلف أهل رحمة الله.

قال الله: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ فالمرحومون لا يختلفون يتفقون على منهج واحد وعقيدة واحدة، ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ خلق هؤلاء للجنة وخلق هؤلاء للنار.

لما فسرها الحسن هذا التفسير: أن الله خلق الناس بإرادته وقدرته ومشيئته شاء أن يكون هذا للنار وهذا للجنة خرج من القدر، لأن القدرية كما تعرفون لا يلحقون أعمال العباد بمشيئة الله ولا يربطون بينها وبين مشيئة الله، أما الحسن فقد ربط بين مشيئة الله وبين أفعال العباد ومصيرهم، شاء الله أن يكون هؤلاء من أهل الجنة وشاء الله أن يكون هؤلاء من أهل النار، إذن الأمور تتعلق بمشيئته.

والقدرية يرون أن الأعمال التي يترتب عليها الثواب والعقاب والجنة والنار هذه خارجة عن نطاق مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ.

ولما فسر الحسن هذا التفسير أدرك هذا السني أن هؤلاء يكذبون على الحسن وأنه بريء من هذه التهمة، فصار بعد ذلك يذب عنه.

قضية الحسن هذه اهتمت بها كتب العقائد، ذكر المحقق عددًا من الكتب التي ذكرت قضية الحسن، ونضيف لكم: أن أبا داود ذكر هذا في بعض نسخه، ذكر أقوالًا كثيرة منسوبة إلى الحسن من أنه من أهل السنة وعلى مذهب أهل السنة في مسألة القدر، كذلك هذه النقول تكذب ما تدَّعِيه القدرية على الحسن أنه منهم(١).

الآية: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

الشاهد من الآية ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ رد على القدرية.

الآية الثانية قوله سُبۡحَانَهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] **يعني:** لو اجتمع الأنبياء والملائكة يريدون هداية رجل والله لا يريد ذلك لا يتم فلا يكون إلا ما شاء الله ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ وهذا رد على القدرية وقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾ [الشورى: ٨].

أيضًا رد على القدرية لو شاء الله أن يجعلكم أمة واحدة لكان ذلك، ولكن شاء الله أن يكونوا فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير، فمن علم الله أنه يستحق الجنة ويستحق الرحمة والفضل جعله من أهل الهداية وأهل الجنة.

---

(١) روى اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» [١٢٥٣] من طريق أبي داود سليمان بن الأشعث قال ثنا سليمان بن حرب قال: ثنا حماد بن زيد سمعت أيوب يقول: كذب على الحسن البصري صنفان من الناس: قوم القدر رأيهم فهم يريدون أن ينفقوا بذلك قولهم، وقوم في قلوبهم له شنآن وبغض، يقولون من قوله كذا، وليس من قوله كذا.

ومـن علـم تَبَارَكَ وَتَعَالَى بعلمه وحكمته أنه ليس أهلًا لذلـك لا يعطيه هذا الخير؛ لأنه فضله يؤتيه من يشاء ولا يُسأل عما يفعل.

وقال في سـورة المدثر: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾ [المدثر: ٥٤-٥٦].

﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ ﴾ **يعني**: القرآن ﴿تَذۡكِرَةٞ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ من شـاء الله له الهداية يذكـر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويهتدي ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾ إذن الأمور كلها بمشـيئة الله الهداية والذكر، **يعني**: الاسـتفادة من القرآن لا تكون إلا بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ ثـم بيَّن أنه هـو ﴿أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ **أي**: أهل أن يتقـى يعني هذا مدح لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾ وغيره ليس كذلك هو الذي يجب أن يخشى وأن يطاع وأن يتقـى، وهـو الحري بذلـك، والحقيق بذلـك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهو وحده الـذي يغفر الذنوب ويسـتر العيـوب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فنلجـأ إليه، نتقيـه ونخافه ونلجأ إليـه أن يغفر لنـا ذنوبنا، ونطلب هذه المغفرة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا شريك له في ذلك.

بعدها: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ [الإنسان: ٢٩] هذه التذكرة **يعني**: سورة الإنسان ذكر فيها أهل الشقاء وأهل السعادة وجزاء هؤلاء وجزاء هؤلاء.

الشاهد من الآية: في إثبات مشيئة العبد إثبات أن للعبد مشيئة رد على الجبرية.

ثـم قـال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴾ [الإنسان: ٣٠-٣١].

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾: **الشاهد فيها**: أن للعبد مشيئة ولله مشيئة، ومشيئة العبد خاضعة تابعة لمشيئة لله، ففي الآية رد على الجبرية والقدرية.

وقولـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩].

فيهـا رد عـلى الجبريـة وعـلى القدريـة في إثبات مشـيئة العباد، فأسـند إليهـم إرادة الاسـتقامة ثم ربط هذه المشـيئة بمشـيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإن الآية كما ترون فيها رد على القدرية وعلى الجبرية.

«وقوله في قصة حديث زيد بن أسلم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما أنزل الله تَعَالَى عـلى رسـوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ قالـوا: الأمر إلينا، إن شـئنا اسـتقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾».

هـذا الحديث ضعيـف، لكن الآيـة تثبت أن للعبـد الإرادة وفي نفس الوقت هذه الإرادة والمشيئة تابعة لمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وبعدها الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢].

الله أراد أن يكـون هـذا كافـرًا وهـذا مؤمنًـا، فالأمـور مرهونـة بمشـيئة الله خلافًا للقدرية.

وبعدها: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [الأعراف: ٢٩ - ٣٠]

هذا فيه رد على على القدرية.

«قـال: حدثنـا الفريـابي قـال: حدثنا أبـو بكر بن أبي شـيبة قال: حدثنـا وكيع، عن سـفيان -**يعني**: الثوري-، عن سـالم بن أبي حفصة، عن محمد بن كعب القرظي: في قول

الله تَعَالَىٰ: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ۝ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٨ - ٤٩] قال: نزلت تعييرا لأهل القدر».

إسناده حسن إلا أن فيه أبا يونس الكوفي سالم بن أبي حفصة، قال فيه الحافظ: «صدوق في الحديث إلا أنه شيعي غال من الرابعة»، وقال الذهبي: «شيعي لا يحتج به».

على كل حال، نصُّ الآية يثبت أن كل شيء بقدر، **يعني**: علم الله هذه الأشياء ثم كتبها في اللوح المحفوظ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: ٢٢]، فكل شيء يجري في هذا الكون بمشيئة الله وقدرته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، عَلِمَ ذلك وقدره وكتبه ونفذه في حينه.

﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٨] هذه أيضًا من الآيات الدالة على القدر، فالله هو الذي يلهم الفاجر فجوره والمتقي تقواه، فمن شاء الله أن يكون فاجرًا صار فاجرًا، ومن شاء أن يكون تقيًّا صار تقيًّا.

«قال زيد بن أسلم: والله ما قالت القدرية كما قال الله تَعَالَىٰ، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال النبيون، ولا كما قال أهل الجنة، ولا كما قال أهل النار، ولا كما قال أخوهم إبليس، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]».

الأثر فيه ضعف، لكن الآيات تدل على هذا أن القدرية خالفوا قول الله وقول الأنبياء وقول أهل الجنة وقول أهل النار حتى قول إبليس، إبليس يعترف بالقدر وهم لا يعترفون بذلك يقول: «قال: أخوهم إبليس» **يعني**: هم في هذه النقطة أسوأ منه هو يؤمن بالقدر وهم لا يؤمنون.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] هذا قول الله.

وقالت الملائكة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢].

ومنه العلم بالمقادير ومنه تعليم آدم الأسماء.

وقال النبيون: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩] هذه قالها شعيب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والنبيون يوافقونه على هذا.

وأهل الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] فهم يعترفون أن الأمور لا تكون إلا بمشيئة الله ومنها الهداية، فلولا أن الله منَّ عليهم بالهداية لما حصلت.

وقال أهل النار: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦] الآن آمنوا بالقدر واعترفوا به.

وقال أخوهم إبليس: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]، فإبليس يعترف أن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

ليت القدرية يستفيدون من هذا الدرس وهم -مع الأسف- على خلاف العقل والفطرة وعلى خلاف ما قرره الله وقرره الأنبياء والملائكة وأهل الجنة وأهل النار وحتى الشيطان، فكفاهم خزيًا وضلالًا أنهم خالفوا قول الله وقول الأنبياء والملائكة والعقل والفطرة.

❁❁❁

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وصدق زيد بن أسلم، ونحن نزيد على ما قاله زيد بن أسلم، مما قالته الأنبياء، مما هو حجة على أهل القدر، ومما قاله أهل النار بعضهم لبعض، مما فيه حجة على القدرية فأول ما أبدأ بذكره هاهنا بعد ذكرنا لما مضى زيادة على ما قال زيد بن أسلم، ذكرنا عن الله تعالى ما قاله، مما يفتضح به أهل القدر، ونذكر ما قالته الأنبياء مما هو رد على أهل القدر، الذين زيغ بهم عن طريق الحق، الذين قد لعب بهم الشيطان واستحوذ عليهم، وخالفوا سبيل المؤمنين، قال الله تَعَالَىٰ في قوم أشقاهم وأضلهم عن طريق الحق، فقال جل ذكره: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١١١].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هكذا القدري يقال له: قال الله كذا، وقال: كذا وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كذا وقال: كذا، وقالت الأنبياء: كذا، وقالت صحابة نبينا: كذا، وقالت أئمة المسلمين: كذا، فلا يسمع ولا يعقل إلا ما هو عليه من مذهبه الخبيث، أعاذنا الله وإياكم من سوء مذهبهم، ورزقنا وإياكم التمسك بالحق، وثبت قلوبنا على شريعة الحق، إنه ذو فضل عظيم، وأعاذنا من زيغ القلوب، فإن المؤمنين قد علموا أن قلوبهم بيد الله، يزيغها إذا شاء عن الحق، ويهديها إذا شاء إلى الحق، من لم يؤمن بهذا كفر قال الله تعالى فيما أرشد أنبياءه إليه والمؤمنين من الدعاء، أرشدهم في كتابه أن يقولوا: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

....

[٣٢١] أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد الحنائي قال: حدثنا محمد بن عبيد ابن حساب قال: حدثنا حماد بن زيد قال: حدثنا يونس، وهشام، والمعلى بن زياد، عن الحسن قال: قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: دعوة كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر أن يدعو بها: «يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك» قالت: قلت فقلت: يا رسول الله، ما دعوة أسمعك تكثر أن تدعو بها؟ فقال: «إنه ليس من أحد إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله تَعَالَىٰ، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه»(١).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: ثم نذكر ما قالته الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خلاف ما قالته القدرية.

قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه لما قالوا: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٢ - ٣٤].

وقال شعيب لقومه: قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى

---

(١) إسناده حسن إن صح سماع الحسن البصري من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفي إسناده المعلى بن زياد، قال الذهبي في «الكاشف»: «وثقوه»، وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: «صدوق قليل الحديث»، وله شاهد من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه أحمد (٣/ ١١٢، ٢٥٧)، والترمذي في «القدر»، حديث [٢١٤٠]، ومن حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه أحمد (٦/ ٢٩٤، ٣٠١)، والترمذي في «الدعوات»، حديث [٣٥٢٢]، وفي إسناده شهر بن حوشب، قال فيه الحافظ: «كثير الإرسال والأوهام»، وقال فيه الذهبي: «وثقه أحمد وابن معين»، وقال أبو حاتم: «ليس بدون أبي الزبير».

والحاصل: أن حديث الحسن عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يعتضد بحديثي أنس وأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٨ - ٨٩] ... الآية.

وقال شعيب أيضا لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

وقال تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤].

وقال يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣].

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وقال موسى عليه السلام لما دعا على قومه فقال: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا ﴾ [يونس: ٨٨ - ٨٩].

وقال تعالى فيما أخبر عن أهل النار: ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم: ٢١].

قال محمد بن الحسين: فقد أقر أهل النار أن الهداية من الله لا من أنفسهم.

....

قال محمد بن الحسين: اعتبروا -رحمكم الله- قول الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وقول أهل النار، كل ذلك حجة على القدرية.

واعلموا -رحمكم الله- أن الله عَزَّوَجَلَّ بعث رسله، وأمرهم بالبلاغ، حجة على من أرسلوا إليهم، فلم يجبهم إلى الإيمان إلا من سبقت له من الله تعالى الهداية، ومن لم يسبق له من الله الهداية، وفي مقدوره أنه شقي من أهل النار لم يجبهم، وثبت على كفره، وقد أخبركم الله تَعَالَىٰ يا مسلمون بذلك، نعم.

وقد حرص نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأنبياء من قبله، على هداية أممهم، فما نفع حرصهم، إذا كان في مقدور الله أنهم لا يؤمنون.

تقدم قول زيد بن أسلم: «والله ما قالت القدرية كما قال الله تَعَالَىٰ، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال النبيون، ولا كما قال أهل الجنة، ولا كما قال أهل النار».

يعني: قول الله وقول الملائكة وقول أهل الجنة وقول أهل النار كلها تدل على أن الأمور بمشيئة الله وبتقديره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن ذلك هداية من شاء الله هدايته وضلال من شاء الله أن يضله، والقدرية ضلت فخالفت أهل الحق حتى أهل الباطل حتى إبليس، وهم في هذا الباب أضل من إبليس هو يثبت القدر وهم لا يثبتونه، وهذا يدل على أنهم بلغوا غاية من الضلال في هذه القضية.

وأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في نصوص كثيرة يخبر أن الأشياء بإرادته ومشيئته، وأنه بيده الهدى والضلال وعرف ذلك الأنبياء، ونطقوا به عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأهل الجنة وأهل النار حتى إبليس قال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحِجر: ٣٩]، وإن كان يريد أن يحتج بالقدر -قبحه

الله والقـدر- لا يُحتجُّ به، ولكن هـو في الجملة يعرف أن الأمور بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنه هـو الذي يهدي من يشـاء ويضل من يشـاء فقـال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ هـذا معنى الكلام الذي قال فيه: صدق زيد بن أسلم.

قال: «ونحن نزيد على ما قاله زيد بن أسلم، مما قالته الأنبياء، مما هو حجة على أهل القدر».

هذا يُذَكِّرنا بما كتبه شـيخ الإسلام ابن القيم: «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلـة والجهمية»، فجاء بالآيات والأحاديث وأقـوال الصحابة والتابعين وأقوال أهل المذاهب جميعًا، جاء بها وحشـدها على المعطلة والجهمية لتقوم عليهم الحجة، وليسـتفيد الناس من هذا البحث العظيم.

هكـذا الآجري، سـاق قول الله وأقـوال الأنبياء وأقوال الصحابـة وأقوال التابعين وأقـوال أئمة الهـدى؛ ليقيم عليهـم الحجة وليعرف الحـق من يعرفه منهم، فيكون سـببًا في اهتدائـه ورجوعـه إلى الحـق، وهـذا يـدل عـلى الجـد في النصح للنـاس وبيـان الحق، فـما يترك وسـيلة تقنع الخصـم وتفيد السـامع إلا ويقدمهـا نصحًا لله ولكتابه ولرسـوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

قـال المؤلـف: «فأول ما أبـدأ بذكره هاهنا بعد ذكرنا لما مضى زيـادة على ما قال زيد ابـن أسـلم ذكرنا عـن الله تَعَالَى ما قاله، مما يفتضح به أهل القـدر، ونذكر ما قالته الأنبياء ممـا هـو رد على أهل القدر، الذين زيغ بهم عن طريق الحق، الذين قد لعب بهم الشـيطان واستحوذ عليهم، وخالفوا سبيل المؤمنين.

قال الله تَعَالَىٰ في قوم أشقاهم وأضلهم عن طريق الحق، فقال جل ذكره: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾ [الأنعام: ١١١]».

هم الآن يتحدَّون ويطلبون من الرسول أن ينزل ملائكة فكذَّبهم الله عَزَّوَجَلَّ فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾.

ولو أنزل الله إليهم الملائكة يشهدون بصدق الأنبياء فيما جاؤا به من الإيمان بالله والإيمان بالبعث وبالجنة والنار والدعوة إلى التوحيد وإلى آخره ما آمنوا ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ولو بعث لهم موتى فجاؤا وكلموهم وقالوا: هذا نوح وهذا إبراهيم وهذا صالح وهود ومحمد رسل من الله صادقون ما آمنوا ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾ الملائكة والجن والإنس والحيوانات وكل شيء ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ وهذا دليل على أن من كتب الله عليه الشقاء لا يؤمن ولو جاءه الأنبياء والملائكة والجن والإنس والأحياء والأموات لا يؤمن، لأن الله ما شاء له أن يؤمن، فإذا شاء الله له أن يؤمن آمن ووفقه لأدنى الأسباب يهتدي بها.

نفر من الجن سمعوا الرسول مرة واحدة يقرأ القرآن، فآمنوا وصدقوا وولوا إلى قومهم ينذرونهم، كما في سورة الأحقاف وكما في سورة الجن، فبعض الناس يسمع الدليل ويؤمن وبعضهم تأتيه الآيات الكثيرة ولا يؤمن فهذا حجة على القدرية ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

قال محمد بن الحسين: «هكذا القدري يقال له: قال الله كذا، وقال: كذا وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كذا».

يعني: أن الآيات نزلت في الكفار فهو يشبههم بالكفار في رفضهم للحق، تقام عليهم الحجج والأدلة والبراهين من قول الله ومن قول الرسول ومن قول الأنبياء لا يؤمنون ولا يرجعون عن باطلهم.

قال: «هكذا القدري يقال له: قال الله كذا، وقال: كذا وقال النبي ﷺ: كذا وقال: كذا، وقالت الأنبياء: كذا، وقالت صحابة نبينا: كذا، وقالت أئمة المسلمين: كذا، فلا يسمع ولا يعقل إلا ما هو عليه من مذهبه الخبيث».

وهو إنكار القدر وأن أفعال العباد لا تدخل تحت مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن العبد يفعل ما يشاء لا ارتباط لمشيئته بمشيئة الله، فالله عندهم لا يشاء ما يفعله العباد من شر، بل حتى ما يفعلونه من خير فهم يخرجون أفعال العباد عن إرادة الله ومشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم قال: «أعاذنا الله وإياكم من سوء مذهبهم، ورزقنا وإياكم التمسك بالحق، وثبت قلوبنا على شريعة الحق، إنه ذو فضل عظيم».

الآجري عالم ويعرف خطر هذا الضلال، فيستعيذ بالله منه ويعيذ المسلمين من الوقوع فيه، لأنه شر خطير وقد يؤدي بأصحابه إلى الكفر -والعياذ بالله- إذا كان إنكارًا لعلم الله فهو كفر لا شك، وإن كان إنكارًا لمشيئته لأفعال العباد، فهؤلاء اختلف فيهم العلماء منهم من يكفرهم ومنهم من لا يكفرهم لكنهم في غاية الضلال.

«فإن المؤمنين قد علموا أن قلوبهم بيد الله، يزيغها إذا شاء عن الحق، ويهديها إذا شاء إلى الحق، من لم يؤمن بهذا كفر».

يعني: أن الرسول ﷺ يقول: «**الْقُلُوبُ بَيْنَ أُصبُعَينِ مِن أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيفَ يَشَاءُ**» والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علمنا أن نقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ

لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨]، فالهداية بيده والإضلال بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا علمنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن نطلب منه الهداية في كل صلاة من صلواتنا ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] هداية التوفيق بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هداية التوفيق إلى الخير وإلى الإيمان وإلى الأعمال الصالحة، فهذا بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يهدي من يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والإضلال بيده يضل من يشاء.

فالمؤمنون قد عرفوا هذا وآمنوا به أن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء وقد يهدي الكافر.

وقد «**يعمل الرجل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وقد يكون يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»[(١)].

هذا مما تقتضيه ربوبيته وعزته وجلاله وقهره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يُسأل عما يفعل، وكل أمر يقدره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويفعله فمن ورائه حكم لا يعلمها إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فما على العبد إلا أن يستسلم لله رب العالمين ويؤمن بالله وبما جاءت به رسله، ومن ذلك الإيمان بالقدر على الوجه الذي نصَّ عليه كتاب الله وسنة رسول الله، ودان به الصحابة والسلف الصالحون.

---

(١) بمعناه حديث عبد الله بن مسعود المروي في الصحيحين البخاري في «القدر»، حديث [٦٥٩٤]، ومسلم في «القدر»، حديث [٢٦٤٣].

وهنا: ساق بإسناده إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دعوة كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر أن يدعو بها: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّت قَلبي عَلَى دِينِكَ**»[١].

وكذلك روي من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّت قَلبي عَلَى دِينِكَ**» فسألوه: قالوا: أتخاف علينا يا رسول الله؟ قال: «**نعم، إنَّ القُلوبَ بينَ أصبعين من أصابع الله** عَزَّوَجَلَّ **يُقلِّبها كيف يشاء**»[٢] فحديث أنس يوافق حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فإذا كانت القلوب بين يدي الله يقلبها كيف يشاء، فعلينا أن نلجأ إليه أن يثبت هذه القلوب على الحق وأن يصرفها في طاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويشعر العبد بالفاقة والافتقار إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في أن يثبت قلبه على الحق، فهو لا يستطيع أن يثبت إلا إذا ثبته الله.

الإنسان ضعيف مسكين لو سلط عليه الشياطين لهلك -والعياذ بالله-، بالله فيحتاج إلى حماية الله وإلى رعايته وإلى رحمته ولطفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيلجأ إليه ويطلبه في ضراعة أن يصرِّف قلبه على طاعته وأن يثبت قلبه على طاعته ودينه.

قالت أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ الله مَا أَكثَرَ دُعَاءَكَ يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّت قَلبِي عَلَى دِينِكَ، قَالَ: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ مَا مِن آدَمِيٍّ إِلَّا وَقَلبُهُ بَينَ أُصبُعَينِ مِن أَصَابِعِ الله** عَزَّوَجَلَّ».

فهذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الخلق يطلب من الله أن يثبت قلبه على الحق، فكيف بنا؟ ويكثر من الدعاء «**اللَّهمَّ رَبَّ جِبريلَ ومِيكائِيلَ وإِسرافِيلَ، فَاطِرَ السَّمواتِ والأرضِ عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يَختَلِفون، اهدني لِما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنِكَ، إنَّكَ تَهدي مَن تَشاءُ إلى صِراطٍ مُستَقيمٍ**».

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبقت الإشارة إلى من أخرجه.

فيكثر من الدعاء بهذين الدعاءين فلنكثر منها ولا نأمن ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩].

فلا تأمن مكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والجأ إليه دائمًا أن يرحمك وأن يثبت قلبك على الحق، وأن يصرفه في طاعته وأن يهديك لما اختلف فيه من الحق، فأنت ضعيف.

بعض الناس قد يغتر بما عنده من العلم وما عنده من الإيمان، قد يغتر -والعياذ بالله- فيقع في الهلاك، اسألِ الله دائمًا واضرع إليه أن يثبتك على الحق وعلى الهدى، وأن يصرف قلبك في طاعته، وأن يثبت قلبك على الإيمان وعلى الهدى.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم نذكر ما قالته الأنبياء وخلاف ما قالته القدرية».

قال نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه لما: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [هود: ٣٢-٣٤]

فنوح عاش ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعو قومه إلى توحيد الله عَزَّوَجَلَّ ونبذ الشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، كما قصَّ الله قصته مع قومه في عدد من السور، ومنها سورة خاصة تسمى سورة نوح قال: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ

رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾ [نوح: ٥ - ٢٤].

مكث ألف سنة إلا خمسين عامًا، يدعوهم ويناظرهم يأتيهم بالحجج، ويحتج عليهم بالآيات الكونية وبدء الخلق ونهايته، وبخلق السماء والأرض وإنبات النبات.. إلخ.

ومع هذا لا يستفيدون، بل قالوا: ﴿قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾.

وعدهم بأنهم إذا لم يؤمنوا بالله ويتبعوا رسله، فإن الله سيعاقبهم في الدنيا والآخرة فتحدوه، قال لهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ هذا ليس بيدي، هذا بيد الله، فالأنبياء لا يأتون بالآيات ولا بالمعجزات، ولكن الله هو الذي يأتي بها تصديقًا لرسله وتأييدًا لهم.

قال: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ الأمور مرهونة بمشيئته، النعمة والنقمة والعذاب بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والبشر ليس بيدهم شيء، وهذا تقرير لعقيدة التوحيد وقضية القدر وأن الأمور بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا بيدِ الأنبياء ولا بيدِ غيرهم عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

﴿إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ إي والله ما يعجزون الله عَزَّوَجَلَّ، نفخة واحدة تدمر الكون، يأمر ملكًا من الملائكة يعطيه الله القوة، فيدمر الكون بمن فيه من الملائكة ومن الجن والإنس فلا يعجزه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ فنصحي لا ينفعكم إذا كان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لا يريد لكم الهداية مهما بذلت من الجهد، وها أنا منذ ألف سنة إلا خمسين سنة أنادي فيكم ليلًا ونهارًا، فلم تهتدوا، فنصحي لا ينفعكم إلا أن يشاء الله، لأن الهداية ليست بيدي، أنا ما عليَّ إلا البلاغ، والهداية بيدِ الله، فإن شاء هداكم وإن شاء أن تبقوا على ضلالكم، فهذه الآية فيها إثبات القدر وأن الأمور كلها بمشيئة الله وحده لا أنبياء ولا غيرهم يشاركه في هذا الأمر وهذا من مقتضيات ربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولهذا قال: ﴿هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ هو ربكم الذي خلقكم لعبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأمدكم بالرزق لتعبدوه، وهو الذي يتوفاكم وإليه ترجعون فيحاسبكم على ما أسلفتم في هذه الحياة وما أسلف قومه إلا إلا الكفر ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [هُود: ٤٠]، فهم أطغى الأمم وأشدهم في الطغيان والعناد.

ولهذا قال في آخر سورة النجم: ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ﴾ [النَّجم: ٥٢] أظلم من جميع الأمم وأكثر طغيانًا منهم.

الشاهد في الآية: أن الأمور بمشيئة الله لا بيد غيره ولا بمشيئته أمور الدنيا والآخرة وأمر الهداية والضلال وأمر النعمة والعقاب، كل ذلك بمشيئة الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقال تَعَالَى في شأن شعيب وقومه: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨ - ٨٩]... الآية.

دعا شعيب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قومه إلى توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأقام عليهم الحجج والبراهين لإثبات توحيد الله وإثبات رسالته، فقال الملأ -وهم الأشراف والسادة والكبراء الذين لا يستطيعون التنازل عن مكانتهم ومناصبهم الخبيثة، فهم قد يعلمون أن هذا الرسول صادق، وأن ما جاء به حق، فإذا آمنوا أصبحوا أتباعًا له بعد أن كانوا رؤساء، لا يريدون إلا أن يقودوا الناس فما يستجيبون ويمنعهم الكبر، لهذا قال: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ يعني: عرفوا الحق، يعرفون لكن الكبرياء وحب السيادة والرئاسة والمنصب جعلهم يتشبثون بهذه الأمور التافهة، لأنها عظيمة عندهم، يزينها لهم الشيطان، فرأوا أنهم لو آمنوا به وصدقوه وأصبح يقول لهم: صلوا، صوموا، افعلوا كذا، أوفوا المكاييل، لا تظلموا الناس، أصبحوا أتباعًا له بعد أن كانوا سادة، وهذا أمر لا يرضونه ولا يطيقونه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ بين أمرين، إما أن نخرجكم من بلدتنا وتذهبون بعيدًا عنا، وإما أن نكرهكم على الدخول في الكفر من جديد واحدة من اثنتين لا ثالثة لهما، قالوا

هذا الكلام ﴿قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ أي: أتفعلون هذا ولو كنا كارهين أن ندخل في دينكم، ولو كنا كارهين أن نخرج من قريتنا.

﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم﴾ تأمل يا مسلم كيف يأنف الأنبياء من الكذب ويأنف منه المؤمنون؟ فالكذب خطير جدًّا وذنب شنيع ﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم﴾ نحن دعوناكم إلى التوحيد، دعوناكم لتخرجوا من الكفر والشرك إلى الإيمان والتوحيد، فالآن أنتم تهددونا إما بالعودة إلى هذه الملة الكافرة وإما أن نخرج من البلد. يقولون: نحن لا ندخل في هذه الملة ولا نخرج من هذا البلد إلا مكرهين، ولو فعلنا هذا أو ذاك باختيارنا، لقد افترينا على الله كذبًا.

الشاهد: فيه ذم الكذب وفيه الإيمان بالقدر، وفيه ثبات الأنبياء والمؤمنين على الحق.

﴿بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ هذه يستشكلها بعض الناس وهي قوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ قالوا: هل كان -مثلًا- شعيب كافرًا فيمتنع عن العودة لما كان فيه؟

ويوجهها بعض المفسرين بأن العودة هنا: الصيرورة، يعني: إن صرنا إلى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها، لأن العودة هو أن تعود إلى شيء كنت عليه.

وبعضهم يقول: هذا للتغليب، لأن شعيب واحد من أمته، وأمته كان منهم من هو على الكفر فيقول: إن عدنا على حسب تغليب الأكثرية على الأقل، فالأقل يدخل في الأكثر[1].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٨-طيبة) و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٤٨-طيبة).

الشـاهد: أن العـودة هنا بمعنى الصيرورة، الأنبياء ما كانـوا كفارًا ولله الحمد حتى يقـال: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ بمعنـى عدنـا إلى شيء كنا عليه من قبـل فتأتي الإجابة على هذا الإشـكال بقول بعض المفسرين: العودة هنا بمعنى الصيرورة يعني إن صرنا إلى ما تدعوننا إليه؛ لأن الصيرورة ما تسـتلزم أن الإنسـان كان على شيء ثم عاد إليه، فأوّلوا هـذا التأويـل أو قالوا هذا خطـاب فيه تغليب فإن شـعيبًا واحد مع الذيـن آمنوا به وهم الأكثر فغلّب الأكثر على كونه واحدًا.

الشـاهد: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ يعـني: مـا نصـير إلى ملتكـم إلا إذا شـاء الله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يشـأ هذا؛ لاسـيما للأنبيـاء عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾. ربنـا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هـو الـذي يقـدر ويشـاء ويفعـل مـا يشـاء، ولا راد لما يريـده ولا لما يشـاؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهـو الـرب، أما أنتم فـلا نخضع لمشـيئتكم وإرادتكم، لا نخضـع ولا ننقاد لمشـيئتكم الخبيثة وإرادتكم الفاسـدة، ولكن لو شاء الله هو القاهر والقادر على كل شيء، لو شـاء هذا لحصل، ولكن الله لم يشأ ذلك لأنبيائه عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأوليائه ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ يعني: علمه أحاط بكل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أنا لا أعلم بكل شيء، لكن قد يشـاء الله هذا، لكنه يقول لهم على سـبيل الافتراض في مقام المناظرة، وإلا فالأنبيـاء معصومون مـن الكبائر ومعصومون من الكفـر عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولم يكن على كفر فيعود إليه حاشـاه من ذلك ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ نحن متوكلون على الله ومعتصمون به، وهكذا الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما تشتد الأزمات عليهم يعلنون التوكل على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يُونُس: ٧١] قالها نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فهنا يعلن وقبل هذا، ولكن يواجه قومه الخبثاء جراء التهديد بالإهلاك، يعلن قضية التوكل على الله ويتحداهم: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩] بمعنى: احكم، الفتح هنا هو الحكم، يطلب من الله الحكم: الفصل بينه وبين قومه الكافرين الذين هددوا نبي الله شعيبًا ومن آمن به، إما بالعودة إلى الكفر، وإما الإخراج من هذه البلد، فقد بلغ النهاية، بلغ السيل الزبى، فيطلب من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يحكم بالحكم الفصل بينه وبين قومه، ويريد بذلك أن ينزل الله بهم العقاب والهلاك، فاستجاب الله دعوته وأهلكهم.

وقال شعيب أيضًا لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

يأمرهم بالتوحيد ويأمرهم بإيفاء الكيل والوزن، وينهاهم عن الفساد في الأرض، هذه الأمور التي دعاهم إليها ونهاهم عنها وقال لهم: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ لا أريد أن أخالفكم لا إلى شرك ولا إلى تطفيف في الكيل والوزن ولا إلى الفساد، ما أريد أن أخالفكم، أنا ناصح وأنا أفعل وأنفذ ما أدعوكم إليه.

وهكذا يجب على الداعية أن لا يخالف الناس فيما يدعوهم إليه، بل يكون سباقًا إلى تطبيق ما يدعو إليه من طاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتوحيده والاستقامة على الدين والتمسك بالأخلاق والآداب، إلى آخر الأشياء التي يدعوا إليها هذا الداعي.

العلماء ورثة الأنبياء، فإذا كان هذا النبي الكريم يقول هذا، فينبغي للداعية أن يقول هذا وأن يطبق هذا، أن يعمل بما يعلم، ولهذا قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«يُؤتَى بِالرَّجُلِ يَومَ القِيَامَةِ فَيُلقَى فِي النَّارِ، فَتَندَلِقُ أَقتَابُ بَطنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجتَمِعُ إِلَيهِ أَهلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَم تَكُن تَأمُرُ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَى عَنِ المُنكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَد كُنتُ آمُرُ بِالمَعرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنهَى عَنِ المُنكَرِ وَآتِيهِ»[1].

فهذه المخالفة إلى ما يدعو إليه الداعي والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، توجب مثل هذه العقوبة، يدعو الناس إلى الخير وهو يخالف ذلك، يدعوهم إلى ترك المنكرات وهو يقع فيها -والعياذ بالله-، فهذا يقول ما لا يفعل -والعياذ بالله- فيكون هذا جزاءه ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]. ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، فالإسلام دين علم وعمل، على المسلم أن يعمل؛ لاسيما إذا كان يدعو إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فإن هذه مسئولية يتحملها ظاهرًا وباطنًا.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

إذن، التوفيق بيد الله، الهداية إلى الخير وإلى الأعمال الصالحة وإلى كل ما يعد توفيقًا، ما هو إلا بيد الله، أنا ليس بيدي شيء، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واعتمدت، وإليه أنيب، إليه أتوب وأرجع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أموري كلها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب «بدء الخلق»، حديث [٣٢٦٧]، ومسلم في كتاب «الزهد والرقائق»، حديث [٢٩٨٩]، واللفظ له.

الشـاهد في الآية: قولـه: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود: ٨٨] التوفيق هداية إلى الخير، وهي ليست إلا بيد الله، لا بيد الأنبياء ولا بيد الملائكة ولا يملك أحد لنفسه شيئًا لا ضرًّا ولا نفعًا، وهذا من جملة الحجج الكثيرة على القدرية.

وقال تَعَالَىٰ في قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

فهذه فيها أيضًا إشكال ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ يقال الأنبياء معصومون كيف صدر منه أن يهم بها، أي: الهم بالزنا ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣] يتهرب ويتهرب منها، فذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه تهرب منها وذكر أنه هم بها، كيف هم بها وهو نبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والأنبياء معصومون من الهم بالكبائر ومن الكبائر أيضًا؟!

ذكر ابن جرير عن ابن عباس أنه يقول: حصل منه الهم ثم غيَّر موقفه[1] وبعضهم يقول: المراد بالهم هنا: الخاطرة وحديث النفس الذي سرعان ما يزول من قلب المؤمن[2]، ومن هذا الباب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للملائكة: «**إذا هم عبدي بالحسنة أو بحسنة فاكتبوها له حسنة، فإن عمل بها فاكتبوها له بعشر مثلها، وإذا هم بسيئة فاكتبوها حسنة، لأنه تركها من جرَّائي** -يعني: من أجلي خوفًا مني- **وإن عمل بها**

(١) انظر «تفسير ابن جرير» الآثار برقم (١٩٠١٥-١٩٠٢٢).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٤/ ٢٣١) وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «الفتاوى» (١٠/ ٢٩٦-٢٩٧، ٧٤٠).

فاكتبوها عليه بمثلها»[١] يعني: سيئة واحدة كما قال الله في القرآن: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠].

الشاهد: أن هذا الهم كما فسرناه لكم، والشاهد منه: أن الله صرف عنه هذا السوء بمشيئته وإرادته ورحمته ولطفه، والعبد يعجز أن يصرف هذا عن نفسه، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما سمع هذه المكائد وهذا المكر وهذه المؤامرة قال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣].

لجأ إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يصرف عنه هذا السوء، وأن يصرف عنه هذا الكيد، وما يؤدي إليه، فاستجاب الله دعاءه، لجأ إلى الله لأنه لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا يملك لنفسه صرف هذا الشر عن نفسه، فلجأ إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الذي بيده كل ما يجري في هذا الكون.

ومنها: صرفه عن أوليائه السوء، وعن هذا النبي الكريم السوء، هذا -والله أعلم- قبل النبوة، لأنه في شبابه وقبل أن يبلغ الأربعين، ولكن الله أعده وهيأه لهذا.

الشاهد: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صرف عنه كيدهن ما صرفه عن نفسه.

إذن، فالأمور بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حتى صرف السوء عن الأنبياء، هذا بيد الله ولا يقدر عليه أحد، وفي هذا رد على القدرية الضالة، وسيأتي أمر الله لنبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. ﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴾ [الجن: ٢١].

---

(١) تقدم تخريجه.

سيد الرسل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًّا ولا نفعًا، فكيف بغيره.

وقال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

إبراهيم أبو الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وإمام الحنفاء يطلب من الله أن يجعل هذا البلد آمنًا، لأن هذا ليس بيده، بل بيد الله، ويطلب منه أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام، فهذه الأمور بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا تطلب إلا منه، ويطلبها منه الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فمن دونهم.

إذن: الأمور بيد الله وتقديرها وخلقها وإيجادها بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا يلجأ الأنبياء إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الشدائد وفي غيرها، لأنهم يعلمون أن الأمور بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ،وهم أسوتنا عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وقدوتنا، فهم أئمتنا في الإيمان بالقدر، وإسناد تدبير أمر هذا الكون إلى الله وحده، وإسناد الأمور كلها إلى مشيئته وردها إلى إرادته، فمن تبعهم فقد اهتدى، ومن خالفهم فقد ضلَّ وسلك سبيل الردى -والعياذ بالله-.

وهذا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو على فرعون وقومه فيقول: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾ [يونس: ٨٨].

لأن الله يستدرج هؤلاء المجرمين ويمدهم بالأموال ويغدق عليهم النعم ويسبغها عليهم اختبارًا لهم واستدراجًا لهم أيضًا ﴿لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾ يغدق عليهم هذه النعم كلها لاستحقاقهم الإضلال، وعدم استحقاقهم للهداية والرحمة أنت تغدق عليهم هذه النعم ليضلوا عن سبيلك ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ يعني: أهلكها ودمرها ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ حتى تصير أقسى من الحجارة فلا تقبل حقًّا؛ لأنه دعاهم ودعاهم

فما استجابوا، تأتيهم الآيات تلو الآيات العصا والجراد والقمل والضفادع وألوان العذاب، وهم يقولون: ادع الله أن يكشف عنَّا فإننا لمهتدون إذا كُشِفَ عنا العذاب ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الزخرف: ٤٩ - ٥٠]، فكلما نزلت بهم نازلة قالوا لموسى: ادعُ الله أن يكشف عنا هذا ونحن نؤمن، فيكشف الله عنهم فلا يؤمنون، ماذا يصنع؟

في الآخر دعا عليهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإلا هو كان حريصًا على هدايتهم، لكن لما رأى أنهم بلغوا أقصى درجات العناد الشنيع، وأنهم لا مطمع في هدايتهم قال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] لماذا يقول هذا؟

لأنه يعتقد في قرارة نفسه أن الهداية بيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن الإضلال بيده يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

إذن: هذه عقيدة الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وعلى الأمم أن يؤمنوا بهذا، لأن هذه من الأمور التي جاء بها جميع الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: التوحيد والإيمان بالقدر وفرض الصلاة والزكاة والصوم، هذه أمور مشتركة بين الأنبياء جميعًا، والله يقول: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ [الشورى: ١٣] التوحيد ومستلزماته ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣]، فملتهم واحدة «**الأَنبِيَاءُ أُخوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُم شَتَّى، وَدِينُهُم وَاحِدٌ**»[(١)].

(١) أخرجه البخاري في «أحاديث الأنبياء»، حديث [٣٤٤٣]، وأحمد (٢/ ٤٨٢) وغيرهما.

وقال في سورة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيما أخبر عن أهل النار: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

الشاهد في قوله: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ يقولونها وهم في النار أو في عرصات القيامة ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ الآن آمنوا أن الهداية بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن في الدنيا عندما يقفون على آيات الله الكونية والشرعية لا يؤمنون بها ولا بدعوة الرسل الكرام عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومنها الإيمان بالقدر، ما تحرك ضمائرهم -والعياذ بالله-، نعوذ بالله من الضلال.

الشاهد: أن الله يبعث الناس جميعًا ويحشرهم في صعيد واحد، يتلاوم الكفار فيما بينهم ويتلاعنون، الأتباع والمتبوعون من أهل الضلال ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨]، وآيات كثيرة، بيّنت أنهم يختصمون ويتحاجون في النار إلى آخره، ومنها هذه الآية ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ المؤمن والكافر والعاصي والمطيع والتابعون والمتبعون، فيقول الكفار والضلّال من الضعفاء التابعين لمتبوعيهم ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أنتم كنتم تدعوننا للكفر بالله وإلى الإشراك به، والآن تعالوا ولو لتخفيف العذاب عنا ولو بعض الشيء ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ هل تخففون عنا على الأقل من هذا العذاب الشديد، قال السادة والقادة والكبراء والدعاة إلى الشر: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ هذا جوابهم.

ماذا يستفيد الآن التابع؟ دخل هو ومتبوعه النار ويطلب من سيده أن يخفف عنه بعض الشيء، فيعطيه هذه الإجابة التي ما تزيده إلا حسرة وندامة -والعياذ بالله-، فعلى المؤمن أن يتبع الحق وأن يتبع الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الهداة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وإلى الحق وإلى الجنة، ولا يتبع الشيطان ولا يتبع قادة السوء وقادة الشر رؤساء الطوائف ورؤساء الأحزاب الضالة سيكون جوابهم يوم القيامة هو هذا فيقول الضعفاء: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٧ - ٦٨].

وسيقول المتبعون ﴿ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم: ٢١] ما لنا منجا ولا مخلص من هذا المصير وهو النار -والعياذ بالله-، إن صبرنا فما ينفعنا الصبر وإن جزعنا فلا يغني الجزع عنا شيئًا، فأنتم معنا إن جزعتم لا ينفعكم الجزع وإن صبرتم لا ينفعكم الصبر، هذا جزاء الكفر وجزاء التقليد الأعمى والاتباع الأهوج لكل ناعق -والعياذ بالله-.

﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٢] هذه حجج الكفار ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾، ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]، فهذا ذم من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى للتقليد خاصة في أبواب الدين في أبواب العقيدة وفي أبواب التوحيد، لأنك إذا قلدت من يتفق لك وقد يكون ضالًا فيهلكك -والعياذ بالله-، يكون مصيرك الهلاك، فالمؤمن يتحرى الحق ويأخذه من منابعه، من كتاب الله ومن سنة رسول الله ومن طريق السلف الصالح، الذين ثبتت إمامتهم وصدقهم ونصحهم لله، فيبحث عن الحق في القرآن والسنة، ويستعين على فهم الحق بما فهمه السلف وقرروه ودونوه لنا.

هذا طريق السلامة، وطريق النجاة.

هؤلاء المتسارعون إلى اتباع كل ناعق سيكون مصيرهم هذا، وتكون الإجابة هي نفس هذه الإجابة ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢١] من الكافر ومن المبتدع الضال الذي يوجد له أتباع، لأنه ما يتصدر إنسان لدعوة شيطانية إلا وتجد لها أتباعًا، حتى لو جاء الدجال ستجد له أتباعًا، لكن ما هي النهاية؟هي هذا المصير المظلم -والعياذ بالله- .



قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اعتبروا - رحمكم الله - قول الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقول أهل النار، كل ذلك حجة على القدرية.

واعلموا - رحمكم الله - أن الله عَزَّوَجَلَّ بعث رسله، وأمرهم بالبلاغ، حجة على من أرسلوا إليهم، فلم يُجبهم إلى الإيمان إلا من سبقت له من الله تَعَالَىٰ الهداية، ومن لم يسبق له من الله الهداية، وفي مقدوره أنه شقي من أهل النار لم يجبهم، وثبت على كفره، وقد أخبركم الله تَعَالَىٰ يا مسلمون بذلك، نعم.

وقد حرص نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأنبياء من قبله، على هداية أممهم، فما نفع حرصهم، إذا كان في مقدور الله أنهم لا يؤمنون.

فإن قال قائل: بيِّن لنا هذا الفصل من كتاب الله تَعَالَىٰ، فإنا نحتاج إلى معرفته.

قيل له: قال الله تَعَالَىٰ في سورة النحل: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦].

ثم قال لنبيه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [النحل: ٣٧].

ثم قال لنبيه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أحب هداية بعض من يحبه، فأنزل الله تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦].

....

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم أيضًا: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

قال محمد بن الحسين رحمه الله:

كل هذا بيَّن لكم الرب تعالى به أن الأنبياء إنما بعثوا مبشرين ومنذرين، وحجة على الخلق، فمن شاء الله تعالى له الإيمان آمن، ومن لم يشأ له الإيمان لم يؤمن، قد فرغ الله تعالى من كل شيء، قد كتب الطاعة لقوم، وكتب المعصية على قوم، ويرحم أقواما بعد معصيتهم إياه، ويتوب عليهم، وقوم لا يرحمهم، ولا يتوب عليهم: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

[٣٢٢] **أخبرنا الفريابي قال: نا أبو بكر بن أبي شيبة قال: نا وكيع، عن سفيان، عن عبد العزيز بن رفيع، عمن سمع عبيد بن عمير قال: قال آدم** عليه السلام: **يا رب أرأيت ما ابتدعته من قبل نفسي أو شيء قدرته عليَّ قبل أن تخلقني؟ قال: لا، بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك، قال: فذلك قوله** تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧][1].

---

(١) في إسناده مجهول، رواه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٢٤٤) من طرق عن سفيان الثوري عن عبد العزيز بن رفيع، قال: حدثني من سمع عبيد بن عمير يقول به، ونقل هذا الأثر ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣٧٠) عن سفيان به، ثم قال: وفي رواية أخبرني مجاهد عن عبيد بن عمير به.

وهذا إن ثبت عن عبيد بن عمير، فإنه من الإسرائيليات.

[٣٢٣] وحدثني أبو حفص عمر بن محمد بن بكار القافلائي قال: حدثنا الحسن ابن يحيى الجرجاني قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أنبأ الثوري، عن عبد العزيز ابن رفيع، عن عبيد بن عمير قال: قال آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لربه تَعَالَى وذكر خطيئته: يا رب، أرأيت معصيتي التي عصيتك: أشيء كتبته عليَّ قبل أن تخلقني أو شيء ابتدعته من نفسي؟ قال: بل شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك، قال: فكما كتبته علي فاغفر لي قال: فذلك قول الله تَعَالَى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ٣٧][(١)].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد ذكرنا الحجة من كتاب الله تعالى فيما ابتدأنا بذكره من أمر القدر، ثم نذكر الحجة من سنن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الحجة إذا كانت من كتاب الله تَعَالَى، ومن سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليس لمخالف حجة، ونحن نزيد المسألة فنقول: ومن سنة أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتابعين لهم بإحسان، وقول أئمة المسلمين من التابعين وغيرهم.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لقد شقي من خالف هذه الطريقة، وهم القدرية، فإن قال قائل: هم عندك أشقياء؟ قلت: نعم. فإن قال قائل: بم؟ قلت: كذا قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسماهم مجوس هذه الأمة، وقال: «إن مرضوا، فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»[(٢)] وسنذكر هذا في بابه إن شاء الله تَعَالَى.

لقد ساق المؤلف في هذا الباب الآيات الكثيرة وبعض الأحاديث في إثبات القدر، وأن الأمور كلها تجري بعلم الله وإرادته ومشيئته، لا يتخلف شيء في هذا الكون عن

---

(١) مداره على المجهول الذي في الإسناد السابق.

(٢) سيأتي تخريجه -إن شاء الله- عند ذكر المؤلف له بإسناده.

....

إرادتـه وعـن مشـيئته ولا يخـرج عنهما، بـما في ذلـك أفعال العبـاد طاعاتهـم ومعاصيهم وغير ذلك من أعمالهم، كل ذلك مرتبط بمشيئة الله وتابع لمشيئته عَزَّوَجَلَّ.

وقد تقدم أن هذا الباب اهتدى فيه الصحابة ومن تبعهم بإحسـان من أهل السـنة والجماعة، وأنهم على الصراط المستقيم وعلى كتاب الله وعلى سنة رسول الله، يؤمنون بأن القـدر كلـه خـيره وشره بيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأن هـذا ركن من أركان الإيـمان، ومع ذلك، فـإن الله أمـر بالطاعات ونهاهم عن المعاصي، وعلى رأس الطاعـات التوحيد وعلى رأس المعـاصي الشرك والكفر بالله عَزَّوَجَلَّ نهاهم عن ذلـك ومنحهم القدرة والإرادة والاختيار والعقـول التـي يميزون بها، بـيَّن هذا وذاك وأنزل عليهم الكتب وأرسـل إليهم الرسـل يبشرونهـم وينذرونهم ويبينون لهم طريق الجنة مـن طريق النار، وكذلك الكتب تبين لهم طريق الجنة من طريق النار.

فمن أراد الله له الهداية وأراد له الخير وأراد له السعادة، آمن بالرسل وسلك طريقهم وآمن بالكتب وعمل بها، ومن أراد الله له الشـقاء اسـتكبر وعاند وكذَّب فكانت النتيجة أنه من أهل الشقاء ومن أهل النار خالدًا فيها -والعياذ بالله-، ففسر المؤلف في ذلك وبيَّن غاية البيان، والآن لا يزال يواصل ويؤكد أن كل الأمور بمشـيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأنه من أراد له الشقاء سلك طريق الشقاء، ومن أراد له السعادة سلك طريق السعادة.

قال محمد بن الحسـين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعتبروا -رحمكم الله- قول الأنبياء عليهم السـلام وقول أهل النار»: تقدم أن الله قال كذا، والأنبياء قالوا كذا، وأهل الجنة قالوا كذا، وأهل النار قالوا كذا، حتى إبليس، يعني: كلهم يؤمنون ويقولون أقوالًا تدل على أن الأمور بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبمشـيئته عَزَّوَجَلَّ، بـما في ذلك إبليس اللعين، وبـما في ذلك الكفار يقولون

ذلك وهم في أعماق الجحيم، فيرى أن القدرية أضل الناس وأضل حتى من الشيطان في هذا الباب.

ثم قال: «ثم اعلموا -رحمكم الله- أن الله عَزَّوَجَلَّ بعث رسله، وأمرهم بالبلاغ، حجة على من أرسلوا إليهم ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] فـ«**لَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيهِ العُذرُ مِن الله، وَمِن أَجلِ ذَلِكَ بَعَثَ المُبَشِّرِينَ وَالمُنذِرِينَ**»(١).

فلم يجبهم إلى الإيمان إلا من سبقت له من الله تَعَالَىٰ الهداية».

يعني: أن الرسل يبلغون ما أرسلوا به إلى الناس، ويبينون لهم وجوب توحيد الله وإخلاص الدين له، وخلع الأوثان والأنداد والكفر بها، والكفر بالطواغيت، والإخلاص لله، وطاعة الرسل واتباع الكتب، فمن أراد الله له الهداية اهتدى، من سبقت له من الله الهداية اهتدى وتابع الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ودان بالكتب، ومن أراد له الشقاء كذَّب وعاند -والعياذ بالله-، لأن الله قد قدر عليه الشقاء، ولأنه نفسه يستحق هذا؛ لأن الله يعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن من الناس ومن الجن من لا يستحق الهداية ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨] لا يستحق من الله إلا الإهانة، لأن لهم دورًا في هذا ولهم تسبب في سخط الله عليهم وحرمانهم من الهداية، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، وأمثال ذلك من الآيات التي تبين أن هؤلاء الأشقياء لا يستحقون الإكرام من الله عَزَّوَجَلَّ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد أخبركم الله تَعَالَىٰ يا مسلمون بذلك».

---

(١) أخرجه البخاري حديث [٧٤١٦]، ومسلم حديث [١٤٩٩].

يعني: أخبركم أن الأمور بمشيئته وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

«وقد حرص نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأنبياء من قبله، على هداية أممهم، فما ينفع الكفار حرصهم، إذا كان في مقدور الله أنهم لا يؤمنون».

الأنبياء يريدون للناس الخير، ويبلِّغون الناس الرسالات ليأخذوا بها ويهتدوا بها، وقد يحرص النبي منهم على قومه أفرادًا وجماعات أن يدخلوا في الإيمان، ولكن لا ينفذ إلا ما أراده الله لو اجتمع الأنبياء والملائكة والإنس والجن كلهم ليهدوا شخصًا الله يريد شقاءه، لا يمكن أن يهدوه مهما حرصوا ومهما بذلوا من مجهود، لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، ولأنه هو الذي يملك هذا الحق، هذا لا شريك له فيه لا ملك مرسل ولا نبي مُقرَّب لهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦].

كان حريصًا على إيمان أبي طالب إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة وهو يدعوه، وفي آخر لحظات حياته يقول له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يا عَمِّ، قُل: لا إلهَ إلَّا الله، كَلِمَةَ أَشْهدُ لَكَ بِها عِندَ اللهِ»** فأبى ذلك، وكان عنده من يؤزه على البقاء على الشرك، أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية من بني مخزوم يقولان له: أترضى أن تترك ملة عبد المطلب؟ فقال في آخر حياته: أنا على ملة عبد المطلب، فمات على الشرك بالله.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لأَستَغفِرَنَّ لكَ»**، فأنزل الله قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦]، وأنزل في وعده لعمه بالاستغفار: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ

مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣][١]، فحرَّم الله الاستغفار للمشركين مهما أحسنوا للمسلمين وأكرموهم، فلا يجوز الاستغفار للمشركين أبدًا.

الشاهد: أن الرسول قال له الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾ [القصص: ٥٦]. ﴿ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [النحل: ٧].

وقال الله له: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الشورى: ٥٢]، فما التوفيق بين نفي الهداية في الآية الأولى وإثباتها في الثانية؟

التوفيق بينها أن المنفي هو هداية التوفيق للإيمان والطاعة هذه لا يملكها إلا الله، والمثبت له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولغيره ﴿ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧] إنما هو هداية الدلالة والإرشاد والبيان، فهداية الإرشاد والبيان هذه يملكها الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويملكها غيرهم من وراثهم ممن يدل الناس على الخير ويبين لهم الحق والتوحيد والصدق ويبين لهم طريق السعادة وطريق الشقاء هذه يملكونها ويقدرهم الله عليها ويوفقهم إلى دعوة الناس إليها.

وأما هداية التوفيق: فلا يملكها أحد لا مَلَكٌ مُقرَّب ولا نبي مُرسَل، لأن هذه من شئونه الخاصة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن خصائص الربوبية والألوهية لا يشركه فيها أحد، فلا يستحق العبادة إلا هو لا يشركه في ذلك أحد، ولا يملك الهداية إلى طريق الجنة وإلى طريق السعادة إلا الله عَزَّوَجَلَّ لا يملكها أحد، قال الله تَعَالَىٰ لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. ﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴾ [الجن: ٢١] كما سيأتي.

(١) أخرج القصة البخاري في «المناقب»، حديث [٣٨٨٤]، ومسلم في «الإيمان» حديث [٢٤].

قـال المؤلـف رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن قال قائل: بيِّن لنا هذا الفصـل من كتاب الله تَعَالَىٰ، فإنا نحتاج إلى معرفته».

يعني: هذا الفصل وهو أن الهداية بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأن غيره لا يملكها ولو كان في أعلى منـزلة عند الله عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]

دعوة عامة للناس جميعًا ما يفرقون بين هذا وذاك، ومشيئة الله هي التي تفرق بينهم فيهدي من يشـاء ويضل من يشـاء، فدعوتهم عامة تشمل كل أحد ليستجيب الناس لهذه الدعوة، لكن الأمر مربوط بمشيئة الله، هذا الأمر لا يملكه الأنبياء، فيستجيب من كتب الله له السعادة لدعوة الأنبياء، لأن الله وفقه لذلك وهداه، والآخرون استكبروا وعاندوا وكذبـوا فهذا مرده لمشـيئة الله، لأن الله ما أراد لهم الهدايـة، الهداية تفضُّلٌ منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعطيه لمن يشاء ويختص به من يشاء ويمنعه عمن يشاء، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجـد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسـه، ولا حجة له في القـدر، إبليس قال: ﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩] ما نفعه ذلك، واحتج المشركون بالقدر وما ينفعهم ذلك؛ لأن العبد عبد ليس عليه إلا أن يعمل وهو ما يدري أنه قد كُتِبَ عند الله شقيًّا أو سعيدًا.

محل إدراك الإنسـان القيام بالأوامر والواجبات واجتناب المحرمات، هو يدرك أن هذا أمر مطلوب منه وهو حق، وهذا منهي عنه فهو باطل، فمن أضله الله يختار الشر على الخـير والباطـل على الحق والضلال على الهدى، عنده اختيـار، وعنده قدرة، وعنده إرادة أعطاها الله له، ليس مجبورًا على ذلك، فيُسـأل عن هـذه المخالفة للأنبياء وتكذيبهم، لأنه

فعـل ذلـك باختياره، وإن كان ذلك مترتبًا على مشـيئة الله فلا عذر له في هذا الترتب على مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ.

قـال المؤلـف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال لنبيـه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [النحل: ٣٧]».

فإن الله لا يهدي من يضل وأنت لا تهدي من يضل الله عَزَّوَجَلَّ، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كتب هـذا ضـالًّا ولا مبـدل لكلماتـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا أنبيـاء ولا غيرهم فـالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من كتبه شـقيًّا لا يمكن أن يتحـول إلى سـعيد، ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]، فمـن الأمـور ما يمحوها، ومن الأمور ما هي ثابتة لا تتغير ولا تتبدل أبدًا، وهـو مـا سـجله في اللوح المحفـوظ من سـعادة فلان وفلان وشـقاء فلان وفـلان، هذا مـا يتغـير ولا يتبدل فـالله كتبه ضـالًّا وأراد ذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا يتغير هذا، فما شـاء كان وما لم يشأ لم يكن.

«وقـال لنبيـه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]».

وهذه الآية نزلت في أبي طالب كما جاء في الصحيح، كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصًا على هدايته فمات على الشرك، فنزلت في شأنه هذه الآية، وإن كان هو السبب لكن العبرة بعمـوم الألفاظ لا بخصوص الأسـباب، فسـبب النـزول أبو طالـب والآية عامة ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لا أبا طالب ولا غيره ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أعلم بمن يسـتحق الهداية سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالأمـور مرجعها إرادة الله ومشـيئته أمر الاهتداء وأمر الإضلال لا ترجع إلى مخلوقاته لا للأنبياء ولا للملائكة ولا غيرهم.

«ثـم قـال لنبيـه ﷺ أيضًـا: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]».

فهـذا ترسـيخ لعقيـدة التوحيد في نفـوس المؤمنـين أن النبي ﷺ عـلى مكانته عنـد الله مـا هو إلا بشـير ونذيـر، ولا يملك لنفسـه ضرًّا ولا نفعًا، ولا يملـك ذلك لغيره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لأن هـذه مـن خصائـص الربوبيـة لا يشـاركه فيهـا أحد، لا ملـك مقرَّب ولا نبي مرسَـل، ملك الضر والنفع والحياة والموت والإفقار والإغناء والسـعادة والشقاوة، هذه لا تتعلق بإرادة العباد ومشيئتهم وقدراتهم أبدًا لا دخل لهم فيها، إنما ذلك مردُّه إلى مشيئة الله وإرادته وقدرته وعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا من خصائصه ولا يكون المرء موحِّدًا مؤمنًا بالله إلا إذا اسـتقر هـذا الأمر في نفسـه أنه لا يملك الضر والنفـع إلا الله، لا ملك مقرَّب ولا نبي مرسَل.

فـإذا كان محمَّـدٌ أفضـل خلقـه لا يملـك لنفسـه ضرًّا ولا نفعًا، فكيـف يطمع من كان عنـده مسـكة مـن عقـل في طلـب الضر والنفـع من الأمـوات ومن الأشـجار ومن الأحجار؟! هذه عقول منكوسـة في غاية الضلال والضياع، ونأسـف أشـد الأسـف أن كثـيرًا مـن الخرافيـين والقبوريين قـد يحفظون القـرآن ويحفظـون هذه الآيـات، ولكنهم لا يسـتفيدون منها ولا يفقهونها -مع الأسـف الشـديد-، ويعتقدون في غـير الأنبياء في أنـاس الله أعلـم بحالهم، قد يكون فيهم الصالح وقد يكـون فيهم الطالح، وقد يعتقدون في بعض الأحجار والأشجار والغيران، وقد يعتقدون في بعض العصاة والمجرمين الضر والنفع -مع الأسف الشديد-.

لكن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نفع بدعوة أهل السنة والجماعة دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه، فانتشرت عقيدة التوحيد في كثير من البلدان، وأزالت هذه الخرافات والأباطيل، وفي بعض المناطق خففتها إلى حد بعيد.

ونسأل الله أن يرزق المسلمين دعاةً صادقين ناصحين، ينبثون في آفاق العالَم الإسلامي وغيره، ينشرون دعوة الرسل الكرام عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فتستفيد منهم هذه الأمة، وتخرج من هذه التعاسة والغثائية التي تعيشها، ولا مخرج لها والله إلا بتوحيد الله وإخلاص الدين له وطاعته وطاعة رسوله الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، واتباع كتاب ربنا وسنة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف: ١٨٨] الله يكلفه أن يبلغ هذه العقيدة الواضحة الجلية ﴿قُل﴾ يأمره الله عَزَّوَجَلَّ بلِّغ بهذا الأسلوب ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾.

فهل يجوز لإنسان عنده شيء من العقل -ولو ذرة من عقل- أن يعتقد في رسول الله أو في غيره أنه يملك ضرًّا أو نفعًا لغيره؟

إن كان هو لا يملك ضرًّا ونفعًا لنفسه، فكيف تطلب منه ما لا يملكه لنفسه؟ هذا غاية الضلال.

قال البوصيري شاعر الخرافيين:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم الوحي والقلم

انظر إلى هذا الضلال: «من جودك» السماء والأرض والجنة والنار... كلها من جود الرسول، جوده أوسع من جود الله! غلو شنيع.

ومثله قوله:

دع ما ادَّعتهُ النصارى في نبيهم واحكم بما شئت فيه واحتكم

أي: لا تقل أن محمَّدًا ابن الله، وقل ما شئت من الكفر والشرك -والعياذ بالله- .

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم الوحي والقلم

يعني: هذا عالم عظيم عندهم واتخذوا كتابه «البردة» كتابًا مقدَّسًا يقرأونه كما يقرأون القرآن، ويمكن أكثر من القرآن وهو مليء بالشرك والضلال[1].

التصوف الخرافي والبدع والرفض جنت على المسلمين جناية لا نظير لها، تحتاج إلى جهود عظيمة من طلاب العلم لإعادة هذه العقول لنصابها، لأنهم فقدوا عقولهم، فوالله لو أنهم يعقلون لكفتهم هذه الآية، هذه الآية وحدها تكفيهم فيقطعون آمالهم من كل ما سوى الله، لا ملائكة ولا أنبياء ولا غيرهم فضلًا عمن ذكرناهم من البشر ومن الأحجار والأشجار والعيون!

مع الأسف انتكست العقول، كل هذا بخبث زنادقة التصوف وزنادقة الرفض من باطنية وغيرهم، كادوا للإسلام والمسلمين حتى أوصلوا كثيرًا من المسلمين من المنتسبين

(١) يقول الكيلاني -أثناء حديثه عن المخالفات الشرعية في شأن البردة-: «ولم يكتف بعضُ المسلمين بما اخترعوا من قصص حول البردة، بل وضعوا لقراءتها شروطًا لم يوضع مثلها لقراءة القرآن، منها: التوضؤ، واستقبال القبلة، والدقة في تصحيح ألفاظها وإعرابها، وأن يكون القارئ عالمًا بمعانيها، إلى غير ذلك.

ولا شك في أن هذا كله من اختراع الصوفية الذين أرادوا احتكار قراءتها للناس، وقد ظهرت منهم فئة عرفت بقراء البردة، كانت تُستدعى في الجنائز والأفراح، نظير أجر معين». اهـ «مقدمة ديوان البوصيري» (ص٢٩- ٣٠).

إلى العلم ومن عوام الناس، أوصلوهم إلى هذا الدرك في الانحطاط الشنيع الذي كان من آثاره هذا الذل والهوان الذي يعانونه ويعيشونه الآن، فوالله لا يخرجون منه إلا بالعودة إلى توحيد الله وإلى ما كان عليه محمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه من العقيدة الواضحة الصحيحة والإيمان الصادق والإخلاص لله في كل أقوالهم وأفعالهم، وبذلك يزول -إن شاء الله- ما نزل بهم من الضر والذل والهوان.

﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ وما شاءه الله قد يعطينا القدرة عليه، مثل من يقاتل ليدفع عن نفسه وعن المسلمين بقدر استطاعته، هذا مما أعطاه وشاءه الله للعبد، لكن الضر والنفع الذي لا يقدر عليه إلا الله، هذا لا دخل فيه لا لأنبياء ولا غيرهم، من الأشياء ما يعطيه الله للعباد من الضر والنفع في حدود معينة، وهذا راجع لمشيئة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

أما الضر والنفع الذي يتصوره الجهلة أن هذا الشخص عنده أمور سرية بسره وبركته، يأتي هذا الخير ويأتي هذا النفع في أمور خارجة عن طاقات البشر وعن الأسباب البشرية التي يمنحها الله لعباده، أمور فوق الأسباب التي نتصورها يزعمون أنه يمتلكها الأولياء والصالحون والأنبياء، فوق الأسباب التي أتاحها الله للناس، فهذه العقيدة كفرية شركية -والعياذ بالله-، هذه فيما فوق الأسباب ليس إلا لله عَزَّوَجَلَّ.

﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ -أيضًا- هم يعتقدون في الأنبياء والأولياء أنهم يعلمون الغيب الآن يعتقدون في الأولياء والأنبياء أنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون، والله يأمر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] المرض الجوع الهزيمة التي قد تلحق بهم -أحيانًا- ابتلاءً من الله، وله فيها الحكمة البالغة مثل ما حصل في غزوة أُحد وحُنين.

﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ هذه حالي لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًّا ولا أعلم الغيب، ولو كنت كذلك لاستكثرت من الخير وما مسني السوء، ما هو وصفي؟ ﴿ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ يعني: أبلِّغ ما أوحاه الله إليَّ فأنذر الناس سخط الله عَزَّوَجَلَّ وأنذرهم عواقب المعاصي والكفر، وأبشر بعواقب الخير وعواقب الطاعة وعواقب التوحيد وهي الجنة ورضا الله.

هذه أقدرني الله عَزَّوَجَلَّ عليها وكلفني بها، وأما النفع والضر وعلم الغيب... فهذا كله لله لا يشركه فيه أحد.

«وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤]».

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من حكمته ورحمته بالناس أنه يرسل الرسول إلى قوم من الأقوام بلُغة أولئك القوم، حتى يفهموا عنه، فيبين لهم بتلك اللغة توحيد الله وأوامره ونواهيه وسائر الأعمال التي ترضيه أو تسخطه، فيهتدي من يهتدي ويعاند من يعاند فتقوم عليه الحجة بِلُغَتِهِ، والله من عدله لا يضل قومًا ولا يعذبهم إلا بعد بلاغ الرسل ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]. ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يعطيهم العقول، ويعطيهم الفِطَر، ويرسل إليهم الرسل، وينزل عليهم الكتب فتقوم بهذه الأمور الحجة عليهم فما يبقى لهم أيَّ عذر أبدًا بعد هذه الأمور، ألم أزودك بالفطرة، ألم أزودك بالعقل، ألم أرسل إليك الرسل، ألم أنزل إليك الكتب، ولهذا إذا دخل النار ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا

مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴾ [الملك: ٨ - ٩] هكذا قالوا للرسل، كذبوهم وقالوا تكذيبًا لهم: ﴿ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴾.

ويقول خزنة جهنم للكافرين: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١ - ٧٢].

﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴾ هذا الشاهد ﴿ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ صاحب العزة الذي لا يغلبه أحد، يغلب كل شيء ويقهر كل شيء ويبيد كل شيء، إلا ما استثناه هو لحكمة له بالغة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو العليم الذي وسع كل شيء علمًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن عزته أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ومن حكمته أنه يضع الأمور في مواضعها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالحكمة هي وضع الشيء في موضعه، والعزة هي التي صاحبها لا يُغلب ولا يُقهر وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، صاحب العزة والقوة والعظمة، ويعطي عباده من العزة، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]، فالله يمنحهم العزة ويعزهم ويكرمهم يعطيهم من عزته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الشاهد: أن الله يرسل الرسل بألسنة أقوامهم ليبينوا للناس سبل الهدى وسبل الضلال وليقيموا عليهم الحجج، وبعد الجهود الطويلة قد يهتدي من شاء الله له الهداية وقد لا يهتدي من لا يشاء الله له الهداية، ﴿ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، ﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴾، هذه كلها حجج على القدرية الذين يقولون: إن أفعال العباد

وهدايتهم وإضلالهم خارجة عن مشيئة الله وخاصة المعاصي فلم يردها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولم يشأها، فضلوا وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل هذا بين لكم الرب تَعَالَىٰ به أن الأنبياء إنما بعثوا مبشرين ومنذرين، وحجة على الخلق».

هذه مكانة الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومنازلهم العظيمة بأن اصطفاهم الله واختارهم مبشريـن ومنذرين، ليقيموا الحجج ويصبروا على الأذى، اختارهم الله ولهم أعلى المنازل عند الله عَزَّوَجَلَّ، لكن منـزلة الربوبية والألوهية هذه انفرد الله بها لا يشركه فيها أحد، ومن ذلك الهداية والإضلال فإنهما من خصائصه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن شاء الله تَعَالَىٰ له الإيمان آمن، ومن لم يشأ له الإيمان لم يؤمن، قد فرغ الله تَعَالَىٰ من كل شيء».

أي: كتـب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كل شيء في الأزل ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]. ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢ - ٢٣]، وفي هـذا آيـات كثيرة، أن الله قد كتب كل شيء وقدَّره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن الأمور تجري بحسب تقدير الله وعلمه ومشيئته لا يندُّ عن ذلك شيء.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد كتب الطاعة لقوم، وكتب المعصية على قوم».

فالطاعـة يدخل فيها التوحيد، والمعصية يدخل فيها الشرك، وكل ذلك قد كتبه الله وأراده.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويرحم أقوامًا بعد معصيتهم إياه».

يعنـي أن بعض الناس يكون كافرًا فيهديه الله عَزَّوَجَلَّ فيكتبه من أهل السـعادة، وقد يعانـد قـوم مثل أبي جهـل وأبي لهـب وفرعون وأمثالهـم فيموت على الكفـر بالله عَزَّوَجَلَّ، فالأمـور مردهـا لله عَزَّوَجَلَّ، يهـدي مـن يشـاء ويضـل من يشـاء ويوفـق للتوبة من شـاء، فيقبـل توبتـه ويدخل في حظيرة الإيـمان، ولا يوفق آخرين لهذه التوبة فيموتون على الكفر والضلال، فالأمور كلها مرتبطة بمشيئة الله وتابعة لمشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

سـاق أثر آدم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أسكن آدم في الجنة ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، فجاء الشـيطان وسوس لهما واسـتزلهما فأكلا من الشجرة ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٢ - ٢٣] اعترفـا بالذنـب وتابـا إلى الله فتاب الله عليهما، وإبليس أبى واسـتكبر إلى يوم القيامة، لم يتب أبدًا فكتب الله له الشقاء.

الشاهد: أن آدم نهاه الله عن الشجرة فاحتال عليه الشيطان حتى أوقعه في المعصية، فأكل من هذه الشـجرة فعتب الله عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فتاب هو وزوجتـه ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣] كثـير من المفسرين يرون أن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه هي هذه الكلمات ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾.

«وساق المؤلف هنا أثرا عن عبيد بن عمير قال: قال آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا رب أرأيت ما ابتدعته من قبل نفسي أو شيء قدرته علي قبل أن تخلقني؟ قال: لا، بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك قال: فذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]».

الظاهر أن هذه من الإسرائيليات -والله أعلم-.

لا شك أن الذي حصل من آدم شيء كتبه الله عليه قبل أن يخلقه، بل علمه وكتبه في اللوح المحفوظ، وفي بعض الروايات أنه كتب عليه قبل أربعين سنة، ولا مانع أن يكون كتب عليه في الأزل ثم كتب عليه قبل أن يخلقه الله بأربعين سنة، **يعني:** هناك حديث «**احتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**» قال موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لآدم: «**أَنتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ الله بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ وَأَسجدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَأَسكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ، ثُمَّ أَهبَطتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الأَرضِ؟**».

فَقَالَ آدَمُ: «أَنتَ مُوسَى الَّذِي اصطَفَاكَ الله بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ وَأَعطَاكَ الأَلوَاحَ فِيهَا تِبيَانُ كُلِّ شَيءٍ، وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا؟ فَبِكَم وَجَدتَ الله كَتَبَ فِي التَّورَاةَ قَبلَ أَن أُخلَقَ؟».

قَالَ مُوسَى: «بِأَربَعِينَ عَامًا».

قَالَ آدَمُ: «فَهَل وَجَدتَ فِيهَا ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾؟».

قَالَ: «نَعَم».

قَالَ: «أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَن عَمِلتُ عَمَلًا كَتَبَهُ الله عَلَيَّ أَن أَعمَلَهُ قَبلَ أَن يَخلُقَنِي بِأَربَعِينَ سَنَةً؟»

قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»[١].

هـذا الحديـث يختلف الناس في تفسـيره[٢]، والصواب في تفسـيره: ما يقوله شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن آدم ما احتج بالقدر عـلى المعصية، وإنما رد على موسـى لمـا قـال له: أخرجتنا مـن الجنة فهذه مصيبة، فاحتـج بها على المصيبة، والقـدر يُحتَجُّ به في المصائـب، ولا يُحتَجُّ به في المعائب فحجَّ آدمُ موسـى، لأن موسـى احتـج عليه، قال: لماذا أدخلتنـا في هـذه الكارثة، أدخلتنـا في هذه المصيبة، وهي إخـراج آدم من الجنة وما ترتب عليـه، فموسـى ما عاتـب آدم على المعصيـة، وهو أكرم وأنبـل وأعلم مـن أن يعاتبه على الوقوع في المعصية، لأنه يعلم أنه قد تاب منها وأن الله قد قبل توبته، وإنما العتاب حصل على ما نتج عن ذلك من إخراج آدم من الجنة[٣].

قصة آدم وأن الله كتب الله عليه هذا، أمر مفروغ منه لا جدال فيه والأثر هذا. والله أعلم أنه إسرائيلي ما هو بعيد، والأقرب إلى تفسير الآية وما يحكيه بعض المفسرين من أن الكلمات التي تلقاهـا آدم من ربه وزوجته حواء هو قـول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (١١/ ٢٥٨- ٢٥٩-مجموع الفتاوى): «وَهَذَا الحَدِيثُ ضَلَّت فِيهِ طَائِفَتَانِ: طَائِفَةٌ كَذَّبَت بِهِ لَـمَّا ظَنُّوا أَنَّهُ يَقتَضِي رَفعَ الذَّمِّ وَالعِقَابِ عَمَّن عَصَى الله لأَجلِ القَدَرِ.
وَطَائِفَةٌ شَرٌّ مِن هَؤُلاءِ جَعَلُوهُ حُجَّةً، وَقَد يَقُولُونَ: القَدَرُ حُجَّةٌ لأَهلِ الحَقِيقَةِ الَّذِينَ شَـهِدُوهُ أَو الَّذِينَ لا يَرَونَ أَنَّ لَهُم فِعلًا.
وَمِنَ النَّاسِ مَن قَالَ: إِنَّمَا حَجَّ آدَمَ مُوسَى لأَنَّهُ أَبُوهُ، أَو لأَنَّهُ كَانَ قَد تَابَ، أَو لأَنَّ الذَّنبَ كَانَ فِي شَرِيعَةٍ وَاللَّومَ فِي أُخرَى، أَو لأَنَّ هَذَا يَكُونُ فِي الدُّنيَا دُونَ الأُخرَى. وَكُلُّ هَذَا بَاطِلٌ». اهـ.

(٣) المصدر السابق.

....

أعـاد الأثـر عن عبيد بن عمير قال: قـال آدم، وبين آدم وبين عبيـد بن عمير ألوف السنين، علم الإسناد يميز هذه الأشياء، فهو علم عظيم يميز لك بين الحق وغيره، ويبين لك ما ثبت عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وما لم يثبت، فلو قال هذا رسول الله انتهى كل شيء، لو قال عبيد بن عمير عن أحد الصحابة، عن عائشة أو ابن عمر أو جابر أو ابن مسعود، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الرأس والعين.

المعنـى يمكـن أن يصـح، لكـن الأولى منـه -والله أعلم- مـا قاله المفـسرون أخذًا مـن كتـاب الله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣][(١)].



(١) روي هـذا عـن مجاهد، وسـعيد بن جبير، وأبي العالية، والربيع بن أنس، والحسـن، وقتادة، ومحمد بن كعب القُرَظي، وخالد بن مَعدان، وعطاء الخراسـاني، وعبد الرحمن بن زيد ابن أسـلم، كما في «تفسير ابن كثير»: (١/ ٢٣٨).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويقال لمن خالف هذا المذهب الذي بيناه في إثبات القدر من كتاب الله تَعَالَىٰ: اعلم يا شقي أنَّا لسنا أصحاب كلام، والكلام على غير أصل لا تثبت به حجة، وحجتنا كتاب الله تَعَالَىٰ وسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد ذكرنا ما حضرنا ذكره من كتاب الله تَعَالَىٰ، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فقد بين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته ما فرضه الله تَعَالَىٰ عليهم، من أداء فرائضه، واجتناب محارمه، ولم يدعهم سدى لا يعلمون، بل بين لهم شرائع دينهم، فكان مما بينه لهم: إثبات القدر على نحو مما تقدم ذكرنا له، وهي سنن كثيرة سنذكرها أبوابًا، لا تخفى عند العلماء قديمًا ولا حديثًا، ولا ينكرها عالم، بل إذا نظر فيها العالم -إن شاء الله تَعَالَىٰ- زادته إيمانًا وتصديقًا، وإذا نظر فيها جاهل بالعلم، أو بعض من قد سمع من قدري جاهل بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسنن أصحابه ومن تبعهم بإحسان وسائر علماء المسلمين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فإن أراد الله عَزَّوَجَلَّ به خيرًا كان سماعه لها سببًا لرجوعه عن باطله، وإن تكن الأخرى، فأبعده الله وأسحقه.

فقد أطال المؤلف جدًّا في موضوع القدر، لأهميته وخطورته واختلاف الناس فيه، وضلال من ضل فيه وهداية الله لمن شاء أن يهديهم ويثبتهم في هذا الباب، وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب ربهم وسنة نبيهم، لم يعولوا في ذلك على عقولهم وأهوائهم، كما يفعل أهل البدع من القدرية وغيرهم، فحجتهم كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيرهم يحتج بعقله وهواه.

فهنا يقول: «يقال لمن خالف هذا المذهب الذي بيناه» **يعني**: مذهب أهل السنة والجماعة وما يخالفه من أهواء القدرية والجبرية والمرجئة، وقد فصل الأمر في ذلك، وقد مرَّ شرحه.

«يقال لمن خالف هذا المذهب الذي بيناه، وفي إثبات القدر من كتاب الله تَعَالَىٰ: اعلم يا شقي أنَّا لسنا أصحاب كلام».

نحن ما نخاطبهم بمثل هذا، فالسلفي قد يتحمس فيقول مثل هذا الكلام، ونحن لا نقلد في مثل هذه العبارات، فهو على حق ومن أئمة المسلمين، وهم يستحقون مثل هذا الكلام، لكن ليقبل الناس الحق منا نخاطبهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

قال: «والكلام على غير أصل، لا تثبت به حجة».

الأصل عند أهل السنة: الكتاب والسنة والإجماع، وما دار من الحق في فلك هذه الأصول، هي التي يعتمدون عليها في عقائدهم وعباداتهم وسائر شؤون دينهم.

أما عقل الخوارج وعقل المعتزلة وعقل الروافض وعقل المرجئة وعقول أهل البدع، فهذه نعوذ بالله منها، فهي كعقول أعداء الرسل ومن يخالفهم لا قيمة لخلافه ولا وزن له، والله يطالب بمثل هذه الحجج يقول: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، ويقول: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٤٩]، فلا يكون حجة إلا كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكلام رسوله وإجماع أهل العلم، وما بُني من حق على هذه الأصول ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ من الكتب التي أنزلها الله على رسله ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤] أما بعقولكم وأهوائكم فلا وزن لها ولا قيمة لها،

ويقال هذا القول لمن خالف أهل السنة من أهل البدع والضلال ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أما قول فلان وعلان فهذه توزن بكلام الله إن كانوا من خيار المسلمين، أما أهل البدع فلا يلتفت إلى كلامهم.

«والكلام على غير أصل لا تثبت به حجة أبدًا، وحجتنا كتاب الله تَعَالَىٰ وسنة رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد ذكرنا ما حضرنا ذكره من كتاب الله تَعَالَىٰ».

مرت آيات كثيرة جدًّا في إثبات القدر، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن العباد فاعلون وأفعالهم ومشيئتهم تابعة لمشيئة الله وإرادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهم مسئولون عما اقترفوه؛ لأن الله منحهم العقل، ومنحهم السمع والبصر، ومنحهم التمييز، وأقام عليهم الحجج بفطرتهم وبما أرسل من الرسل وما أنزل من الكتب، ولقد قال تَعَالَىٰ للنبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فالرسول الكريم صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمنزلته عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وأن الله يريه ويوحي إليه أيضًا، فسنته وحي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أسند إليه بيان ما أجمل من القرآن، وما يخفى على الناس من هذا القرآن الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإنه كان قد تخفى بعض النصوص على بعض الصحابة فيبينها لهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما بيَّن لنا الصلاة وتفاصيلها، والزكاة وتفاصيلها، وهي مجملات في القرآن، وبيَّن كذلك في القدر وفي غيره.

«فقد بين صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته ما فرضه الله تعالى عليهم، من أداء فرائضه واجتناب محارمه، ولم يدعهم سدى لا يعلمون، بل بين لهم شرائع دينهم، فكان مما بينه لهم: إثبات

القدر على نحو مما تقدم ذكرنا له، وهي سنن كثيرة سنذكرها أبوابًا، لا تخفى عند العلماء قديمًا ولا حديثًا، ولا ينكرها عالم».

فهي يتداولها العلماء ويفهمون معانيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ويحتجون بها على من يخالف ما جاء به رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من البينات والهدى.

«بل إذا نظر فيها العالم -إن شاء الله تَعَالَى- زادته إيمانًا وتصديقًا، وإذا نظر فيها جاهل بالعلم، أو بعض من قد سمع من قدري».

يعني: أن ذاك جاهل جهلًا بسيطًا وهذا جاهل جهلًا مركبًّا.

«جاهل بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ»: وإن كان عنده فلسفة وعنده منطق وعنده لغة، ولكنه جاهل بكتاب الله وبسنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

«وسنن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسنن أصحابه ومن تبعهم بإحسان وسائر علماء المسلمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإن أراد الله عَزَّوَجَلَّ به خيرًا كان سماعه لها سببًا لرجوعه عن باطله، وإن تكن الأخرى، فأبعده الله وأسحقه».

إذن لماذا يذكر هذه الأدلة؟ قال: أهل الأهواء بين اثنين إما جاهل جهلًا بسيطًا وإما جاهل جهلًا مركبًّا قد أفسد عقلَه ودينَه أهلُ البدع، فإذا أراد الله به خيرًا استفاد، وإذا ما استفاد منها فأسحقه الله وأبعده قامت عليه الحجة.



الأسئلة

سؤال: هل قول إبليس مخاطبًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ [الحجر: ٣٩] أي: بما قدرت عليَّ؟

جواب: نعم بما قدَّر عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبإضلاله، فلا ضلال إبليس ولا غوايته ولا ضلال الناس جميعا لا يكون إلا عن مشيئة الله وإرادته وتقديره، ولا يجوز لأهل الضلال والمعاصي أن يحتجوا بالقدر على معائبهم ومعاصيهم، وإنما يحتج بالقدر على المصائب.

سؤال: ما هي عقيدة الأشاعرة في القدر وكيف الرد عليهم؟

جواب: الأشاعرة في القدر يؤمنون بالقدر وينكرون على المعتزلة نفي القدر، وقد تغلب عليهم الجبرية في هذا الباب فيقعون فيما وقع فيه الجبرية، ولكن يُلَبِّسون جبريتهم بقضية الكسب، فكسب الأشعري لا يُفهم، هم يؤمنون بالقدر لا شك، لكن يغلون فيه غلو الجبرية، ويقولون: إن العبد لا أثر لقدرته في الأفعال، وإنما يحصل الأمر أو الفعل بقدرة الله مقترنًا بفعلك بمعنى: أن إرادة العبد وقدرته ليس لها أثر في هذا الأمر المفعول وليس لها أثر، ولا هي سبب، إنما يحصل هذا بفعل الله عَزَّوَجَلَّ عند إرادة العبد الفعل وشروعه فيه، وهذا المذهب قريب من الجبرية أو جبرية مغلفة.

سؤال: ما الفرق بين مشيئة الله ومشيئة العبد؟

جواب: أستغفر الله! كيف ما الفرق!!

الفرق واضح -يا أخي- هذه مشيئة مخلوق تابعة لمشيئة الله، مشيئة الله مشيئة رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا راد لمشيئته، علمه غير علمك، ومشيئته غير مشيئتك، وقدرته غير قدرتك، وصفاته غير صفاتك، ولا مناسبة بينها ولا مشابهة، كيف ما نفرق بينها؟!

سؤال: هل يصح عند التحدث عن المصائب أن نقول عبارة: «لا قدَّر الله» وجزاكم الله خيرًا؟

جواب: يقولها بعض النـاس يقصد «لا قدَّر الله» الدعاء أن يصرف الله عنا هذا الأمـر، أي: نرجـوه أن لا يحصل هـذا، فهي من باب الدعاء وهو -بهـذا القول- لا ينفي قدرة الله أو تقديره، وإنما يقصد بذلك الدعاء ألا يحصل هذا الأمر الذي يخشاه.

سؤال: ما معنى حديث: «اِعمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» وهل يكون ردًّا على الأشاعرة والقدرية؟

جواب: هذا فيه إثبات القدر، وأن كل شيء بمشـيئة الله وبتقديره وعلمه، قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَـا مِنكُم مِـن نَفسٍ إِلَّا وَقَد عُلِـمَ مَنزِلُهَا مِن الجَنَّـةِ وَالنَّارِ**». قَالُـوا: يَـا رَسُـولَ اللهِ، فَلِـمَ نَعمَلُ أَفَلَا نَتَّـكِلُ؟ قَالَ: «**لَا، اعمَلُـوا فَكُلٌّ مُيَسَّـرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»[1].

أنت ما تدرك هذه الأشياء، أنت هل تعرف علم الله فيك ومشيئته فيك؟ هذا ليس لـك، أنت عبد مخلوق لعبادته مأمور بأوامـر ومنهي بنواهي، عليك أن تنفذ فأنت عليك العمل، العمل واجب عليك لابد من العمل، فإن أراد الله بك خيرًا عملت بطاعته، وإذا أراد بك سوءً لم توفق لذلك وتحرم منه.

الشاهد: أن المسلم لا يحتج بالقدر في المعاصي والمعائب، وإنما يحتج بالقدر عند المصائب، فهي ليست بإرادتك، وإنما جاءتك بإرادة الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) **متفق عليه**، أخرجه البخاري في «الجنائز»، حديث [١٣٦٢] وفي مواضع أخر، ومسلم في «القدر»، حديث [٢٦٤٧] من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سؤال: ما معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يطيل العمر إلا البر»[1]؟

جواب: هذا الحديث أخرجه الترمذي في أبواب «القدر»، حديث [٢١٣٩] من حديث سلمان، وقال: حسن غريب من حديث سلمان، وفي الباب عن أبي أسيد.

وأخرجه الطحاوي في «شرح المشكل»، حديث [٣٠٦٨]، وأخرج الطحاوي شاهدًا له من حديث ثوبان حديث [٣٠٦٩] بزيادة: «وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه».

وبالنسبة للشق الأول من الحديث يقال: إن الله ربط المسببات بالأسباب، فيقال في معنى هذا الحديث: إن الله قدَّر الجوع والعطش وقدَّر رفعهما بالطعام والشراب، فهما سبب لرفع الجوع والعطش.

ومن أراد الولد فلا بد له من زوجة يجامعها فتنجب له الولد.

والذي يريد الزرع لابد أن يبذل السبب، لذلك من الحرث والبذر والسقي، فهذه الأمور وأمثالها كثير قد ربط الله فيها بين الأسباب والمسببات، وكلها داخلة في ما قدر الله.

وكذلك الدعاء سبب من الأسباب فيدفع الله به البلاء الذي ينزله بعباده، وكل ذلك بأقدار الله.

وبالنسبة للشق الثاني أقول: رأيت من أحسن الأجوبة عنه ما قاله ونقله الحافظ ابن حجر عن ابن التين حيث قال: «قال ابن التين ظاهر الحديث يعارض قوله تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤] **والجمع بينهما من وجهين:**

---

(١) أخرجه الترمذي في «أبواب القدر»، حديث [٢١٣٩].

أحدهما- أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة وصيانته عن تضييعه في غير ذلك، ومثل هذا ما جاء أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم، فأعطاه الله ليلة القدر، **وحاصله**: أن صلة الرحم تكون سببًا للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية، فيبقى بعده الذكر الجميل، فكأنه لم يمت.

ومن جملة ما يحصل له من التوفيق: العلم الذي ينتفع به من بعده والصدقة الجارية عليه والخلف الصالح، وسيأتي مزيد لذلك في كتاب القدر -إن شاء الله تَعَالَىٰ-.

ثانيهما- أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، وأما الأول الذي دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تَعَالَىٰ كأن يقال للملك مثلًا: إن عمر فلان مائة مثلًا إن وصل رحمه، وستون إن قطعها، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص.

وإليه الإشارة بقوله تَعَالَىٰ: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٩]، فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك وما في أم الكتاب: هو الذي في علم الله تَعَالَىٰ فلا محو فيه ألبتة، ويقال له: القضاء المبرم، ويقال للأول: القضاء المعلق، والوجه الأول أليق بلفظ حديث الباب، فإن الأثر ما يتبع الشيء، فإذا أخر حسن أن يحمل على الذكر الحسن بعد فَقدِ المذكور.

وقال الطيبي: الوجه الأول أظهر، وإليه يشير كلام صاحب الفائق، قال: ويجوز أن يكون المعنى أن الله يبقي أثر واصل الرحم في الدنيا طويلًا فلا يضمحل سريعًا كما يضمحل أثر قاطع الرحم، ولما أنشد أبو تمام قوله في بعض المراثي:

توفيت الآمال بعد محمد وأصبح في شغل عن السفر السفر

قال له أبو دلف: لم يمت من قيل فيه هذا الشعر.

ومن هذه المادة قول الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

أورد الحافظ هذا الكلام في شرحه لحديثي أبي هريرة وأنس وهما:

عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يقول: «**من سَرَّهُ أن يُبسَطَ له في رِزقِهِ وَأن يُنسَأَ له في أثَرِه، فَليَصِل رَحِمَهُ**».

عن ابن شِهَابٍ قال: أخبرني أَنَسُ بن مَالِكٍ أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من أَحَبَّ أن يُبسَطَ له في رِزقِهِ وَيُنسَأَ له في أثَرِه، فَليَصِل رَحِمَهُ**» [انظر: «الفتح» (١٠/ ٤٢٩-٤٣٠)].

سؤال: ما معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَو آية»[١] خاصة وأن هذا الحديث يستدل به بعض الناس على خروجهم؟

جواب: هؤلاء هم جماعة التبليغ، وهم لا يبلِّغون القرآن، هؤلاء أهل البدع ما يخرجون لتبليغ القرآن ولا لتبليغ السنة، وإنما يخرجون لتبليغ دعوة إلياس الخرافية، إنما يجتهدون في تبليغ بدعهم، فلو أخذنا بهذه الآية، إذا حفظت آية علِّمها للناس، لكن لا تحرفها على مذهبك الفاسد وتبلغها للناس ملتوية ومحرَّفة، وإذا حفظت حديثًا تمامًا اقرأه على الناس، إذا كان غيرك ما يعرفه: علِّمه واكتبه له، لكن لا تلعب فيه وتحرفه لمنهجك وعقيدتك، فالحديث والآية في واد وهؤلاء في واد آخر كما هو شأن أهل الباطل.

هل التبليغ يركضون في الأرض لتبليغ الآيات والأحاديث؟

---

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، حديث [٣٤٦١].

إنما يُبلِّغون الأحاديث الباطلة والمنامات السيئة ويحرفون الآيات إذا استشهدوا بها، آيات الجهاد يحرفونها لخروجهم، هل هذا هو التبليغ المطلوب؟

هـذا مـن تبليغ اليهود! يحرفون الكلم عن بعض مواضعه، فهـذا لا يأمر الله به أبدًا ولا رسـوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاشـاه، فردوا عليهم بهذا الجواب، وإذا حفظتم القرآن تبلغونه كـما بلغـه محمَّـدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتبلِّغـون الأحاديث كـما نطق بها محمَّـدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بأس، لكـن أنتم تركضـون لتبليغ دعوة إليـاس الضالة، وليس لتبليـغ دعوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى رأسـها تبليغ دعوة التوحيد ومحاربة الشرك والبدع والضلالات، الأمور التي يحيد عنها جماعة التبليغ.

سؤال: هل الجدال الذي حرمه الله في أيام الحج هل في جميع أشهر الحج أم في أيـام ذي الحجة، وهل الذي ينصح إخوانه عن التحزب ويناقش ويجادل في الله يكون مصيبًا أو مخطئًا؟

جواب: الذي يناظر بالحق ويجادل بالتي هي أحسن هذا أمر عظيم ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] في الحج وفي غيره.

الجـدال بالباطل هو الـذي ينهى عنه في الحج وغيره، وهـو سيء ومنهي عنه في أي زمان، لكن تشتد حرمته في أيام الحج.

سؤال: يصف الله نفسه أو يصفه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصفات مثل: الملل والغضب، وهـي ثابتـة لـه سُبْحَانَهُ علـى ما يليق بجلالـه، ما رأيكـم فيمن يقـول أن هذه صفات كمال في الخالق؟

جواب: نعم، الصفات التي وصف بها نفسـه ليسـت صفـات ذم ولا صفات نقـص، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، ولا يجوز للمسـلم أن يخطر في باله هذا، فالغضب

صفة كمال، والرحمة صفة كمال، والاستواء صفة كمال، والنزول صفة كمال، والمجيء يوم القيامة صفة كمال، والنزول كل ليلة إلى السماء الدنيا صفة كمال، علمه وقدرته وصفاته كلها كلها صفات كمال وأسماءه الحسنى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فأين الإشكال؟

لكن الجهال والضلال القدرية المعتزلة والخوارج والجهمية ومعطلة الصفات يرون أنَّا إذا وصفناه بالغضب والرحمة فإنَّا نصفه بصفات نقص، ويفسرونها بتفسيرات باطلة، الغضب: غليان دم القلب والرحمة رقة، وهذه ما تليق بالله عَزَّوَجَلَّ!

قل لهم: لا، غضب الله غير غضب الإنسان ولا نستطيع أن نكيفه، ورضاه كذلك يختلف عن رضا الإنسان ولا نستطيع أن نكيفه، فالقاعدة تجري في كل الأسماء والصفات أنا نؤمن بها من غير تكييف ولا تمثيل كما أن ذاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا تشبه ذوات فصفاته وأفعاله لا تشبه صفات العباد ولا أفعالهم.

سؤال: المقابلة في هذه الصفات «إن الله لا يمل حتى تملوا»، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ - ١٦]؟

جواب: الملل: ما أقدر أن أفسره أكِلُ علمه إلى الله فأقول فيه: الله أعلم به ولا أتكلم، **والكيد:** صفة كمال، إذا كان يكافئ المجرم بما يستحق هذا صفة كمال.

سؤال: في قوله: «بلغوا عني ولو آية» ألا نحتاج إلى أن نفهم تلك الآية قبل أن نبلغها أو نبلغها بمجرد حفظنا لها؟

جواب: ما يلزمك فهمها، إذا حفظتها حفظها للناس يشمل هذا وهذا، **يعني:** إذا عندك طفل تعلمه آية وأنت ما تفهمها ما تعلمه؟ تعلمه.

ولهذا قال الرسول: «**رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوعَى مِن سَامِعٍ**»(١) **يعني**: أفقه، فهذا يحفظ حديثًا لكن ما فقهه يبلغه ولا يلزمه فقهه حتى يبلغه، الفقه مطلوب لكن إذا ما فقهه ماذا يعمل؟ يبلِّغ أمانة عنده، ولهذا شبه الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هذا العلم وأن الناس فيه على ثلاث أصناف: ناس كالأرض الطيبة تقبل الماء وتنبت الكلأ، **يعني**: هذا يضرب مثلًا للذين يحفظون الحديث ويفقهونه، وأناس مثل الأرض، مثل القيعان تقبل الماء وتمسكه، ولكن لا تنبت كلأ، لكن تحفظ الماء، الناس يسقون ويزرعون ويرتوون منها، والأرض نفسها ما تستفيد، فهذا كالذي يحفظ ويبلغ وينفع الناس بهذا التبليغ، والقسم الثالث: مثل السباخ يعني: لا تقبل ماء ولا تنبت كلأ، وهؤلاء إما الكفار وإما المجرمون المعرضون عن تعلم العلم وتبليغه.

سؤال: ما هو الفرق بين المشيئة والإرادة لله جَلَّ وَعَلَا؟

جواب: هذا سائل يسأل عن الفرق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية، هذا هو السؤال العلمي، أما المشيئة والإرادة الكونية فمترادفان، والإرادة الشرعية تغايرهما وترادف المحبة.

المشيئة والإرادة الكونية لا يتخلف المراد بهما، فما شاءه الله كونًا وأراده قدرًا لا يتخلف، لابد أن يكون.

والإرادة الشرعية: هي أن الله يريد من عباده أن يطيعوه وأن ينفذوا أوامره وأن يجتنبوا نواهيه وأن يُصدِّقوا الرسل وأن يتبعوهم، فهذه يطلبها الله من عباده ويكلِّفهم بها، فيتحقق منها ما شاء كونًا وأراده، وما لا يريده كونًا لا يتحقق من هذه الإرادة الشرعية التي يريدها من عباده، فهناك فرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية.

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٥/ ٣٦٥) رقم [٥٨١٩]، وأصله في البخاري في «العلم»، حديث [٦٧]، ومسلم في «القسامة»، حديث [١٦٧٩].

الإرادة الكونية: ترادف المشيئة العامة، فهذه لا يتخلف مرادها، والإرادة الشرعية ترادف المحبة والرضا وهي إرادة الله من عباده أن يفعلوا، فهذه قد ينفذ هذا المراد وقد لا ينفذ، فينفذ منه ما أراده كونًا ولا ينفذ ما لم يُرِده.

سؤال: هل يصح هذا الدعاء: اللهم إنا لا نسألك رد القضاء ونسألك اللطف فيه؟

جواب: هذا ليس من أدعية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه سوء أدب مع الله جَلَّ وَعَلَا فيما يبدو وتنطع في السؤال، فيسأل الله أن يدفع عنه الضر ويكشف عنه الضر بدون تعليقات، هذا مثل من يقول: اللهم اغفر لي إن شئت، فيسأل الله العبد ويعزم على ذلك يعزم على المسألة، فإن الله لا مكره له (1) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥] مثل هذه الأساليب -والله أعلم- من الاعتداء في الدعاء.

عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها؛ فقال: أي بني، سلِ الله الجنة وتعوذ بالله من النار.

سؤال: قال: نصحت أحدهم فقال: إذا الله يريد أن يهديني كما هداك فسوف يهديني.

جواب: هذا من الاحتجاج بالقدر على المعاصي والمعايب ليستمر على باطله وضلاله، فينصح فيقول: إذا أراد الله.

---

(١) وهو الذي نهى عنه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**لَا يَقُل أَحَدُكُمُ: اللَّهُمَّ اغفِر لِي إِن شِئتَ، ارحَمني إِن شِئتَ، ارزُقني إِن شِئتَ، وَليَعزِم مَسأَلَتَهُ، إِنَّهُ يَفعَلُ مَا يَشَاءُ، لَا مُكرِهَ لَهُ**». رواه البخاري (٦٣٣٩، ٧٤٧٧)، ومسلم [٢٦٧٩]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المشركون قالوا مثل هذا أيضًا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٨ - ١٤٩] هذا لا يجوز له أن يحتج بالقدر بهذه الطريقة، يقول إن شاء الله، يقول: أسأل الله أن يعينني، أسأل الله أن يهديني، بارك الله فيك، وأنا أترك إن شاء الله، وهكذا يعد بالخير ويمتثل.

سؤال: أحدهم يسرق ويفعل المنكر، ويقول الله قدر عليَّ ذلك.

جواب: هذا مثل الشيطان: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩] هذا من حجة الشيطان، الاحتجاج بالقدر، فالقدر لا يحتج به على الذنوب والمعاصي والمعايب، وإنما في المصائب، مات ابنك، ماتت زوجتك، هلك مالك، حصل لك مرض، قل: قدَّر الله ولله الحمد، فتصبر، ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

عندما تأتي المصيبة يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، كلنا راجعون إلى الله عَزَّوَجَلَّ، الإنسان وماله وملكه وأولاده وكل شيء كله لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يأخذ منه ما يشاء ويعطي من يشاء، فهذا مشكور عند الله عَزَّوَجَلَّ، أما أن يحتج بالقدر على المعاصي فهذا أسوته الشيطان ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩]، فليتب إلى الله عَزَّوَجَلَّ من هذا الأسلوب الباطل.

سؤال: هل نثبت صفة الإدراك لله على الوجه اللائق بجلاله أم بمعنى البداء؟

جواب: هذا من الترصد وافتراء أهل الفتن الذين يعجزون أن يجدوا ما يلصقونه بنا من الأخطاء، لا يجدون سبيلًا إلى ذلك إلا أن يكذبوا ويفتروا عليَّ حربًا لمنهج الله الحق

الـذي -إن شـاء الله- إني تصديـت للمناداة بـه، فهم يحاربون الحق ويريدون تشـويه من يدعو إلى الحق، فيسلكون مسالك الشياطين في الفجور والكذب.

فأنـا في إحـدى محـاضراتي أنافح عـن التوحيـد، أنافح عـن المنهج السـلفي، أدعو الشـباب إلى التوحيـد، أدعوهـم إلى اتباع الحق واتباع منهج السـلف فجـاء من كلامي: أدرك الله خطـورة الشرك، الـشرك خطير، الشرك خطير، أدرك الله خطره فبعث الرسـل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لمحاربته أو كما قلت، فقالوا هذا مذهب اليهود!

في نسـبة البـداء إلى الله، لعنـة الله عـلى الكاذبـين الفاجريـن، أخزاهـم الله في الدنيا والآخـرة، قالـوا: هـذا يقـول بعقيـدة اليهـود في البـداء! وهذا يـدل على الجهـل المطبق بالبدهيات، الآيات التي يحفظها الأطفال ويفهمونها في الكتاتيب يجهلها هؤلاء الأعداء، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقـول: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فأيُّ نقص في هذا؟

الإدراك: هو العلم المحيط بالأشـياء وبدقائقهـا فهي صفة كمال لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أنا ما جئت لإثبات صفة أو تقرير أن من أسماء الله كذا وكذا وكذا، ومنها صفة الإدراك.

قلـت: أدرك الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ انطلاقًـا منـي أن هـذا ليـس بعيـب، بل هو ثنـاء على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مـن بـاب الإخبار، وهو أوسـع من بـاب الصفات، فافتراها أبو الحسـن المأربي -فـض الله فـاه وأخزاه وأخزى أمثاله من المتربصين بأهل الحق، ورد الله كيده في نحره-، ثم لما ناقشه أحد طلاب العلم الأفاضل قال: رجعت، كيف رجعت؟

يكفي أن تقذف مؤمنًا يدعو إلى توحيد الله بهذه القذيفة وتشـبهه باليهود ثم تقول: رجعـت؟! يعني: أنت صاحب البداء -والعياذ بالله- بدا لك الرجوع الآن، فأنت الذي

تشابه اليهود تكذب على الله وتكذب على المؤمنين وتفتري عليهم وتشبه المؤمنين باليهود في أخبث المبادئ، ثم لما يفضحك الله حتى أمام الأطفال تقول أنا رجعت يكفي هذا؟

يرتكب مثل هذه الجريمة الخسيسة النكراء ثم يقول للناس رجعت ثم في نفس الوقت يواصل بحرب الأكاذيب لا يقول تبت من مخازيه التي يقع فيها يقول: رجعت، ما يقول تبت إلى الله من هذا الذنب ما يقول تبت إلى الله من هذه الجريمة، وأنا أتوب من محاربة أهل الحق، لا، بل هو يواصل، فمن يصدقه في شيء يدعيه أنه تاب منه؟

ما رأيت شرًّا من هذا الرجل في الكذب والجدال بالباطل! حاربنا أناس كثيرة من أهل الباطل وأهل البدع، لكنهم ما بلغوا مبلغ هذا الرجل في الفجور والكذب والاستماتة في الحرب الباطلة الظالمة، عبد الرحمن بن عبد الخالق رد بأباطيله في شريط واحد، جاء الحداد شرٌّ منه سبعة أشرطة، جاء عدنان شرٌّ منهم عشرة أشرطة، أبو الحسن أكثر من خمسين شريطًا[١] الآن، هل حارب سيد قطب أو البنا أو المودودي أو أهل البدع حاربهم بهذه الأشرطة؟

بل هو يدافع عنهم وعن منهجهم وعن أتباعهم، ويرتكب العظائم والأكاذيب والخيانات والبتر في هذا الدفاع الظالم، هذه حرب على الحق وأهله، ويدل ذلك على أن هذا الإنسان مريض، وأنه يُكنُّ هذا الشر في نفسه، فانفجر كالبركان في الوقت الذي يناسب، انفجر كالبركان، قلبه مليء بالخبث والحقد فتفجر بهذه الفتن، لأنه يختزنها -والله أعلم- من أول حياته فانفجر هذا الانفجار الهائل الذي لم يسبق له نظير، ثم لا يزال يواصل في قذف الخبائث والشرور والأكاذيب والافتراءات.

---

(١) ثم وصلت أشرطته إلى حوالي مائة وعشرين شريطًا، لم يحارب اليهود والنصارى والروافض والصوفية بشريط واحد فيما أعتقد، فعلام تدل أعماله وحروبه الفاجرة على ربيع وأهل السنة.

سؤال: هل حديث عائشة دليل على أن لله....

جواب: يعني: حديث عائشة يستفاد منه أن القلوب بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيؤمن العبد ويلجأ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يهديه ويثبته، كان تسأل عن هذا يا أخي ما تسأل عن مشكلة تريد إثارة الفتن، تعلموا يا إخوة وتأدبوا أنا والله ما أرضى هذه الأسئلة التي تثير مشاكل على أهل السنة وأهل الحق.

سؤال: ما نصيحتكم لمن أنعم الله عليه وتاب من الحزبية، وماذا تنصحني خاصة وأن الحزبيين سوف لن يتركوني؟

جواب: أنصحك بأن تثبت وأن تطلب من الله الثبات على ما هداك له من الحق وتدعو بالأدعية التي مرت بنا **«يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّت قَلبي عَلَى دِينِكَ»**[(١)]، **«يَا مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّف قَلبي عَلَى طَاعَتِكَ»**[(٢)] والحديث الآخر: **«اللهمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ عَالِمَ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنتَ تَحكُمُ بَينَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فيه يَختَلِفُونَ، اهدِنِي لِمَا اختُلِفَ فيه مِنَ الحَقِّ بِإِذنِكَ، إِنَّكَ تَهدِي مَن تَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُستَقِيم»**[(٣)] ثم لا تسلطهم على نفسك، ابتعد عنهم إذن، فإذا رأوا فيك استرخاءً وضعفًا لاحقوك، وإذا رأوا فيك الحزم هربوا منك، فأقنعهم بحزمك وجِدِّك ولا تلن لهم.

سؤال: ما معنى قوله تَعَالَى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المَائِدَة: ٧٩]؟

جواب: هذا ذم لبني إسرائيل قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [المَائِدَة: ٧٨]

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في «القدر»، حديث [٢٦٥٤].

(٣) أخرجه مسلم في «صلاة المسافرين»، حديث [٧٧٠].

فسر العصيان والاعتداء بأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، فهذا دليل على أن الأمة إذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استحقت من الله ما استحقه بنو إسرائيل على ألسنة أنبيائهم من اللعن والإهانة والإذلال، فعلى المؤمنين أن يطلبوا الحق وأن يثبتوا عليه وأن يدعوا إليه وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، الأمر الذي ميز الله به هذه الأمة على سائر الأمم ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

يعني هذا أمر لابد أن تقوم به الأمة لتسلم من غضب الله وتستحق هذه الميزة وهي ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾، وعليهم أن يحذروا مما آل إليه حال بني إسرائيل من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقع بعضهم في الشرك، ووقع بعضهم في الكفر، ووقع بعضهم في الزنا، ووقع بعضهم في الربا، ويقعون في المحرمات، لا آمر ولا ناهٍ فاستحقوا اللعن من الله عَزَّوَجَلَّ.

فالله يقص علينا هذا عن بني إسرائيل، وأن الله لعن من ضل منهم وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنهم استحقوا اللعن من الله، لنستفيد نحن ونتحفظ ونحترز من أن نقع فيما وقع فيه هؤلاء من سخط الله وما يوجب لعنه وغضبه كذلك «**لَعنَةُ الله على اليَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِد**»[(١)] فاستحقوا اللعن باتخاذ القبور مساجد.

فوقعت هذه الأمة في هذا إلا من سلم الله وهناك -ولله الحمد- في هذه الأمة طائفة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتبين الهدى من الضلال، لكن ينبغي على الأمة كلها أن

(١) أخرجه البخاري في «الصلاة»، حديث [٤٣٥]، ومسلم في «المساجد»، حديث [٥٣١].

تكون على هذا الدين الحق، وأن تتجنب ما وقع فيه اليهود من الكفر والشرك وموجبات سخط الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.



٣٥

بَابُ

ذكر السنن والآثار المبيِّنة بأن الله تَعَالَىٰ خلق خلقه من شاء خلقه للجنة ومن شاء خلقه للنار، في علم قد سبق

[٣٢٤] أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن زيد ابن أبي أنيسة: أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عنها، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ لما خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، مسح على ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته، فقال: هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون»، فقام رجل، فقال: يا رسول الله، ففيم العمل؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل أهل الجنة. وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل أهل النار، فيدخله به النار»[1].

....

(١) في إسناده انقطاع، ومسلم بن يسار الجهني، قال الحافظ ابن حجر فيه: «مقبول من الثالثة»، فهو =

[٣٢٥] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا هشام بن عمار الدمشقي قال: حدثنا أنس ابن عياض قال: حدثنا الأوزاعي عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة يقول: قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، العمل: في شيء نأتنفه، أو في شيء قد فرغ منه؟ قال: «بل في شيء قد فرغ منه، قال: ففيم العمل؟ قال: يا عمر، لا يدرك ذلك إلا بالعمل، قال: إذن نجتهد يا رسول الله»(١).

[٣٢٦] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا شبابة ابن سوار قال: حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسول الله، أرأيت ما نعمل فيه: أمر قد فرغ منه أو في أمر مبتدع، أو مبتدأ؟ قال: «بل في أمر قد فرغ منه، فقال عمر: أفلا نتكل؟ فقال: اعمل يا ابن الخطاب، فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من

....

= لم يدرك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه مالك في «الموطأ في القدر»، (٢/ ٨٩٨)، وأحمد في «المسند» (١/ ٤٤)، وأبو داود في «السنة»، حديث [٤٧٠٣]، والترمذي في «التفسير»، حديث [٣٠٧٥]، كلهم من طريق مسلم بن يسار هذا.

لكن لبعض هذا الحديث شواهد، ذكرها العلامة الألباني في «ظلال الجنة»، انظر: حديث (٢٠٤- ٢٠٦) والتعليقات عليها، وقال في «الضعيفة» بعد أن خرَّج هذا الحديث من عدد من المصادر: «وفي أخذ الذرية من صلب آدم أحاديث أخرى صحيحة أخصر من هذا وقد خرَّجتها في «الصحيحة»، وليس في شيء منها مسح الظهر إلا في حديث لأبي هريرة مخرج في «ظلال الجنة» (٢٠٤-٢٠٥)، وفي كلها لم تذكر الآية الكريمة».

(١) حديث حسن، في إسناده هشام بن عمار، صدوق مقرئ، كبر فصار يتلقن، لكنه لا بأس به في الشواهد.

أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» حديث [١٦٥]، وله شاهدان، الأول من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه مسلم في «القدر»، حديث [٢٦٤٨]، والثاني من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه مسلم أيضًا في «القدر»، حديث [٢٦٥٠] وله شواهد أخر.

أهل السعادة فإنه من أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء»[1].

ولحديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طرق، كثيرة اكتفينا منها بهذه.

[٣٢٧] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: حدثنا جرير - يعني: ابن عبد الحميد - عن منصور عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، قال: فأتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس رأسه وجعل ينكت بمخصرته. ثم قال: «ما منكم من نفس منفوسة، إلا وقد كتب مكانها من الجنة أو النار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة. فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل ؟ فمن كان منا من أهل السعادة، فسيصير إلى عمل أهل السعادة. ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى عمل أهل الشقاء.

فقال: اعملوا، فكل ميسر، أما أهل السعادة، فميسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فميسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥-١٠]»[2].

---

(١) في إسناده عاصم بن عبيد الله العُمَرِي: ضعيف، ولكن يرتقي إلى درجة الصحيح لغيره بما له من متابعة وشواهد.

رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٢٩)، (٢/ ٥٢، ٧٧) من طرق عن شعبة عن عاصم به.

وله متابعة رواها الترمذي في «التفسير» حديث [٣١١١] وقال: «حسن غريب» بإسناد رجاله ثقات غير سليمان بن سفيان الذي رواه عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر عن أبيه بنحوه، وسليمان ابن سفيان التيمي قال الحافظ فيه: «ضعيف»، لكن يصلح في المتابعات، فيرتقي به الحديث إلى درجة الحسن، ثم لهذا الحديث شواهد منها الصحيح وغيره، فيرتقي بهذه الشواهد إلى درجة الصحة.

(٢) **إسناده صحيح**، أخرجه مسلم في «القدر»، حديث [٢٦٤٧] من طريق عثمان بن أبي شيبة به، وابن =

[٣٢٨] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا منجاب بن الحارث وأبو بكر بن أبي شيبة - قال منجاب أخبرنا، وقال أبو بكر: حدثنا أبو الأحوص عن منصور عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله في جنازة، فلما انتهينا إلى بقيع الغرقد، فقعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقعدنا حوله، فأخذ عودًا فنكت به الأرض، ثم رفع رأسه. فقال: «ما منكم من أحد، أو ما من نفس منفوسة إلا قد علم مكانها من الجنة أو النار، شقية أم سعيدة».

فقال رجل من القوم: يا رسول الله، أفلا ندع العمل ونقبل على كتابنا، فمن كان منا من أهل السعادة صار إلى السعادة، ومن كان منا من أهل الشقوة صار إلى الشقوة؟

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اعملوا فكل ميسر، فمن كان من أهل الشقوة يسر لعملها، ومن كان من أهل السعادة يسر لعملها»، ثم قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾»[1].

[٣٢٩] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا منجاب بن الحارث قال: أخبرنا علي ابن مسهر عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينا نحن عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر الحديث نحوًا منه[2].

....

= أبي عاصم في «السنة» حديث [١٧١] من طريق أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي الأحوص به.

(١) صحيح، وأخرجه بهذا الإسناد ابن أبي عاصم كما أسلفنا.

(٢) إسناده صحيح، وطرق حديث علي هذه كلها مدارها على سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

ولحديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طرق جماعة، اكتفينا منها بما ذكرناه.

[٣٣٠] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عمرو بن عثمان بن كثير بن دينار الحمصي قال: حدثنا بقية يعني ابن الوليد قال: حدثنا الزبيدي قال: حدثنا راشد ابن سعد، عن عبد الرحمن بن قتادة النصري، عن هشام بن حكيم أن رجلًا أتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قال يا رسول الله، أتبتدأ الأعمال، أم قضي القضاء؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله تَعَالَى أخذ ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفه، فقال: هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار»[1] ولهذا الحديث طرق.

---

(١) هذا الحديث إسناده حسن، فيه عمرو بن عثمان أبو حفص الحمصي، قال الذهبي فيه: «صدوق حافظ»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق»، وفيه بقية: صدوق كثير التدليس، لكنه هنا قد صرَّح بالتحديث، فانتفت شبهة التدليس.

وفيه عبد الرحمن بن قتادة النصري قد أثبت صحبته عدد من العلماء، قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٤١١): «ذكره البغوي وابن قانع وابن شاهين وابن حبان وغيرهم في الصحابة»، وذكر حديثه هذا، وذكر الاختلاف في رواية هذا الحديث وأن بعضهم رواه عن عبد الرحمن بن قتادة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدون وساطة، ورواه بعضهم بوساطة هشام بن حكيم.

قال الحافظ: «ويكفي في إثبات صحبته الرواية التي شهد له فيها التابعي بأنه من الصحابة»، يعني: شهادة راشد بن سعد بالصحبة.

وأثبت صحبته الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣١) بعد أن روى حديثه، ثم قال: «هذا حديث صحيح»، ثم قال في إثبات صحبته: وقد احتجا جميعًا برواية زهير بن عمرو عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس له راو غير أبي عثمان النهدي، وكذلك احتج البخاري بحديث أبي سعيد بن المعلى وليس له راو غير حفص بن عاصم، وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٨٦) عن الحسن بن سوار صدوق، كما قال الحافظ عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن ابن قتادة مرفوعًا، والظاهر أن الإمام أحمد يعتقد صحبته. =

[٣٣١] قال: وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن مصفى قال: حدثنا بقية ابن الوليد قال: حدثني مبشر بن عبيد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لما خلق الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ضرب بيده على شق آدم الأيمن، فأخرج منه ذرية كالذر، فقال: يا آدم، هؤلاء ذريتك من أهل الجنة قال: ثم ضرب بيده على شق آدم الأيسر، فأخرج منه ذرية كالحمم، ثم قال: هؤلاء ذريتك من أهل النار»[١].

[٣٣٢] قال: وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبد الأعلى بن حماد قال: حدثنا روح ابن المسيب أبو رجاء الكلبي قال: سمعت يزيد الرقاشي قال: سمعت غنيم ابن قيس قال: كان أبو موسى يعلمنا القرآن في هذا المسجد، وهو قائم على رجليه، يعلمنا آية آية، فقال أبو موسى: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله تَعَالَى يوم خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قبض من صلبه قبضتين، فرفع كل طيب بيمينه، وكل خبيث بشماله قال فقال: هؤلاء أصحاب اليمين ولا أبالي هؤلاء أصحاب الجنة، وهؤلاء أصحاب الشمال ولا أبالي هؤلاء أصحاب النار قال: ثم أعادهم في صلب آدم، فهم يتناسلون على ذلك إلى الآن»[٢].

= وأخرجه البخاري في «التأريخ» (٥/ ٣٤١-٣٤٢)، وذكر الاختلاف في أسانيد هذا الحديث، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٤٣٥) عن بقية بن الوليد عن الزبيدي عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي عن أبيه عن هشام بن حكيم مرفوعًا، ومن طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة عن هشام ابن حكيم.

وروى هذا الحديث ابن أبي عاصم في «السنة» حديث (١٦٨، ١٦٩) من طريقين، وصححه الألباني.

(١) هذا الحديث بهذا الإسناد ضعيف جدًّا، فيه مبشر بن عبيد الحمصي، قال الذهبي في «الميزان» (٣/ ٤٣٣) رماه أحمد بالوضع، وقال البخاري: «منكر الحديث»، وقال الحافظ في «التقريب»: «متروك، رماه أحمد بالوضع».

(٢) ضعيف، في إسناده يزيد الرقاشي: زاهد ضعيف، وفيه روح بن المسيب الكلبي مختلف فيه، وقال ابن =

[٣٣٣] قال: وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا الليث بن سعد، عن أبي قبيل، عن شفي بن ماتع، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، وفي يده كتابان، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟» قالوا: لا يا رسول الله، إلا أن تخبرنا، فقال للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم، وقال للذي في شماله: هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا»، فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان قد فرغ منه؟ فقال: «سددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أيَّ عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار، وإن عمل أي عمل» ثم قال بيده فنبذها ثم قال: «قد فرغ ربكم من العباد، فريق في الجنة وفريق في السعير».

[٣٣٤] قال: وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا بكر بن مضر، عن أبي قبيل، عن شفي، عن عبد الله بن عمرو قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: «هذا كتاب كتبه رب العالمين، فيه تسمية أهل الجنة، وتسمية آبائهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم، وهذا كتاب كتبه رب العالمين، فيه تسمية أهل النار، وتسمية آبائهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم»، قالوا: ففيم العمل يا رسول الله؟ قال: «إن عامل الجنة

....

= معين: «صويلح»، قال ابن حبان: «يروي الموضوعات لا تحل الرواية عنه» انظر: «الميزان» (٢/ ٦١)، وقال أبو حاتم: «هو صالح ليس بالقوي» انظر: «الجرح والتعديل» (٣/ ٤٩٦).

أخرجه البزار في «مسنده» [٣٠٣٢] من طريق روح هذا، ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» [٢٠٣] من طريق روح هذا.

يختـم لـه بعمل أهـل الجنة، وإن عمل أيَّ عمـل، وإن عامل النار يختـم له بعمل أهل النـار، وإن عمـل أي عمل، فـرغ الله تَعَالَىٰ من خلقه» ثم قـرأ: ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى: ٧]»(١).

[٣٣٥] قـال: وأخبرنـا الفريابـي قال: حدثنـا أبو بكر بن أبي شـيبة قال: حدثنا علي بن هاشم، عن ابن أبي ليلى، عن أبي الزبير عن جابر قال: قام سراقة بن جعشم إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسـول الله، أخبرنا عن أعمالنا كأنا خلقنا السـاعة: أشيء ثبت به الكتاب، وجرت به المقادير أم شيء نستأنفه؟ قال: «لا، بل شيء ثبت به الكتاب وجرت به المقادير» قال: يا رسول الله، ففيم العمل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر لعمله»(٢).

[٣٣٦] قـال: وأخبرنـا الفريابـي قـال: حدثنا إسـحاق بـن راهويه قـال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: حدثنا يزيد الرشك، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن عمـران بـن حصين أن رجلًا قال: يا رسـول الله، أعلم أهل الجنة مـن أهل النار؟ قال:

....

(١) مدار هذا الحديث والذي قبله على حي بن هانئ أبو قبيل المعافري، قال الذهبي في «الكاشف»: «وثقه جماعـة»، وقال أبو حاتم: «صالح الحديث»، وقال الحافـظ في «التقريب»: «صدوق يهم»، وأعتقد أنه فوق هذه الدرجة، فالحديث حسن، أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٧) والترمذي في القدر، حديث [٢١٤١] وابن أبي عاصم في «السنة» رقم [٣٤٨].

(٢) إسناده فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى: صدوق سيئ الحفظ، لكن المتن صحيح، فقد رواه الإمام مسـلم في القدر، حديث [٢٦٤٨]، ورواه الإمام أحمد في «مسـنده» (٣/ ٣٠٤) من طريق علي بن زيد ابن جدعان عن محمد بن المنكدر عن جابر به، وابن جدعان ضعيف.
ورواه أحمـد (٣/ ٢٩٢-٢٩٣) مـن طريق أبي الزبير أيضًا عن جابـر مرفوعًا، ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» حديث [١٦٧] من طريق حماد بن سلمة عن قيس بن سعد عن طاووس عن سراقة بن مالك به، فالحديث صحيح، لا شك في صحته، لاسيما وقد خرَّجه مسلم في «صحيحه» المتلقى بالقبول من الأمة.

«نعم» قال: ففيم يعمل العاملون؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر لعمله»[(١)] أو كما قال له.

[٣٣٧] قال: وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا الأوزاعي قال: حدثني ربيعة بن يزيد، عن عبد الله بن الديلمي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة، وألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى به، ومن أخطأه ضلَّ». قال عبد الله بن عمرو: فلذلك أقول: جف القلم بما هو كائن[(٢)].

[٣٣٨] قال: وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن أبي عمرو السيباني، عن عبد الله بن الديلمي قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل» فلذلك أقول: جف القلم على علم الله تعالى[(٣)].

---

(١) حديث عمران هذا صحيح، وقد خرَّجه الشيخان، البخاري في «القدر»، حديث [٦٥٩٦]، ومسلم في «القدر»، حديث [٢٦٤٩]، وأحمد في «المسند» (٤/ ٤٢٧).

(٢) إسناده صحيح، والوليد بن مسلم وإن كان مدلسًا فقد صرَّح بالتحديث.

والحديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٦) بإسناد رجاله كلهم ثقات، وأخرجه الحاكم (١/ ٣٠-٣١) من طرق صحيحة عن الأوزاعي به، ثم قال الحاكم: «هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة، وقد احتجا بكل رواته ولم يخرجاه ولا أعلم له علة»، وقال الذهبي: «على شرطهما ولا علة له».

وأخرجه أبو داود الطيالسي، حديث [٢٢٩١] قال: حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعي به.

(٣) إسناده حسن، إسماعيل بن عياش: صدوق في روايته عن أهل بلده وهذه منها.

=

[٣٣٩] قال: وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري قال: حدثنا الحسين ابن علي الحلواني قال: حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع، عن بقية بن الوليد قال: حدثنا أرطاة بن المنذر، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: «أول شيء خلقه الله عَزَّوَجَلَّ القلم، فأخذه بيمينه، وكلتا يديه يمين، فكتب الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول، بر أو فجور رطب أو يابس، فأمضاه عنده في الذكر» ثم قال: «اقرءوا إن شئتم: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]، فهل تكون النسخة إلا من شيء قد فرغ منه»[١].

[٣٤٠] قال: وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو أنس مالك بن سليمان الألهاني الحمصي قال: حدثنا بقية بن الوليد، عن أرطاة بن المنذر، عن مجاهد بن جبر أنه بلغه عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إن أول شيء خلقه الله تَعَالَىٰ القلم، فأخذه بيمينه، وكلتا يديه يمين قال: فكتب الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول، بر أو فجور، رطب أو يابس، وأحصاه عنده في الذكر» ثم قال: «اقرءوا إن شئتم: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ فهل يكون النسخة إلا من أمر قد فرغ منه؟»[٢].

....

= والمتن صحيح كما في الرواية التي قبلها، وقد روى هذا الحديث ابن أبي عاصم في «السنة»، رقم (٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤)، منها طريقان صحيحان عن الأوزاعي، وإسنادان حسنان مدارهما على يحيى بن أبي عمرو الشيباني وهو ثقة.

(١) إسناده حسن، لأن فيه بقية وقد صرَّح بالتحديث، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» حديث [١٠٦] قال: حدثنا ابن مصفى ثنا بقية حدثني أرطأة بن المنذر به. ورواه ابن بطة في «الإبانة» حديث [١٣٧٢] بإسناده إلى الربيع بن نافع حدثنا بقية حدثنا أرطأة بن الوليد به.

(٢) إسناده ضعيف، مالك بن سليمان قال الذهبي في «المغني» (٢/ ٥٣٨) رقم [٥١٤٥]: قال ابن عون: =

فمجموع هذه الأحاديث -بما فيها من صحيح وضعيف- مضمونها إثبات القدر، وأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد كتب كل شيء وعلم كل شيء وسجَّله في اللوح المحفوظ، ومنها ما يتعلق بآدم وذريته، وأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد علم في الأزل أن منهم الشقي والسعيد، وتتحدث هذه الأحاديث عن أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أخرج ذرية آدم من صلبه، وميزهم وجعلهم قسمين: أهل السعادة وأهل الشقاء، أهل السعادة بيمينه وأهل الشقاء بيده الأخرى وكلتا يديه يمين، وفيها أمر زائد في بعض الأحاديث أن الله أشهدهم على أنفسهم هناك قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

هناك قضيتان:

- قضية أن الله أخرج بني آدم من ظهور ذريته، وفي ذلك إثبات القدر وعلم الله السابق بهم.
- وقضية الإشهاد.

قضية أخذ الذرية من ظهور بني آدم: ثابتة بنص هذه الآية وبعض الأحاديث الصحيحة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخرجهم فعلًا، وقسمهم إلى أهل سعادة وأهل شقاء.

=

«ضعيف»، وابن عون هنا مُحَرَّفٌ عن ابن عوف، روى الخطيب بإسناده إلى محمد بن عوف الحمصي أنه قال: أبو أنس مالك بن سليمان الحمصي...وهو ضعيف، انظر: «تأريخ بغداد» (١٥/ ٢٠٦) رقم الترجمة [٧٠٩٤]، ومحمد بن عوف أبو جعفر الحمصي قال فيه الحافظ ابن حجر في «التقريب»: «ثقة حافظ»، والدليل على ضعف مالك هذا: أنه خالف جميع الرواة، فقال عن مجاهد: إنه بلغه عن ابن عمر بينما الرواة جميعًا يقولون عن مجاهد عن ابن عمر، هذا ما يتعلق بهذا الإسناد، أما المتن فصحيح كما أسلفنا.

لكن ما المراد بالإشهاد الوارد في الحديث؟ لم يأت كما يقول ابن كثير وابن أبي العز وغيرهما لم يأت إلا من طريقين موقوفين[١]، أما قضية الإخراج ففيها أحاديث كثيرة وثابتة في الجملة[٢].

تبقى قضية الإشهاد في ذلك الوقت، هل هي ثابتة أو ليست بثابتة؟ ضعفها ابن القيم والقرطبي وابن كثير وابن أبي العز، قالوا: هذه لم تثبت ولم ترد إلا عن طريق كلثوم ابن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا موقوفًا[٣]، فالثابت: أنه موقوف.

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص فيه الإشهاد، ولكنه أيضًا موقوف على عبد الله بن عمرو[٤].

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٠٦- طيبة)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (ص٢٤٠-٢٤٥- الألباني)، و«جامع الرسائل» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١١-١٣)، و«أحكام أهل الذمة» لابن القيم (٢/ ٥٢٣-٥٩٩).

(٢) «التمهيد» لابن عبد البر (٦/ ٦)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٠١-٥٠٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٦٠٠-٦٠٧)، و«الصحيحة» للألباني [١٦٢٣].

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٩)، وابن جرير في «تفسيره» (١٣/ ٢٢٣-٢٢٤) رقم (١٥٣٣٩-١٥٣٤١) و[٢٢٩] رقم [١٥٣٥٠]، وفي «تاريخه» (١/ ٨٦)، والفريابي في «القدر» (٧٠-٧١) رقم (٥٩، ٦٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٤٩ رقم٧١٤).

(٤) أخرج الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٣٣) رقم (١٥٣٥٥، ١٥٣٥٦)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٥٦٢) رقم [٩٩٣]، وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ -كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٥٩٨)-، عن ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] قال: «أخذهم كما يأخذ المشط الرأس»، ورجح الطبري: هذا الموقوف، قال في تفسيره (١٣/ ٢٥٠): «لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم حدَّثوا بهذا الحديث عن الثوري، فوقفوه على عبد الله بن عمرو، ولم يرفعوه، ولم يذكروا في الحديث هذا الحرف الذي ذكره أحمد بن أبي طَيبة عنه».

يريد بالحرف الذي ذكره ابن أبي طيبة جملة الإشهاد التي وردت في الرواية المرفوعة.

والحديث الموقوف ممن ثبت أنه يأخذ من الإسرائيليات لا يُعطى حكم الرفع كما مرَّ بكم في علم المصطلح.

يبقى ما المراد بالإشهاد المذكور في الآية إذ لم يثبت الإشهاد الوارد في الأحاديث؟

قالوا المراد بذلك: أن الله فطرهم على الإيمان به والإقرار به وبتوحيده ويشهد لهذا قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]. ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ [يونس:٣١] هم يعترفون ويقرون بتوحيد الربوبية، وهذا يُلزمهم بتوحيد الألوهية وأكبر برهان وأكبر حجة عليهم إذا وقعوا في الشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كيف يشركون بالله وهم يؤمنون بأنه خلقهم وخلق السموات وخلق الأرض، ثم يتخذون من دون الله أولياء لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا.

فالمراد بالإشهاد: أن الله فطرهم على التوحيد وخلقهم عليه، كما في الآيات القرآنية التي ذكرنا شيئًا منها وكذلك حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**وكل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[1] وأحاديث أخرى في هذا المعنى صحيحة كحديث: «**خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين، فحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم فاتخذوا معي أندادًا**»[2].

الشاهد في قوله: «خلقت عبادي حنفاء» أي: على الدين الحق على الإسلام على الفطرة، قالوا: فهذا المراد من قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في «الجنائز» حديث [١٣٥٩]، ومسلم في «القدر» حديث [٢٦٥٨].

(٢) أخرجه مسلم في «القدر» حديث [٢٨٦٥]، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٦٢)، وأبو داود الطيالسي حديث [١٠٧٩]، والنسائي في «الكبرى»، حديث (٨٠٧٠، ٨٠٧١) من حديث عياض بن حمار.

﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ما قال: أخذ من آدم، المراد بهذا الأخذ: التناسل من آدم وذريته، جيل يأتي بعد جيل وفرد يأتي من فرد وهكذا، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ما هو هذا الإشهاد؟

هو أن الله فطرهم على التوحيد، وأنهم يعترفون بهذا التوحيد -توحيد الربوبية- وإذا آمنوا بتوحيد الربوبية لزمهم القيام بتوحيد الإلهية، هذا بالإضافة إلى إرسال الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وإنزال الكتب تؤكد ما فطرهم عليه، فإذا فطرهم على التوحيد وبعث إليهم الرسل يبشرونهم وينذرونهم، فكذّبوهم قامت عليهم الحجة.

فهذا المراد من الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ قال: من بني آدم وقال: من ظهورهم وقال: ذريتهم قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ ولم يقل من ظهر آدم، وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ولم يقل ذريته.. ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ هذا الإشهاد هل استنطقهم؟ لا، إنما لسان حالهم وواقعهم يشهد عليهم، لأنهم مخلوقون لله مربوبون لله مع اعترافهم في قرارة أنفسهم بأن الله خلقهم وهو ربهم فالمراد بالإشهاد هذا، الشهادة بلسان حالهم وواقعهم ليس بالألسن، قد يشهد بعضهم بلسانه، لكن الغالب أن أكثر الناس كفار، فالشاهد عليهم حالهم وواقعهم وفطرتهم، ويؤكد ذلك بعثة الرسل إليهم فتظافرت الحجج عليهم فلا يبقَ لهم عذر عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهذا المقصود بهذه الأحاديث التي مرت بنا ومقصود الآية التي ذُكرت خلال هذه الأحاديث.

وهناك من يقول: إن الله استخرج ذرية آدم من ظهره، **والمراد بذلك:** استخراج الأرواح، وأن الأرواح مخلوقة قبل الأجسام، وهي محصورة في مكان معين، والله يرسلها

جماعات وأفرادًا إلى أهلها[١] وهذا ليس بصحيح، الصحيح أن الأرواح توجد حينما يوجد الجسد، وهي مخلوقة بعد الجسد.

كما في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أخبرنا الصادق المصدوق، أنه يكون أحدكم في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد»[٢].

فالروح توجد بعد الجسد في هذه الحال بعد الأطوار المذكورة في الحديث، النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم تأتي المرحلة الرابعة وهي نفخ الروح فيه، يرسل الله ملكًا فينفخ فيه الروح، فيؤمر بكتب أربع كلمات، بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، هذا هو الصواب، أن الروح مخلوقة بعد الجسد، وفي وقت معين وبعد أن يمر الإنسان بأطوار في بطن أمه.

وحديث مسح الله على ظهر آدم واستخرج منه ذريته لا يدل على أن الأرواح وُجدت واستقرت، وأنها موجودة في مواضع معينة ثم الله يرسلها، هي موجودة من زمان وناطقة وكذا ثم يرسلها عند خلق الأجنة، هذا ليس بصحيح.

كذلك الإشهاد الذي يصوره بعض الناس أنه حصل في ذلك الوقت حين الاستخراج وأشهدهم على أنفسهم ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠] هذا لم يثبت

(١) انظر: «الروح» لابن القيم، ص: (١٠٩-١١٠)، ص: (١٥٦-١٧٢).

(٢) **متفق عليه**، أخرجه البخاري في «بدء الخلق» حديث [٣٢٠٨]، ومسلم في القدر حديث [٢٦٤٣] من حديث عبد الله بن مسعود بلفظ: حدثنا...إلخ.

في الحديث، **والثابت:** هو الذي ذكرته الآية، **والمراد به:** أن الله فطرهم على ذلك وأن لسان حالهم ينطق بذلك.

وقد ورد في القرآن ما يدل على نحو هذا، ألا وهو قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، فهم لا يشهدون بألسنتهم على أنفسهم بالكفر، وإنما واقعهم ولسان حالهم، فكذلك هذا الإشهاد المذكور في الآية أن الله خلقهم شاهدين بحالهم وبعضهم بمقالهم، هذا خلاصة ما يمكن أن يقال في هذا الدرس.

ثم لا يفهم الإنسان من أن الله أجبر الناس بأن هذا سعيد وهذا شقي، أن هذا مجبور على أعمال الشقاء، وهذا مجبور على أعمال السعادة ليس الأمر كذلك، وإنما الله علم من يطيعه ويسلك طريق السعادة، فوضعهم في يمينه، هذا النوع الذين إذا جاءتهم الرسل صدقوهم وأطاعوهم واتبعوهم، عَلِمَ الله حالهم من ذلك الوقت، وهؤلاء الذين كذَّبوا الرسل وعاندوهم وكفروا بهم، علم الله حالهم من ذلك الوقت فهم أهل الشقاء.

قد يفهم بعض الناس الجبر من هذه الأحاديث وليس الأمر كذلك، معنى ذلك: أن الله علم أحوالهم -فيما سيأتي- فميز بين من يطيع الرسل أو يعصيهم، ويُكذِّبهم هذا معنى الأحاديث.

ساق الإمام ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٤٣٣-٤٣٨) قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٤].

ثم قال: «يخبر تَعَالَىٰ أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تَعَالَىٰ فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل مولود يولد على الفطرة** -وفي رواية: **على هذه الملة- فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**».

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يقول الله تَعَالَىٰ: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم**».

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، أخبرني السري بن يحيى: أن الحسن بن أبي الحسن حدثهم، عن الأسود بن سريع من بني سعد، قال: غزوت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربع غزوات، قال: فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة، فبلغ ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاشتد عليه، ثم قال: «**ما بال أقوام يتناولون الذرية؟**» قال رجل: يا رسول الله، أليسوا أبناء المشركين؟ فقال: «**إِنَّ خِيَارَكُم أَبنَاءُ المُشرِكِينَ، أَلا إِنَّهَا لَيسَت نَسَمَةٌ تُولَدُ إلا وُلِدَت عَلَى الفِطرَةِ، فَمَا تَزَالُ عَلَيهَا حَتَّى يَبِينَ عَنهَا لِسَانُهَا، فَأَبَوَاهَا يُهَوِّدَانِهَا أَو يُنَصِّرَانِهَا**» قال الحسن: والله لقد قال الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ

أَنفُسِهِمْ ﴾ ... الآيَةَ» وقد رواه الإمام أحمد، عن إسماعيل بن علية، عن يونس بن عبيد، عن الحسن البصري به.

وأخرجه النسائي في «سننه» من حديث هُشَيم، عن يونس بن عبيد، عن الحسن قال: حدثنا الأسود ابن سَرِيع، فذكره، ولم يذكر قول الحسن البصري واستحضاره الآية عند ذلك.

وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وتمييزهم إلى أصحاب اليمين و[إلى] أصحاب الشمال، وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله ربهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا حَجَّاج، حدثنا شُعبة، عن أبي عمران الجَوني، عن أنس ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديًا به؟ قال: فيقول: نعم. فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم ألا تشرك بي شيئًا، فأبيت إلا أن تشرك بي**». أخرجاه في الصحيحين، من حديث شعبة، به.

حديث آخر: وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا جرير - **يعني**: ابن حازم - عن كلثوم بن جابر عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **بنعمان، يعني: عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه، ثم كلمهم قبلًا قال:** ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ الْمُبْطِلُونَ ﴾.

وقد روى هذا الحديث النسائي في «كتاب التفسير» من سننه، عن محمد بن عبد الرحيم -صاعقة- عن حسين بن محمد المروزي، به، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث حسين بن محمد به، إلا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفًا.

وأخرجه الحاكم في «مستدركه» من حديث حسين بن محمد وغيره، عن جرير بن حازم، عن كلثوم بن جَبر، به، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبير» هكذا قال، وقد رواه عبد الوارث، عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، فوقفه وكذا رواه إسماعيل بن علية ووَكِيع، عن ربيعة بن كلثوم، عن جبير، عن أبيه، به.

وكذا رواه عطاء بن السائب، وحبيب بن أبي ثابت، وعلي بن بَذِيمة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله، وكذا رواه العَوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس فهذا أكثر وأثبت. والله أعلم.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وَكِيع، حدثنا أبي، عن أبي هلال، عن أبي جَمْرَة الضبعي، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أخرج الله ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ من ظهره كهيئة الذر، وهو في آذى من الماء».

وقال أيضًا: حدثنا علي بن سهل، حدثنا ضَمرَة بن ربيعة، حدثنا أبو مسعود عن جُوبير قال: مات ابن للضحاك بن مُزَاحِم، وهو ابن ستة أيام. قال: فقال: يا جابر، إذا أنت وضعت ابني في لحده فأبرز وجهه وحُلَّ عنه عقده، فإن ابني مُجلَس ومسئول، ففعلت به الذي أمر، فلما فرغت قلت: يرحمك الله، عمَّ يُسأل ابنك؟ من يسأله إياه؟ قال: يُسأل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم.

قلت: يا أبا القاسم، وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم؟ قال: حدثني ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خلقها إلى يوم القيامة، فأخذ منهم الميثاق: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وتكفل لهم بالأرزاق، ثم أعادهم في صلبه، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطي الميثاق يومئذ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به لم ينفعه الميثاق الأول، ومن مات صغيرًا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة.

فهذه الطرق كلها مما تقوِّي وَقف هذا على ابن عباس. والله أعلم».

ثم قال في (٦/ ٤٤٧-٤٤٨) بعد أن ساق عددًا من الأحاديث والآيات: «فهذه الأحاديث دالة على أن الله عَزَّوَجَلَّ استخرج ذرية آدم من صلبه، وميَّز بين أهل الجنة وأهل النار، وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم، فما هو إلا في حديث كلثوم ابن جبر عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وفي حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقد بيَّنا أنهما موقوفان لا مرفوعان، كما تقدم.

ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فَطرهم على التوحيد، كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن حمَار المُجَاشعي، ومن رواية الحسن البصري عن الأسود بن سَرِيع، وقد فسر الحسن البصري الآية بذلك، قالوا: ولهذا قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ ولم يقل: من آدم، ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل: من ظهره ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: جعل نسلهم جيلًا بعد جيل، وقرنًا بعد قرن، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢] وقال: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

ثـم قال: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أي: أوجدهم شـاهدين بذلك، قائلين له حالًا وقالًا.

والشهادة تارة تكون بالقول، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠] ... الآية، وتـارة تكون حالًا كما قال تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧] أي: حالهـم شـاهد عليهم بذلـك لا أنهم قائلون ذلك، وكذلـك قولـه تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: ٧] كـما أن السـؤال تـارة يكـون بالقال، وتارة يكون بالحال، كما في قوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤] قالـوا: ومما يدل على أن المراد بهذا هذا، أن جعل هذا الإشـهاد حجة عليهم في الإشراك، فلو كان قد وقع هذا كما قاله من قال لكان كل أحد يذكره، ليكون حجة عليه.

فـإن قيل: إخبار الرسـول به كافٍ في وجوده، فالجـواب: أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسـل من هذا وغيره، وهذا جعل حجة مسـتقلة عليهم، فـدل عـلى أنه الفطرة التي فُطِروا عليها من الإقرار بالتوحيـد، ولهذا قال: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ أي: لئلَّا يقولوا يـوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ أي: عن التوحيد ﴿غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا﴾... الآية».

وقـال الإمـام ابن القيم في «شـفاء العليـل» (ص٧٧-٧٨) بعد أن سـاق نحوًا من الأحاديـث والآيـات التـي أوردها الإمـام الآجري: «فهـذه الآثار وغيرها تـدل على أن الله سُبْحَانَهُ قـدر أعـمال بنـي آدم وأرزاقهم وآجالهم وسـعادتهم وشـقاوتهم عقيب خلق أبيهـم، وأراهـم لأبيهـم آدم صورهم وأشـكالهم وحلاهم، وهـذا -والله أعلم- أمثالهم وصورهم.

وأما تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ ... الآيَة، به ففيه ما فيه، وحديث عمر لو صحَّ لم يكن تفسيرًا للآية، وبيان أن ذلك هو المراد بها، فلا يدل الحديث عليه، ولكن الآية دلت على أن هذا الأخذ من بني آدم لا من آدم، وأنه من ظهورهم لا من ظهره وأنهم ذرياتهم أمة بعد أمة وأنه إشهاد تقوم به عليهم الحجة له سُبْحَانَهُ فلا يقول الكافر يوم القيامة: كنت غافلًا عن هذا، ولا يقول الولد المشرك: أشرك أبي وتبعته، فإن ما فطرهم الله عليه من الإقرار بربوبيته وأنه ربهم وخالقهم وفاطرهم حجة عليهم.

ثم دلَّ حديث عمر وغيره على أمر آخر لم تدل عليه الآية، وهو القدر السابق والميثاق الأول وهو سُبْحَانَهُ لا يحتج عليهم بذلك، وإنما يحتج عليهم برسله وهو الذي دلت عليه الآية، فتضمنت الآية والأحاديث إثبات القدر والشرع وإقامة الحجة والإيمان بالقدر فأخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سُئل عنها بما يحتاج العبد إلى معرفته والإقرار به معها وبالله التوفيق».

وقال: في كتابه «الروح» (٢٢٥-٢٢٦): «ونظم الآية إنما يدل على هذا[(١)] من وجوه متعددة:

أحدها- أنه قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ ولم يقل: آدم، وبنو آدم غير آدم.

الثاني- أنه قال: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل: ظهر، وهذا بدل بعض من كل أو بدل اشتمال وهو أحسن.

الثالث- أنه قال: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ولم يقل ذريته.

---

(١) إشارة إلى أن الميثاق إنما هو ما فطرهم الله عليه من التوحيد.

الرابع- أنه قال: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي: جعلهم شاهدين على أنفسهم فلابد أن يكون الشاهد ذاكرًا لما شهد به، وهو إنما يذكر شهادته بعد خروجه إلى هذه الدار لا يذكر شهادة قبلها.

الخامس- أنه سُبْحَانَهُ أخبر أن حكمة هذا الإشهاد إقامة الحجة عليهم لئلَّا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، والحجة إنما قامت عليهم بالرسل والفطرة التي فطروا عليها كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].

السادس- تذكيرهم بذلك لئلَّا يقولوا يوم القيامة ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ ومعلوم أنهم غافلون بالإخراج لهم من صلب آدم كلهم وإشهادهم جميعًا ذلك الوقت، فهذا لا يذكره أحد منهم.

السابع- قوله تَعَالَىٰ: ﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ فذكر حكمتين في هذا التعريف والإشهاد إحداهما: ألا يدعوا الغفلة، **والثانية-** ألا يدعوا التقليد، فالغافل لا شعور له، والمقلد متبع في تقليده لغيره.

الثامن- قوله تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ أي: لو عذبهم بجحودهم وشركهم لقالوا ذلك، وهو سُبْحَانَهُ إنما يهلكهم لمخالفة رسله وتكذيبهم، فلو أهلكهم بتقليد آبائهم في شركهم من غير إقامة الحجة عليهم بالرسل لأهلكهم بما فعل المبطلون، أو أهلكهم مع غفلتهم عن معرفة بطلان ما كانوا عليه، وقد أخبر سُبْحَانَهُ أنه لم يكن ليهلك القرى بظلم وأهلها غافلون، وإنما يهلكهم بعد الإعذار والإنذار.

التاسع- أنه سُبْحَانَهُ أشهد كل واحد على نفسه أنه ربه وخالقه، واحتج عليهم بهذا الإشهاد في غير موضع من كتابه كقوله تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١] **أي:** فكيف يصرفون عن التوحيد بعد هذا الإقرار منهم أن الله ربهم وخالقهم؟

وهذا كثير في القرآن، فهذه هي الحجة التي أشهدهم على أنفسهم بمضمونها وذكرتهم بها رسله بقوله تَعَالَى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، فالله تَعَالَى إنما ذكرهم على ألسنة رسله بهذا الإقرار والمعرفة، ولم يذكرهم قط بإقرار سابق على إيجادهم ولا أقام به عليهم حجة.

العاشر- أنه جعل هذا آية وهي الدلالة الواضحة البينة المستلزمة لمدلولها بحيث لا يتخلف عنها المدلول، وهذا شأن آيات الرب تعالى، فإنها أدلة معينة على مطلوب معين مستلزمة للعلم به، فقال تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ **أي:** مثل هذا التفصيل والتبيين نفصل الآيات لعلهم يرجعون من الشرك إلى التوحيد ومن الكفر إلى الإيمان.

وهذه الآيات التي فصلها هي التي بيَّنها في كتابه من أنواع مخلوقاته وهي آيات أفقية وحسية، آيات في نفوسهم وذواتهم وخلقهم، وآيات من الأقطار والنواحي مما يحدثه الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى مما يدل على وجوده ووحدانيته وصدق رسله، وعلى المعاد والقيامة، ومن أبينها ما أشهد به كل واحد على نفسه من أنه ربه وخالقه ومبدعه وأنه مربوب مخلوق مصنوع حادث بعد أن لم يكن، ومحال أن يكون حدث بلا محدث أو يكون هو المحدث لنفسه، فلابد له من موجد أوجده ليس كمثله شيء، وهذا الإقرار والمشاهدة فطرة فطروا عليها ليست بمكتسبة.

وهذه الآية وهي قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ مطابقة؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل مولود يولد على الفطرة**»، ولقوله تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ [الرُّومِ: ٣٠-٣٣]»[1].



(١) انظر هذا البحث في «أحكام أهل الذمة» للإمام ابن القيم (٢/ ٥٢٣-٥٩٩).

الأسئلة

سؤال: شيخنا حفظكم الله، يقول السائل: كيف الجمع بين حديث أبي موسى: «إن الله رفع كل طيب بيمينه وكل خبيث بشماله»[(١)]، وحديث ابن عمر: «وكلتا يديه يمين»[(٢)].

جواب: لا تعارض بينهما والراجح -والله أعلم- عدم ذكر الشمال، إذ الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما «وكلتا يديه يمين»، هناك رواية في مسلم[(٣)] فيها ذكر الشمال، ورجحوا[(٤)] عليها الحديث المتفق عليه[(٥)] وكلتا يديه يمين، يعني: أخذ الله السموات بيمينه وأخذ الأرض بيده الأخرى فالثابت: «وكلتا يديه يمين» والثابت: «بيده الأخرى» بدون وصف الشمال وحديث الشمال ضعيف، والضعيف لا يعارض الصحيح هذه قاعدة.

سؤال: شيخنا حفظكم الله، يقول السائل: هل هناك دليل على أن الأموات لا يسمعون توسلات المتوسلين؟

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم في صفة القيامة حديث [٢٧٨٨]، من طريق عمر بن حمزة عَن سَالِمِ بنِ عَبدِ الله، أَخبَرَنِي عَبدُ الله بنُ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**يَطوِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ السَّمَوَاتِ يَومَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَينَ الجَبَّارُونَ؟ أَينَ المُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ يَطوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَينَ الجَبَّارُونَ؟ أَينَ المُتَكَبِّرُونَ؟**».

(٤) انظر «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ١٣٩).

(٥) أخرجه البخاري في «التوحيد»، حديث [٧٤١٢]، ومسلم في «صفة القيامة» حديث [٢٧٨٨]، ولفظه عنده: عَن عُبَيدِ الله بنِ مِقسَم، أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى عَبدِ الله بنِ عُمَرَ كَيفَ يَحكِي رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَأخُذُ الله عَزَّوَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيهِ، فَيَقُولُ: أَنَا الله - وَيَقبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبسُطُهَا- أَنَا المَلِكُ**» حَتَّى نَظَرتُ إِلَى المِنبَرِ يَتَحَرَّكُ مِن أَسفَلِ شَيءٍ مِنهُ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

جواب: آيات جاءت في هذا ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]. ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، جاءت أحاديث ضعيفة أنهم يسمعون سلام الموتى وأن الميت يعرف صديقه كلها ضعيفة، واقرأوا في هذا الموضوع البحث القيم: الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات للآلوسي قدم لها وحققها الشيخ الألباني رَحِمَهُمَاٱللَّهُ وهو كتاب قيم والمقدمة قيمة جدًّا، وهذا يقطع الطريق على أهل الضلال، البدع تنشأ عن الأحاديث الضعيفة وتنشأ من الهوى.

فهناك أحاديث ضعيفة يتعلق بها أهل الضلال يزعمون أنهم يسمعون دعاءهم وهم يطلبون الله عَزَّوَجَلَّ ويشفعون في تحقيق مطالبهم، فالقرآن يحسم هذه الفتنة ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ما معناه؟ معناه أنهم ما يسمعون، شبَّه الله الكفار بالموتى، فالكفار لا يسمعون الحق مثل الأموات ما يسمعون لا حق ولا باطل ما علاقة هذا الميت بالدنيا هل هو جالس في قبره يستقبل الطلبات يرفعها إلى الله عَزَّوَجَلَّ، هل يصيرون نوابًا عن الله عَزَّوَجَلَّ !! تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

سؤال: شيخنا حفظكم الله، يقول السائل: عند قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «نور أنَّى أراه» هل هو اسم أو صفة، وهل تجوز التسمية بهذا الاسم؟

جواب: النور هنا هو الحجاب، فمعناه أن هذا الحجاب -وهو النور- حال بين الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبين رؤيته لربه تَعَالَىٰ، هذا معنى الحديث «**نور أنَّى أراه**»[1] وتقدم الكلام على إثبات رؤية الأنبياء والمؤمنين لربهم في الدار الآخرة.

بعض الناس يعني كتب في الأسماء الحسنى فاعتمدوا الآية ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، ومثل هذا الحديث، وقالوا: من أسمائه النور، والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم في «الإيمان»، [١٧٨]، من حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

سؤال: حفظكم الله، يقول السائل: إذا أشهد بني آدم وفطرهم الله بذلك على التوحيد، فهل بقي لهم من عذر في أمور التوحيد؟

جواب: **يعني**: لابد من بعث الرسل، الله فطرهم على التوحيد هذه من الحجج عليهم وبعث إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من عدله وفضله ورحمته لم يكتف بهذه الفطرة، فأرسل الرسل وأنزل الكتب أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، بعض الناس يسلكون مسالك المعتزلة من حيث لا يدرون، وهم أتوا من فهم هذه الآية.

المعتزلة يقولون: يكفي العقل لإقامة الحجة وهذا خلاف الحق، فإنه لا تثبت الأحكام بمجرد العقل، فإن التحسين والتقبيح موجود في الفطر، ولكن لا يكتفى بمجرد إدراك الإنسان للحسن والقبح، الكفر قبيح والمعاصي قبيحة وقتل النفس قبيح ويدرك الناس بفطرهم قبحها، لكن الثواب والعقاب لا يترتب إلا على بعثة الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولا تقوم الحجة إلا ببعثتهم فيكون عندهم فطرة وعندهم بعثة الرسل وإنزال الكتب تضافرت الحجج عليهم.

نعم، يقول الله في القرآن الحكيم: ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴾ [الملك: ٨ - ٩] هناك آيات أخرى كذلك، منها قوله تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الزمر: ٧١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥]، فترى اللوم والتوبيخ والتأنيب يأتي عليهم ببعثة الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا بالفطرة.

يقول الله سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] حتى لو كان يدرك، يدرك أن هذا حق وهذا باطل ويدرك هذا خير وهذا شر وهذا حسن وهذا قبيح، لكن الله بعدله ورحمته لا يكتفي بهذا حتى يرسل الرسل، فلا يبقى للإنسان بعد هذا عذر؟!

سؤال: شيخنا حفظك الله، يقول السائل: هل أرواح الأموات تتزاور وتتلاقى؟

جواب: الله أعلم، الثابت في الأحاديث الصحيحة أن أرواح المؤمنين تسرح في الجنة حيث شاءت، وأرواح الشهداء في حواصل طير خضر معلقة بالعرش وهي تسرح في الجنة[1].

إن شاء الله تدخل في قوله: «**أرواح المؤمنين تسرح في الجنة حيث شاءت**»[2] والأنبياء من باب أولى وأرواح الأنبياء في الجنة وليست في القبور؛ لأن بعضهم يزعم أن روح الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القبر حتى يتبركوا به ويستغيثوا به.

هل أرواح المؤمنين في الجنة وروح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجونة في القبر على حد زعمهم، نسأل الله العافية.

وكون أرواح الأنبياء والمؤمنين منعمة في الجنة، وأرواح الكفار في سجين معذبة لا يمنع أن ينال هذا النعيم، وهذا العذاب الأجساد في القبور لعلاقة بين الأرواح والأجساد لا يعلمها إلا الله.

---

(١) كما في «صحيح مسلم» في «الإمارة»، حديث [١٨٨٧] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) روى مالك في «الموطأ» (١/ ٢٤٠)، برقم [٥٦٨]، وأحمد (٣/ ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٦٠)، والنسائي في «الجنائز»، حديث [٢٠٧٣]، وابن ماجه في «الزهد»، حديث [٤٢٧١]، وابن حبان في «صحيحه» (١٠/ ٥١٣)، برقم [٤٦٥٧]، وغيرهم عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: قالت أم مبشر لكعب بن مالك وهو شاكٍ: اقرأ على ابني السلام -تعني: مبشِّرًا-، فقال: يغفر الله لك يا أم مبشر! أولم تسمعي ما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما نسمة المسلم طير تعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله** عَزَّ وَجَلَّ **إلى جسده يوم القيامة**»؟ قالت: صدقت، فأستغفر الله». والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٧٣٠) تحت رقم [٩٩٥].

سؤال: شيخنا حفظكم الله، يقول السائل: قد كثر الكلام في هذه الأيام في الأحداث التي في الساحة من تلاطم الفتن المنهجية والسياسية، فأما الفتن المنهجية فمن أراد الحق فهو جلي واضح، وذلك بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن قيض أمثالكم في إظهار المحجة البيضاء في هذا الزمان، سدد الله خطاكم، ولكن ما النصيحة فيما لو حدث حرب، بيِّنوا لنا الطريق حتى لا نتخبط والله يرعاكم؟

جواب: الطريق الذي يمتلك صواريخ ودبابات يهزم بها أمريكا يتفضل، والذي يتقدم مثل الدجاجة ليذبحوه لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، فإذا كان عندكم والله صواريخ ودبابات وقوات، فوالله ابدؤا بأمريكا قبل أن تأتيكم، وإذا ما عندكم شيء لا يكلف الله إلا وسعها ونسأل الله أن يصرف أمريكا ويردها على أعقابها هي وأحلافها وأن يصرف شرها.

المسلمون ضعفاء في غاية الضعف الآن، أمريكا تفرض ما تريد هذه الدولة المستعمرة ولا قبل للمسلمين بها وبأحلافها، والسبب هم المسلمون في هذا الضعف وهذا الذل وهذا الهوان، فليرجع المسلمون إلى الله وإلى دينه الحق والله يزيل الله عنهم هذا الذل وهذا الضعف.

التسليط هذا تسليط من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سلط عليهم البعثيين، سلط عليهم النصيريين، سلط عليهم اليهود، سلط عليهم المجوس، سلط عليهم النصارى، ويأبى الصوفية إلا المضي بالأمة في طريق الباطل، ويأبى السياسيون إلا المضي بالمسلمين في هذا الطريق المظلم، فلا خلاص لهذه الأمة لا على أيدي الصوفية ولا على أيدي الروافض ولا على أيدي الأحزاب السياسية، وإنما الخلاص برجوعنا إلى كتاب الله وسنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا هو الحل الوحيد.

فإذا ذهبوا يقاومون أمريكا وهم على حالهم السيئ فستحصدهم مثل الدجاج، مثل ما حصل في أفغانستان ما يكفيكم جهاد جهاد جهاد، واندس دعاة الجهاد في الكهوف والجحور إلى الآن لا يدرى أين هم.

والذين هم هنا يحركون الشباب للجهاد واندسوا في الجحور، وما فعلوا أيَّ شيء ينفع هؤلاء، ماذا فعلت بهم القوات الأمريكية؟ أبادوا بعضهم وأسروا بعضهم، إيش عمل هؤلاء الكذبة؟ الآن نفس الشيء **«لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»**(١).

والله لو أن عندنا قوة والله لتصدينا لأعداء الإسلام، بل لغزوناهم في عقر دارهم، نحن ما عندنا قوة، لا قوة إيمان ولا قوة سلاح، طيب الذي يقول لكم جهاد، قولوا له: هات الجيش الموحد وهات الأسلحة، هات لنا صواريخ، هات دبابات، هات أسلحة مماثلة لأسلحة العدو، أما أن نواجههم بأسلحة مثل لعب الأطفال فلا تكون النتيجة إلا ذبح المسلمين مثل ذبح الدجاج، لابد من عقيدة صحيحة وأسلحة متفوقة ترهب عدو الله وعدو المؤمنين، وإلا فالحرب لا تكون إلا لصالحهم، والواقع يشهد بذلك، وذلك لضعف إيمان المسلمين وفساد عقائدهم(٢).

على المسلمين أن يستفيدوا من هذه الدروس التي لقنهم الله إيَّاها لينتبهوا ويعودوا إليه، -والله- لا مخرج لهم إلا بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله «حتى ترجعوا إلى دينكم» هذا الحل إذا رجعنا إلى دين الله بصدق، يفتح الله لنا أبواب الخير وأبواب النصر

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في «الأدب» حديث [٦١٣٣]، ومسلم في «الزهد» حديث [٢٩٩٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) هذا الكلام قيل في بداية زحف أمريكا ودول أوربا على صدام العراق وحزب البعث، وعندما كان أحزاب الضلال يحرضون الشباب لمواجهة هذه القوى الكافرة، ثم ينـدس هؤلاء المحرضون في الجحور، فكانت النتيجة أن ذُبح كثير من الشباب وسقط نظام البعث، ونسي المحرضون هذا المصير.

وأبـواب العـزة ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧].

هـؤلاء الذين ينادون بالجهـاد كذابون والله يهلكون أبناء المسـلمين وهم وأبناؤهم جالسون في بيوتهم، هل أعددت العدة يا أخي، الله يقول: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠] أين العدة؟ لا تستطيع أن ترهب العدو ولا أن تهزمه.

في العهـد المكـي كان المشركـون يمسـكون الصحابـة ويضربونهـم ويصلبونهم في الشـمس ويتعبونهـم ويقتلـون بعضهـم وبعضهم يـشرد مهاجرًا والرسـول ﷺ يقول: اصبروا، ففي حالة الضعف الصبر، الصبر والتمسك بالإسلام والسير في الطريق الصحيـح ما هو الصبر عـلى الذل وفقط، انظر المخرج من هذه الدوامة التي أوقعك فيها أهـل الضـلال وأهل الشر والفتـن، والذين لا يريدون لك خـيرًا لا في دنيا ولا في آخرة، هؤلاء لو كانوا يريدون للمسلمين خيرًا في دينهم ودنياهم لقالوا: تبنا إلى الله ورجعنا إلى كتاب الله وسـنة الرسـول، والله نحن عطلنا صفات الله، والله نحـن نقول بالحلول، والله يقـول بعضنا بوحدة الوجود، بعضنا واقـع في الشرك بالله، والله الآن تبنا إلى الله، لأن الله مـا سـلط علينا هـؤلاء الأعداء إلا بسـبب مخالفتنـا لمنهـج الله عَزَّوَجَلَّ ولدينه الحـق فعلينا أن نرجـع ونصـدق رسـول الله في قولـه: «**حتـى ترجعـوا إلى دينكـم**» ونمتثـل أمر الله ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

فتعالوا ندع أسـباب الذل وأسـباب الهوان وأسـباب الفشـل ونجتمع على أسباب العزة والكرامة والأسباب التي تجلب لنا العزة في الدنيا والآخرة والنصر في الدنيا والآخرة

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر: ٥١] النصر والله لأوليائه في الدنيا والآخرة.

عن زَيْنَبَ بِنتِ جَحشٍ أَنَّ النبي ﷺ استيقظ من نَومِهِ وهو يقول: «**لَا إِلَهَ إلا الله، وَيْلٌ لِلعَرَبِ من شَرٍّ قد اقتَرَبَ، فُتِحَ اليَومَ مِن رَدمِ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ مِثلُ هذه**، -وَعَقَدَ سُفيَانُ بيده عَشَرَةً-»، قلت: يا رَسُولَ الله أَنَهلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قال: «**نعم إذا كَثُرَ الخَبَثُ**»[1].

يوجد صالحون لكنهم قليل.

الخبث أكثر ويأتي الهلاك، الهلاك بالجوائح والبوائق وعلى أيدي الأعداء.

فالذي يقول لكم الجهاد، قولوا له والله نتمنى الجهاد من أعماق نفوسنا لكن ارجع أنت وأمثالك إلى دين الله الحق أولًا، ثم هات الأسلحة وهات القوة وهات القيادات الإسلامية الصحيحة.

والله كنت لما أذكر قضية أفغانستان أبكي أحيانًا ورب السماء على هؤلاء الشباب، يعني: لو ربوا على الدين الإسلامي نفع الله بهم الإسلام والمسلمين، هم محاصرون والكفار يقتلون فيهم وأخذوا نساءهم وأسروهم وباعوهم في الأسواق، وذهب النساء بهمن في الوديان والجبال، حالة مؤلمة مخزية، أين أنتم يا دعاة الجهاد؟ هبوا لتخليص هؤلاء المساكين من الحصار والأسر والقتل.

أينك يا أيمن الظواهري؟ وأينك يا أسامة بن لادن؟ وأينكم يا دعاة الجهاد؟، لقد أسروا الكثير من الشباب ومروا بهم فوق رؤوسكم فماذا قدمتم لهؤلاء وللإسلام والمسلمين غير زيادة الذل والهوان؟ وما زاد أعداء الإسلام إلا عتوًّا وكبرياء وغطرسة،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في «أحاديث الأنبياء» حديث [٣٦٤٦]، ومسلم في كتاب «الفتن» حديث [٢٨٨٠] من حديث أم المؤمنين زينب بنت جحش.

ولو كنتم ومن وراءكم على منهج الله الحق لنصركم الله وأعزكم وهزم أعداء الله وأذلهم، فعـودوا إلى الله بصـدق وإخلاص، وأعدوا العـدة التي ترهب عـدو الله وعدوكم وهي العقيدة الصحيحة والسـلاح القوي، وحينئذ يكون نصر الله مضمونًا لكم ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وعد من الله لا يخلف.





[٣٤١] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي قال: حدثنا عبد الله بن وهب قال: حدثنا أبو هانئ عن أبي عبد الرحمن الحبلي - عبد الله بن يزيد - عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «فرغ الله عَزَّوَجَلَّ من مقادير الخلق، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»(١).

[٣٤٢] حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري قال: حدثنا يونس ابن عبد الأعلى قال: أخبرنا عبد الله بن وهب قال: أخبرني أبو هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقول: كتب ربكم مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء»(٢).

---

(١) صحيح، أخرجه مسلم في «القدر» حديث [٢٦٥٣]، وأحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٩) والترمذي في أبواب القدر حديث [٢١٥٦]، رجاله ثقات غير أبي هانئ حميد بن هانئ الخولاني، قال بعضهم: ليس به بأس، ومنهم الحافظ ابن حجر، وقال بعضهم: ثقة، ومنهم الدارقطني وابن حبان وابن شاهين والذهبي.

(٢) صحيح، رجال إسناده ثقات، وعرفت الكلام في حميد بن هانئ أبي هانئ.

[٣٤٣] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا صفوان بن صالح قال: حدثنا الوليد ابن مسلم قال: حدثنا ابن لهيعة عن أبي هانئ عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «كتب الله عَزَّوَجَلَّ مقادير الخلائق، وعرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»(١).

[٣٤٤] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو مروان عبد الملك بن حبيب قال: حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان ابن محرز عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أتيت رسول الله ﷺ فجاءه نفر من أهل اليمن، فقالوا: أتيناك يا رسول الله لنتفقه في الدين، نسألك عن أول هذا الأمر، قال: «كان الله عَزَّوَجَلَّ ولم يك شيء، وكان عرشه على الماء، ثم كتب في الذكر كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض»(٢).

أورد المصنف في هذا الباب حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وحديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لإثبات علم الله الأزلي الذي لا بداية له، والذي أحاط بكل شيء علمًا من الأزل إلى أبد الآباد.

وأن الله قد كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء، أي: أن العرش كان قد خلقه قبل

---

(١) في إسناده ابن لهيعة وهو ممن اختلط، لكن يقويه ما قبله.

(٢) في إسناده أبو مروان عبد الملك بن حبيب، قال فيه الحافظ: «مقبول»، لكن الحديث صحيح، رواه البخاري في «بدء الخلق»، حديث [٣١٩١]، قال حدثنا عمر بن حفص بن غياث: حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا جامع بن شداد به مطولًا، وفيه: «كان الله ولم يكن شيء غيره»، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٣١) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن جامع بن شداد نحوه، وفيه: «وكتب في اللوح ذكر كل شيء».

كتابة مقادير الخلائق، كما في حديث عبد الله بن عمرو، وفي حديث عمران أن هذه الكتابة كانت قبل خلق السموات والأرض، ولم يذكر المدة الطويلة التي وردت في حديث عبد الله بن عمرو.

لكن الحديثين يدلان على أن العرش كان موجودًا حين الكتابة، ويرى الإمامان ابن تيمية وابن القيم أن العرش وُجِدَ قبل القلم الذي أُمر بكتابة المقادير، ويريان أن القلم أُمر بالكتابة حين وجوده، ووجوده كان بعد وجود العرش. والله أعلم.






الإيمان بما جرى به القلم مما يكون أبدًا

[٣٤٥] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو مروان هشام بن خالد الأزرق الدمشقي قال: حدثنا الحسن بن يحيى الخشني عن الحسين أبي عبد الله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن أول شيء خلق الله عَزَّوَجَلَّ القلم، ثم خلق النون وهي الدواة، ثم قال: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما يكون وما هو كائن من عمل أو أثر أو رزق أو أجل، فكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، فذلك قوله عَزَّوَجَلَّ ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ثم ختم على القلم، فلم ينطق، ولا ينطق إلى يوم القيامة»[1].

[٣٤٦] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا زيد بن الحباب قال: حدثنا معاوية بن صالح قال: حدثني أيوب - أبو زيد الحمصي- عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه أنه دخل على أبيه عبادة وهو مريض يرى فيه الموت، فقال: يا أبت، أوصني واجتهد، ثم قال: اجلس، ثم قال: إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تؤمن بالقدر، خيره وشره، قلت: كيف

(١) إسناده ضعيف، فيه الحسن بن يحيى الخشني، قال الحافظ ابن حجر: «صدوق كثير الغلط»، وقال الذهبي: «وهاه جماعة»، وقال دحيم وغيره: «لا بأس به»، والكلام فيه كثير، راجع «تهذيب التهذيب» (٢/ ٣٢٦-٣٢٧).

لي أن أعلم خيره وشـره ؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ما أصابك لم يكـن ليخطئك، سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «أول شـيء خلقه الله القلم، فقال له: اجر، فجرى تلك الساعة إلى يوم القيامة بما هو كائن، فإن مت وأنت على غير ذلك دخلت النار»(١).

[٣٤٧]وحدثنـا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شـاهين قـال: حدثنا عبد الله بن عمـر الكـوفي قـال: حدثنا إسـحاق بـن سـليمان عن معاويـة بن يحيى عـن الزهري عـن محمـد بن عبـادة بن الصامت قـال: دخلت على أبي فقـال: أي بني، إني سمعت

....

(١) إسـناده ضعيـف، فيه أيوب بـن زياد، ذكره ابن أبي حاتم في «الجـرح والتعديل» (٢/ ١٤٧)، ولم يذكر فيـه جرحًـا ولا تعديلًا، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٦/ ٥٨)، وأورده الحافظ ابن حجر في «لسـان الميزان» (١/ ٤٨١)، وقال: «قال ابن القطان لا يعرف، وحسَّن ابن المديني حديثه».
وفي هذا الإسناد معاوية بن صالح: صدوق له أوهام، وقال الذهبي: «صدوق إمام».
وفيه زيد بن الحباب، قال الحافظ فيه: «صدوق يخطئ»، وقال الذهبي: «لم يكن به بأس، قد يهم».
وهـذا الحديـث رواه ابن أبي عاصم حديـث [١٠٧] من طريق زيد بن الحباب عـن معاوية بن صالح عن أيوب الحمصي، وهو أيوب بن زياد الحمصي نفسه، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣١٧) من طريـق ليـث عن معاوية عن أيوب بن زياد بـه: «إن أول ما خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ القلم، ثم قال: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة».
وأخرجـه الترمذي في القدر، حديث [٢١٥٥] من طريق أبي داود الطيالسي، قال: حدثنا عبد الواحد ابـن سـليم عن عطاء بـن أبي رباح عن الوليد بن عبـادة، وفيه: «اكتب القدر مـا كان وما هو كائن إلى الأبد»، وفي هذا الإسـناد عبد الواحد بن سـليم قال فيه الحافظ ابن حجر: «ضعيف»، وقال الذهبي: «ضعَّفـوه»، وقـال أحمـد: «أحاديثه موضوعـة»، وصحح الترمذي لـه، وقال الترمـذي عقبه: «وهذا حديث غريب من هذا الوجه»، ونبه المحقق للترمذي على اختلاف النسخ وقال إن في بعضها: «حسن صحيح غريب».
ونقـل عن الإمـام أحمد أنه قال: «حديثه منكـر وأحاديثه موضوعة»، وعن العقيـلي أنه قال: «مجهول، وحديثـه غـير محفـوظ، ولا يتابـع عليه»، وقـال البخاري: «فيـه نظـر»، وضعَّفه ابن معين والنسـائي ويعقوب بن سفيان والذهبي وابن حجر.

رسـول الله ﷺ يقـول: «إن أول شـيء خلقـه الله عَزَّوَجَلَّ القلـم، فقـال: اكتـب، قـال: ومـا أكتـب؟ قال: اكتـب القدر، فجرى تلك السـاعة بما هـو كائن إلى يوم القيامة»(١).

[٣٤٨] أخبرنـا أبـو عبيـد علـي بـن الحسـين بـن حـرب القاضـي قـال: حدثنا أبـو الأشـعث أحمد بن المقـدام العجلي قال: حدثنا المعتمر بن سـليمان قال: حدثنا عصمـة أبـو العاصم عن عطاء بن السـائب عن مقسـم عن ابـن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إن أول مـا خلـق الله عَزَّوَجَلَّ مـن شـيء القلم، فخلقه مـن هجاء، فقـال: قلم؟ فتصور قلمًـا من نور، ظله ما بين السـماء والأرض، فقال: اجـر في اللوح. قال: يا رب، بماذا؟ قـال: بمـا يكـون إلى يوم القيامة، فلمـا خلق الله عَزَّوَجَلَّ الخلـق وكل بالخلق حفظة يحفظون عليهم أعمالهم، فإذا كان يوم القيامة عرضت عليهم أعمالهم.

فقيـل: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٩] أي: من اللوح المحفوظ، قال: فعورض بين الكتابين فإذا هما سواء(٢).

[٣٤٩] وحدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شـاهين قال: حدثنا أبو هشـام الرفاعـي، قـال: حدثنـا محمد بن فضيـل قال: حدثنـا عطاء عن أبـي الضحى عن

....

(١) ضعيف، في إسناده عِلَّتان: محمد بن عبادة: لا يعرف، ومعاوية بن يحيى الصدفي: ضعيف أيضًا، ولعله جعل في الإسناد محمد بن عبادة بدل الوليد بن عبادة.

(٢) إسـناده ضعيـف، فيه عصمـة أبو عاصم لا يعرف، وفي «ذيل الميـزان» للعراقي (ص٣٥٦) عصمة بن عبد الله عن إسرائيل عن الأعمش، قال العراقي: «قال عبد الحق: عصمة ضعيف»، فقد يكون عصمة أبو عصام هو هذا، وعلى كل فهذا الإسناد ضعيف، وفيه عطاء بن السائب: صدوق اختلط.

وروى هذا الأثر ابن بطة في «الإبانة الكبرى» أثر [١٣٨٣] من طريق المعتمر بن سليمان حدثنا عصمة أبو عصام عن عطاء بن السائب به.

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أول ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ القلم، فقال: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم خلق النون، وكبس على ظهره الأرض، فذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[1].

[٣٥٠] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا منجاب بن الحارث قال: أخبرنا ابن مسهر، عن الأعمش عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: إن أول ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ القلم، فقال له اكتب، قال: رب وما أكتب؟ قال: اكتب القدر، فجرى بما يكون في ذلك إلى أن تقوم الساعة وكان عرشه على الماء، ثم رفع بخار الماء ففتقت منه السموات، ثم خلق النون، فدحيت الأرض على ظهر النون، فتحرك النون فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال، وإنها لتفخر عليها[2].

[٣٥١] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو مروان عبد الملك بن حبيب المصيصي قال: حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن سفيان - يعني: الثوري- عن أبي هشام[3] عن مجاهد قال: قيل لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن هاهنا قومًا يقولون في القدر، فقال: إنهم

---

(١) إسناده ضعيف، فيه عطاء بن السائب: صدوق اختلط، وفيه أبو هشام الرفاعي: ضعيف، ضعَّفه النسائي في «الضعفاء» رقم [٥٧٨] وأبو حاتم (٢/ ١٢٩)، وقال الحافظ في «تهذيب التهذيب» (٩/ ٥٢٦)، قال البخاري: رأيتهم مجمعين على ضعفه.

(٢) إسناده صحيح، رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» أثر [٨٧٢] عن أبي ظبيان مختصرًا، وبإسناد آخر عن هشيم أنا منصور - يعني: ابن زاذان- عن الحكم بن عتيبة عن أبي ظبيان، وفيه قوله: «وكان عرشه على الماء» يدل على أن الله خلق العرش قبل القلم، والأدلة كثيرة على هذا.

(٣) الصحيح أن الراوي عن مجاهد هو أبو هاشم، واسمه يحيى بن دينار الرماني الواسطي، قال في التقريب: «ثقة».

انظر: «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٢٦١).

يكذبون بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، لآخذن بشعر أحدهم فلأنصونه، إن الله عَزَّوَجَلَّ كان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئًا، ثم خلق، فكان أول ما خلق القلم، ثم أمره فقال: اكتب، فكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة، وإنما تجري الناس على أمر قد فرغ منه(١).

ساق المؤلف في هذا الباب عددًا من الروايات لبيان وجوب الإيمان بالقدر، وأن الله كتب المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض، فلا يكون شيء في هذا الكون من أقوال أو أفعال أو حياة أو موت أو فقر أو غنى أو حركة أو سكون إلا بمشيئة الله وعلمه، وهي أمور قد كتبها في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، كما تقدم في حديث عبد الله بن عمرو الصحيح.

وهذه هي المرتبة الثانية من مراتب القدر، وإن كانت الأحاديث التي أوردها المؤلف معظمها ضعيف إلا أنها تتعاضد، لا سيما في الباب آيات تدل على أن الله قد كتب مقادير كل شيء مثل قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

---

(١) في إسناده عبد الملك بن حبيب المصيصي، ذكره الذهبي في «الكاشف»، و«تذهيب التهذيب»، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وذكره الحافظ في «تهذيب التهذيب»، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وقال في «التقريب»: «مقبول»، وبقية رجاله ثقات، لكن له متابعة، رواها المصنف من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا وكيع بن الجراح عن سفيان به، إلا أن فيه: «أن الله استوى على عرشه قبل أن يخلق شيئًا»، وهذا يخالف ما نصَّ عليه القرآن من أن الله استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض إلى أدلة كثيرة، فلا يبعد أن هذا الخطأ من نساخ الكتاب. وهذا الأثر رواه ابن بطة في «الإبانة» برقم [١٣٧٨] بإسناد صحيح إلى سفيان به، فهو صحيح إلى ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وقولـه تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢].

ومن السـنة حديث عبـد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كتب الله مقاديـر الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة».



باب ٣٨

الإيمان بأن الله عَزَّوَجَلَّ قدر على آدم المعصية قبل أن يخلقه

[٣٥٢] حدثنا أبو العباس أحمد بن عبد الله بن الصقر السكري قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال: حدثنا عبد الله بن وهب قال: حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: يا رب، أرنا أبانا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة، فأراه الله عَزَّوَجَلَّ آدم، فقال له: أنت آدم ؟ قال: نعم، فقال: أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وعلمك الأسماء كلها، ثم أمر ملائكته فسجدوا لك؟ قال: نعم.

قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ قال له آدم: ومن أنت؟ قال: أنا موسى، قال: نبي بني إسرائيل ؟ أنت الذي كلمك الله عَزَّوَجَلَّ من وراء حجاب، لم يجعل بينك وبينه رسولًا من خلقه؟ قال: نعم.

قال: فهل وجدت في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أن ذلك كائن قبل أن أخلق؟ قال: نعم، قال: فلم تلومني في شيء قد سبق من الله عَزَّوَجَلَّ فيه القضاء قبل أن أخلق؟ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحج آدم موسى».

[٣٥٣] حدثنا أبو بكر عبد الله بن أبي داود قال: حدثنا أحمد بن صالح المصري وأبو الطاهر أحمد بن عمرو قالا: حدثنا عبد الله بن وهب قال: أخبرني هشام بن

....

سـعد عـن زيـد بن أسـلم عن أبيـه أن عمر بن الخطـاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا من الجنة، فأراه الله عَزَّ وَجَلَّ إيـاه. فقـال: أنـت أبونا آدم ؟ فقال له آدم: نعم ؟ قـال: أنت الذي نفخ الله عَزَّ وَجَلَّ فيك من روحه، وعلمك الأسماء كلها، وأمر ملائكته فسجدوا لك ؟ قال: نعم، قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟

قال له آدم: ومن أنت؟ قال: أنا موسـى، قال ؟ أنت نبي بني إسـرائيل؟ أنت الذي كلمك الله من وراء حجاب، ولم يجعل بينك وبينه رسولًا من خلقه؟ قال: نعم، قال: فما وجدت في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ أن ذلك كان في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ قبل أن أخلق؟

قال: نعم، قال: فلم تلومني في شـيء قد سـبق من الله عَزَّ وَجَلَّ فيه القضاء قبلي؟ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحج آدم موسى»[1].

[٣٥٤] حدثنـا الفريابي قال: حدثنا أبو مسـعود أحمد بـن الفرات قال: أخبرنا موسـى بن إسماعيل قال: حدثنا حماد بن سـلمة عن حميد عن الحسـن عن جندب قال: قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احتج آدم وموسـى، فقال موسـى: يا آدم، أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسـجد لك ملائكته، وأسـكنك جنته، وفعلت مـا فعلـت فأخرجت ولدك من الجنة؟ فقال آدم: أنت موسـى الـذي بعثك الله عَزَّ وَجَلَّ

....

(١) في إسـناد هذا الحديث والذي قبله هشـام بن سـعد المدني، قال الحافظ ابن حجر: «صدوق له أوهام»، وقال الذهبي في «الكاشف»: «حسن الحديث»، والأمر كما قال الذهبي، لا سيما في روايته عن زيد بن أسلم، فقد قال أبو داود: «هو أثبت الناس في زيد بن أسلم».
أخرجـه أبـو داود في كتـاب «السـنة»، حديث [٤٧٠٢] من طريق ابن وهب عن هشـام بن سـعد به، وابـن خزيمة في «التوحيد»، ص: [١٤٣]، وابن أبي عاصم في «السـنة» حديث [١٣٧]، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، ص: [١٩٣] كلهم من طريق هشام بن سعد به.

برسـالته، وكلمك وآتاك التوراة، وقربك نجيًّا؟ أنا أقدم أم الذكر؟ فقال رسـول الله ﷺ: فحج آدم موسى»[(١)].

[٣٥٥] وأخبرنـا الفريابـي قـال: حدثنا قتيبة بن سـعيد عن مالـك بن أنس عن أبـي الزنـاد عن الأعرج، عن أبـي هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: «تحاج آدم وموسى، فحج آدم موسى.

فقـال لـه موسـى: أنت الذي أغويت النـاس وأخرجتهم من الجنـة؟ فقال آدم: أنت موسى الذي أعطاك الله عز وجل علم كل شيء، واصطفاك على الناس برسالته؟ قال: نعم، قال: فلم تلومني على أمر قدر عليَّ قبل أن أخلق؟».

[٣٥٦] حدثنـا أبـو بكر عـن أبي داود قـال: حدثنا أحمد بن صالح قـال: حدثنا سـفيان بـن عيينـة، عـن عمرو، عـن طاوس أنـه سمع أبـا هريرة رضي الله عنه يقـول: قال رسـول الله ﷺ: «احتج آدم وموسـى، فقال موسـى: أنت آدم أبونا، أخرجتنا من الجنة وأشـقيتنا؟ فقال له آدم: وأنت موسـى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك -يعني: التـوراة- بيـده، أتلومـني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سـنة؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى»[(٢)].

---

(١) إسـناده صحيـح، وفيه الإمام الحسـن البـصري، وهو على إمامتـه وجلالته نسـب إلى التدليس، لكن الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين»، ص: [٥٦] جعله في الطبقة الثانية، وهم من احتمل الأئمة تدليسهم، وبناء على هذا فالحديث صحيح بهذا الإسناد.
أخرجـه أبـو يعـلى في «مسـنده» (٣/ ٩٠) حديـث [١٥٢١]، وابـن أبي عاصـم في «السـنة» حديـث [١٤٣].

(٢) إسـناد هـذا الحديـث والـذي قبلـه صحيـح، وأخرجـه مالـك في «الموطـأ»، (٢/ ٨٩٨)، والبخاري في «القـدر»، حديـث [٦٦١٤] عـن سـفيان عن عمرو عن طـاووس به، ومسـلم في «القدر» حديث =

قال عمرو: قال لنا طاوس: احذروا معبدًا الجهني، فإنه كان قدريًّا.

[٣٥٧] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا عبد العزيز ابن محمد عن عمرو بن أبي عمرو عن الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، ثم أمر ملائكته فسجدوا لك، وأمرك أن تسكن الجنة، فتأكل منها حيث شئت رغدًا، ونهاك عن شجرة واحدة؟ فعصيت ربك فأكلت منها؟ فقال: يا موسى، ألم تعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ قدر ذلك علي قبل أن يخلقني؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لقد حج آدم موسى، لقد حج آدم موسى»[(١)].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: ولحديث أبي هريرة طرق كثيرة، اكتفينا منها بهذا.

اختلفت وجهات النظر في فهم هذا الحديث وقبوله ورده، فمنهم أصاب في فهمه، وهم أهل السنة كما سيأتي توضيحه من كلام الإمام ابن القيم.

ومنهم من رده كالمعتزلة الذين لا يؤمنون بالقدر، وهذا من مجازفاتهم وجهلهم وعنادهم، فالحديث صحيح في غاية الصحة له رواة كثر، واتفق على إخراجه الإمامان البخاري ومسلم، وتلقته الأمة بالقبول.

[٢٦٥٢] من طرق عن سفيان عن عمرو عن طاووس به، وعن مالك بن أنس عن أبي الزناد عن الأعرج، وعن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة، وعن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) إسناده حسن، فيه عبد العزيز بن محمد الدراوردي، قال فيه الحافظ ابن حجر: «صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطئ»، وسياق حديثه هذا دليل على أنه قد ضبطه، وله متابعات في غاية الصحة، وقد سبقت، وله شواهد، فهذا المتن يكاد أن يكون متواترًا.

ومنهم من بلغ في فهمه غاية السوء، فيرتكبون المعاصي ويحتجون بالقدر على عدم لومهم ومؤاخذاتهم، وهذا المذهب مخالف لكل أوامر الله ونواهيه، ومخالف لنصوص الوعد والوعيد، ومخالف لما جاء به الرسل الكرام من وجوب الإيمان والتوحيد ووجوب طاعة الرسل والعمل بما جاؤوا به من الأوامر والانتهاء عما جاءوا به من الزواجر، والوعد العظيم للمطيعين بجنات النعيم، والوعيد الشديد للكافرين والمتمردين بسخط الله وغضبه، والعذاب الأليم بنار الجحيم.

وللإمام ابن القيم بحث عظيم في شرح هذا الحديث وبيان مذاهب الناس فيه وبيان معناه ومقصوده الحق، نلخصه هنا.

قال: في كتابه «شفاء العليل» (ص٨٢-٨٤): «ثم اختلف الناس في فهم هذا الحديث، ووجه الحجة التي توجهت لآدم على موسى:

١- فقالت فرقة: إنما حجه لأن آدم أبوه، فحجه كما يحج الرجل ابنه.

وهذا الكلام لا محصل فيه ألبتة، فإن حجة الله يجب المصير إليها مع الأب كانت أو الابن أو العبد أو السيد، ولو حج الرجل أباه بحق وجب المصير إلى الحجة.

٢- وقالت فرقة: إنما حجه لأن الذنب كان في شريعة، واللوم في شريعة.

وهذا من جنس ما قبله؛ إذ لا تأثير لهذا في الحجة بوجه، وهذه الأمة تلوم الأمم المخالفة لرسلها المتقدمة عليها، وإن كان لم تجمعهم شريعة واحدة، ويقبل الله شهادتهم عليهم وإن كانوا من غير أهل شريعتهم.

٣- وقالت فرقة أخرى: إنما حجه لأنه كان قد تاب من الذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولا يجوز لومه.

وهذا وإن كان أقرب مما قبله فلا يصح لثلاثة أوجه:

أحدها- أن آدم لم يذكر ذلك الوجه، ولا جعله حجة على موسى ولم يقل: أتلومني على ذنب قد تبت منه.

الثاني- أن موسى أعرف بالله سُبْحَانَهُ وبأمره ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخبره سُبْحَانَهُ أنه قد تاب على فاعله واجتباه بعده وهداه، فإن هذا لا يجوز لآحاد المؤمنين أن يفعله فضلًا عن كليم الرحمن.

الثالث- أن هذا يستلزم إلغاء ما علق به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجه الحجة واعتبار ما ألغاه فلا يلتفت إليه.

٤- وقالت فرقة أخرى: إنما حجه لأنه لامه في غير دار التكليف، ولو لامه في دار التكليف لكانت الحجة لموسى عليه.

وهذا أيضًا فاسد من وجهين:

أحدهما- أن آدم لم يقل له: لمتني في غير دار التكليف، وإنما قال: أتلومني على أمر قد قدر عليَّ قبل أن أخلق، فلم يتعرض للدار، وإنما احتج بالقدر السابق.

الثاني- أن الله سُبْحَانَهُ يلوم الملومين من عباده في غير دار التكليف، فيلومهم بعد الموت ويلومهم يوم القيامة.

٥- وقالت فرقة أخرى: إنما حجه لأن آدم شهد الحكم وجريانه على الخليقة وتفرد الرب سُبْحَانَهُ بربوبيته، وأنه لا تحرك ذرة إلا بمشيئته وعلمه، وأنه لا راد لقضائه وقدره وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

قالوا: ومشاهدة العبد الحكمَ لا يدع له استقباح سيئة، لأنه يشهد نفسه عدما محضًا، والأحكام جارية عليه معروفة له، وهو مقهور مربوب مدبَّر لا حيلة له ولا قوة له.

قالوا: ومن شهد هذا المشهد سقط عنه اللوم.

وهذا المسلك أبطل مسلك سُلك في هذا الحديث، وهو شر من مسلك القدرية في رده، وهم إنما ردوه إبطالًا لهذا القول وردًا على قائليه، وأصابوا في ردهم عليهم وإبطال قولهم، وأخطئوا في رد حديث رسول الله ﷺ، فإن هذا المسلك لو صح لبطلت الديانات جملة، وكان القدر حجة لكل مشرك وكافر وظالم، ولم يبقِ للحدود معنى، ولا يلام جان على جنايته ولا ظالم على ظلمه، ولا ينكر منكر أبدًا، ولهذا قال شيخ الملحدين ابن سينا في إشاراته: العارف لا ينكر منكرًا لاستبصاره بسرِّ الله تعالى في القدر.

وهذا كلام منسلخ من الملل ومتابعة الرسل، وأعرف خلق الله به رسله وأنبياؤه، وهم أعظم الناس إنكارًا للمنكر، وإنما أرسلوا لإنكار المنكر، فالعارف أعظم الناس إنكارًا للمنكر لبصيرته بالأمر والقدر، فإن الأمر يوجب عليه الإنكار والقدر يعينه عليه وينفذه له، فيقوم في مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وفي مقام ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، فنعبده بأمره وقدره ونتوكل عليه في تنفيذ أمره بقدره، فهذا حقيقة المعرفة، وصاحب هذا المقام هو العارف بالله، وعلى هذا أجمعت الرسل من أولهم إلى خاتمهم».

ثم قال: في (ص٨٨): «وتلخيص ما ذكره شيخنا: **أن للفعل وجهين:**

وجه قائم بالرب تعالى: وهو قضاؤه وقدره له وعلمه به ومشيئته النافذة فيه الموجدة له.

ووجه قائم بالعبد: وهو كسبه له وفعله واختياره، وهو ما يصدر عنه من أفعال، والعبد له ملاحظتان: ملاحظة للوجه الأول، وملاحظة للوجه الثاني، والكمال ألا يغيب بإحدى الملاحظتين عن الأخرى، بل يشهد قضاء الرب وقدره ومشيئته، ويشهد مع ذلك فعله وجنايته وطاعته ومعصيته، فيشهد الربوبية والعبودية، فيجتمع في قلبه معنى قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨] مع قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [المدثر: ٥٤-٥٦]».

ثم قال: في (ص٨٩-٩٠): «فأين هذا من احتجاج أعداء الله بمشيئته وقدره على إبطال أمره ونهيه وعباد هؤلاء الكفرة يشهدون أفعالهم كلها طاعات لموافقتها المشيئة السابقة، ولو أغضبهم غيرهم وقصَّر في حقوقهم لم يشهدوا فعله طاعة، مع أنه وافق فيه المشيئة، فما احتج بالقدر على إبطال الأمر والنهي إلا من هو من أجهل الناس وأظلمهم وأتبعهم لهواه.

وتأمل قوله سُبْحَانَهُ بعد حكايته عن أعدائه واحتجاجهم بمشيئته وقدره على إبطال ما أمرهم به رسوله، وأنه لولا محبته ورضاه به لما شاءه منهم: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

فأخبر سُبْحَانَهُ أن الحجة له عليهم برسله وكتبه، وبيان ما ينفعهم ويضرهم وتمكنهم من الإيمان بمعرفة أوامره ونواهيه، وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول فثبتت حجته البالغة عليهم بذلك واضمحلت حجتهم الباطلة عليه بمشيئته وقضائه، ثم قرر تمام الحجة بقوله: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، فإن هذا يتضمن أنه المتفرد

بالربوبيـة والملـك والتصرف في خلقه، وأنـه لا رب غيره ولا إله سـواه، فكيف يعبدون معه إلها غيره؟!

فإثبـات القدر والمشـيئة من تمام حجتـه البالغة عليهم، وأن الأمـر كله لله، وأن كل شيء ما خلا الله باطل، فالقضاء والقدر والمشـيئة النافذة من أعظم أدلة التوحيد فجعلها الظالمون الجاحدون حجة لهم على الشرك، فكانت حجة الله البالغة وحجتهم الداحضة. وبالله التوفيق.

إذا عرفت هذا فموسـى أعرف بالله وأسمائه وصفاته من أن يلوم على ذنب قد تاب منـه فاعلـه، فاجتبـاه ربه بعده وهـداه واصطفاه، وآدم أعـرف بربه مـن أن يحتج بقضائه وقـدره عـلى معصيته، بل إنما لام موسـى آدم عـلى المصيبة التي نالـت الذرية بخروجهم من الجنة ونزولهم إلى دار الابتلاء والمحنة بسـبب خطيئـة أبيهم، فذكر الخطيئة تنبيهًا على سـبب المعصية[1] والمحنة التي نالت الذرية، ولهذا قال له: «أخرجتنا ونفسـك من الجنة» وفي لفـظ: «خيبتنـا»، فاحتـج آدم بالقدر على المصيبـة، وقال: إن هـذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة بقدره قبل خلقي، والقدر يحتج به في المصائب دون المعائـب، **أي:** أتلومنـي على مصيبة قدرت عليَّ وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سـنة، هذا جواب شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

أقول: رحم الله شـيخي الإسـلام ابن تيمية وابن القيم؛ فلهما الباع الواسـع في بيان عقائـد الإسـلام وشرائعه وأصولـه وقواعده والذب عنـه ودفع الشـبهات عنه والردود القوية على كل المبتدعين والمخالفين.

---

(١) كذا، **والصواب:** المصيبة.



باب ٣٩

الإيمان بأن السعيد والشقي من كُتِب في بطن أمه

[٣٥٨] حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا محمد بن الصباح الدولابي قال: حدثنا إسماعيل بن زكريا عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله عَزَّوَجَلَّ إليه ملكًا، فيؤمر بأربع كلمات، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار، فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[(١)].

[٣٥٩] وحدثنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه

---

(١) في إسناده إسماعيل بن زكريا الخلقاني، قال فيه الحافظ ابن حجر: «صدوق يخطئ قليلًا»، وقال الحافظ الذهبي: «صدوق، اختلف قول ابن معين فيه»، لكنه قد ضبط هذا النص، والمتن في غاية الصحة.

أربعين ليلة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله عَزَّوَجَلَّ إليه الملك، ويؤمر بأربع كلمات، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقيًّا أم سعيدًا، ثم ينفخ فيه الروح» فذكر الحديث إلى آخره(١).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولحديث ابن مسعود طرق جماعة.

[٣٦٠] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا سفيان عن عمرو - وهو ابن دينار- عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يدخل الملك على النطفة بعدما تصير في الرحم بأربعين، أو بخمس وأربعين ليلة، فيقول: أي رب، ما هذا: أشقي أم سعيد؟ فيقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: اكتب، فيكتب. ثم يقول: أذكر أم أنثى؟ فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: اكتب، فيكتب. ثم يكتب رزقه وعمله ومصيبته، ثم يطوي الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص»(٢).

[٣٦١] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا صفوان بن صالح قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا ابن جريج عن أبي الزبير عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: الشقي من كتب شقيًّا في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره.

---

(١) إسناده رجال الشيخين، وقد رواه البخاري في القدر حديث [٦٥٩٤] من طريق شعبة عن الأعمش، سمعت زيد ابن وهب عن عبد الله به، ورواه مسلم في القدر حديث [٣٦٤٣] من طريق وكيع وأبي معاوية وعبد الله بن نمير، قالوا: حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب به، ومن طريق وكيع وعبيد الله ابن معاذ عن أبيه عن شعبة، ومن طريق عيسى بن يونس كلهم عن الأعمش به.

(٢) إسناده صحيح، رواه مسلم في القدر حديث [٣٦٤٤]، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٦-٧) وابن أبي عاصم في السنة حديث [١٨٠]، كلهم من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي الطفيل به.

فقلت: خزيًا للشيطان يسعد الإنسان ويشقى من قبل أن يعمل؟ فأتيت حذيفة ابن أسيد الغفاري، فحدثته بما قال عبد الله بن مسعود. فقال: ألا أحدثك بما سمعت من رسول الله ﷺ يقول؟ فقلت: بلى، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا استقرت النطفة في الرحم اثنتين وأربعين صباحًا، أتى ملك الأرحام فخلق لحمها وعظمها وسمعها وبصرها، ثم قال: يا رب، أشقي أم سعيد؟ فيقضي ربك ما يشاء فيها، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب، أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك عَزَّوَجَلَّ ما يشاء، ويكتب الملك ثم يذكر رزقه وأجله وعمله - بمثل هذه القصة - ثم يخرج الملك بصحيفة ما زاد فيها ولا نقص»[1].

[٣٦٢] أخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب قال: حدثنا أبو الأشعث أحمد ابن المقدام قال: حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن جريج قال: حدثنا أبو الزبير عن أبي الطفيل قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره. قال: قلت: خزيًا للشيطان أيسعد الإنسان ويشقى قبل أن يعمل؟ قال: فلقي حذيفة بن أسيد، فاخبره بما قال ابن مسعود، قال: أفلا أخبرك بما سمعت من رسول الله ﷺ؟ يقول: «إذا استقرت النطفة في الرحم اثنين وأربعين صباحًا نزل ملك الأرحام، فخلق عظمها ولحمها وسمعها وبصرها، ثم قال: أي رب، أشقي أم سعيد؟ فيقضي ربك ما يشاء، ويكتب الملك، أي رب، أذكر أم أنثى؟

---

(١) الحديث بهذا الإسناد ضعيف، فيه مدلسان لم يصرحا بالتحديث، وهما ابن جريج وأبو الزبير، لكنه ينجبر بما قبله وما بعده، فيرتقي إلى درجة الحسن لغيره، والمتن صحيح، أخرجه مسلم في «القدر» حديث [٢٦٤٥]، والبيهقي في «القضاء والقدر» حديث [٧٧]، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» حديث [١٠٤٧] مع اختلاف في اللفظ.

فيقضي ربك عَزَّوَجَلَّ ما يشاء، ويكتب الملك، أي رب أجله، فيقضي ربك ما يشاء، ويكتب الملك، فيخرج الملك بالصحيفة ما زاد فيها ولا نقص»[(١)].

٣٦٣- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن سيار النصيبي قال: حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح قال: حدثنا الليث بن سعد قال: حدثني يونس عن ابن شهاب أن عبد الرحمن بن هنيدة مولى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخبره عن عبد الله ابن عمر أنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إذا خلق الله عَزَّوَجَلَّ النسمة، قال ملك الأرحام معترضًا: أي رب. أذكر أم أنثى؟ قال: فيقضي الله عَزَّوَجَلَّ إليه أمره، قال: ثم يقول: أي رب، أشقي أم سعيد؟ قال: فيقضي الله عَزَّوَجَلَّ إليه أمره، ثم يكتب بين عينيه ما هو لاق حتى النكبة ينكبها»[(٢)].

[٣٦٤] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا يحيى ابن آدم عن حماد ابن زيد عن عبيد الله بن أبي بكر عن أنس بن مالك حدثه قال: قال

....

(١) أخرجه مسلم في القدر تحت الرقم السابق [٢٦٤٥] من طريق عكرمة بن خالد عن أبي الطفيل به، ومن طريق ربيعة بن كلثوم عن أبيه عن أبي الطفيل محيلًا بها مسلم على المتن من طريق عمرو بن الحارث عن أبي الزبير عن أبي الطفيل به، ورواه ابن بطة في «الإبانة» حديث [١٤٠٩] من طريق أبي الزبير عن عامر بن واثلة أبي الطفيل، وحديث [١٤١٠] من طرق مدارها على سفيان عن عمرو ابن دينار عن أبي الطفيل، ورواه البيهقي في «كتاب القضاء والقدر» حديث [٨٤] من طريق عبد الله ابن عطاء أن عكرمة بن خالد حدَّثه عن أبي الطفيل بنحوه، وحديث [٨٥] من طريق سفيان عن عمرو بن دينار عن أبي الطفيل.

(٢) في إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث، قال الحافظ فيه: «صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه»، وبقية رجاله ثقات، رواه معمر في «الجامع» (١١/ ١١٢ -المصنف)، وابن وهب في «القدر» (٥٨-٥٩) رقم [٣٠]، وأبو يعلى في «مسنده» حديث [٥٧٧٥]، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٩/ ٤٨٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» حديث (١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥)، من طرق عن الزهري به، نحوه. وصححه الألباني بمجموع طرقه، والأمر كذلك.

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله عَزَّوَجَلَّ قد وكل بالرحم ملكًا فيقول: أي رب أنطفة؟ أي رب، أعلقة؟ أي رب، أمضغة؟ قال: فإذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يقضي خلقها قال: يقول الملك أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الأجل؟ فما الرزق؟ يكتب ذلك في بطن أمه»[(١)].

[٣٦٥]أخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي قال: حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام قال: حدثنا أبو عامر العقدي عن الزبير بن عبد الله قال: حدثني جعفر بن مصعب قال: سمعت عروة بن الزبير يحدث عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكًا فيدخل الرحم، فيقول: أي رب، ماذا ؟ فيقول: غلام أم جارية أو ما شاء الله أن يخلق في الرحم، فيقول: أي رب، أشقي أم سعيد؟ فيقول شقي أو سعيد، فيقول: أي رب، ما أجله ؟ فيقول: كذا وكذا، فيقول: أي رب، وما رزقه؟ فيقول: كذا وكذا، فيقول: ما خلقه؟ ما خلائقه؟ فيقول: كذا وكذا، فما شيء إلا وهو يخلق منه في الرحم»[(٢)].

[٣٦٦]وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناجية قال: حدثنا وهب ابن بقية الواسطي قال: أخبرنا خالد - يعني: ابن عبد الله الواسطي - عن يحيى بن

---

(١) إسناده صحيح، والمتن متفق عليه، أخرجه البخاري [٦٥٩٥]، ومسلم [٢٦٤٦] كلاهما من طريق عبيد الله بن أبي بكر بن أنس مرفوعًا.

(٢) إسناده ضعيف، فيه رجلان ضعيفان، جعفر بن مصعب بن الزبير، والزبير بن عبد الله بن أبي خالد مولى بني أمية، رواه ابن بطة في «الإبانة» حديث (١٤٠٧، ١٤٢٠) من طريق الزبير بن عبد الله السابق به، ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» حديث [١٠٥٣] كلاهما بأسانيدهما إلى الزبير بن عبد الله عن جعفر بن مصعب، وقد بيَّنا ضعفهما، لكن المتن له شواهد صحيحة، وقد تقدمت.

عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطنها»(١).

[٣٦٧] حدثنا أبو بكر عبيد الله بن زياد النيسابوري قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى - في كتاب القدر - قال: حدثنا عبد الله بن وهب قال: أخبرني سعيد بن عبد الرحمن عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة، فيما يبدو للناس، وإنه لمن أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس، وإنه لمن أهل الجنة»(٢).

[٣٦٨] وأخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب قال: حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا حميد عن أنس قال:

....

(١) إسناده ضعيف، يحيى بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، قال الحافظ فيه: «لين الحديث»، وكذا قال فيه الذهبي في «الكاشف»، رواه ابن بطة في «الإبانة» حديث [١٤١٩]، بإسناده إلى يحيى بن عبد الله الضعيف المذكور آنفًا، واللالكائي حديث [١٠٥٧]، وفي إسناده يحيى المذكور، لكن للشطر الأول متابعة صحيحة، رواها الطبراني في «المعجم الصغير» (٢/ ٥) بلفظ: «السعيد من سعد في بطن أمه» ورواها اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» حديث [١٠٥٦] من طرق إلى عبد الرحمن بن المبارك عن حماد بن زيد عن أيوب عن محمد - وهو ابن سيرين -، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السعيد من سعد في بطن أمه»، وللشطر الآخر شاهد صحيح أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رواه الإمام أحمد (٢/ ١٧٦) وابن بطة في «الإبانة» [١٤١٦]، وهو جزء من حديث طويل.

(٢) رجال إسناده ثقات، ما عدا سعيد بن عبد الرحمن الجمحي، قال الحافظ الذهبي فيه: وثقه ابن معين، وليّنه الفسوي، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق له أوهام»، لكن الحديث قد اتفق على إخراجه الشيخان، أخرجه البخاري في المغازي حديث [٤٢٠٧]، ومسلم في الإيمان حديث [١١٢]، قال مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب وهو ابن عبد الرحمن القارئ حي من العرب عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلفظ أطول، وفيه قصة الرجل الذي قتل نفسه.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتى تنظروا بمَ يختم له، فإن العامل يعمل زمانًا من عمره، أو برهة من دهره، يعمل عملًا صالحًا لو مات عليه دخل الجنة، ثم يتحول فيعمل بعمل سيء.

وإن العبد ليعمل زمانًا من عمره بعمل سيئ لو مات عليه دخل النار، ثم يتحول فيعمل بعمل صالح، وإذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ بعبد خيرًا استعمله».

قالوا: يا رسول الله، كيف يستعمله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه»[(١)].

[٣٦٩] وأخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفي قال: حدثنا محرز بن عون قال: حدثنا حسان بن إبراهيم عن نصر أبي جزي عن قتادة عن أبي حسان عن ناجية بن كعب عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خلق الله عَزَّوَجَلَّ يحيى بن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ في بطن أمه مؤمنًا، وخلق فرعون في بطن أمه كافرًا»[(٢)].

[٣٧٠] حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار قال: حدثنا عبد الله بن أيوب المخرمي قال: حدثنا عبد الرحيم بن هارون الغساني قال: حدثنا نصر بن

(١) **إسناده صحيح**، أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ١٢٠، ٢٥٧)، والترمذي في أبواب القدر، حديث [٢١٤٢]، وقال: «هذا حديث صحيح»، وأبو يعلى حديث [٣٨٤٠]، وابن حبان في «الإحسان» [٣٤١]، ولمعناه شاهد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رواه الترمذي في «القدر»، حديث [٢١٤١].

(٢) **إسناده ضعيف جدًا**، فيه نصر بن طريف أبو جزي: مجمع على تركه، قال فيه الإمام أحمد: «لا يكتب حديثه»، وقال النسائي وغيره: «متروك»، وقال يحيى: «من المعروفين بوضع الحديث»، وقال الفلاس: «وممن أجمع عليه من أهل الكذب ...قوم منهم أبو جزء القصاب نصر بن طريف»، انظر: «ميزان الاعتدال» (٤/ ٢٥١)، وانظر: ترجمته في «الجرح والتعديل» (٨/ ٤٦٦-٤٦٨).

طريف عن قتادة عن أبي حسان عن ناجية بن كعب عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خلق الله عَزَّوَجَلَّ يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمنًا، وخلق الله عَزَّوَجَلَّ فرعون في بطن أمه كافرًا»[1].

ساق المؤلف في هذا الباب ثلاثة عشر حديثًا من الأحاديث الدالة على إحدى مراتب القدر وهذه المرتبة هي تقدير سعادة الجنين وهو في بطن أمه، وتقدير شقاء الشقي وهو في بطن أمه، وتقدير أجل كل منهما ورزقه وسائر ما يلقاه في حياته وبعد موته، كما دل على ذلك حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي ذكره المؤلف سابقًا.

والتقادير التي قدَّرها الله على عباده خمسة:

الأول- تقدير المقادير قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

الثاني- تقدير الرب تَعَالَى شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم قبل خلقهم وهو تقدير ثان.

التقدير الثالث- والجنين في بطن أمه.

الرابع- التقدير ليلة القدر. **الخامس-** التقدير اليومي[2].

وقد يتبادر إلى أذهان بعض الناس التعارض بين حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وما في معناه، وبين حديث حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا تعارض بينهما والحمد لله.

قال الإمام ابن القيم: في «شفاء العليل» (ص١٠٧-١٠٨): «وكثير من الناس يظن التعارض بين الحديثين ولا تعارض بينهما بحمد الله، وإن[3] الملك الموكل بالنطفة

---

(١) **ضعيف جدًّا،** فيه نصر بن طريف، سبق الكلام عليه أعلاه، وفيه عبد الرحيم بن هارون الغساني أبو هشام الواسطي، قال الدار قطني: «متروك يكذب» «الميزان» (٢/ ٦٠٧).

(٢) انظر: «شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل» للإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) كذا، والظاهر: «فإن».

يكتب ما يقدره الله سُبْحَانَهُ على رأس الأربعين الأولى حتى يأخذ في الطور الثاني وهو العلقة.

وأما الملك الذي ينفخ فيه الروح، فإنما ينفخها بعد الأربعين الثالثة فيؤمر عند نفخ الروح فيه بكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته.

وهذا تقدير آخر غير التقدير الذي كتبه الملك الموكل بالنطفة، ولهذا قال في حديث ابن مسعود: «ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات» وأما الملك الموكل بالنطفة فذاك راتب معها، ينقلها بإذن الله من حال إلى حال، فيقدر الله سُبْحَانَهُ شأن النطفة حتى تأخذ في مبدأ التخليق وهو العلق، ويقدر شأن الروح حين تتعلق بالجسد بعد مائة وعشرين يومًا، فهو تقدير بعد تقدير فاتفقت أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصدَّق بعضها بعضًا، ودلت كلها على إثبات القدر السابق ومراتب التقدير، وما يؤتى أحد إلا من غلَطٍ الفهم أو غلطٍ في الرواية، متى صحت الرواية وفُهمت كما ينبغي تبين أن الأمر كله من مشكاة واحدة صادقة متضمنة لنفس الحق، وبالله التوفيق».

أقول: ولا مانع أن يكتب الملكان رزق الجنين وأجله وسعادته أو شقاوته.



٤٠ - بَابُ
الإيمان بأنه لا يصح لعبد الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره لا يصح له الإيمان إلا به

[٣٧١] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا عثمان بن أبي العاتكة قال: حدثني سليمان ابن حبيب عن الوليد بن عبادة عن أبيه عبادة بن الصامت قال: لما احتضر سأله ابنه عبد الرحمن فقال: يا أبة أوصني، فقال: أجلسوني فلما أجلسوه قال: يا بني اتق الله، ولن تتقي الله حتى تؤمن بالله، ولن تؤمن بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «القدر على هذا، من مات على غير هذا دخل النار»[(١)].

---

(١) في إسناده عثمان بن أبي العاتكة الدمشقي القاص، قال الذهبي في «الكاشف»: «ضعَّفه النسائي ووثقه غيره»، وفي «الجرح والتعديل» (٦/ ١٦٣) أن دحيمًا قال: «لا بأس به»، وكذا قال أبو حاتم، وقال ابن معين: ليس بشيء»، وقال الحافظ ابن حجر: «ضعَّفوه في روايته عن علي بن يزيد الألهاني».
وفيه الوليد بن مسلم مدلس، لكنه هنا صرَّح بالتحديث، وبقية رجاله ثقات.
رواه ابن أبي عاصم في «السنة» حديث [١١١]، وروى الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣١٧) نحو هذا: ثنا موسى بن داود ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن الوليد بن عبادة بن الصامت نحوه، فيرتقي الحديث هنا إلى درجة الحسن لغيره.

[٣٧٢] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا زيد بن الحباب قال: حدثنا معاوية بن صالح قال: حدثني أيوب أبو زيد الحمصي عن عبادة بن الوليد ابن عبادة بن الصامت عن أبيه أنه دخل على عبادة، وهو مريض يرى فيه أثر الموت فقال: يا أبة، أوصني واجتهد، قال: اجلس، إنك لن تجد طعم الإيمان ولن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قلت: وكيف لي أن أعلم خيره وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أول شيء خلق الله عَزَّ وَجَلَّ القلم، فقال له: اجر فجرى تلك الساعة إلى يوم القيامة بما هو كائن، فإن مت وأنت على غير ذلك دخلت النار»(١).

[٣٧٣] وأخبرنا الفريابي قال: حدثني ميمون بن الأصبغ النصيبي قال: حدثنا أبو صالح قال: حدثني معاوية بن صالح: أن أبا الزاهرية حدثه عن كثير بن مرة عن ابن الديلمي: أنه لقي زيد بن ثابت فقال له: إني شككت في بعض القدر، فحدثني،

....

(١) في إسناده زيد بن الحباب أبو الحسين العكلي، صدوق يخطئ في حديث الثوري.
وفي إسناده أيوب أبو زيد الحمصي، لم أقف له على ترجمة بهذه الكنية، وإنما وجدت في «الجرح والتعديل» (٢/ ٢٤٧) أيوب بن زياد أبو زياد الحمصي، قال ابن أبي حاتم: «روى عن عبادة بن الوليد، روى عنه معاوية بن صالح سمعت أبي وأبا زرعة يقولان ذلك».
والظاهر: أن أيوب في هذا الإسناد إنما هو أيوب بن زياد أبو زياد الحمصي الذي ترجم له ابن أبي حاتم، فإنه هو الراوي عن عبادة بن الوليد، وهو الذي روى عنه معاوية بن صالح كما ذكر ذلك ابن أبي حاتم، وبناء على هذا فأيوب بن زياد هذا مجهول، يؤكد ذلك أن الإمام أحمد قال في «مسنده» (٥/ ٣١٧) حدثنا أبو العلاء الحسن بن سوار ثنا ليث عن معاوية عن أيوب بن زياد حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة حدثني أبي بنحوه.
فصرَّح بأنه أيوب بن زياد، الراوي عن عبادة بن الوليد والراوي عنه معاوية بن صالح والحديث هو الحديث، لكن الحديث ثابت من غير هذا الوجه كما سلف في التعليق على الحديث الذي قبله.

لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل ما عندك فرجًا، قال زيد: نعم يا ابن أخي، إني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن الله عَزَّوَجَلَّ لو عذب أهل السماء وأهل الأرض لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته إياهم خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أن لامرئ مثل أحد ذهبًا ينفقه في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ حتى ينفده، لا يؤمن بالقدر خيره وشره دخل النار»(١).

[٣٧٤] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة قالا: حدثنا أبو الأحوص عن منصور عن ربعي بن خراش عن رجل من بني أسد عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أربع لن يجد رجل طعم الإيمان حتى يؤمن بهن: لا إله إلا الله وأني رسول الله، بعثني بالحق نبيًّا، وأنه ميت، ومبعوث من بعد الموت، ويؤمن بالقدر كله»(٢).

....

(١) في إسناده ضعف، لأن فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، صدوق كثير الغلط، وفيه معاوية بن صالح ابن حدير الحضرمي: قاضي الأندلس، صدوق له أوهام.
لكن له متابعة رواها الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٨٢، ١٨٥، ١٨٩) بإسناد رجاله ثقات سوى أبي سنان سعيد بن سنان البرجمي، قال فيه الحافظ: «صدوق له أوهام»، لكن الحافظ نقل عن الإمام أحمد أنه قال فيه: «ليس بالقوي»، ونقل عن أبي حاتم أنه قال فيه: «صدوق ثقة»، ونقل عن الآجري عن أبي داود أنه قال فيه: «ثقة من رفعاء الناس»، وقال النسائي: «ليس به بأس»، قال الحافظ: «ووثقه يعقوب ابن سفيان، وذكره ابن حبان في الثقات»، وأن الدارقطني قال فيه: «من الثقات»، انظر: «تهذيب التهذيب» (٤/ ٤٦)، وبناء على هذا فسعيد بن سنان لا ينزل حديثه عن درجة الحسن.
ورواه أبو داود في كتاب «السنة» حديث [٤٦٩٩]، وابن ماجه في باب «القدر» حديث [٧٧] كلاهما يرويه من طريق أبي سنان وهو سعيد بن سنان عن وهب بن خالد عن ابن الديلمي به.
(٢) إسناده صحيح، رواه الترمذي [٢١٤٥] بإسناد صحيح عن أبي داود عن شعبة عن منصور عن ربعي ابن خراش عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به مرفوعًا، ورواه بإسناد صحيح عن النضر بن شميل عن شعبة عن منصور عن ربعي عن رجل عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم قال الترمذي: «حديث أبي داود عن شعبة عندي =

[٣٧٥] حدثنا عمر بن أيوب قال: حدثنا إبراهيم بن عبيد الله الهروي قال: حدثنا شريك بن عبد الله قال: حدثنا منصور عن ربعي بن خراش عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسول الله بعثني بالحق، وحتى يؤمن بالبعث بعد الموت، وحتى يؤمن بالقدر خيره وشره»[(١)].

[٣٧٦] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره»[(٢)].

[٣٧٧] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لن يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره»[(٣)].

أصح من حديث النضر، وهكذا روى غير واحد عن منصور عن ربعي عن علي به».
ورواه أحمد (١/ ٩٧) عن محمد بن جعفر عن شعبة عن منصور عن ربعي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن سفيان خالف شعبة، روى أحمد (١/ ١٣٣) قال: ثنا وكيع ثنا سفيان عن منصور عن ربعي بن خراش عن رجل عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، والمقرر عند أهل الحديث أنه إذا اختلف شعبة وسفيان رجح سفيان على شعبة.

(١) في إسناده شريك، ورواه ابن ماجه حديث [٨١] من طريق شريك عن منصور عن ربعي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذا ابن أبي عاصم حديث [١٣٠] من طريق شريك، وشريك صدوق يخطئ كثيرًا.

(٢) في إسناده ابن لهيعة اختلط، لكن يعضده الإسناد الآتي.

(٣) إسناده حسن، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ١٨١) حدثنا أنس بن عياض ثنا أبو حازم به، و(٢/ ٢١٢) قال: ثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن أبي حازم به، ورواه ابن أبي عاصم من طريق يعقوب بن حميد عن أبي حازم به.

[٣٧٨] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المقدمي قال: حدثنا معاذ بن معاذ قال: حدثنا كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن، فلقينا عبد الله بن عمر فقلنا: إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرءون ويتبعون العلم، يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء، وهم مني برآء، والذي يحلف به ابن عمر، لو أن لأحدهم أحدًا ذهبا ، فأنفقه ما قبله الله عَزَّوَجَلَّ، حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، ثم قال: حدثني أبي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بينا نحن عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر حتى جلس إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسند ركبته إلى ركبته، فوضع كفه على فخذيه فقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام ؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن تشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا. قال: صدقت، فعجبنا أنه يسأله ويصدقه.

قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال. صدقت.

قال: فأخبرني عن الإحسان: قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ثم انطلق، فلبثنا مليًّا ثم قال لي: يا عمر، تدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم»(١).

---

(١) صحيح، أخرجه مسلم في «الإيمان» [٨]، والإمام أحمد (١/ ٢٨)، والترمذي في أبواب «الإيمان» حديث [٢٦١٠]، وابن ماجه في باب «الإيمان»، حديث [٦٣].

[٣٧٩] وحدثنا الفريابي -إملاء- قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا النصر بن شميل قال: حدثنا كهمس بن الحسن قال: حدثنا عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر وذكر الحديث بطوله إلى قوله: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»، قال: صدقت ... وذكر باقي الحديث(١).

[٣٨٠] حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا يوسف بن سعيد المصيصي قال: حدثنا خالد بن يزيد القسري البجلي قال: حدثنا إسماعيل ابن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال: «جاء جبريل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة شاب. فقال: يا محمد، ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر، والقدر خيره وشره»، قال: صدقت.

قال: فعجبوا من تصديقه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: فأخبرني ما الإسلام؟ قال: «أن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وحج البيت، وتصوم شهر رمضان»، قال: صدقت.

قال: فأخبرني عن الإحسان ؟ قال: «الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: صدقت، وذكر الحديث إلى قوله: هذا جبريل أتاكم يعلمكم معالم دينكم»(٢).

ذكر الإمام الآجري في هذا الباب عددًا من الأحاديث التي تدل على وجوب الإيمان بالقدر، وأن العبد لا يكون مؤمنًا حتى يؤمن بالقدر، ووعيد من لا يؤمن بالقدر بعذاب

---

(١) صحيح، وهو جزء من الحديث الذي قبله.

(٢) إسناده ضعيف فيه خالد بن عبد الله بن يزيد القسري أمير العراق، وهو الذي قتل الجعد ابن درهم الضال، قال أبو حاتم فيه: «ليس بالقوي» انظر: «الجرح والتعديل» (٣/ ٣٥٩)، وقال الذهبي في «المغني» (١/ ٢٠٣): «صدوق لكنه ناصبي»، فعلى قول الذهبي يكون حديثه حسنًا، لاسيما وحديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشهد له.

النـار، وحديث عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدل على أن الإيمان بالقدر مـن أركان الإيمان في قوله: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**».

قد كفَّر السلف القدرية الذين ينكرون علم الله السابق بمقادير الخلائق؛ لأن من يعتقد هذه العقيدة الفاسـدة -وهي إنكار علم الله السـابق-، مكذب لكتاب الله ولسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾ [يس: ١٢].

وقد ذكرنا عددًا من الآيات فيما سلف.

ومن السنة هذه الأحاديث التي ساقها المؤلف في هذا الباب، وقد ذكرنا في ما سلف مقادير الخلق، وهي:

١- كتابة هذه المعلومات كلها في اللوح المحفوظ بعد علم الله السابق لكل دقيق وجليل، فما من شيء إلا وقد كتبه الله في هذا اللوح حتى مثاقيل الذر ﴿ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

٢- وكتابة المقادير والسعادة والشقاء في ذرية آدم، كتبها الله قبل خلق آدم.

٣- وكتابة الآجال والأعمال والأرزاق والسعادة والشقاء للأجنة في بطون أمهاتها.

٤- ثـم كتابـة المقاديـر السـنوية في ليلة القدر مـن كل سـنة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٤].

٥- التقدير اليومي.



باب ما ذُكِر في المكذبين بالقدر

[٣٨١] حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي قال: حدثنا زكريا بن منظور قال: حدثنا أبو حازم عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «القدرية مجوس هذه الأمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»[1].

....

(١) **ضعيف**، في إسناده زكريا بن منظور ضعيف، وقد أورد ابن أبي عاصم عددًا من الأحاديث عن ابن عمر كلها لا تخلو من ضعف، وحسَّن الألباني بعضها من أجل أن بعضها يشد بعضًا، انظر: «السنة» لابن أبي عاصم من حديث (٣٣٨-٣٤١).

أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» حديث [١١٥٠].

وأخرجه أبو داود في «كتاب السنة» حديث [٤٦٩١] من طريق موسى بن إسماعيل عن عبد العزيز ابن أبي حازم عن أبيه عن ابن عمر به، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٥) والبيهقي في «القضاء والقدر» [٤٠٧]، كلاهما بإسناد أبي داود به، ليس فيه ذكر نافع. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

ورواه ابن بطة في «الإبانة» (١٥١٧، ١٥٤٩-الأثيوبي)، والبيهقي في «القضاء والقدر» [٤١٠] من طريق سفيان الثوري عن عمر بن محمد عن نافع عن ابن عمر موقوفًا بلفظ: «لكل أمة مجوس، وإن مجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر». وقال: «هذا إسناد صحيح إلا أنه موقوف».

ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٩٥٨]، وابن بطة في «الإبانة» (١٥٤٨-الأثيوبي)، واللالكائي [١٢٩٢]، من طرق عن عمر بن محمد عن نافع قال: جاء رجل إلى عبد الله بن عمر فقال: ناس يتكلمون بالقدر، فقال: أولئك القدريون، وأولئك يصيرون إلى أن يكونوا مجوس هذه الأمة.

[٣٨٢] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا نصر بن عاصم الأنطاكي قال: حدثنا زكريا بن منظور قال: حدثني أبو حازم عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل أمة مجوس، والقدرية مجوس هذه الأمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»(١).

[٣٨٣] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق، قال: حدثنا أبو مصعب قال: حدثنا الحكم بن سعيد السعيدي - من ولد سعيد بن العاص - عن الجعيد بن عبد الرحمن عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه يكون في آخر الزمان قوم يكذبون بالقدر، ألا وأولئك مجوس هذه الأمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»(٢).

[٣٨٤] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن مصفى قال: حدثنا بقية ابن الوليد عن الأوزاعي عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله عَزَّوَجَلَّ، فإن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم»(٣).

[٣٨٥] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبد الأعلى بن حماد قال: حدثنا معتمر ابن سليمان قال: سمعت أبي يحدث عن مكحول عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال

....

(١) في إسناده ابن منظور: ضعيف كما تقدم، لكنه يتقوى بالمتابعات التي أشرنا إليها.

(٢) ضعيف في إسناده الحكم بن سعيد الأموي، انظر: «المغني» للذهبي (١/ ١٨٣)، لكنه يتقوى بما سبقه.

(٣) في إسناده ثلاثة من المدلسين، مع أنهم من الثقات، لكن يقويه شواهده السابقة.

رواه ابن ماجه في «المقدمة» في باب «القدر» حديث [٩٢]، وابن أبي عاصم في «السنة» حديث [٣٢٨] إلا أن بقية صرَّح بالتحديث، والطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٢٢١).

رسول الله ﷺ: «إن لكل امة مجوسًا، وإن مجوس هذه الأمة القدرية، فلا تعودوهم إذا مرضوا، ولا تصلوا عليهم إذا ماتوا»(١).

[٣٨٦] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبد الأعلى بن حماد قال: حدثنا المعتمر ابن سليمان قال: سمعت أبا الحسن قال: حدثني جعفر بن الحارث عن يزيد بن ميسرة الشامي عن عطاء الخراساني عن مكحول عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل أمة مجوسًا وإن مجوس هذه الأمة القدرية، فلا تعودوهم إذا مرضوا ولا تصلوا على جنازتهم إذا ماتوا»(٢).

[٣٨٧] حدثنا الفريابي قال: حدثنا صفوان بن صالح قال: حدثنا محمد بن شعيب قال: أخبرنا عمر بن يزيد الدمشقي قال: أخبرني عمرو بن مهاجر عن عمر ابن عبد العزيز عن يحيى بن القاسم عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «ما هلكت أمة قط إلا بالإشراك بالله، وما أشركت أمة قط إلا وكان بدو إشراكها التكذيب بالقدر»(٣).

---

(١) ضعيف، في إسناده مكحول، وهو مع إمامته كثير الإرسال، ولم يسمع من أحد من الصحابة، وخاصة أبا هريرة رضي الله عنه انظر «المراسيل» (ص ٢١١-٢١٢).

(٢) في إسناده جعفر بن الحارث: ضعيف، قال الذهبي في «المغني»: «ضعَّفوه»، وقال الحافظ في «التقريب»: «صدوق كثير الخطأ»، لكنه يعتضد بشواهده السابقة.

(٣) في إسناده ضعف، يحيى بن القاسم، ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩/ ١٨٢)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وذكر أنه روى عنه عمر بن عبد العزيز، فهو شبه مجهول.

وفيه عمر بن يزيد النصري من أهل الشام، قال ابن حبان في «المجروحين» (٦٠-٦١): «كان ممن يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل، لا يجوز الاحتجاج به على الإطلاق وإن اعتبر بها وافق الثقات فلا ضير».

رواه البخاري في «التأريخ» (٨/ ٣٠٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» حديث [٣٢٢]، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» حديث (١١١٣، ١١١٤) كلهم من طريق عمر بن يزيد به.

[٣٨٨] حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا العباس ابن الوليد ابن يزيد - ببيروت- قال: أخبرنا محمد بن شعيب بن شابور قال: أخبرني عمر بن يزيد النصري - وهو الدمشقي- عن عمرو بن مهاجر صاحب حرس عمر بن عبد العزيز عن عمر بن عبد العزيز عن يحيى بن القاسم عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما هلكت أمة قط إلا بالشرك بالله، وما أشركت أمة حتى يكون بدو شركها التكذيب بالقدر»[١].

[٣٨٩] حدثنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر سعيد بن يعقوب الطالقاني، قال: حدثنا المقري أبو عبد الرحمن قال: حدثنا ابن لهيعة قال: حدثنا عمرو بن شعيب قال: كنت جالسًا عند سعيد بن المسيب فقال بعض القوم: يا أبا محمد، إن قومًا يقولون: قدر الله كل شيء إلا الأعمال، قال: فوالله ما رأيت سعيدًا غضب قط مثلما غضب يومئذ، حتى هم بالقيام، ثم قال: فعلوها ؟ويحهم لو يعلمون، أما والله لقد سمعت فيهم حديثًا كفاهم به شرًا.

فقلت له: وما ذاك يا أبا محمد ؟ رحمك الله.

قال: حدثني رافع بن خديج قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون في أمتي قوم يكفرون بالله وبالقرآن وهم لا يشعرون». فقلت: جعلت فداك يا رسول الله، يقولون كيف؟ قال: «يقولون: الخير من الله والشر من إبليس، ثم يقرءون على ذلك كتاب الله، فيكفرون بالله عَزَّوَجَلَّ، وبالقرآن بعد الإيمان والمعرفة، فما تلقى أمتي منهم من العداوة والبغضاء والجدال، وفي زمن ظلم الأئمة، فيا لهم من ظلم وحيف وأثرة، فيبعث الله عَزَّوَجَلَّ طاعونًا فيفني عامتهم ثم يكون الخسف، فقلَّ من ينجو

....

(١) **إسناده ضعيف،** فيه عمر بن يزيد السالف الذكر، وفيه يحيى بن القاسم السالف الذكر أيضًا.

منه، المؤمن يومئذ قليل فرحه، شديد غمه، ثم يكون المسخ، فيمسخ الله عَزَّوَجَلَّ عامة أولئك قردة وخنازير».

ثم بكى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بكينا لبكائه، قيل: يا رسول الله، ما هذا البكاء؟ قال: «رحمة لهم الأشقياء، إن فيهم المتعبد، وفيهم المجاهد، أما إنهم ليسوا بأول من سبق إلى هذا القول، وضاق بحمله ذرعًا، إن عامة من هلك من بني إسرائيل بالتكذيب بالقدر».

قيل: يا رسول الله، فما الايمان بالقدر؟ قال: «أن تؤمن بالله وحده، وتعلم أنه لا يملك معه أحد ضرًّا ولا نفعًا، وتؤمن بالجنة والنار، وتعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ خلقهما قبل الخلق، ثم خلق الخلق لهما وجعل من شاء منهم إلى الجنة ومن شاء منهم إلى النار، عدلًا منه، فكل يعمل لما فرغ منه، وصائر إلى ما خلق له»، فقلت: صدق الله ورسوله[1].

[٣٩٠] وأخبرنا الفريابي قال: حدثني الحسن بن الصباح - يعني البزار - قال: حدثنا عبد الله بن يزيد قال: حدثنا ابن لهيعة قال: حدثنا عمرو بن شعيب قال: كنت جالسًا عند سعيد بن المسيب - فذكر مثله[2].

---

(١) إسناده ضعيف، بل قال أبو حاتم في «العلل» (٢/ ٤٣٤): «هذا حديث عندي موضوع».
رواه الطبراني في «الكبير» حديث [٤٢٧٠] من طريق عطية بن عطية عن عطاء بن أبي رباح عن عمرو ابن شعيب عن سعيد بن المسيب عن رافع بن خديج به، وبرقم [٤٢٧١] من طريق ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب به، وعطية هذا ضعيف جدًّا، ورواه اللالكائي في «شرح الأصول» حديث [١١٠٠] من طريق عمرو بن شعيب به.

(٢) ضعيف أيضًا.

[٣٩١] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا سويد بن سعيد قال: حدثنا حسان بن إبراهيم عن عطية بن عطية، عن عطاء بن أبي رباح قال: سمعت عمرو بن شعيب يقول: كنا عند سعيد بن المسيب - فذكر نحوًا من الحديث[(١)].

[٣٩٢] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال؟ حدثنا أبو أسامة ومحمد بن بشر قالا: أخبرنا ابن نزار - علي أو محمد - عن أبيه عن عكرمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة، والقدرية»[(٢)].

[٣٩٣] وحدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا سويد بن سعيد قال: حدثنا شهاب بن خراش عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما بعث الله عَزَّوَجَلَّ نبيًّا قبلي، فاستجمعت له أمته إلا كان فيهم مرجئة وقدرية، يشوشون أمر أمته من بعده، ألا وإن الله عَزَّوَجَلَّ لعن المرجئة والقدرية على لسان سبعين نبيًّا أنا آخرهم»[(٣)].

[٣٩٤] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا بشر بن عمر الزهراني قال: حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان، أنه سمع أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

....

(١) ضعيف جدًّا، أخرجه الطبراني[٤٢٧٠] من طريق عطية بن عطية، قال الذهبي في «الميزان» (٣/ ٨٠): «عطية بن عطية عن عطاء لا يعرف وأتى بخبر موضوع»، والظاهر أنه يقصد هذا الحديث.

(٢) إسناده ضعيف، فيه علي بن نزار وأبوه، وهما ضعيفان، قال الذهبي في «المغني» (٢/ ٤٥٦) في علي بن نزار: «قال ابن عدي ليس بشيء»، وقال الذهبي أيضًا في «المغني» (٢/ ٦٩٥): «نزار بن حيان عن عكرمة ضعيف».

(٣) إسناده ضعيف، فيه شهاب بن خراش، قال الحافظ فيه: «صدوق يخطئ»، وقال الذهبي في «المغني» (١/ ٣٠١): «مشهور ثقة يغرب، قال ابن حبان: يخطئ كثيرًا».
وفيه سويد بن سعيد: صدوق إلا أنه كبر فصار يتلقن، قاله الحافظ ابن حجر.

يقول: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله أهل القدر الذين يؤمنون بقدر، ويكذبون بقدر»[(١)].

[٣٩٥] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو أنس مالك بن سليمان قال: حدثنا بقية بن الوليد عن يحيى بن مسلم عن بحر السقا عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما كانت زندقة إلا أصلها التكذيب بالقدر».

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، ولا ينكره إلا من أضله الله واتبع هواه، وقد سبق الكلام عن القدر وأهميته ومراتبه.

وفي هذا الباب ساق المؤلف عددًا من الأحاديث؛ منها ما يرتقي إلى درجة الحسن، ومنها الضعيف الذي لا ينجبر.

وهذه الأحاديث فيها بيان ضلال منكري القدر، وأنهم مجوس هذه الأمة، لا يعاد مرضاهم، ولا يصلى على موتاهم.

وتقدم أنهم قسمان:

الأولون: الذين ينكرون علم الله السابق بالمقادير، وهؤلاء كفَّرهم السلف دون خلاف بينهم.

والمتأخرون منهم: وهم الذين يخرجون أعمال العباد، ولاسيما المعاصي عن مشيئة الله، وهؤلاء اختلف السلف في تكفيرهم.

وسبب تسميتهم بمجوس هذه الأمة هو مشابهتهم للمجوس الذين يجعلون للعالم إلهين، إله الخير وإله الشر.

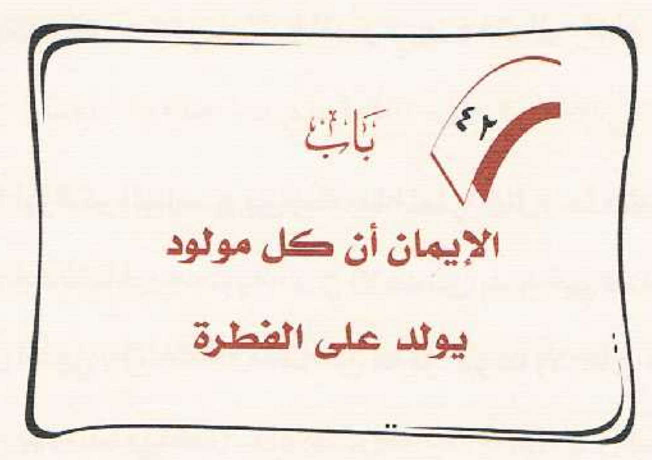
---

(١) **إسناده ضعيف،** فيه ابن لهيعة صدوق، خلط بعد احتراق كتبه، قاله الحافظ ابن حجر.
رواه الطبراني في «الأوسط» [٣١١٤]، وقال عقبه: «لم يرو هذا الحديث عن موسى إلا ابن لهيعة».

قال الخطابي في «معالم السنن»: «إنما جعلهم مجوسًا لمضاهاة مذهبهم مذاهب المجوس في قولهم بالأصلين وهما النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة، وكذلك القدرية، يضيفون الخير إلى الله والشر إلى غيره، والله سُبْحَانَهُ خالق الخير والشر، لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته، وخلقه الشر شرًّا في الحكمة كخلقه الخير خيرًا، فإن الأمرين جميعًا مضافان إليه خلقًا وإيجادًا، وإلى الفاعلين لهما فعلًا واكتسابًا»[1].



(١) «عون المعبود» (١٢/ ٤٥٣).



[٣٩٦] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، وينصرانه» قالوا: يا رسول الله، أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»(١).

[٣٩٧] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا إبراهيم بن الحجاج السامي قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن قيس بن سعد، عن طاوس، ومجاهد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أطفال المشركين»، فقال رجل: أين هم يا رسول الله؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»(٢).

[٣٩٨] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا سفيان، عن الزهري، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

---

(١) صحيح، رواه مالك في «الموطأ» في «الجنائز»، (١/ ٢٤١) حديث [٥٢] بهذا الإسناد، والبخاري في «القدر» حديث [٦٥٩٩] من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام (وهو ابن منبه) عن أبي هريرة به، وبدون ذكر السؤال، ومسلم في «القدر» حديث [٢٦٥٨] من طريق الزبيدي عن الزهري عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، بدون السؤال، وتحت هذا الرقم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به مع ذكر السؤال.

(٢) إسناده حسن، لكن رواه مسلم في «صحيحه» في «القدر» حديث [٢٦٥٩] من عدة طرق.

سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين؟ فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[١].

[٣٩٩] حدثنا أبو بكر القاسم بن زكريا المطرز قال: حدثنا أبو كريب محمد ابن العلاء قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من مولود يولد إلا على الفطرة، حتى تعبر عنه لسانه، فأبواه يهودانه وينصرانه أو يشركانه» قالوا: يا رسول الله، فكيف بمن كان قبل ذلك؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[٢].

[٤٠٠] وحدثنا أيضا قاسم المطرز قال: حدثنا يوسف بن موسى القطان، وسفيان بن وكيع قالا: حدثنا جرير يعنيان ابن عبد الحميد عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على هذه الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه، ويشركانه» فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن مات قبل ذلك؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين» ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه طرق كثيرة[٣].

[٤٠١] حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا محمد بن عاصم الثقفي قال: حدثنا مؤمل قال: حدثنا أبو عوانة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن

....

(١) إسناده صحيح، وأخرجه مسلم في «القدر» حديث [٢٦٥٩] من طرق عن الزهري به.

(٢) إسناده صحيح، وأخرجه مسلم بمعناه، وقد تقدم بهذا الإسناد أعني عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به.

(٣) إسناده حسن، فيه يوسف بن موسى القطان، سكت عنه الذهبي في «الكاشف»، وقال الحافظ ابن حجر فيه: «صدوق»، وقرن يوسف في هذا الإسناد بسفيان بن وكيع، قال فيه الذهبي في «الكاشف»: «ضعيف»، لكن أخرجه مسلم بإسناده إلى الأعمش به فالمتن صحيح.

ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين الكفار، الذين لم يبلغوا الحلم يعني العقل؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم»(١).

[٤٠٢] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا سريج بن يونس قال: حدثنا هشيم بن بشير، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذراري المشركين؟ فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»(٢).

[٤٠٣] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ قال: حدثنا أبي قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أولاد المشركين؟ فقال: «الله أعلم إذ خلقهم بما كانوا عاملين».

[٤٠٤] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن عبد الملك قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أولاد المشركين؟ فقال: «الله أعلم بما كانوا يعملون إذ خلقهم»(٣).

[٤٠٥] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا بقية بن الوليد قال: حدثني محمد بن زياد الألهاني قال: حدثنا عبد الله بن أبي قيس قال: حدثتني عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وسألتها عن ذراري المشركين؟ فقالت: سألت

(١) إسناده هنا حسن، فيه عطاء بن السائب، قال فيه الحافظ ابن حجر: «صدوق اختلط»، أما المتن فمتفق عليه، أخرجه البخاري في «القدر» حديث [٦٥٩٧] بإسناده إلى شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما به، ومسلم في «القدر» حديث [٢٦٦٠] من طريق أبي عوانة عن أبي بشر به، دون قوله: «الذين لم يبلغوا الحلم يعني العقل»، فلم يذكر في حديثهما.

(٢) **صحيح**، وقد أخرجه الشيخان بإسنادهما إلى أبي بشر به.

(٣) حديث (٤٠٣، ٤٠٤) إسنادهما صحيحان، وقد خرجها الشيخان بإسنادهما إلى أبي بشر به.

النبي ﷺ عنهم فقال: «هم مع آبائهم» فقالت: يا رسول الله، بلا عمل؟ فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»(١).

[٤٠٦] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا وكيع، عن طلحة بن يحيى، عن عمته، عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دعي النبي ﷺ إلى جنازة صبي يصلي عليه، فقلت: يا رسول الله طوبى له، عصفور من عصافير الجنة، ولم يعمل السوء، ولم يدر به فقال: «أو غير ذلك يا عائشة إن الله تعالى خلق للجنة أهلا، وخلقهم لها، وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا، وخلقهم لها، وهم في أصلاب آبائهم»(٢).

---

(١) في إسناده بقية: صدوق، كثير التدليس، لكنه صرّح هنا بالتحديث، وبقية رجاله ثقات، فالحديث حسن من هذا الطريق. وأخرجه أبو داود في «السنة» في «أبواب القدر» حديث [٤٧١٢] من طريق بقية، ومحمد بن حرب عن محمد بن زياد عن عبد الله بن أبي قيس عن عائشة بلفظ أطول.
وأحمد في مسنده (٦/ ٨٤) وفيه طول.
واللالكائي في «شرح الأصول» حديث [١٠٩١] بإسناد أبي داود به، فيرتقي هذا الحديث إلى درجة الصحيح.

(٢) في إسناده طلحة بن يحيى بن عبيد الله التيمي، قال فيه الذهبي في «الكاشف»: وثقه جماعة، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو زرعة: صالح.
وذكر الحافظ في «تهذيب التهذيب» عدة ممن وثقه، فقال: قال أحمد: صالح الحديث وهو أحب إليَّ من بريد بن أبي بردة.
وقال ابن معين: ثقة، وقدمه على أخيه إسحاق، وقال يعقوب بن شيبة والعجلي: ثقة، وقال أبو داود: ليس به بأس، وقال أبو زرعة والنسائي: صالح، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، حسن الحديث صحيح الحديث، وذكر أن يحيى القطان قال: ليس بالقوي، وقال الحافظ: «صدوق يخطئ»، والذي يبدو لي أنه حسن الحديث، لا سيما وهو من رجال مسلم، وقد روى هذا الحديث في «صحيحه» من طريق طلحة هذا، وتابعه فضل بن عمرو عن عائشة بنت طلحة به، فالمتن صحيح بلا ريب.

[٤٠٧] حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا الفضل بن زياد قال: قلت لأحمد بن حنبل قول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة» ما يعني به؟ قال: «الشقوة والسعادة»[(١)].

قال محمد بن الحسين: هذه السنن التي ذكرتها عن النبي ﷺ تدل على معنى كتاب الله، وتدل كل من عقل عن الله تعالى أن بعضها يصدق بعضا، كما أن الذي ذكرناه من كتاب الله تعالى يصدق بعضه بعضًا، يدل الكتاب والسنة على معنى ما أعلمناك من مذهبنا في القدر وقد كان النبي ﷺ يقول في خطبته إذا خطب: «من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له» كذا روى عنه جماعة من أصحابه، وكذا كان الصحابة يقولون في خطبتهم، إيمانًا وتصديقًا ويقينًا، لا يشك في ذلك أهل الإيمان.

[٤٠٨] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا حبان بن موسى قال: أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يقول في خطبته: يحمد الله، ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول: «من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»[(٢)].

....

(١) إسناده حسن على الأقل.

(٢) حسن، في إسناده جعفر بن محمد، وأخرجه مسلم في كتاب «الجمعة» حديث [٨٦٧]، والإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٧١) وابن أبي عاصم في «السنة» حديث [٢٤]، وصححه الألباني، وقال: «على شرط مسلم»، ويشهد له حديث ابن مسعود الآتي، فهو بهذا الاعتبار صحيح فعلًا.

[٤٠٩] وحدثنا أبو بكر قاسم بن زكريا المطرز قال: حدثني محمد بن أشكاب قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، عن سفيان يعني الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود قال: علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة: «إن الحمد لله، نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله»(١) وذكر الحديث.

[٤١٠] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا عبثر بن القاسم أبو زبيد، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: علمنا رسول الله ﷺ: التشهد في الحاجة: «إن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له»(٢) وذكر الحديث.

---

(١) في إسناده أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود: ثقة، لكنه مختلف في سماعه من أبيه، والراجح عدم سماعه، ويتقوى بالحديث الآتي عن الأحوص عن ابن مسعود.
رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٩٢)، وأبو داود الطيالسي حديث [٣٣٨].

(٢) في إسناده الأعمش وأبو إسحاق كلاهما مدلس، لكنه يرتقي إلى الصحة بما قبله، ويشهد له حديث جابر السابق.
أخرجه الترمذي في «كتاب النكاح» حديث [١١٠٥] وحسّنه، ثم قال: ورواه شعبة عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله عن النبي ﷺ وكلا الحديثين صحيح؛ لأن إسرائيل جمعهما، فقال عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص وأبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود، ورواه ابن ماجه في كتاب «النكاح» حديث [١٨٩٢] من طريق عيسى بن يونس بن أبي إسحاق قال: «حدثني أبي عن جدي أبي إسحاق عن أبي الأحوص به.
وابن أبي عاصم في «السنة» رقم [٢٥٥] مختصرًا، ومن طريق المسعودي عن أبي إسحاق به.

قال محمد بن الحسين: وقد روي عن البراء بن عازب قال: رأيت النبي ﷺ يوم الخندق وهو يقول:

اللهم لولاك ما اهتدينا ... ولا صمنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

وذكر الحديث[(١)].

[٤١١] وحدثنا أبو بكر قاسم بن زكريا المطرز قال: حدثنا أبو بكر بن زنجويه ومحمد بن سفيان قالا: حدثنا محمد بن يوسف الفريابي قال: حدثنا سفيان بن سعيد الثوري، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو يقول وذكر الحديث[(٢)].

قلت: وقد ذكر ابن عباس عن النبي ﷺ ما أوصاه به، وما وعظه به مما يدل على ما قلناه.

[٤١٢] أخبرنا الفريابي قال: حدثني أبو وهب الوليد بن عبد الملك الحراني قال: حدثنا محمد بن سلمة، عن أبي عبد الرحيم، عن أبي عبد السلام الشامي، عن يزيد بن أبي حبيب، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أهدت فارس لرسول الله ﷺ بغلة شهباء ململمة، كأنها أعجبت النبي ﷺ، فدعا بصوف وليف، فنحلنا لها رسنا وعذارا، ثم دعا بعباة خلق فثناها، ثم ربعها ثم وضعها عليها، ثم ركب وقال: «اركب يا غلام» يعني: ابن عباس فركبت خلفه،

....

(١) رواه البخاري في «المغازي» حديث (٤١٠٤، ٦٦٢٠)، ومسلم في «الجهاد» حديث [١٨٠٢]، ارتجز به سلمة بن الأكوع كلاهما بلفظ: «والله لولا الله ما اهتدينا».

(٢) أخرجه البخاري ومسلم في المواضع التي ذكرتها.

فسرنا حتى حاذينا بقيع الغرقد، فضرب بيده اليمنى على منكبي الأيسر، وقال: «يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، ولا تسأل غير الله، ولا تحلف إلا بالله، جفت الأقلام وطويت الصحف، فوالذي نفسي بيده، لو أن أهل السماء وأهل الأرض اجتمعوا على أن يضروك بغير ما كتب الله لك ما استطاعوا، ولو أن أهل السماء وأهل الأرض اجتمعوا على أن ينفعوك بغير ما كتب الله لك ما استطاعوا ذلك» قلت: يا رسول الله، كيف لي بمثل ذلك من اليقين، حتى أخرج من الدنيا؟ قال: «تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك»(١).

[٤١٣] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي قال: حدثنا عباد بن العوام قال: حدثنا عبد الواحد بن سليم، عن عطاء، عن ابن عباس قال: كنت رديف النبي ﷺ قال: فقال لي: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، رفعت الأقلام وجفت الصحف، والذي نفسي بيده لو جاءت الأمة لتنفعك بغير ما كتب الله عَزَّوَجَلَّ لك

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٩٣) من قول رسول الله ﷺ: «يا غلام احفظ الله يحفظك».. الحديث، من طريق الليث عن قيس بن الحجاج عن حنش به، و(١/ ٣٠٣)، وفي إسناده ابن لهيعة و(١/ ٣٠٧) من طريق كهمس بن الحسن عن الحجاج بن فرافصة، ومن طريق ابن لهيعة ونافع بن يزيد عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس به مرفوعًا.
وأخرجه الترمذي في أبواب «صفة القيامة» حديث [٢٥١٦] من طريق ابن المبارك قال: أخبرنا ليث ابن سعد وابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن حنش به.
فالحديث صحيح بمجموع هذه الطرق، لا سيما وقد رواه ابن المبارك عن ابن لهيعة، وروايته عن ابن لهيعة قوية؛ لأنه روى عن ابن لهيعة قبل اختلاطه.
ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» حديث [٣١٦] من طريق الليث به وحديث [٣١٧] من طريق عكرمة عن ابن عباس و [٣١٨] من طريق حجاج بن فرافصة عن عقيل عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس مقتصرًا فيها على الأسانيد، وصححه الألباني عند كل إسناد.

ما استطاعت ذلك، ولو أرادوا أن يضروك بغير ما كتب الله لك ما استطاعوا ذلك أو قال: ما قدرت»(١).

[٤١٤] حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا محمد بن الوليد الفحام قال: حدثنا يحيى بن ميمون بن عطاء أبو أيوب، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الله ابن عباس: «يا غلام أو يا غليم أو أعلمك شيئا، لعل الله أن ينفعك به؟ احفظ الله يحفظك، احفظ الله يكن أمامك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك عند الشدة، جف القلم بما هو كائن، فلو أن الناس اجتمعوا على أن يعطوك شيئًا لم يعطك الله لم يقدروا عليه، ولو أن الناس اجتمعوا جميعًا على أن يمنعوك شيئًا قدره الله لك وكتبه ما استطاعوا، واعلم أن لكل شدة رخاء، وأن مع العسر يسرًا، وأن مع العسر يسرًا»(٢).

وبالله التوفيق.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حسبنا الله ونعم الوكيل، والحمد لله على كل حال، قد ذكرنا ما احتججنا به من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ومن سنة

....

(١) في إسناده عبد الواحد بن سليم ضعّفه الحافظ في «التقريب»، وقال الذهبي في «الكاشف»: «ضعّفوه، حتى قال أحمد: أحاديثه موضوعة»، ويكفينا تصحيحه السابق، وعلى القول بتضعيفه فقط يتقوى بما قبله.

(٢) إسناده ضعيف جدًا، فيه يحيى بن ميمون أبو أيوب التمار البغدادي، قال عمرو بن علي: كتبت عنه وكان كذابًا، حدّث عن علي بن زيد بأحاديث موضوعة.

وفيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف.

رواه الخطيب في «تأريخه» (١٦/ ١٨٩)، ونقل عن الدارقطني قوله في يحيى هذا بأنه متروك.

رسـول الله ﷺ مـن الـرد علـى القدريـة، وأنـا أذكـر مـا روي عـن صحابـة رسـول الله ﷺ ورضي الله عن الصحابة أجمعـين من ردهم على القدرية على معنى الكتاب والسـنة، ثم أذكر عن التابعين لهم بإحسـان، وعن أئمة المسـلمين من ردهم على القدرية، وتحذيرهم للمسلمين سوء مذاهبهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسـلام على رسـول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه؛ أما بعد:

قـد سـاق المصنف تحت هذا العنوان عددا من الأحاديـث، وهي حديث أبي هريرة مـن طـرق وحديث ابـن عباس من طرق وحديث عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مـن طريقين، وكلها تتعلق بمصير أطفال المشركين، وذلك راجع إلى علم الله الشامل ومشيئته الشاملة لما كان ولما سيكون.

وحديـث جابـر وحديث ابن مسـعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كلاهمـا يدل عـلى أن الله يهدي من يشـاء ويضـل من يشـاء، فلا هادي لمن أضـل الله ولا مضل لمن هـدى الله، فهداية الناس وإضلالهم كل ذلك يرجع إلى تقدير الله ومشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

وحديـث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الأخير يدل على أن الأمور كلها بتقدير الله ومشـيئته فـما شـاء كان، وما لم يشـأ لم يكـن، وما أصاب الإنسـان بتقديـر الله لا يمكـن أن يخطئه، ومـا أخطأه لم يكـن ليصيبه، ولو اجتمعـت الأمة كلها؛ لينفعوا العبـد بشيء لا يمكن أن ينفعـوه إلا بشيء أراده الله وكتبه له، رفعـت الأقلام، **أي:** أقلام القدر وجفت الصحف،

فلا مغير ولا مبدل لشيء علمه ثم كتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

فهذه الأحاديث في القدر والآيات في القدر أيضًا يجب أن يؤمن بها العباد.

ولقد آمن بها أهل السنة والجماعة، وضل فيها القدرية والجبرية، وهما على طرفي نقيض كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله قال: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه**» قالوا: يا رسول الله، أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**».

والباب كله يدور على هاتين الفقرتين بزيادة حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فما المراد بقوله «**كل مولود يولد على الفطرة**» فيها أقوال أصحها أن الفطرة هذه المذكورة في هذا الحديث الإسلام وحكى على ذلك ابن عبد البر قول جمهور السلف وإجماع أهل التأويل[1] **يعني**: المفسرين أن المراد بالفطرة المذكورة في هذا الحديث وفي قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] **يعني**: الإسلام.

فكل مولود يولد على الفطرة يعني: سليم القلب سليم النفس يتمتع بالاستعداد لتقبل الحق لولا ما يطرأ عليه لو تُرِك وشأنه لما تغير عن هذا الاستعداد وليس معنى ذلك أن هذا المولود يولد عالمًا ويعرف الحق ويعرف التوحيد ويعرف كل شيء، لا، معناه أن الله خلقه مستعدًا لتقبل الحق سليمًا من الفساد ما في قلبه أي: فساد ثم بعد ذلك يطرأ هذا الفساد كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل ترون فيها من جدعاء أو كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

(١) انظر: «التمهيد» (١٨/ ٧٢)، وانظر: الأقوال الأخرى: (١٨/ ٦٨، ٧٨، ٨٣، ٩٠، ٩٣) منه.

يعني البهيمة تولد سليمة وبعد ذلك يقطعون أذنها يقطعون أعضاءها وقلب المولود يولد سليمًا فيأتي أبواه يفسدانه إن كانا يهوديين نشآه وحولاه إلى اليهودية عن هذه الفطرة الطيبة وإن كانا نصرانيين حولاه إلى النصرانية وإن كانا مجوسيين نشآه على المجوسية وهكذا.

الشاهد: أنه يولد على فطرة الإسلام معناه أنَّ عنده استعدادًا لتقبل الحق وليس فيه أي فساد أبدا فالفساد طارئ، فما يولد هذا الطفل يهوديًا أو نصرانيًا أو مجوسيًا، لا.

يولد على الفطرة، ثم إن كان قد كتب الله له السعادة سلم من الفساد، وإن كان قد كتب الله له الشقاء سلط الله عليه هذين الأبوين الضالين وقد ينجو ويدخل الإسلام بعد إفساده إذا أراد الله له السعادة؛ هذا الشطر الأول.

الشطر الثاني: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**» يعني لو عاش هؤلاء الأطفال فالله يعلم ماذا سيعملون من كان شقيا سيعمل بعمل أهل الشقاء ومن كتب الله له السعادة سيعمل بعمل أهل السعادة هذا معنى قوله: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**» ليس معناه أن الرسول متوقف في أمرهم ما يدري ثم علم بعد ذلك، لا.

«**الله أعلم بما كانوا عاملين**» **يعني:** أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد كتب السعادة والشقاء ويعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ماذا سيؤول إليه الحال لو عاش هذا الطفل ماذا سيؤول إليه حاله من الكفر أو ما سيؤول إليه حاله من الإسلام هذا هو معنى الحديث؛ لأن بعضهم يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان يعلم فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**» ثم بعد ذلك علم أن أطفال المؤمنين في الجنة.

ثم بالنسبة لأطفال المشركين من مات منهم طفلًا، الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يبعث إليهم يوم القيامة من يختبرهم ويمتحنهم ويدعوهم إلى التوحيد فمن استجاب منهم أدخله

الله الجنـة ومـن عـصى منهم أدخلـه الله النـار بما ظهر مـن علمه بـه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لأن الله لا يعذب على مجرد العلم وإنما يعذب على الجريمة فهؤلاء الذين رفضوا الرسالة في الآخرة لو عاشوا الرفضوها في الدنيا كما قال الله في أمثالهم: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، فنفوسـهم يعني نفوس كفـار والعياذ بالله فاختُبروا في الآخرة،فعصوا الرسـول وأبوا أن يدخلوا النار فاستحقوا العذاب،فهذا الحديث «**الله أعلم بما كانوا عاملين**» يعني ماذا سيعملون لو عاشوا أيكونون كفارًا أو يكونون مسلمين، ثم يختبر هؤلاء في الآخرة فمن أراد الله له السـعادة اسـتجاب للدعوة في الآخرة فاستحق دخول الجنة ومن عصى وتمرد هذا بعمله وعصيانه استحق الشقاء ودخول النار.

لأن هناك أحاديث منها حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن الله يبعث إلى هؤلاء رسـولًا يختبرهـم ويدعوهـم إلى الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فمن اسـتجاب دخـل الجنة ومن عـصى دخل النار مثل أهل الدنيا عصوا الرسـل في الدنيا فاسـتحقوا النار وهؤلاء عصوا الرسل في الآخرة فدخلوا النار.

سـاق المؤلـف حديث ابن عبـاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في الأخير وسـاق الأبيات هـذه وكلها الشـاهد منها أن ما شـاء الله كان وما لم يشـأه لم يكن وأن الذي يريده الله للإنسان من خير فـلا يـردَّه أحد ولو اجتمع من في السـماء والأرض، وما أراد به مـن ضر فلو اجتمع أهل السـماء والأرض ليصرفوا عنه ذلك الضر لا يسـتطيعون ذلك كما في الحديث: «**واعلم أن الأمـة لـو اجتمعوا على أن ينفعوك بشـيء لا ينفعوك إلا بشـيء قـد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لا يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»، وهذا يعطي المرء ثقة بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وتوكلا عليه واعتمادًا عليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ولكن مع بذل الأسباب.

بعض ضلال الصوفية يفهمون من آيات التوكل ومن أمثال هذا الحديث فهمًا سيئًا فلا يأخذون بالأسباب الشرعية لحصول مطالبهم الآخروية والدنيوية، ويظنون أنهم قد حققوا مرتبة التوكل الذي أمر الله به ومدح أهله، وهذا فهم سيء وظن باطل فالله الذي أمر بالتوكل أمر بالأخذ بالأسباب فتعطيل الأسباب اتكال وتواكل وليس توكلا(١).

فالله يقول: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥]، وأباح التجارة والزراعة للحصول على الرزق والكسب الحلال ووعدنا بالجنة.

وأمر بالقيام بالأعمال الصالحة والعقائد الصحيحة التي هي أسباب لدخول الجنة والنجاة من النار، وشرع الجهاد ووعد المجاهدين بالعزة والنصر وكلفهم بالأخذ بأسباب النصر من إعداد العدة للقتال وإرهاب العدو والأخذ بالحذر من مكايد الأعداء وهكذا.



(١) روى البخاري في صحيحه في «الحج»، حديث [١٥٢٣] وأبو داود في «المناسك»، حديث [١٧٣٠] عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحُجُّونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

الأسئلة

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يسأل السائل يقول: الاختبار يوم القيامة هل يكون لكل الأطفال أو لأطفال المشركين فقط.

جواب: لا؛ لأطفال المشركين، أما أطفال المؤمنين كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١].

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: جاء في البخاري في حديث سمرة بن جندب في رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيه: «وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ»، فقال بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ الله وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ»[1].

أليس فيه دليل على أن أولاد المشركين في الجنة؟

جواب: ولا يمنع هذا من الاختبار، والله أعلم.

سؤال: يقول السائل: من هم أهل الفترة؟ وما مصيرهم؟ وهل من مات قبل بعثة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل الفترة؟ وهل أبوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النار مخلدين فيها.

جواب: أهل الفترة هم الذين ما جاءهم من نذير؛ والذي ما جاءه من نذير ما جاءته رسالة ما بلغته رسالة محمد أو رسالة موسى أو عيسى هؤلاء هم أهل الفترة ولهذا قالوا في النص هذا ما جاءنا من نذير هؤلاء هم أهل الفترة.

وأَبَوَا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغهما من دعوة إبراهيم ما تقوم عليهما به الحجة هما وكثير من أهل الجاهلية، ولهذا كان ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل على الإسلام

(١) رواه البخاري في «التعبير»، حديث [٧٠٤٧].

والفطـرة وكانا ينكـران الشرك[١]، ووجد أناس في الجاهلية كانـوا على الفطرة ويحاربون الشرك منهم أبو ذر وأخوه[٢] أيضًا كانا على الفطرة وكانا ينكران الشرك.

وعمرو بن عبسـة السلمي، قال: «كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان...»[٣].

---

(١) روى البخـاري في صحيحـه في «بـدء الوحـي»، حديث [٣] ومسـلم في «الإيـمان»، حديث [١٦٠]: عَـنْ عَائِشَـةَ أُمِّ الْـمُؤْمِنِـينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُـولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِـنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَـةُ فِي النَّـوْمِ - وذكـرت الحديث - إلى قولهـا: فَانْطَلَقَتْ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَـتْ بِهِ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَقَـةَ بْـنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَـدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَـةَ - وَكَانَ امْرَأً تَنَـصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَـابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَـاءَالله أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَـيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ - فَقَالَـتْ لَـهُ خَدِيجَـةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْـمَعْ مِـنَ ابْنِ أَخِيـكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَـةُ: يَا ابْـنَ أَخِيماذَا تَـرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُـولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَـبَرَ مَـا رَأَى. فَقَـالَ لَـهُ وَرَقَـةُ: هَـذَا النَّامُـوسُ الَّـذِي نَـزَّلَ الله عَـلَى مُوسَـى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَـا لَيْتَنِـي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُـونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُـولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَمُخْرِجِـيَّ هُـمْ؟». قَـالَ: نَعَمْ؛ لَمْ يَـأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْـتَ بِهِ إِلاَّ عُـودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. واللفظ للبخاري.

وانظر: «الإصابة» لابن حجر (٦/ ٦٠٧-٦٠٩)، رقم [٩١٣٧].

وعَنْ أَسْـمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ وَهُوَ مُسْـنِدٌ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ، يَقُـولُ: يَـا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا مِنْكُمُ الْيَوْمَ أَحَدٌ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ غَيْرِي، وَكَانَ يُصَلِّي فِي الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُ: إِلَهِي إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ، وَدِينِي دِينُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ يُحْيِي الْـمَوْءُودَةَ، فَيَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ: لا تَقْتُلْهَا، إِلَيَّ فَأَنَا أَكْفِيكَ مَئُونَتَهَا، حَتَّى إِذَا تَرَعْرَعَتْ قَالَ: إِنْ شِـئْتَ فَخُذْهَا الآنَ، وَإِنْ شِـئْتَ فَدَعْهَا أَكْفِيكَ مَئُونَتَهَا، وَسُـئِلَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ». رواه ابـن أبي عاصـم في «الآحـاد والمثـاني» (٢/ ٢) رقـم [٧٧١] واللفظ له. والنسـائي في «الكبرى» (٥/ ٥٤) رقـم (٨١٨٧-كسروي)، والمحامـلي في «الأمـالي» (١١، ١٢) والحاكـم في «المسـتدرك» (٣/ ٤٩٨) رقم [٥٨٥٩] - مقتصرًا على الموقوف - وقال: «صحيح على شرط الشيخين». والموقوف علقه البخاري في صحيحه: كتاب «المناقب»، باب: حَدِيثُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، حديث [٣٨٢٨]. انظر: «فتح الباري» (٧/ ١٤٥)، و«السيرة النبوية» لابن كثير (١/ ١٥٣-١٦٥).

(٢) انظر: «صحيح مسلم»، «فضائل الصحابة»، حديث (٢٤٧٣، ٢٤٧٤).

(٣) رواه مسلم، حديث [٨٣٢].

ومنهـم من مات على ضلال ومن أسـباب هـذا -والله أعلم- أنهم بلغهم شيء من دعـوة إبراهيـم ولهـذا كان زيد بن عمرو بن نفيـل يقول لهم: والله ما بقـي إلا أنا على ملة إبراهيم معناه أنهم وصلهم شيء من دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

سؤال: شيخنا؛ يقول السائل: جاء في الحديث الصحيح أطفال المشركين خدم أهل الجنة هل هذا يكون بعد الامتحان.

جواب: هذا الحديث أورده الألباني في «سلسـلة الأحاديث الصحيحة» تحت رقم [١٤٦٨] وصححه بمجموع طرقه.

سؤال: شـيخنا أحسن الله إليك؛ يقول السـائل: ما رأيكم فيمن يقول أنه لا ينبغي أن يُعلم الشباب المبتدئون المنهج؛ لأن هذا يسبب لهم الانتكاسة ولأن يكون الشاب تبليغيا أو إخوانيا خير له من أن ينتكس بسبب تعليمه المنهج؟

جواب: ما هي الانتكاسة هذه؟ ردة؟ يعني دراسة المنهج السلفي تسبب الردة يـا إخـوة؟!! **يعني**: التبليـغ مبتدعة والإخوان المسـلمين أهل بدع كما تـرون وهذا الذي يعلم المنهج يصير أسـوأ منهما يصير كافرًا؟!!المعروف عند أهل السـنة أن الفاسـق أهون من أهل البدع ولهذا يقول أهل السنة: فاسقنا خير من عابدهم[1] فاسق أهل السنة يعتقد عقائـد صحيحـة ويؤمن بهـذا المنهج ويحترمـه ولكن غلبت عليه الشـهوات فهو فاسـق لا شك وعاص، ولكن أهل البدع الذين يرون فساد هذا المنهج يرون أنه باطل ويحاربونه، بـالله واحد يرى أن منهج السـلف حق وأنهم على حق ويحبهم مـن أجل هذا المنهج وهو منحـرف في أخلاقه وفي سـلوكه وواحـد يرى هذا المنهج باطل يفرق المسـلمين ويحارب

---

(١) انظر: «شرح السنة» للبربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ، ص: (٥٤-٥٥) رقم (١١٦-ابن القيم).
وقال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتـاوى» (٢٠/ ١٠٣): «أهل البدع شر من أهل المعاصي الشهوانية بالسنة والإجماع».

التوحيد ويحارب هذا المنهج ويعبد الله ليلًا ونهارًا إيش قيمة هذه العبادة إيش قيمة هذا العمل؟؛ هذا يقوله جهلة معادين لهذا المنهج، هذا المنهج هو سبب في الاستقامة والثبات إن شاء الله، الذي يريد الله به خيرًا والله يقرأ هذا المنهج ويثبت ثبوتًا كاملًا عقيدة ومنهجًا وأخلاقًا...، الذي يدرس منهج التبليغ فيه الحلول ووحدة الوجود والخرافات والأساطير يكون أحسن من الذي يدرس منهج السلف حتى الصلاة يأبون أن يصلوا كصلاة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يرفضون والله؛ والله أعرف أناسًا من التبليغ يسيئون في صلاتهم ورب السماء وأسوق لهم الأدلة على خطئهم في هذه الأعمال في الصلاة والله يعاندون ولا يقبلون الأدلة؛ أقول لهم: هذه صلاة الرسول على هذه الكيفية منها رفع اليدين منها وضع اليدين على الصدر... صلاة ركعتي الفجر التبليغي المتعصب يجيء والإمام في صلاة الفجر والناس في الصلاة المكتوبة ما يدخل مع المسلمين في الصلاة تقول له: صلِّ المكتوبة مع المسلمين وبعد ذلك تصلي هاتين الركعتين؛ركعتي الفجر، إن شاء بعد الصلاة وإن شاء بعد طلوع الشمس يأبى، يأتي والمسلمين في جماعة تقول: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أصلاتان معًا**» الرسول رأى رجلًا يصلي خارج الجماعة يصلي سنة قال له: «**الفجر أربعًا**».

تسوق له هذه الأدلة يأبى ويعاند، هذا الفاسق تقول له صلاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذا وكذا يقول لك: حاضر جزاك الله خيرًا لا يقول لك: لا.

سؤال: شيخنا؛ يقول السائل: يقول البعض لا يجوز لك إنكار المنكر إلا إذا رأيته أما لمجرد السماع فلا لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده..» إلى آخر الحديث.

جواب: لا؛ **يعني**: إذا كان المنكر مخفيًا لا تراه ولا تسمعه في هذه الحال لا تبحث ولا تجسس على الناس أما إذا كنت تسمعه تسمعه يسب الله، تسمعه يغتاب هذا كلام يُسمع

مـا يُـرى، إنّ تقييده بالرؤية فقط هذا من البلاء والجهل، جارك تسـمعه يغني يطبل وكذا وكذا لا تهجم عليه في بيته، إذا خرج قل له: السلام عليكم، كيف حالك؟ والله يا أخي الله يقـول: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم: ٦]، وحرم هذا رسـول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإني سمعتُ والله أغاني من بيتك، سمعتُ كذا، تنصحه بالحكمة، فالواجب إنكار المنكر عند رؤيته أو سماعه [(١)].

سؤال: شيخنا؛ يقول السائل: كيف نرد على الذين ينكرون دلالة حديث إرسال الرسل يوم القيامة لمن كان معذورا في الدنيا بحجة أن فيه التكليف لما لا يطاق وهو دخول النار.

جواب: الجواب أن هذا التكليف ليس مما لا يطاق، والاعتراض على الأحاديث النبوية لا يجوز.

سؤال: شيخنا؛ يقول السائل: ما الفرق بين الحزبي والخارجي؟

جواب: قد يكون هناك فروق بينهم الحزبي يدَّعي أنه ما يكفر بالكبيرة والخارجي يكفر بالكبيرة والخارجي يطعن في أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ما عدا أبا بكر وعمر، توجد فروق بينهم، الخارجي الآن مثلا يعطل الصفات وعلى طريقة المعتزلة إنكار القدر والحـزبي قـد لا يكـون كذلك لكن يشـاركه في التفكير واسـتباحة الخـروج ومحاربة أهل السنة، وهذه المسائل ليست سهلة وقد يشاركه في التكفير ببعض الذنوب.

---

(١) روى أحمد (٣/ ٥، ٤٤، ٤٦، ٥٠، ٥٣، ٦١، ٨٤، ٩٢) والترمذي [٢١٩١] وقال: «حسن صحيح». وابـن ماجـه [٤٠٠٧] وأبو يعلى (١٢٩٧، ١٤١١) والطبراني في «الأوسـط» (٢٨٠٤، ٤٩٠٦) وابن حبان (١/ ٥١١) رقم [٢٧٨]، وغيرهم من طرق عن أبي نضرة عن أبي سـعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال قـال رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**لا يمنعـن أحدكم هيبـة الناس أن يقول في حق إذا رآه أو شـهده أو سمعه**». وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصحيحة» [١٦٨].

سؤال: ما صحة حديث السفياني ومنهم من يقول أنه صدام حسين؟

جواب: حديث السفياني أعتقد أنه ضعيف [(١)]، والظاهر نص على ضعفه الحافظ ابـن حجـر لكن حديث رجل من قحطان صحيـح [(٢)]، حديث الجهجاه صحيح [(٣)]، أما السـفياني فأنا قرأت كثيرًا من أسـانيده في «الحلية» لأبي نعيم يختلف في زمانه ويختلف في نسـبه كلام كثير كله ما يصح منه شيء وصدام حسـين ليس بالسـفياني وليس بالقحطاني وليس هو بالجهجاه، هو شيء آخر.

سؤال: شـيخنا حفظكم الله؛ قول النبي ﷺ سـيماهم التحليق [(٤)] هل في هذا الزمان من أكثر من التحليق يكون متشـبهًا بهم؛ لأن بعض المشـايخ يقول: ليس علامة لهم الآن؟

جواب: الذي لا يقصد التشبه بهم بل يريد أن يحلق رأسه هذا جائز؛ لأن الأصل الجـواز ولا يريد أن يتشـبه بهـؤلاء، فهذا ليس منهم هـم كانوا يتخذون التحليق شـعارًا لهـم يميزهم عن المسـلمين، يتخذون التحليق شـعارًا كما يتخذ الشـيعة اللباس الأسـود هذا شـعارًا العمامة السـوداء وما شـاكلها وكما يتخذ الصوفية المرقعات وبعض الألبسـة التي يمتازون بها عن الناس فهذه الشـعارات التي يريد بعض الناس أن يتميزوا بها تدينًا

---

(١) انظـر: أحاديث السـفياني في «الفتن» لنعيم بن حماد المروزي، و«السـنن الـواردة في الفتن» لأبي عمرو الداني.

(٢) روى البخـاري في «المناقـب»، حديث [٣٥١٧]، وفي «الفتن» [٧١١٧]، ومسـلم في «الفتن وأشراط السـاعة»، حديـث [٢٩١٠] عـن أبي هريرة رضي الله عنه عَـنِ النَّبِيِّ ﷺ قَـالَ: **«لاَ تَقُومُ السَّـاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ»**.

(٣) روى مسـلم في «الفتـن وأشراط السـاعة»، حديـث [٢٩١١] عـن أبي هريـرة رضي الله عنه عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَالَ: **«لاَ تَذْهَبُ الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْجَهْجَاهُ»**.

(٤) رواه البخـاري في «التوحيد»، حديث [٧٥٦٢]، ومسـلم في «الزكاة»، حديث [١٠٦٤]. من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

تميزهم عن المسلمين فهؤلاء أهل ضلال مثل فعل الخوارج في التحليق أما الذي يحلق لأن هذا جائز فلا يدخل في هذا إن شاء الله، إلا إذا اتخذه شعارًا.

سؤال: شيخنا؛ يقول السائل: كيف الجمع بين درء المفاسد وبين تطبيق عقيدة الولاء والبراء مع ولاة الأمر السكوت عن بعض الأخطاء.

جواب: المفاسد تتفاوت مفسدة الخروج كبيرة وعظيمة جدًّا لا تعادلها مفسدة لما فيه من سفك الدماء وهتك الأعراض وإهلاك الأموال، ولا يزيد عليها في الفساد إلا الشرك والله أعلم، ولهذا حذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد التحذير ووصف الخارجين بأنهم أهل جاهلية وذمهم أشد الذم، وأمر بقتل الخوارج وسماهم شر الخلق والخليقة، فما فيه أسوأ من الخروج؛ الخروج عظيم لأن فيه فسادًا عظيمًا، تسفك به الدماء وتستحل به الفروج والأموال، انظر مثلًا صدام على كفره وضلاله وخبثه يعني ما حصل من الفساد في عهده مثل ما حصل بعد ذهابه، حصلت فوضى وسفك دماء ونهب أموال... الصومال كان يحكمها حاكم مجرم شيوعي أو علماني لكن بعد ما طردوه وذهب حصلت فوضى في الصومال من ذلك الوقت إلى هذا الوقت ولا يدرى متى تنتهي، فهذه الأمور تحتاج إلى معالجات حكيمة يعرفها العلماء، ليس الفوضويون هم الذين يعالجونها والسفهاء والأحداث.

الحاكم مسلم عاص يجب الصبر عليه أبدًا ما دام يصلي أو لم ترَ فيه كفرًا بواحًا عندك من الله فيه برهان، فإذا ظهر كفر بواح نقول: وازن بين المصالح والمفاسد، قد تقوم بحركة تقضي على الإسلام وعلى من معك من المسلمين، فصارت مفسدة أعظم.

❁ ❁ ❁

الجُزْءُ السَّادِسُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه أستعين

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله على كل حال، قد ذكرنا ما احتججنا به من كتاب الله، ومن سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرد على القدرية، وأنا أذكر ما روي عن صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورضي الله عن الصحابة أجمعين من ردهم على القدرية على معنى الكتاب والسنة، ثم أذكر عن التابعين لهم بإحسان، وعن أئمة المسلمين من ردهم على القدرية، وتحذيرهم للمسلمين سوء مذاهبهم.



[٤١٥] أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عمن أخبره، عن عبد الله بن شداد

....

قال: قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الله تَعَالَىٰ خلق الخلق، فجعلهم نصفين، فقال لهؤلاء: ادخلوا الجنة، وقال لهؤلاء: ادخلوا النار ولا أبالي»[١].

[٤١٦] حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال: حدثنا داود بن رشيد قال: حدثنا يحيى بن زكريا، عن موسى بن عقبة، عن أبي الزبير، وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله، أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأبي بكر: «يا أبا بكر إن الله تَعَالَىٰ لو لم يشأ أن يعصى ما خلق إبليس»[٢].

[٤١٧] أخبرنا الفريابي قال: حدثنا إبراهيم بن الحجاج السامي قال: حدثنا عبد العزيز بن المختار قال: حدثنا خالد الحذاء، عن عبد الأعلى بن عبد الله، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: خطبنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالجابية، والجاثليق ماثل بين يديه، والترجمان يترجم فقال عمر: من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، فقال الجاثليق: إن الله لا يضل أحدًا، فقال عمر: ما يقول؟ فقال الترجمان: لا شيء، ثم عاد في خطبته، فلما بلغ: من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، فقال الجاثليق: إن الله لا يضل أحدًا، فقال عمر: ما يقول؟ فأخبره، فقال: كذبت يا عدو الله، ولولا عهدك لضربت عنقك، بل الله خلقك، والله أضلك، ثم الله يميتك، ثم يدخلك النار، إن شاء الله، ثم قال: «إن الله تَعَالَىٰ لما خلق آدم نثر ذريته، فكتب أهل الجنة وما هم عاملون، وأهل النار وما هم عاملون، ثم قال: هؤلاء

---

(١) في إسناده ضعف؛ لأن فيه راويًا مبهمًا وهو شيخ عمرو بن دينار، وقد رواه البيهقي في «القدر» بإسناد مرسل، فيحتمل التحسين، والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف؛ لأن فيه يحيى بن زكريا، والصواب أبو زكريا، وهو ضعيف، لكن الحديث له طريقان، أحدهما عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وهو حسن الحديث، وقد حسنه الألباني في «الصحيحة» حديث [١٦٤٢].

لهـذه، وهـؤلاء لهذه» وقد كان النـاس تذاكروا القدر، فافـترق الناس، وما يذكره أحد.

[٤١٨] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا وهب بن بقية الواسطي قال: أخبرنا خالد وهـو ابـن عبد الله عـن خالد وهو ابن مهران الحـذاء أبو المنازل عـن عبد الأعلى بن عبـد الله، عـن عبـد الله بـن الحـارث بن نوفـل قال: خطبنـا عمـر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالجابية، والجاثليـق بـين يديه، والترجمـان يترجم، فقال عمر: «من يهـده الله، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له» وذكر الحديث إلى آخره.

قـال محمد بن الحسـين: وقـد ذكرنا عـن عمر وعلـي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا حديثهما عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في القدر، وهو أصل كبير مما يرد به على القدرية الأشقياء.

وقد روي عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه كان يعلم الناس إثبات القدر، وأن الله تَعَالَىٰ خلق الخلق شقيًّا وسعيدًا.

[٤١٩] حدثنـا أبـو بكر بـن أبي داود قال: حدثنا محمد بن وزير الواسـطي قال: حدثنـا نـوح ابـن قيس الطاحي، عن سـلامة الكنـدي قال: كان علـي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يعلم النـاس الصلاة على النـبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيقول: «قولوا: اللهم داحـي المدحوات، وبارئ المسـموكات، وجبار القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك، ونوامـي بركاتـك، ورأفـة تحيتـك علـى محمد عبـدك ورسـولك» وذكـر الحديث بطوله.

[٤٢٠] وأخبرنـا أبـو الحسـن علي بن إسـحاق بن زاطيا قـال: حدثنا محمد بن وزير الواسطي قال: حدثنا نوح بن قيس، فذكر الحديث بإسناده مثله.

....

٤٢١- وأخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال: حدثنا عبد العزيز وهو ابن أبي سلمة قال: أخبرنا عبد الله ابن عبد الرحمن بن كعب بن مالك في حديث رفعه إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ذكر عنده القدر يومًا، قال: فأدخل إصبعيه في فيه: السبابة والوسطى قال: فأخذ بهما من ريقه، فرقم بهما ذراعه ثم قال: أشهد أن هاتين الرقمتين كانتا في أم الكتاب»[1].

٤٢٢- وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا أيوب شيخ لنا قال: حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي قال: حدثنا عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جده قال: أتى رجل علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: أخبرني عن القدر؟ قال: «طريق مظلم، فلا تسلكه» قال: أخبرني عن القدر؟ قال: بحر عميق فلا تلجه «قال: أخبرني عن القدر؟ قال: «سر الله فلا تكلفه» قال: ثم ولى الرجل غير بعيد ثم رجع فقال لعلي: في المشيئة الأولى أقوم وأقعد، وأقبض وأبسط فقال له علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إني سائلك عن ثلاث خصال، ولن يجعل الله لك ولا لمن ذكر المشيئة مخرجا، أخبرني: أخلقك الله تَعَالَىٰ لما شاء، أم لما شئت؟» قال: لا، بل لما شاء قال: أخبرني، أفتجيء يوم

---

(١) في إسناده عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، أورد هذه الترجمة البخاري في تاريخه (٥/ ١٣٣)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥/ ٩٥)، وابن حبان في «الثقات» (٧/ ٣)، وابن حجر في «تعجيل المنفعة» (١/ ٧٥٠)، ولم يذكروا فيه جرحًا ولا تعديلًا، ولم يذكروا له رواية عن عليٍّ، ولم يذكروا في الرواة عنه عبد العزيز بن أبي سلمة. وعبد العزيز هو ابن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، ترجمه المزي في «تهذيب الكمال» (١٨/ ١٥٢-١٥٤)، ولم يذكر في شيوخه عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك.

رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٥٨١-الأثيوبي) من طريق أحمد بن يحيى الحلواني به.

ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٩٥٥]، ومن طريقه البيهقي في «القضاء والقدر» [٤٦٩]، وكذا اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» [١٢١٣]: حَدَّثَنِي أَبِي، نا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ، نا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي سَلَمَةَ، به نحوه.

القيامة كما شاء أو كما شئت؟ قال: لا، بل كما شاء، قال: فأخبرني، أخلقك كما شاء، أو كما شئت؟ قال: لا، بل كما شاء قال: فليس لك من المشيئة شيء[1].

قال محمد بن الحسين: من خالف هؤلاء خولف به عن طريق الحق.

٤٢٣- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا أبو عامر العقدي قال: حدثنا هشام بن سعد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أبي الأسود الدؤلي قال: قدمت البصرة، وبها عمران بن الحصين صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجلست في مجلس، فذكروا القدر فأمرضوا قلبي فأتيت عمران بن حصين فقلت: يا أبا نجيد إني جلست مجلسًا فذكروا القدر فأمرضوا قلبي، فهل أنت محدثي عنه؟ فقال: «نعم: تعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ لو عذب أهل السموات وأهل الأرض لعذبهم حين يعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته أوسع لهم، ولو كان لك

---

(١) إسناده ضعيف جدًا، فيه:

١- إسماعيل بن عمرو البجلي، قال فيه أبو حاتم والدارقطني: ضعيف. ووثقه ابن حبان وغيره. قلت: ذكر له ابن عدي عدة أحاديث أنكرت عليه، وقال: «وهذه الأحاديث التي أمليتها مع سائر رواياته التي لم أذكرها عامتها مما لا يتابع إسماعيل أحد عليها وهو ضعيف، وله عن مسعر غير حديث منكر لا يتابع عليه». وقال الذهبي: «لقد أتى بحديث باطل». «الكامل في ضعفاء الرجال» (١/ ٣٢٢-٣٢٣)، «ميزان الاعتدال» (١/ ٢٣٩-٢٤٠).

٢- عبد الملك بن هارون بن عنترة، قال في «الميزان» (٢/ ٦٦٦): قال الدارقطني: هما ضعيفان.
وقال أحمد: عبدالملك ضعيف.
وقال يحيى: كذاب.
وقال أبو حاتم: متروك، ذاهب الحديث.
وقال ابن حبان: يضع الحديث.

٣- أيوب شيخ ابن أبي داود، لم أجد له ترجمة.

رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٥٨٣-الأثيوبي) من طريق أبي بكر بن أبي داود به.

مثل أحد ذهبًا فأنفقته ما تقبل منك حتى تؤمن بالقدر كله، خيره وشره، وستقدم المدينة فتلقى بها أبيَّ بن كعب وعبد الله بن مسعود، قال: فقدمت المدينة فجلست في مجلس فيه عبد الله بن مسعود وأبيُّ بن كعب، فقلت لأُبيٍّ: أصلحك الله، إني قدمت البصرة، فجلست في مجلس فذكروا القدر فأمرضوا قلبي، فهل أنت محدثي عنه؟ فقال: «نعم، تعلم أن الله تَعَالَىٰ لو عذب أهل السماء وأهل الأرض لعذبهم حين يعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته أوسع لهم، ولو كان لك مثل أحد ذهبا فأنفقته ما تقبل منك حتى تؤمن بالقدر خيره وشره» ثم قال: «يا أبا عبد الرحمن، حدث أخاك» قال: فحدثني بمثل ما حدثني به أبي بن كعب[(١)].

٤٢٤- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا ميمون بن الأصبغ النصيبي قال: حدثني أبو صالح عبد الله ابن صالح قال: حدثني معاوية بن صالح أن أبا الزاهرية، حدثه عن كثير بن مرة، عن ابن الديلمي يعني عبد الله بن الديلمي، أنه لقي سعد بن

....

(١) هذا الأثر في إسناده هشام بن سعد، قال الذهبي في «الكاشف»: «قال أبوحاتم: لا يحتج به. وقال أحمد: لم يكن بالحافظ. قلت: حسن الحديث».
رواه البيهقي في «القضاء والقدر» [٤٨٣] من طريق القعنبي عن هشام بن سعد به.
ورواه الطبراني (١٠/ ٢٣٢/ ١٠٥٦٤)، وابن بطة في «الإبانة» (١٤٤٥-الأثيوبي) من طريقين عن عمر مولى غفرة عن أبي الأسود نحوه. وعمر مولى غفرة قال فيه الحافظ في «التقريب»: «ضعيف، كثير الإرسال».
ورواه اللالكائي [١٢٣٩] من طريق أبي إسحاق الفزاري عن ابن أبي أنيسة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الأسود بالقصة مختصرة. وابن أبي أنيسة هو يحيى ابن أبي أنيسة، قال الذهبي في «الكاشف»: «تالف».
قلت: رواه مسلم في «القدر» [٢٦٥٠] من طريق يحيى بن يعمر عن أبي الأسود بسياق آخر مختلف.

أبي وقاص فقال له: إني شككت في بعض أمر القدر، فحدثني لعل الله تَعَالَىٰ أن يجعل لي عندك فرجًا قال: نعم، يا ابن أخي، «إن الله تَعَالَىٰ لو عذب أهل السماء وأهل الأرض عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته إياهم خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أن لامرئ مثل أحد ذهبًا ينفقه في سبيل الله حتى ينفذه، لم يؤمن بالقدر خيره وشره، ما تقبل منه، ولا عليك أن تأتي عبد الله بن مسعود» فذهب ابن الديلمي إلى عبد الله بن مسعود فقال له مثل مقالته لسعد، فقال له مثل ما قال له سعد، وقال له ابن مسعود: «ولا عليك أن تلقى أبي بن كعب» فذهب ابن الديلمي إلى أبي بن كعب، فقال له: مثل مقالته لابن مسعود، فقال له أبي مثل مقالة صاحبيه، وقال له أبي: «ولا عليك أن تلقى زيد بن ثابت»، فذهب ابن الديلمي إلى زيد بن ثابت، فقال له: إني شككت في بعض القدر فحدثني لعل الله، أن يجعل لي عندك منه فرجا قال زيد: نعم يا ابن أخي، إني سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن الله تَعَالَىٰ لو عذب أهل السماء وأهل الأرض عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أن لامرئ مثل أحد ذهبًا ينفقه في سبيل الله حتى ينفذه، لا يؤمن بالقدر خيره وشره دخل النار»(١).

٤٢٥- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا منجاب بن الحارث قال: حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن الحارث قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يذوق عبد طعم الإيمان حتى يؤمن بالقدر كله، وبأنه مبعوث من بعد الموت(٢).

....

(١) سبق تخريجه، الأثر برقم [٣٧٣].

(٢) **إسناده ضعيف**؛ أبو إسحاق هو عمرو بن عبد الله السبيعي مدلس، عدَّه الحافظ ابن حجر في المرتبة الثالثة في «طبقات المدلسين»، ص: [٤٢]، وقال العجلي: «لم يسمع من حارث الأعور إلا أربعة أحاديث، والباقي كتاب». «تهذيب التهذيب» (٨/ ٦٥).

=

٤٢٦- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا وكيع، عن المسعودي، عن معن قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود: «ما كان كفر بعد نبوة إلا كان معها التكذيب بالقدر»(١).

٤٢٧- وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري قال: حدثنا محمد بن سليمان لوين قال: حدثنا حماد بن زيد، عن مطر الوراق قال: حدثني عبد الله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر قال: لما تكلم معبد الجهني بما تكلم فيه في شأن القدر، فأنكرنا ما جاء به، فحججت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حجة،

....

=

والحارث هو ابن عبد الله الأعور، قال الذهبي في «الكاشف»: «شيعي لين، قال النسائي وغيره: ليس بالقوي».

رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٦٠٠-الأثيوبي) بإسناده عن أبي الأحوص به.

ورواه معمر في «الجامع» (١١/ ١١٨-مصنف عبد الرزاق)، والفريابي في «القدر» [١٩٨] والطبراني (٩/ ١٥٧/ ٨٧٨٩) من طرق عن أبي إسحاق به نحوه.

ورواه البيهقي في «القدر» (٢٠٤، ٤٨١) من طريقين عن أبي الجَوَّابِ، حَدَّثَنَا عَمَّارُ بْنُ زُرَيْقٍ، عَنْ أَبِي حصينٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «**لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَيَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَلَئِنْ أَعَضَّ عَلَى جَمْرَةٍ حَتَّى تُطْفَأَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ لِأَمْرٍ قَضَاهُ الله: لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ**». وقال: «هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ».

(١) إسناده فيه المسعودي، وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود، وهو ثقة إلا أنه اختلط بأخرة، قال أحمد ابن حنبل: «سماع وكيع من المسعودي قديم، وأبونعيم أيضًا، وإنما اختلط المسعودي ببغداد، ومن سمع منه بالكوفة والبصرة فسماعه جيد». «تهذيب التهذيب» (٦/ ٢١٠).

ومعنٌ هو ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، لم يدرك جده عبد الله، انظر: «تهذيب التهذيب» (١٠/ ٢٥٢).

رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٥٤٥-الأثيوبي) بإسناده عن وكيع به. ورواه (١٥٩٢، ١٩١٠-الأثيوبي) من طريقين آخرين عن الْـمَسْعُودِيِّ به.

فلما قضينا نسكنا قال: أحدنا لصاحبه: مل بنا إلى طريق المدينة، أو لو ملت بنا إلى المدينة؟ فلقينا بها من بقي من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسألناهم عما جاء به معبد، فملنا إلى المدينة، فدخلنا المسجد ونحن نؤم أبا سعيد أو ابن عمر، فإذا ابن عمر قاعد، فاكتنفناه، فقدمني حميد للمسألة، وكنت أجرأ على المنطق منه، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إن قوما قد نشأوا بالعراق، وقرءوا القرآن وتفقهوا في الدين يقولون: لا قدر قال: «فإذا لقيتموهم فقولوا لهم: إن ابن عمر منهم بريء وهم منه برآء، لو أنفقوا ما في الأرض ذهبًا ما تُقُبِّل منهم، حتى يؤمنوا بالقدر» وذكر الحديث بطوله.

٤٢٨- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن عبيد بن حساب قال: حدثنا حماد بن زيد، وذكر الحديث بطوله مثله.

٤٢٩/ أ- وحدثنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا النضر ابن شميل قال: حدثنا كهمس بن الحسن قال: حدثنا عبد الله بن بريدة، عن يحيى ابن يعمر.

٤٢٩/ب - قال الفريابي: وحدثني محمد بن عبد الأعلى قال: حدثنا المعتمر بن سليمان قال: سمعت كهمسًا، يحدث عن ابن بريدة، عن يحيى بن يعمر قالا جميعًا: كان أول من قال في هذا القدر في البصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن حاجين أو معتمرين، وذكر الحديث بطوله.

وقد ذكرناه في غير هذا الموضع.

....

٤٣٠- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ قال: حدثنا أبي قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن أبي نعامة السعدي قال: كنا عند أبي عثمان النهدي، فحمدنا الله تَعَالَىٰ وذكرناه، فقلت: لأنا بأول هذا الأمر أشد فرحًا منه بآخره، فقال: ثبَّتك الله، كنا عند سلمان فحمدنا الله عَزَّوَجَلَّ وذكرناه، فقلت: لأنا بأول هذا الأمر أشد فرحًا مني بآخره، فقال سلمان: ثبَّتك الله «إن الله تَعَالَىٰ لما خلق آدم مسح على ظهره، فأخرج منه ما هو ذارئ إلى يوم القيامة، فخلق الذكر والأنثى، والشقاوة والسعادة، والأرزاق والآجال والألوان، فمن علم السعادة فعل الخير، ومجالس الخير، ومن علم الشقوة فعل الشر، ومجالس الشر»[(١)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه؛ أما بعد:

أورد المصنف في هذا الباب عدة أقوال عن عدد من الصحابة الكرام يستدل بها على إثبات القدر على الوجه الذي ورد في كتاب الله وفي سنة رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنجد فيه أن الصحابة -رضوان الله عليهم- لا يختلفون في هذا الأصل، وإنما تتطابق أقوالهم وفتاواهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كما تتطابق مواقفهم، ولا غرابة، فالصحابة أفقه الناس وأعلم الناس بدين الله، أعلم الناس بكتاب الله وبسنة رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأشدهم إيمانًا لما تضمنه الكتاب والسنة من أصول وما بني عليها رضوان الله عليهم.

ورأيتم في حوالات بعضهم على بعض، يعني يأتي السائل فيفتيه الصحابي بما عنده ثم يقول: اذهب إلى فلان فاسأله؛ أبي بن كعب، عبد الله بن مسعود وغيرهما ممن ذُكرت

---

(١) إسناده صحيح على شرط مسلم.

رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٣٤٢-الأثيوبي)، واللالكائي [١٢٤١] من طرق عن حماد بن سلمة به.

....

أسماؤهم في هذه الأحاديث، فهذا من تواضعهم وتجردهم وإخلاصهم لله رب العالمين ومن تآخيهم أيضًا، فلا تحاسد ولا تنافس ولا تعالي على الآخرين رضوان الله عليهم، فيجب أن نعتقد عقائدهم وأن نتخلق بأخلاقهم رضوان الله عليهم.

في هذه الآثار ما قد يصل إلى درجة الحسن، وفيها ما هو ضعيف ولكن معناه صحيح، والسلف قد درجوا على هذا؛ يستشهدون بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة والحسنة مما يصح الاحتجاج بها ثم يذكرون الآثار ما يصح منها وما لم يصح للاستئناس بها لا للاعتماد عليها، فهذه القاعدة افهموها. حديث أبي بكر ضعفه المحقق؛ لأن فيه انقطاعًا عبد الله بن شداد لم يدرك أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي حديث مرَّ علينا هو مقطوع، ولكنه خفي على المحقق خفي عليه حال بعض الرواة اشتبه عليه يحيى أبو زكريا هذا اشتبه على المحقق كما اشتبه على غيره، والصحيح أنه يحيى بن سابق أبو زكريا وهو متروك، فاشتبه عليه بيحيى بن زكريا بن أبي زائدة أحد الأعلام الثقات، والصحيح أنه من طريق يحيى بن سابق أبو زكريا وهو متروك، وقال فيه ابن حبان: «إنه يضع الحديث» وضعفه غير واحد، والذهبي منهم، ونص على بطلان هذا الحديث في «الميزان» في ترجمة يحيى بن سابق، الصحيح أنه يحيى بن سابق أبو زكريا المديني، وقد حكم الذهبي على هذا الحديث بالوضع، وعليه فالحديث منكر أو موضوع.

أما أثر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ففي إسناده شيء من الضعف.

لما اعترضه الجاثليق، وهو أحد كبراء النصارى، قال ماذا قال: قال المترجم: لا شيء، فعاد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الكلام، فاعترض الجاثليق مرة أخرى، فسأل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المترجم: ماذا قال؟ فأخبره بما قال، فقال له عمر: كذبت ياعدو الله ولولا عهدك لضربت عنقك؛ لأنه عارض في أمر كبير.

....

وهـذا يدل على مكانة الإسـلام؛ لأنه يأمـر بالوفاء بالوعود والعهـود، ويتوعد من لا يفي بذلك بالوعيد الشديد، ويمدح من يفي بذلك، ويعتبره من أعظم صفات المؤمنين الصادقين.

وهـذا يـدل أن معبدًا الجهني تلقى هـذا الفكر (القدر) من نـصراني؛ نصراني علَّمه هـذا المذهب [(١)]، ومعارضة الجاثليق هذه وهو مـن كبار النصارى من علمائهم يدل أنهم ينكرون القدر، نسأل الله العافية.

هذا الأثر رقم [٤١٩] فيه سـلامة الكندي إسـناده ضعيف [(٢)]، وهذا الدعاء يشبه لغة الروافض والشـيعة، ما يشبه لغة أهل السنة، لكن على كل حال عليٌّ كان يعلِّم الناس الإسـلام والقـدر وغـير ذلك من أمـور الدين، وهـو من كبـار الصحابة ومـن فقهائهم وعلمائهـم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولله الحمـد كل الصحابة لم يحصـل فيهم بدعة لا في قدر ولا في غيره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد نزههم الله من الوقوع في البدع صغيرها وكبيرها، ونزههم من الكذب على

---

(١) قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسـن، كان نصرانيًّا فأسلم ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد». رواه الفريابي في «القدر» (٢٤٠رقم ٣٤٨) وعنه الآجري في «الشريعة» (٢/ ٩٥٩) رقم [٥٥٥]، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٢٩٨) رقم [١٩٥٤]، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٤/ ٧٤٩-٧٥٠) رقم [١٣٩٨].

(٢) لم يـرو عنـه غير نوح بن قيـس؛ كما في ترجمته في «التاريخ الكبير» للبخـاري (٤/ ١٩٥) رقم [٢٤٦٨] و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤/ ٣٠٠) رقم [١٣٠٨]، و«الثقات» لابن حبان (٤/ ٣٤٣).
وقال أبو حاتم: «روى عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرسل، حديث الصلاة على النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». «الجرح» (٤/ ٣٠٠).
وقـال الحافـظ المـزي: «سـلامة الكنـدي هـذا ليس بمعـروف، ولم يـدرك عليًّا». «تفسـير ابـن كثير» (٦/ ١٦٢).
وقـال الحافـظ العلائـي في «تحفة التحصيـل في ذكر رواة المراسـيل»، ص: [١٤٢]: «قال النخشـبي: لا نعرف سماع سلامة من علي، والحديث مرسل، قال أبو حاتم: مرسل».

رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهـم أهل لذلك أن يحفظهم الله من البـدع، وأن يحفظهم الله من الكذب، وهذه من مخازي المناهج والعقائد الفاسـدة والعيـاذ بالله، والصحابة أبرُّ الناس قلوبًا وأفقه الناس وأطهر الناس قلوبًا ومنهجًا وعقيدة رضوان الله عليهم.

وحديـث: «**لـو أن الله عذب أهـل سمواته وأهل الأرض لعذبهـم وهو غير ظالم لهم**»، **ما معنى هذا الحديث؟**

لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم؛ بعدله؛ وهو لا يظلم مثقال ذرة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن فيهم مطيعون، وفيهم ملائكة؛ فكيف ذلك؟

هـم يشـكرون الله عَزَّوَجَلَّ، لكـن لا يبلغـون درجة الشـكر، لو أفنى الإنسـان حياته في شـكر نعمة ما اسـتطاع أن يفـي بها، فالله نعمـه كثيرة على عبـاده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والعباد قاصرون على الوفاء بحق نعمه، فلو عذبهم على عدم الوفاء بهذه النعم لكان عدلًا من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولكنه غفور رحيم حليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أرحم الراحمين، أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وهو أرحم الراحمين.

لكـن هـذا يبين مـدى فضل الله على عبـاده ومدى حلمـه وحكمته ورحمتـه بعباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو لو عذبهم لما ظلمهم في شيء أبدًا.

وهـذا فيه حوالات الصحابـة بعضهم على بعضهم، يفتي هـذا ويفتي هذا، فيزداد السـائل طمأنينة، فيحيله على أخيه، وهذا الأخ الجديـد يحيل على من بعده، وهكذا حتى يخرج السـائل على مثل الثلـج في هذه القضية لما تتواطأ أقوالهم، هـذا الصحابي هنا وهذا الصحـابي في العـراق وآخر في المدينة كلهم تتطابق فتاواهم لا يبقى عنده ذرة من الشـك أن هذا هو الحق.

ومـن ذلك رحـلات التابعين إلى الصحابـة إذا طرأت قضية معضلة مـا يبتُّون فيها هـم، يرجعـون إلى علمائهم، فرجعوا في هذه القضية الخطـيرة إلى الصحابة، قالوا لهم: إن أناسًـا فقهاء مـن طلاب العلم قالـوا: إنهم يقولـون: «لا قدر وأن الأمر أنـف»، غاظهم هـذا الأمر فرجعـوا إلى من هم أعلم منهم، ألا وهم أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فشـدوا الرحـال مثل يحيى بـن يعمر إلى المدينة هـو وحميد بن عبد الرحمـن، والحديث في صحيح مسـلم ووجـدا عبد الله بن عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فطرح يحيى بن يعمر هـذا الموضوع بين يديه، قال: «إن قِبَلَنا أناسًا يتقفَّرون العلم، ويقولون: لا قدر وإن الأمر أنف، فقال: أبلغهم أني منهـم براء وأنهم مني بـرآء، والله لو أنفق أحدهـم مثل أحد ذهبًا ما نفعه ذلك حتى يؤمن بالقدر».

هؤلاء ينفون أصل علم الله، وأن الله لا يعلم بما يحدث في الأرض من معاصي العباد ومـن أفعالهـم إلا بعـد أن توجد، وهذا كفر؛ فيـه تكذيب لكتـاب الله؛ والله قد أخبرنا في آيات كثيرة أنه علم كل شيء، وكتب كل شيء في اللوح المحفوظ... فكيف تنكر علم الله السـابق؟! كيف وكتاب الله وجد فيه النصوص الكثيرة وسنن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرة على أن الله قد علم الأشـياء؛ علم ما كان وما سـيكون في الأزل وكتبه في اللوح المحفوظ قبـل أن يخلـق السـموات والأرض بخمسـين ألف سـنة، ويكتب ذلك ونحـن في بطون أمهاتنـا وعـالم بذلك وكتبه وحفظته يكتبونه، ثم تقـول: الله لا يعلم بهذه الأفعال إلا بعد أن يحدثها العباد! فهذا كفر وتكذيب بكتاب الله وسـنة الرسـول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولذلك قال عبد الله بن عمر وغيرُه: [والله لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبًا ما نفعه ذلك].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]؛ ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ

إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]؛ ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩] كتب الله الأشياء هذه قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعلمها من الأزل، فكيف تكذب بهذه النصوص؟!

ولماذا يكذبون بهذه الأشياء؟ لماذا يكذبون بالقدر؟ يزعمون أنهم ينزهون الله عن الظلم ويعطلون صفات الله عَزَّوَجَلَّ تنزيهًا لله عن مشابهة المخلوقين في زعمهم، يعني هذا الرجوع إلى العقل والاغترار بالعقل يوقع في الكفر ويوقع في الضلال، فلا بد من الهداية -هداية الله- على ألسنة رسله، ولذا أرسل الرسل وأنزل الكتب لتقوم حجة الله على عباده، ولئلا يكون للعباد عليه أي حجة سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد الرسل.

وقد تقدم لكم أن علم الله بما يفعل العباد وكتابته لذلك لا يستلزم الجبر؛ لأن الله أعطى الإنسان عقلًا وقدرة واختيارًا ومشيئة، والعاقل يميز بين الأمور التي يُكره عليها، والأمور التي يأتيها اختيارًا ورغبة.



الأسئلة

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: ما معنى: «فقدّمني حميد للمسألة، وكنت أجرأ على المنطق منه»، هل يدل هذا على جواز التعمق في المنطق؟

جواب: ليس فيه منطق، هذا يريد الفصاحة، ما يقصد المنطق الفاسد، يقصد أنه أجرأ على الكلام، ذاك عنده شيء من الحياء من الخجل عن التعبير عما يريد، مثل هذا..، وهذا عنده بيان.

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: هل مقادير الإنسان مثل عمله ورزقه، والحديث الصحيح: «لا تموتن نفس حتى تستكمل رزقها»[(١)]؛ هل معنى الحديث أن الإنسان إذا جلس عاطلًا عن العمل ولم يعمل، هل من قدر الله عليه أم من نفسه؟

جواب: كل شيء بقدر الله عَزَّوَجَلَّ، لكن هذا مسؤول، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ربط الأسباب بالمسببات، قد قلنا لكم في مسألة الذي يريد ولدًا يقول: رب أعطني بدون زوجة.. معقول هذا؟! حتى عند البهائم؛ الذي عنده أرض ويقول: أنا ما أزرعها، وإذا شاء الله تنبت وتأتي بالطعام.. هذا كلام سخيف !لا بد من بذل الأسباب؛ تريد الجنة لا بد من العمل، ولهذا يقول الرسول: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»[(٢)] فلابد من بذل الأسباب لأن الله ربط المسببات بالأسباب.

تعرفون أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان حدادًا [(٣)] وزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ كان نجارًا [(٤)] أنبياء

---

(١) ورد من حديث حذيفة وابن مسعود وأبي أمامة وجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، انظر: «الصحيحة» [٢٨٦٦] و«تخريج مشكلة الفقر»، ص: (١٩-٢٠)، للألباني.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ: ١٠ - ١١].

(٤) كما في «مسند أحمد» (٢/ ٢٩٦)، و«صحيح مسلم» حديث [٢٣٧٩]، و«سنن ابن ماجه» حديث

ويستحقون الإكرام بدون جهد، لكن الله هذه سنته وشرعه لا بد منه، والذي يعطل الأسباب يقدح في الشرع.

سؤال: شيخنا؛ يقول السائل: هل هذا الحديث ثابت: «لو عذب الله أهل السموات والأرض لعذبهم حين عذبهم وهو غير ظالم لهم»، مع أنها فيها فعل المستحيلات. وقد رأيت الإمام ابن رجب في شرح الحديث عن أبي ذر: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي..»[1] يرد هذا الحديث سندًا ومتنًا كما في جامع العلوم والحكم؟

جواب: ابن رجب رد هذا الحديث؟ الذي سأل يأتينا. أنا ما أذكر أنه رد هذا الحديث[2]؛ والحديث إذا ثبت ما يجوز رده، نجمع بينه وبين ما نرى أنه قد عارضه من الأحاديث، ثم بعد ذلك إذا ما استطعنا الجمع فنبحث عن الناسخ، فإذا لم نقف على الناسخ انتقلنا إلى الترجيح ثم التوقف، أما نرده هكذا لا؛ وهذا معناه ليس بمستحيل، وقد بيّنا لكم معنى الحديث، وأن الله له من الحقوق والنعم التي لا يفي بها أحد لا أنبياء ولا ملائكة، لا أحد يفي بما يقابل هذه النعم العظيمة مهما بذل الإنسان أو غيره من المخلوقات واجتهد في عبادة الله لا يفي بشيء من النعم، ولهذا قال الرسول

= [٢١٥٠] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(١) والحديث أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٤)، ٤٥ - كتاب: «البر»، «١٥ - باب تحريم الظلم»، حديث [٥٥]. وأحمد (٥/ ١٦٠).

(٢) قال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص٢٢٣-المعرفة): «وخرَّج أبو داود وابنُ ماجه من حديث أبي سنان سعيد بن سنان، عن وهب بن خالد الحمصي، عن ابن الدَّيلَمي أنّه سمع أُبيَّ ابن كعبٍ يقول: «لو أنَّ الله عذَّب أهل سمواته وأهل أرضه؛ لعذَّبهم وهو غيرُ ظالم لهم، ولو رَحِمَهُم؛ لكانت رحمتُه خيرًا لهم من أعمالهم، وأنّه أتى ابن مسعود، فقال له مثلَ ذلك، ثم أتى زيدَ بن ثابت، فحدَّثه عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمثل ذلك». وفي هذا الحديث نظر، ووهبُ بنُ خالدٍ ليس بذلك المشهور بالعلم. وقد يُحمل على أنّه لو أراد تعذيبهم؛ لقدَّرَ لهم ما يعذِّبهم عليه، فيكون غيرَ ظالم لهم حينئذٍ». أقول: وهب بن خالد الحميري، قال فيه الذهبي في «الكاشف»: «ثقة»، وكذا قال فيه الحافظ ابن حجر: «ثقة».

عليه الصلاة والسلام: «**اعملوا واعلموا أنه لن يدخل أحدًا منكم الجنة عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»(١) فنجاتك من النار وإدخالك الجنة بفضل الله ورحمته سبحانه وتعالى، فله المنُّ وله الفضل سبحانه وتعالى، فهذا الحديث يؤكد الحديث الذي يدَّعي الأخ أن ابن رجب قد رده، وكل يؤخذ من قوله ويرد؛ ابنُ رجب أو غيرُه.

- -

سؤال: **شيخنا؛ يقول السائل: عن عمرو بن دينار عمن أخبره، فهل نقول بأن هذا الراوي: مجهول أم مبهم؟**

جواب: يقال: مبهم؛ مجهول إذا سقط من الإسناد، أما إذا كان قال: «عن رجل» أو «عن شيخ» أو «عمن أخبره»؛ يعني الذي أخبره مبهم لا مجهول؛ والمجهول والمبهم بمعنى واحد، لكن هذا اصطلاح المحدثين.

- -

سؤال: **يقول: أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عمن أخبره، عن عبد الله بن شداد.**

لو قال: عمرو بن دينار عن عبد الله بن شداد رأسًا يكون أسقط هذا الرجل الذي قال: «عمن أخبره» لو قال رأسًا عبد الله بن شداد يكون في الإسناد سقط، والساقط هذا مجهول. أما وقد ذكر الواسطة ولكن بلفظ مبهم، فهو مبهم.

- -

سؤال: **شيخنا؛ يقول السائل: ما معنى قول: «الحديث إسناده ضعيف ومعناه صحيح». وهل يعمل به؟**

جواب: معناه صحيح؛ لأنه مطابق لنصوص أخرى، فالعمل بالنصوص

---

(١) أخرجه البخاري في «المرضى» حديث [٥٦٧٣] ومسلم في «صفة القيامة» حديث [٢٨١٦].

الأخـرى لا به وحده، وإذا كان هذا الضعيف ينجبر يتقوى بالأحاديث الأخرى ويعمل بـه، وإذا كان لا ينجبر؛ في روايته كذاب في إسـناده كـذاب، أو متهم بالكذب، أو فاحش الغلط، فهذا ولا كرامة لا يقوى ولا يتقوى، ونعمل بما عداه مما ثبت لنا.

سؤال: شـيخنا؛ حفظكم الله؛ يقول السـائل: زعم بعض الأخوة أنهم جاءوك وسألوك كيف نربي النشء على المنهج، وقال: إنك قلت لهم: لا تبدأوا بالمنهج، ولكن أصلوهـم علـى العلم، إلا إذا وجـدتم ضغوطًا من الحزبيين، عندهـا فابدأوا بالمنهج، فهل هذا الكلام صحيح؟

جواب: ما أذكر هذه الإجابة، ولكن ما أدري ما هو المنهج عندك، أريد أن أعرف اصطلاحكـم في المنهج هـذا؛ لأن اصطلاحكم غـير اصطلاحي فما هـو المنهج عندكم؟ لا تسلكوا مسالك الحزبيين في التستر.

فالمنهج يا إخوة والعقيدة متلازمان، المنهج يكون في كل علم، المنهج كيف نستدل، كيـف نأخـذ الأحاديث، كيف نعطيها، إيش منهجنا في الحديث، علم الحديث -إن شـاء الله- كله منهج تصحيح والتضعيف والتوثيق... هذا يدخل في المنهج؛ نقد الرواة والجرح والتعديـل من المنهج، فهل هذا يريد الجرح والتعديل فقط، يعني التحذير من أهل البدع فقـط أو يريـد المنهج بكامله، المنهج بكامله تركه ضـلال في ضلال، لكن فلان مثلًا يعني مبتـدع إن كان له صيت وانتشـار ودعـاة... يحذر منه، وإن كان خامـلًا ليس له دعوة إلى شيء اتركـه، هذا منهج السـلف، يعني أن المبتدع إذا كان سـاكتًا دعـه يموت هو وبدعته لا تنبشـه، وإذا مـات لا تنبشـه، فـإن في ذكرك له إحيـاءً له ونشرًا له وذكـرك لبدعته نشر لها، لكن إذا امتحنا بنشر هذه البدع بصيت صاحبها وبدعوته فهذا نحذر منه، مثل سـيد قطب في الإذاعات في النوادي في الدروس في كل مكان، سـألك إنسـان عنه تقول: ضال مبتدع، وتبين ما تعرفه، هذا امتحن الله به الأمة، وامتحن الله به الدعوة السـلفية، وفكره

غزا الدعوة السلفية في العالم كله وفي عقر دارها، تعرفون ما لفكره من الانتشار، وما له من الأنصار والأولياء بحيث إن هؤلاء الجهلة أو الظالمين لو وقفوا على طعن سيد قطب في الصحابة لتلاشت مكانتهم أمام هذا العملاق وهذا الأسطورة الذي ضخموه على الناس وهو جاهل تاريخه مظلم من أول حياته، نفخوا فيه وجعلوه مجدد المجددين إمام الأئمة، هذا يحذَّر منه، هذا مثال أما إذا ما كان له صيت ولا ذكر اتركه، وإذا كان لدعوته انتشار وله دعاة وكذا تحذر منه.

سؤال:

شيخنا؛ يقول السائل: ما وجه الفرق بين القدرية القدامى والحديثين؟

جواب: القدرية القدامى الذين كفرهم عبد الله بن عمر وغيره والعلماء على تكفيرهم هم الذين ينكرون علم الله السابق، القدرية المتأخرون يؤمنون بعلم الله السابق، لما جاءتهم الضربات من أهل السنة ورأوا أن هذا كفر فعلًا رجعوا فاعترفوا بعلم الله السابق، ولكن يقولون: إن المعاصي ما تدخل في المشيئة، وقد كررنا لكم هذا، فهم بهذا الاعتبار مجوس هذه الأمة؛ لأنهم جعلوا مع الله خالقين، واختلف أهل السنة في تكفيرهم، منهم من يكفرهم ومنهم من لا يكفرهم، أما الأولون فهم كفار بالإجماع.

سؤال: **يقول السائل: فيما هو الراجح لديكم في ابن الصياد، هل هو الدجال وهل من الصحابة من قال أن ابن الصياد هو الدجال؟**

جواب: من الصحابة عمر وعبد الله بن عمر وجابر وحفصة زوجة النبيِّ ﷺ، وعمر رضي الله عنه كان يقولها أمام النبيِّ والنبيُّ ﷺ يسمعه ويراه ولا ينكر عليه، لكنه مشتبه على النبيِّ ﷺ فما جزم بأنه الدجال، ولا أنكر على عمر؛ لأنه عنده قرائن، ففيه احتمال قوي أن يكون هو، ويحتمل أن يكون غيره[١].

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» كتاب «الفتن»، الأحاديث (٢٩٢٥، ٢٩٢٩، ٢٩٣٢).

قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٣١- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه قال: حدثنا أبو عثمان أنه سمع عبد الله أو سلمان - ولا أراه إلا سلمان - قال: «إن الله خمر طينة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أربعين ليلة، أو أربعين يومًا، ثم ضرب بيديه فيه، فخرج كل طيب في يمينه، وكل خبيث في يده الأخرى، ثم خلط بينهما، قال: فمن ثم يخرج الحي من الميت، والميت من الحي» أو كما قال(١).

٤٣٢- وأخبرنا الفريابي، قال: حدثنا أبو مروان عبد الملك بن حبيب المصيصي، قال: حدثنا أبو إسحاق الفزاري، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان قال: إن الله خمر طينة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أربعين يومًا، أو أربعين ليلة - فذكر الحديث، فقال فيه: عن سلمان وحده (٢).

٤٣٣- وأخبرنا الفريابي، قال: حدثنا أبو كامل الجحدري، قال: حدثنا عبد الواحد، قال: حدثنا الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الحجاج الأودي قال:

---

(١) إسناده صحيح. رواه الفريابي في «القدر» [١١] والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٧١٧] من طريقين آخرين عن معتمر بن سليمان به.

ورواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٧)، والدارمي في «النقض على بشر المريسي» (١/ ٢٧٣-٢٧٥)، والفريابي في «القدر» [١٢]، والطبري في تفسيره (٥/ ٣١٠-٣١١)، وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٥٤٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٧١٦]، من طرق عن سليمان التيمي عن عبد الله بن مسعود أو سلمان، به.

(٢) في إسناد أبو مروان عبد الملك بن حبيب، قال فيه الحافظ: مقبول، لكنه متابع، فرواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٦٣-٢٦٤) عن محمدبن أحمد ثنا بشر بن موسى ثنا معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق الفزاري به.

ورواه ابنُ بطة في «الإبانة» (١٦٥٠-الأثيوبي)، والطبري في تاريخه (١/ ٦٤)، من طريقين عن حماد بن سلمة عن سليمان التيمي به.

قلت لسلمان: ما قول الناس: حتى تؤمن بالقدر خيره وشره؟ قال: «حتى تؤمن بالقدر؛ تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، ولا تقول: لو فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولو لم أفعل كذا وكذا لم يكن كذا وكذا»[1].

٤٣٤- وأخبرنا الفريابي، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا الليث بن سعد، عن محمد بن عجلان، عن سعيد المقبري عن أبيه، عن عبد الله بن سلام أنه قال: «خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وقدر فيها أقواتها وجعل فيها رواسي من فوقها يوم الثلاثاء والأربعاء، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فخلقها يوم الخميس ويوم الجمعة، وأوحى في كل سماء أمرها، وخلق آدم في آخر ساعة من يوم

....

(١) في إسناده: أبو الحجاج الأودي، وفي بعض النسخ: الأزدي، وهو الموافق لما في الطرق الأخرى كما سيأتي في التخريج، وهذا الأزدي مجهول لم يرو عنه غير أبي إسحاق السبيعي.
انظر: «الطبقات» لابن سعد (٦/ ٢١٦)، و«تاريخ البخاري» (٧/ ٣٠٧)، و«فتح الباب في الكنى والألقاب» لابن منده (ص٢٦٧)، و«المقتنى في سرد الكنى» للذهبي (١/ ١٦٨).
وفي إسناده أيضًا الأعمش وأبو إسحاق السبيعي كلاهما مدلس، أما الأعمش فمتابع، كما سيأتي في التخريج، وأبو إسحاق قد صرح بالسماع في بعض الطرق، ويقويه رواية شعبة عنه، فإنه روي عنه أنه قال: «كفيتكم تدليس ثلاثة: الأعمش وأبي إسحاق وقتادة» كما في «طبقات المدلسين» لابن حجر، ص: [٥٩].
رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٩٢٣] عن أبيه عن أبي معاوية عن الأعمش به نحوه.
ورواه معمر في جامعه (١١/ ١١٨/ ٢٠٠٨٣)، ومن طريقه ابن بطة (١٦٥٣-الأثيوبي)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٢٤٠-٢٤١)، من طريق شعبة بن الحجاج، والطبراني (٦/ ٢٢٠/ ٦٠٦٠)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٨٢)، والبيهقي في «القضاء والقدر» [٤٨٤] من طريق فطر بن خليفة، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٢٠٤)، وفي «القضاء والقدر» [٢٠٨]، واللالكائي [١٢٤٠]، من طريق سفيان الثوري، أربعتهم (معمر وشعبة وفطر وسفيان) عن أبي إسحاق عن – وفي رواية فطر: سمعت- أبي الحجاج الأزدي، وفي رواية معمر: رجل من الأسد.

الجمعة على عجل، ثم تركه أربعين يومًا ينظر إليه، ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، ثم نفخ فيه من روحه، فلما دخل في بعضه الروح ذهب ليجلس فقال الله تَعَالَىٰ: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، فلما تتابع فيه الروح عطس فقال الله تَعَالَىٰ: قل: الحمد لله، فقال: الحمد لله، فقال الله تَعَالَىٰ: رحمك ربك، ثم قال له: اذهب إلى أهل ذلك المجلس من الملائكة فسلِّم عليهم، ففعل، فقال: هذه تحيتك وتحية ذريتك، ثم مسح ظهره بيديه، فأخرج فيهما من هو خالق من ذريته إلى أن تقوم الساعة، ثم قبض يديه، ثم قال: اختر يا آدم، فقال: اخترت يمينك يا رب وكلتا يديك يمين، فبسطها فإذا فيها ذريته من أهل الجنة، فقال: من هؤلاء يا رب؟ قال: هم من قضيت أن أخلق من ذريتك [من أهل الجنة] إلى أن تقوم الساعة، فإذا فيهم من له وبيص، فقال: من هؤلاء يا رب، قال: هم الأنبياء. قال: فمن هذا الذي كان له وبيص قال: هو ابنك داود،قال: فكم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: فكم عمري؟ قال: ألف سنة، قال: فزده يا رب من عمري أربعين سنة. قال: إن شئت، قال: فقد شئت، قال: إذا تكتب وتختم، ولا يبدل، ثم رأى في آخر كف الرحمن تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ منهم آخر، له فضل وبيص فقال: فمن هذا يا رب؟ قال: هذا محمد، هو آخرهم، وأولهم أدخله الجنة، فلما أتى ملك الموت ليقبض نفسه، قال: إنه قد بقي من عمري أربعون سنة، قال: أو لم تكن وهبتها لابنك داود، قال: لا، قال: فنسي آدم، فنسيت ذريته، وعصى آدم، فعصت ذريته، وجحد آدم فجحدت ذريته، وذلك أول يوم أمر بالشهود»[1].

....

(١) إسناده حسن، فيه محمد بن عجلان، قال في «الكاشف»: «وثقه أحمد وابن معين،وقال غيرُهما: سيِّءُ الحفظ». وقال في «التقريب»: «صدوق».

قلت: تابعه على بعض المتن -وليس فيه شاهد الترجمة- ابنُ أبي ذئب وأبو معشر، كلاهما عن سعيد =

[٤٣٥] وأخبرنا الفريابي، قال: حدثنا إسحاق بن راهويه، قال: أخبرنا حكام ابن سلم الرازي، قال: حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس. عن أبي العالية، عن أبي بن كعب في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣]. قال: جمعهم له يومئذ جميعًا ما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم جعلهم أرواحًا، ثم صورهم واستنطقهم وتكلموا، وأخذ عليهم العهد والميثاق، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣]، قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، فلا تشركوا بي شيئًا، فإني أرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي، فقالوا: نشهد إنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك، ورفع لهم أبوهم آدم، فنظر إليهم، فرأى فيهم الغني والفقير، وحسن الصورة، ودون ذلك، فقال: يا رب لو شئت سويت بين

....

= المقبري عن أبيه عن عبد الله بن سلام.

والأثر رواه ابن بطة (١٥٩١ - الأثيوبي) عن الآجري به.

ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤/ ١٢١ -الحوت)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» [٢١٩]، وابن بطة (١٥٩١ -الأثيوبي)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ١٠٤٢)، من طريقين عن الليث بن سعد به، مختصرًا.

ورواه الفريابي في «القدر» [٢]، وابن منده في «التوحيد» [٥٧]، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٨١١]، من طريقين عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري به، نحوه إلى قوله: «وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ عَلَى عَجَلٍ».

ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٦٦) من طريق أبي معشر عن سعيد المقبري به، نحو رواية ابن أبي ذئب.

عبادك، فقال: إني أحب أن أشكر، ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج، وخصوا بميثاق آخر في الرسالة والنبوة، فذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ...﴾ [الأحزاب: ٧] ... الآية. وهو قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] وذلك قوله: ﴿هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم: ٥٦]، وهو قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢]، وهو قوله تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ...﴾ [يونس: ٧٤].

فكان في علمه تَعَالَىٰ يوم أقروا به من يكذب به، ومن يصدق به، فكان روح عيسى ابن مريم عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ في تلك الأرواح التي أخذ عليها العهد والميثاق في زمن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فأرسل ذلك الروح إلى مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ حين انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ إلى قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ١٧ - ١٩]، قال: فحملت الذي[1] خاطبها، وهو روح عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)[2].

قال إسحاق: قال حكَّام: وحدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: «دخل من فيها»[3].

٤٣٦ - أخبرنا الفريابي، قال: حدثنا محمد بن مصفى - أبو عبد الله الحمصي - قال: حدثنا محمد بن حرب، قال: حدثنا الزبيدي، عن الزهري، عن إبراهيم بن

....

(١) في الأصل: «التي»، والصواب ما أثبتناه.

(٢) هذا كلام غريب، قال ابن كثير في تفسيره (٩/ ٢٢٧): «وهذا في غاية الغرابة والنكارة»، يقصد أن الروح هو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهذا واضح من السياق القرآني في سورة مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ.

(٣) الصواب أن الداخل فيها إنما هو نفخة جبريل.

عبد الرحمن بن عوف أنه غشي على عبد الرحمن بن عوف في وجعه غشية ظنوا أنه قد فاض منها، حتى قمنا من عنده، وجللوه ثوبًا وخرجت أم كلثوم ابنة عقبة امرأة عبد الرحمن إلى المسجد تستعين بما أمرت به من الصبر والصلاة، فلبثوا ساعة وعبد الرحمن في غشيته، ثم أفاق عبد الرحمن فكان أول ما تكلم به أن كبَّر، وكبَّر أهلُ البيت ومن يليهم، فقال لهم عبد الرحمن: أغشي علي آنفًا؟ فقالوا: نعم، قال: صدقتم، فإنه انطلق بي في غشيتي رجلان أجد منهما شدة وغلظة، فقالا: انطلق بنا نحاكمك إلى العزيز الأمين، فانطلقا بي حتى لقينا رجلًا فقال: أين تذهبان بهذا؟ قالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين، قال: فارجعا فإنه ممن كتب الله لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أمهاتهم، وإنه يستمتع به بنوه إلى ما شاء الله. قال: فعاش بعد ذلك شهرًا ثم مات[1].

٤٣٧- وأخبرنا الفريابي، قال: حدثنا محمد بن عزيز، قال: حدثني سلامة ابن روح، عن عقيل بن خالد، قال: حدثني ابن شهاب الزهري قال: حدثني إبراهيم

---

(١) في إسناده أبو جعفر الرازي، قال في «الكاشف»: «قال أبو زرعة: يهم كثيرًا. وقال النسائي: ليس بالقوي، ووثقه أبو حاتم». قلت: تابعه سليمان التيمي عن الربيع به، كما سيأتي في التخريج.
وفيه أيضًا: الربيع بن أنس البكري، قال في «الكاشف»: « قال أبو حاتم: صدوق».
رواه ابن بطة (١٣٣٧-الأثيوبي) و(١٥٩٠-الأثيوبي)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٧٢)، والحاكم (٢/ ٣٥٣) برقم [٣٢٥٥]، وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» [٧٨٥] وفي «القضاء والقدر» [٦٦]، واللالكائي [٩٩١] من طرق عن أبي جعفر الرازي به، تامًّا ومختصرًا. قال الحاكم: «صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي.
ورواه أحمد (٥/ ١٣٥) والفريابي في «القدر» [٥٣]، وابن بطة (١٣٣٩-الأثيوبي) وابن منده في الرد على الجهمية، ص: [٣١]، من طريقين عن معتمر بن سليمان عن أبيه عن الربيع بن أنس نحوه.

ابـن عبـد الرحمن بن عوف أنه قال: «غشـي على عبد الرحمن بن عوف في وجعه...» وذكر نحوًا من هذا الحديث قبله[1].

....

(١) أثر صحيح بطرقه.

في الإسناد الأوَّل محمد بن مصفى، قال في الكاشف: «ثقة يغرب». وقال في «التقريب»: «صدوق له أوهام وكان يدلِّس»، وباقي رجاله ثقات، والزهري مدلس لم يصرح بالسماع، لكن ثبت سماعه في طرق أخرى كما سيأتي في التخريج.

والإسناد الثاني: فيه محمد بن عُزيز، قال في «الكاشف»: «تردَّد فيه النسائي، وقال ابن أبي حاتم: صدوق». وقال في التقريب: «فيه ضعف، وقد تكلَّموا في صحة سماعه من عمه سلامة». انظر: «الميزان» (٣/ ٦٤٧-٦٤٨).

وفيه سلامة بن روح، قال في «الكاشف»: «قال أبو زرعة: منكر الحديث. وقواه ابن حبان». وقال في «التقريب»: «صدوق له أوهام، وقيل: لم يسمع من عمه، وإنما يحدِّث من كتبه». قلت: سأل ابن أبي حاتم أبا زرعة: يكتب حديثه؟ قال: نعم، يكتب على الاعتبار. وروى عن إسحاق بن إسماعيل أنه قال: «الكتب التي يروي عن عقيل صحاح». «الجرح والتعديل» (٤/ ٣٠١، ٣٠٢).

وهذا الأثر رواه ابنُ بطة (١٥٨٧-الأثيوبي) من طريقين عن محمد بن مصفى به. وتابعه يزيد بن عبد ربه - في الأصل: ابن عبد الله- عن محمد بن حرب به. رواه ابن عساكر في تاريخه (٣٥/ ٢٩٨) بإسناده عن محمد بن يحيى الذهلي عنه.

ورواه الحاكم (٣/ ٣٤٧) برقم [٥٣٤١] وعنه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٤٣)، ويعقوب الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ١٨٠)، ومن طريقه البيهقي في «القضاء والقدر» [١٠٩]، وأبو العباس ابن البرقي في «مسند عبد الرحمن بن عوف» [٢٣]، وابن أبي الدنيا في «المحتضرين» [٣٥٢]، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١/ ١٢٢) برقم [٤٨٤]، واللالكائي [١٢٢٠]، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥/ ٢٩٥-٢٩٨)، من طرق عن الزهري به. ووقع التصريح بسماع الزهري من إبراهيم في رواية صحيحة عند الحاكم والفسوي وابن عساكر.

ورواه سعدُ بن إبراهيم عن أبيه متابعًا الزهري، أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٣٥/ ٢٩٨) بإسناد حسن، إلى عبد الله بن أحمد عن أبيه عن إبراهيم بن سعد عن أبيه به.

ورواه معمر في جامعه (١١/ ١١٢-المصنف)، وعنه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٩٨)، والحاكم (٢/ ٢٩٦برقم٣٠٦٦): عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة: أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ غُشِيَ عَلَيْهِ غَشْيَةً..، وذكرت القصة. قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي.

٤٣٨ ـ أخبرنا الفريابي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا عثمان بن أبي العاتكة قال: حدثني سليمان بن حبيب، عن الوليد بن عبادة، أن أباه عبادة بن الصامت لما احتضر سأله ابنه، فقال: يا أبت أوصني، قال: أجلسوني، فلما أجلسوه قال: يا بني اتق الله، ولن تتقي الله، حتى تؤمن بالله، ولن تؤمن بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**القدر على هذا، من مات على غير هذا دخل النار**»[(١)].

٤٣٩ـ وأخبرنا الفريابي، قال: حدثنا محمد بن مصفى، قال: حدثنا بقية، قال: حدثني معاوية بن سعيد، قال: حدثني عبد الله بن السائب عن عطاء بن أبي رباح قال: سألت الوليد بن عبادة بن الصامت، كيف كانت وصية أبيك إياك حين حضره الموت؟ قال: دعاني فقال: يا بني؛ أوصيك بتقوى الله تعالى، واعلم أنك لن تتقي الله حتى تؤمن بالله، واعلم أنك لن تؤمن بالله ولن تطعم طعم حقيقة الإيمان، ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالقدر كله، خيره وشره، وقال: قلت: يا أبت: وكيف لي أن أومن بالقدر كله؛ خيره وشره؟ قال: تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، أي بني؛ إني سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله تعالى القلم، قال: اكتب، قال: ما أكتب يا رب؟ قال: اكتب القدر، قال: فجرى القلم في تلك الساعة بما كان وما هو كائن إلى الأبد**»[(٢)].

....

(١) سبق تخريجه برقم [٣٧١].

(٢) في إسناده: محمد بن مصفى، قال في «الكاشف»: «ثقة يغرب».

وفيه بقية بن الوليد، قال في الكاشف: «وثَّقه الجمهور في ما سمعه من الثقات، وقال النسائي: إذا قال: حدثنا وأخبرنا، فهو ثقة». وقال في «التقريب»: (صدوق، كثير التدليس عن «الضعفاء»).

=

٤٤٠- أخبرنا الفريابي، قال: حدثني أبو أنس مالك بن سليمان قال: حدثنا بقية - يعني: ابن الوليد - عن مبشر بن عبيد، عن عطاء بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف: ٢٩ - ٣٠]، وكذلك خلقهم حين خلقهم مؤمنًا وكافرًا، وسعيدًا وشقيًّا، وكذلك يعودون يوم القيامة مهتدين وضلالًا».

٤٤١- أخبرنا الفريابي، قال: حدثنا منجاب بن الحارث، قال: أخبرنا علي بن مسهر، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾ [الأعراف: ١٧٢] قال: «لما خلق الله آدم أخذ ذريته من ظهره كهيئة الذَّر، ثم سماهم بأسمائهم، فقال: هذا فلان بن فلان يعمل كذا وكذا. وهذا فلان بن فلان يعمل كذا وكذا، ثم أخذهم بيده قبضتين، فقال: هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار»[(١)].

= قلت: قال ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٨٠): يخالف في بعض رواياته عن الثقات، وإذا روى عن أهل الشام فهو ثبت، وإذا روى عن غيرهم خلط».

وفي إسناده معاوية بن سعيد، قال في «الكاشف»: «وثق». وقال في «التقريب»: «مقبول».

وعبد الله بن السائب، إن كان محفوظًا فهو الكندي، ويقال: الشيباني الكوفي، وثقه ابن معين وأبو حاتم والنسائي وابن نمير وغيرهم، كما في «التهذيب» (٥/ ٢٣٠)، وإلا لم أجد في الرواة عن عطاء ولا في شيوخ معاوية بن سعيد ذكرًا لعبد الله بن السائب.

رواه ابن أبي عاصم في «السنة» [١٠٤] عن محمد بن مصفى به.

وقد رواه جماعة من الثقات أبو داود الطيالسي وسعيد بن سليمان وأبو النضر وعلي بن الجعد وعباد بن العوام فقالوا: عن عبد الواحد بن سليم البصري عن عطاء به نحوه.

والحديث سبق تخريجه برقم (٣٤٦، ٣٤٧).

(١) هذا الأثر إسناده فيه الأعمش وحبيب بن أبي ثابت كلاهما مدلس.

رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٣) عن أبي زرعة عن منجاب بن الحارث به. =

٤٤٢ - وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا علي بن [الحسن] بن شقيق قال: حدثنا عبد الله - هو ابن المبارك - قال: حدثني ابن جريج، عن الزبير بن موسى، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إن الله تَعَالَى ضرب منكبه الأيمن - يعني آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ - فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية، فقال: هؤلاء أهل الجنة، ثم ضرب منكبه الأيسر، فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء، هؤلاء أهل النار، ثم أخذ عهدهم على الإيمان به، والمعرفة له ولأمره، والتصديق بأمره، بني آدم كلهم وأشهدهم على أنفسهم، فآمنوا وصدقوا وعرفوا وأقروا»(١).

ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٨٧٦]، وابن جرير في «التفسير» (١٣/ ٢٢٧)، وابن بطة في «الإبانة» (١٣٣٨-الأثيوبي)، من ثلاث طرق أخرى عن الأعمش به.

ورواه إسحاق بن راهويه (٢/ ٩٨٨-أحكام أهل الذمة) وابن جرير في «التفسير» (١٣/ ٢٢٧-٢٢٨) من طريق وكيع عن الأعمش، وابن بطة في «الإبانة» (١٣٣٤-الأثيوبي) من طريق وكيع عن سفيان الثوري، (الأعمش وسفيان) كلاهما عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «مَسَحَ الله ظَهْرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخْرَجَ فِي يَمِينِهِ كُلَّ طَيِّبٍ، وَأَخْرَجَ فِي يدِهِ الْأُخْرَى كُلَّ خَبِيثٍ».

(١) في إسناده ابن جريج وهو مدلس وقد عنعن. والزبير بن موسى، قال في «التقريب»: «مقبول».

رواه ابن جرير في «التفسير» (١٣/ ٢٣٧-٢٣٨)، وابن بطة في «الإبانة» (١٣٤٠-الأثيوبي)، وابن منده في «الرد على الجهمية»، ص: [٣٣] من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج به.

وله طريق أخرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه. أخرجه ابن منده في «الرد على الجهمية»، ص: [٣٣] من طريق محمد بن عثمان بن إبراهيم القيسي -**الصواب:** العبسي-، عن أبي بلال الأشعري، عن أبي بشر، عن الحكم، عن سعيد بن جبير. وهذا إسناده ضعيف، فيه أبو بلال الأشعري ليَّنه الدارقطني وغيره، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: «يغرب ويتفرد». «لسان الميزان» (٦/ ١٤) و(٧/ ٢٢)، ومحمد بن عثمان هو ابن أبي شيبة، اختلف فيه، وقال ابن عدي: «لم أر له حديثًا منكرًا». «اللسان» (٥/ ٢٨٠).

٤٤٣- وأخبرنا الفريابي، قال: حدثنا منجاب بن الحارث قال: حدثنا علي بن مسهر، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: «إن أول ما خلق الله تَعَالَىٰ القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب القدر، فجرى بما هو يكون في ذلك إلى أن تقوم الساعة. وكان عرشه على الماء، ثم رفع بخار الماء، ففتقت منه السموات والأرض، ثم خلق النون، فدحيت الأرض على ظهر النون، فتحركت[١] النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال، فإنها لتفخر عليها».

٤٤٤- وأخبرنا الفريابي، قال: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، قال: حدثنا وكيع ابن الجراح، عن سفيان الثوري، عن أبي هاشم، عن مجاهد، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ذكر له قوم يتكلمون بالقدر فقال: «إن الله تَعَالَىٰ استوى على عرشه قبل أن يخلق شيئًا[٢]، فكان أول ما خلق القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»[٣].

٤٤٥ - وأخبرنا الفريابي، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا الليث بن سعد، عن هشام بن سعد، عن إبراهيم بن محمد بن علي، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «كل شيء بقدر، حتى وضعك يدك على خدك»[٤].

....

(١) في (ط): «فتحرك» كما يقول المحقق.

(٢) الآيات القرآنية صريحة في أن استواء الله على عرشه إنما كان بعد خلق السماوات والأرض.

(٣) سبق تخريجه برقم [٣٥١].

(٤) في إسناده هشام بن سعد، قال الحافظ في «التقريب»: «صدوق له أوهام».
رواه ابن بطة (١٦٣٩-الأثيوبي) عن الآجري به.
ورواه البخاري في «التاريخ» (١/ ٣١٩) عن قتيبة عن الليث به.
ورواه الخلال في «السنة» (٣/ ٥٤٨) من طريق آخر عن الليث به.

=

٤٤٦ ـ وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو الحارث سريج بن يونس، قال: حدثنا مروان بن شجاع، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «ما غلا أحد في القدر إلا خرج من الإيمان»(١).

٤٤٧ ـ أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، قال: حدثنا حفص ابن غياث، عن ليث، عن طاوس، قال: «العجز والكيس من القدر»(٢).

....

= وخالف الدراوردي هشام بن سعد، فرواه عن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر عن أبيه سمع ابن عباس به. أخرجه البخاري في تاريخه (١/ ١٨٢، ٣١٨).

وتابعه أبو عمر زياد بن أبي مسلم الفراء، فرواه عن إبراهيم بن محمد عن أبيه، لكن قال: سمع ابن عمر أو ابن عباس في «القدر»؛ أخرجه البخاري في تاريخه (١/ ٣١٩). وإبراهيم بن محمد بن علي ابن عبد الله بن جعفر، قال في «التقريب»: «صدوق». وأبوه محمد بن علي، ذكره البخاري في تاريخه (١/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦) ولم يحكيا فيه جرحًا ولا تعديلًا، وأورده ابن حبان في «الثقات» (٥/ ٣٥٣).

وهذا الأثر علَّقه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٢/ ٦٩-الفهيد) عن ابن عباس، بغير إسناد.

(١) إسناده حسن، فيه مروان بن شجاع، قال في «الكاشف»: «صدوق»، وقال في «التقريب»: «صدوق له أوهام».

رواه أحمد بن منيع في مسنده (١/ ١٧٣) برقم (٢٠٣-إتحاف الخيرة المهرة) ومن طريقه الضياء المقدسي في «المختارة» (١٠/ ١٦٦) رقم [١٦٣]، والخلال في «السنة» (٩١٨، ٩٥٠)، وابن بطة في «الإبانة» (١٦٤١-الأثيوبي)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» [١١٣١]، من طرق عن مروان ابن شجاع به.

(٢) إسناده ضعيف، فيه ليث بن أبي سليم، قال في «الكاشف»: «فيه ضعف يسير من سوء حفظه، كان ذا صلاة وصيام وعلم كثير، وبعضهم احتج به». وقال في «التقريب»: «صدوق اختلط جدًّا ولم يتميز حديثه فترك».

قلت: رواه المصنف عن الفريابي هكذا عن طاوس مقطوعًا، وقد رواه الفريابي في «القدر» [٣٠٤] بسنده ومتنه سواء، إلا أن فيه ذكر ابن عباس. وذكره البخاري في «خلق أفعال العباد» (٢/ ٦٩) برقم [١٢٩]، قال: قال ليث: عن طاوس عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]: حتى العجز والكيس». فلعله سقط ذكر ابن عباس من كتاب «الشريعة» سهوًا، ويؤيده أن المصنف =

٤٤٨ - حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري، قال: حدثنا محمد بن يحيى، وأحمد بن يوسف، قالا: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «العجز والكيس من القدر»[(١)].

٤٤٩ - حدثنا أبو بكر النيسابوري أيضًا، قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال: حدثنا عبد الله بن وهب، أن مالكًا أخبره عن زياد بن سعد، عن عمرو بن سالم، عن طاوس اليماني أنه قال: أدركت ناسًا من أصحاب النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولون: (كل شيء بقدر).

وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»[(٢)].

= ذكر هذا الأثر في سياق كلام الصحابة وموقفهم من القدرية، ثم الرواية الآتية -وهي صحيحة- تقوي كونه عن ابن عباس. والله أعلم.

(١) أثر صحيح.

رواه ابن بطة (١٦٤٠-الأثيوبي) بإسناد الآجري سواء.

رواه معمر في جامعه (١١/ ١١٧-مصنف عبد الرزاق)، ومن طريقه: إسحاق في مسنده (٢٩٥٩-المطالب العالية)، وابن بطة في «الإبانة» (١٦١٧-الأثيوبي)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٤٧) برقم [٣٢٣٧]، وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» [٣٨٠]، واللالكائي - من طريق ابن راهويه- [٩٧٠]، كلهم من طرق عن عبد الرزاق عنه، مثله، ومطوَّلًا. وصححه الحاكم على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

ورواه الأنصاري في «حديثه» [٨٥]، ومن طريقه اللالكائي [١٢٢١]، والفريابي في «القدر» [٣٠٥] من طريقين عن ابن جريج، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٢/ ٦٧-٦٨) برقم [١٢٧] من طريق سفيان الثوري، (ابن جريج وسفيان) كلاهما عن ابن طاوس به. وقد صرح ابن جريج بالتحديث. وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) **إسناده صحيح**: رواه ابن بطة (١٦٦٤-الأثيوبي) بإسناد الآجري سواء.

ورواه مسلم في القدر، حديث [٢٦٥٥] عن عبد الأعلى بن حماد وقتيبة بن سعيد، عن مالك به. وقد =

٤٥٠ - أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، قال: حدثنا وكيع، عن حنظلة، عن طاوس، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «الحذر لا يغني من القدر، ولكن الدعاء يدفع القدر»(١).

٤٥١ - حدثنا الفريابي، قال: حدثنا أبو مسعود إسماعيل بن مسعود الجحدري قال: حدثنا معتمر بن سليمان، قال: حدثنا أبو عوانة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «ما في الأرض قوم أبغض إلي من أن يجيئوني فيخاصموني من القدرية وما ذاك إلا أنهم لا يعلمون قدرة الله تَعَالَى، وأن الله لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون»(٢).

٤٥٢ - وأخبرنا الفريابي، قال: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، قال: حدثنا يزيد ابن هارون، قال: أخبرنا يحيى بن سعيد، عن أبي الزبير أنه كان مع طاوس يطوف [بالبيت] فمر معبد الجهني، فقال قائل لطاوس: هذا معبد الجهني، فعدل إليه فقال: أنت المفتري على الله، القائل ما لا يعلم؟ قال: إنه يكذب علي، قال أبو الزبير:

....

= أخرجه مالك في «الموطأ في القدر» (٢/ ٨٩٩)، حديث [٤].

(١) إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، إلا شيخ المصنف وهو ثقة ثبت.
ورواه ابن بطة (١٦٣٥-الأثيوبي)، والبيهقي في «القضاء والقدر» [٢٥٣]، من طريقين عن شجاع بن الوليد، حدثنا أبو سلمة عمرو بن الجون الدالاني، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس بمثله، وزاد البيهقي في روايته: «وَهُوَ إِذَا دَفَعَ الْقَدَرَ فَهُوَ مِنَ الْقَدَرِ». ورواية ابن بطة مختصرة. وسقط من إسناده عطاء عن ابن عباس.

(٢) إسناده ضعيف، فيه عطاء بن السائب اختلط، والراوي عنه أبو عوانة، وقد قال ابن معين: «سمع أبو عوانة من عطاء في الصحة والاختلاط جميعًا، ولا يحتج بحديثه». «الجرح والتعديل» (٦/ ٣٣٤).
رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٩١٢]، وابن بطة في «الإبانة» (١٦٣٧-الأثيوبي)، من طريق أبي عوانة به.

فعدلت مع طاوس حتى دخلنا على ابن عباس، فقال له طاوس: يا أبا عباس، الذين يقولون في القدر؟ قال: أروني بعضهم، قلنا: صانع ماذا؟ قال: «إذا أضع يدي في رأسه، فأدق عنقه»[(١)].

٤٥٣ - أخبرنا الفريابي، قال: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد الملك بن ميسرة، عن طاوس، قال: كنت جالسًا مع ابن عباس في حلقة فذكروا أهل القدر. فقال: منهم ها هنا أحد؟ فآخذ برأسه، فأقرأ إليه[(٢)]: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤] ثم أقرأ عليه آية كذا وكذا وآية كذا - آيات في القرآن[(٣)].

٤٥٤ - وأخبرنا الفريابي، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا بهز بن أسد، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثنا أبو هاشم، عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لو رأيت أحدهم لأخذت بشعره» يعني: القدرية.

....

(١) إسناده حسن. رجاله ثقات رجال الشيخين إلا شيخ المصنف - وهو ثقة -، وإلا أبا الزبير فهو من رجال مسلم، وروى له البخاري مقرونًا. وقال في «التقريب»: «صدوق».
رواه الفريابي في «القدر» [٢٦٣]، وعبد الله بن أحمد في «السنة» [٩١١]، وابن بطة (١٦١١-الأثيوبي)، واللالكائي [١٣٢٢]، من طرق أخرى عن يزيد بن هارون به.
ورواه الفريابي في «القدر» [٢٦٤]، وابن بطة في الإبانة (١٦٢٩-الأثيوبي)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢١٨)، من ثلاث طرق أخرى عن يحيى بن سعيد به نحوه.

(٢) كذا.

(٣) إسناده صحيح: ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٩٢٢] عن أبيه، وابن بطة في «الإبانة» (١٦٣٠-الأثيوبي) من طريق محمد بن العلاء، (أحمد ومحمد بن العلاء) كلاهما عن أبي معاوية به.
ورواه ابن بطة في «الإبانة» (١٦٣٠-الأثيوبي)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٩٢) برقم [٣٣٧٢]، وعنه البيهقي في «القضاء والقدر» [٣٢٨]، من طريقين آخرين عن الأعمش به نحوه. وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي.

قال شعبة: فحدثت به أبا بشر، قال: سمعت مجاهدًا يقول: ذكروا عند ابن عباس فاحتفز، وقال: «لو رأيت أحدهم لعضضت أنفه»(١).

٤٥٥ - وأخبرنا الفريابي، قال: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، قال:حدثنا شريك، عن ابن خثيم، عن مجاهد قال: قلت لابن عباس: إني أردت أن آتيك برجل يتكلم في القدر، قال: «لو أتيتني به لأسننت له وجهه، أو لأوجعت رأسه، لا تجالسهم، ولا تكلمهم»(٢).

---

(١) هذا الأثر جاء بإسنادين؛ **فالأول-** صحيح، رجاله ثقات؛ أحمد بن إبراهيم هو الدورقي، روى له مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وأبو هاشم هو يحيى بن دينار الواسطي، قال في التقريب: «ثقة».
والإسناد الثاني- فيه أبو بشر وهو جعفر بن إياس، قال في «التقريب»: «ثقة من أثبت الناس في سعيد ابن جبير، وضعفه شعبة في حبيب بن سالم وفي مجاهد».
رواه الفريابي في «القدر» [٨٠] عن عبد الأعلى بن حماد عن معتمر بن سليمان عن شعبة عن أبي هاشم الواسطي به. وزاد كلامًا آخر، ولم يذكر رواية أبي بشر.
ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٩٢٤]، وابن بطة (١٦١٣-الأثيوبي)، واللالكائي [١١٦٣]، من طرق عن هشيم عن شعبة عن مجاهد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَهُ أَهْلُ الْقَدَرِ، فَقَالَ: «لَوْ رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ لَعَضَضْتُ أَنْفَهُ». هكذا مختصرًا.
ورواه الفريابي في «القدر» [٢٦٧] عن يَحْيَى بْن حَبِيبِ بْنِ عَرَبِيٍّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: ذَكَرْتُ لِأَبِي بِشْرٍ حَدِيثًا، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الْقَدَرِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ مُجَاهِدًا، فذكره مثل لفظ المصنف.
ورواه ابن بطة في «الإبانة» (١٦١٢-الأثيوبي) بإسناد صحيح عن عمرو بن دينار قال: ذُكِرَ الْقَدَرِيَّةُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ مِنْهُمْ فَأَرُونِيهِ آخُذُ بِرَأْسِهِ».
(٢) **في إسناده ضعف،** ويتقوى بما قبله؛ شريك بن عبد الله القاضي، قال فيه الذهبي في «الكاشف»: «وثقه ابن معين، وقال غيره: سيء الحفظ، وقال النسائي: ليس به بأس. هو أعلم بحديث الكوفيين من الثوري، قاله ابن المبارك»، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوق يخطئ كثيرًا».
وابن خثيم هو عبد الله بن عثمان بن خثيم، قال في «التقريب»: «صدوق».
رواه ابن شاهين في «شرح مذاهب أهل السنة» [٢٣] برقم [٣] عن نَصْر بْنِ الْقَاسِمِ، نا أبو بكر بن أبي شيبة به نحوه.

٤٥٦ - وأخبرنا الفريابي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي قال: حدثنا الوليد - يعني: ابن مسلم - قال: حدثنا الأوزاعي، عن القاسم بن هزان، عن الزهري، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر فهي العروة الوثقى، التي لا انفصام لها، ومن وحد الله تَعَالَى وكذب بالقدر، فإن تكذيبه بالقدر نقض للتوحيد».

٤٥٧/ أ - أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفي، قال: حدثنا محمد بن بكار، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عمر بن محمد بن يزيد، وإسماعيل بن رافع، وعبد الرحمن بن عمرو يرفعونه إلى عبد الله بن عباس أنه كان يقول: «القدر نظام التوحيد فمن وحد الله سُبْحَانَهُ وكذب بالقدر كان تكذيبه للقدر نقضا للتوحيد، ومن وحد الله وآمن بالقدر، كانت العروة الوثقى»(١).

....

(١) أثر ضعيف: له إسنادان: فالإسناد الأول رجاله ثقات لكنه منقطع، عبد الرحمن بن إبراهيم هو دحيم، ثقة مشهور، والقاسم بن هزان، قال أبو حاتم في الجرح والتعديل (٧/ ١٢٣): «محله الصدق»، وقال الذهبي في «السير» (٥/ ٣٤١): «ثقة». والزهري - إلى كونه مدلسًا وقد عنعن هنا - لم تذكر له رواية عن ابن عباس. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٢٦/ ٤٢٢-٤٢٣).
رواه الفريابي في «القدر» [٢٠٥] -وعنه المصنف كما هنا- قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدِّمَشْقِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، حَدَّثَنَ االْأَوْزَاعِيُّ، وَالْقَاسِمُ بْنُ هِزَّانَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ،..به. فجعل رواية الوليد ابن مسلم عن الأوزاعي والقاسم بن هزان معًا. وهذا هو الموافق لما في ترجمة القاسم بن هزان؛ فإنه معدود في شيوخ الوليد بن مسلم، ولم يذكر في تلاميذه الأوزاعي. انظر: ترجمته في «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩/ ٢١٥).
والأثر رواه اللالكائي [١٢٢٤] بإسناده عن الأوزاعي: حدثنا بعض أَصْحَابِنَا، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، باللفظ الثاني.
ورواه ابن بطة في «الإبانة» (١٦٢٤-الأثيوبي) بإسناده إلى ابن وهب قَالَ: أَخْبَرَنِي يونس بنُ يَزِيدَ، عن ابْنِ شهابٍ به نحوه.
والإسناد الثاني فيه إسماعيل بن عياش، قال الذهبي في «الكاشف»: «قال يزيد بن هارون: ما رأيت =

٤٥٧/ ب ـ وبهذا الإسناد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان يقول: (باب شرك فتح على أهل القبلة التكذيب بالقدر، فلا تجادلوهم فيجري شركهم على أيديكم)(١).

....

= أحفظ منه. وقال دحيم: هو في الشاميين غاية، وخلط عن المدنيين. وقال البخاري: إذا حدَّث عن أهل حمص فصحيح. وقال أبو حاتم: لـيِّن». وقال ابن حجر في «التقريب»: «صدوق في روايته عن أهل بلده، مخلط في غيرهم».

وفيه انقطاع؛ عمر بن محمد بن يزيد -وصوابه: ابن زيد العمري- وإسماعيل بن رافع -وهو المدني ضعيف كما في التقريب- وعبد الرحمن بن عمرو -وهو الأوزاعي- لم يدركوا ابن عباس.

رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٦١٩-الأثيوبي) من طريق سعيد بن منصور عن إسماعيل بن عياش به. لكن قال: «مُحَمَّد بْن زيدٍ» بدل عمر بن محمد بن يزيد، وزاد الأوزاعي، فجعل عبد الرحمن بن عمرو والأوزاعي اثنين. ولم أجد في الرواة عن إسماعيل بن عياش رجلين اسمهما عبد الرحمن بن عمرو.

ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٩٢٥، ٩٢٨)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» [١١١٢]، من طريق سفيان الثوري عن عمر بن محمد بن زيد - رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ- عن رجل عن ابن عباس به. وهذا سند ضعيف، لإبهام الرجل الذي لم يسم.

ورواه ابن بطة في «الإبانة» (١٦١٨-الأثيوبي) من طريق محمد بن المثنى عن عبد الله بن زاذان عن عمر بن محمد بن زيد العمري، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَافِعٍ، شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ به.

وهذا سند ضعيف منقطع؛ لضعف إسماعيل بن رافع وعدم إدراكه ابن عباس، وعبد الله بن زاذان لم أجد له ترجمة.

(١) **إسناده ضعيف منقطع**: رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٦٢٣-الأثيوبي) عن أبي الفضل شعيب بن محمد عن ابن أبي العوام الرياحي، عن أبيه، عن إسماعيل قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ، وَإِسْمَاعِيلُ ابْنُ رَافِعٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُعَاوِيَةَ، يَرْفَعُونَهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ بمثله. وعمرو بن محمد بن زيد لم أجده، ولعل صوابه عمر بن محمد بن زيد، وهو العمري. وعبد الرحمن بن عمرو بن معاوية لم أجده، ولعل صوابه عبد الرحمن بن عمرو وهو الأوزاعي. والله أعلم.

ورواه ابن بطة (١٦٣٦-الأثيوبي) من طريق خَلَفِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ السَّرَخْسِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الصَّبَّاحِ عَبْدُ الْغَفُورِ بْنُ سَعِيدٍ الْوَاسِطِيُّ الْأَنْصَارِيُّ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الرُّمَّانِيِّ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ نحوه. وهذا إسناد ضعيف جدًّا. خلف بن عبد الحميد مجهول، قال أحمد ابن حنبل: «لا أعرفه». «تاريخ بغداد» (٨/ ٣٢١)، «لسان الميزان» (٢/ ٤٠٣).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد ذكرنا عن جماعة من الصحابة ما حضرنا ذكره بمكة من الرد على القدرية، على ما يوافق الكتاب والسنة، [و] استغنينا بما ذكرناه عن الكلام.

وسنذكر عن التابعين والعلماء من أئمة المسلمين مما تأدى إلينا من ردهم على القدرية ما يوافق الكتاب والسنة وقول الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، مما إذا سمعه القدري؛ فإن كان ممن أريد به الخير، راجع دينه، وتاب إلى الله تَعَالَىٰ، وأناب، وإن يكن غير ذلك فأبعده الله وأقصاه.

هذه الآثار عن الصحابة صحيحها وضعيفها كلها تدور على إثبات القدر والإنكار الشديد على منكريه من أهل الضلال، وقد تقدم لنا الكلام مرارًا على إثبات القدر بالأدلة وبالنقل عن الأئمة بما في ذلك كلامنا في صدر هذا الباب.

=

وأبو الصباح عبد الغفور الواسطي متروك، قال في «اللسان» (٤/ ٤٣): قال يحيى بن معين: ليس حديثه بشيء. وقال ابن حبان: كان ممن يضع الحديث. وقال البخاري: تركوه. وقال ابن عدي: عبد الغفور بن عبد العزيز أبو الصباح الواسطي: ضعيف منكر الحديث».

ورواه اللالكائي [١١٢٦] بإسناده عن محمد بن يحيى الذهلي، قال: ثنا عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ النُّفَيْلِيُّ، قَالَ: ثنا بيه -كذا- بن مُحَمَّدٍ، قَالَ غَيْرُ النُّفَيْلِيِّ: الْقُشَيْرِي عَنْ قَاسِمٍ قال عَنِ النُّفَيْلِيِّ بْنِ هَزَّانَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حَلْبَسِ بْنِ وَابِصَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ نحوه. وهذا إسناد مشكل، وصوابه -والله أعلم-: عن محمد بن يحيى الذهلي، قال: ثنا عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ النُّفَيْلِيُّ وغيرُه، قَالَا: ثنا بقية، عن مُحَمَّدٍ- قَالَ غَيْرُ النُّفَيْلِيِّ: الْقُشَيْرِي- عَنْ قَاسِمٍ- قال غير النُّفَيْلِيِّ: ابْن هَزَّانَ-،عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حَلْبَسِ ابْنِ وَابِصَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ نحوه. وبقية هو ابنُ الوليد ورواية النفيلي عنه في غريب الحديث للخطابي (١/ ٦٣٦-٦٣٧)، و«تاريخ أصبهان» لأبي نعيم (١/ ٤٥٠)، ومحمد هو ابنُ عبد الرحمن القشيري من شيوخ بقية كما في ترجمته في «الكاشف» (٢/ ١٩٥)، واللسان (٥/ ٢٥٠)، وهو من الرواة عن القاسم بن هزان كما في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ٢١٥). وحلبس بن وابصة لم أجد له ترجمة، ولعله سعيد بن مرجانة؛ فإن القاسم بن هزان يروي عن ابن عباس من طريق الزهري عن سعيد بن مرجانة عنه. والإسناد ضعيف جدًّا، القشيري متروك كما في ترجمته في «اللسان».



باب

ما ذكر عن التابعين وغيرهم من الرد عليهم

اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أن من القدرية صنفًا إذا قيل لبعضهم: من إمامكم في مذهبكم هذا؟ فيقولون: الحسن، وكذبوا على الحسن، وقد أجلَّ الله الكريم الحسنَ عن مذهب القدرية.

ونحن نذكر عن الحسن خلاف ما ادَّعوا عليه:

٤٥٨ - أخبرنا الفريابي، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن خالد الحذاء، قال: قدم علينا رجل من أهل الكوفة فكان مجانبًا للحسن لما كان يبلغه عنه من القدر حتى لقيه، فسأله الرجل، أو سئل عن هذه الآية: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هُود: ١١٨ - ١١٩] قال: «لا يختلف أهل رحمة الله» قال: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾؟

قال: «خلق أهل الجنة للجنة، وأهل النار للنار» فكان الرجل بعد ذلك [يذب] عن الحسن»[1].

٤٥٩ - وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة قال: حدثنا إسماعيل ابن علية، عن منصور بن عبد الرحمن، قال: قلت للحسن: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ

---

(١) سبق تخريجه برقم [٣١٤].

مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾؟ قال: «الناس مختلفون على أديان شتى - إلا من رحم ربك - ومن رحم ربك غير مختلف». قلت: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾؟ قال: «نعم، خلق هؤلاء للجنة وخلق هؤلاء للنار، وخلق هؤلاء للرحمة، وخلق هؤلاء للعذاب»[(١)].

٤٦٠ - وأخبرنا الفريابي، قال: حدثني أبو أمية الواسطي قال: حدثنا يزيد ابن هارون، قال: أخبرنا مبارك، عن الحسن في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هُود: ١١٨] قال: «على الهدى». ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هُود: ١١٨ - ١١٩] قال: «أهل رحمة الله لا يختلفون»، ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال: «للاختلاف خلقهم»[(٢)].

٤٦١ - وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عمر بن عثمان قال: حدثنا بقية بن الوليد، عن ثور بن يزيد، عن الحسن بن أبي الحسن قال: جف القلم، وقضي القضاء، وتم القدر، لتحقيق الكتاب، وتصديق الرسل، وسعادة من عمل واتقى، وشقاوة من ظلم واعتدى، بالولاية من الله عَزَّوَجَلَّ للمؤمنين، وبالتبرئة من الله للمشركين[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه برقم [٣١٣].

(٢) **إسناده حسن لغيره**: فيه مبارك بن فضالة، قال في «الكاشف»: «قال عفان: ثقة من النساك وكان وكان. وقال أبو زرعة: إذا قال حدثنا فهو ثقة. وقال النسائي: ضعيف». وقال في «التقريب»: «صدوق يدلس ويسوي».

رواه البغوي في «مسند ابن الجعد» [٣٢١٤]، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٦٢٢)، وابن بطة في «الإبانة» (١٢٩٠-الأثيوبي)، و(١٦٩٤-الأثيوبي)، والبيهقي في «القضاء والقدر» [٧٥]، من طرق عن المبارك بن فضالة به، بألفاظ، مطوَّلًا ومختصرًا.

وروى ابن بطة في «الإبانة» (١٦٧٢-الأثيوبي) من طريق إسماعيل بن أسد قال: حدثنا شبابة، قال: حدثنا المبارك، قال: جالست الحسن ثنتي عشرة سنة، فما سمعته يفسر شيئًا من القرآن إلا على إثبات القدر.

(٣) **إسناده ضعيف**، فيه بقية بن الوليد صدوق كثير التدليس، وقد عنعن. وشيخه عمر بن عثمان صوابه: =

٤٦٢- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا حماد بن زيد، عن عوف قال: سمعت الحسن يقول: من كفر بالقدر فقد كفر بالإسلام، ثم قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ خلق خلقًا، فخلقهم بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم أرزاقهم بقدر، والبلاء والعافية بقدر(١).

٤٦٣- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي قال: حدثنا حماد بن زيد، عن خالد الحذاء، عن الحسن قال: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصَّافَّات: ١٦٢ - ١٦٣] قال: الشياطين لا يفتنون بضلالتهم إلا من قد أوجب الله عَزَّوَجَلَّ له أن يصلى الجحيم(٢).

= عمرو بن عثمان، وهو عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، وهو ثقة كما في ترجمته في «تهذيب الكمال» (٢٢/ ١٤٤-١٤٦).

رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٧٠٥-الأثيوبي) عن أبي صَالِحٍ مُحَمَّد بْن أَحْمَدَ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ -كذا- ابْنُ عُثْمَانَ بن كثير به.

(١) إسناده صحيح:

رواه اللالكائي [١٢٥٥] من طريقين آخرين عن قتيبة بن سعيد به.

ورواه ابن بطة في «الإبانة» (١٧٠٣-الأثيوبي) من طريق محمد بن عيسى عن حماد بن زيد به مختصرًا.

ورواه ابن بطة (١٦٧٦-الأثيوبي) من طريق مُحَمَّد بْن مَرْوَانَ الْعُقَيْلِي، قَالَ: سَمِعْتُ عَوْفًا، يَقُولُ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بنحوه، وزاد: «وَأَمَرَ وَنَهَى».

وجاء عن عاصم الأحول عن الحسن نحوه، وسيأتي عند المصنف برقم [٤٦٨] وتخريجه في محله.

(٢) أثر صحيح، وإسناده حسن: في إسناده إبراهيم بن عبد الله الهروي، قال في «الكاشف»: «قال النسائي وغيره: ليس بالقوي. ووثقه طائفة». وقال في «التقريب»: «صدوق حافظ، تكلم فيه بسبب القرآن».

وباقي رجاله ثقات. رواه أبو داود في «السنة» حديث [٤٦١٦] عن أبي كامل - الجحدري-، والطبري في «التفسير» (٢١/ ١٢٣) عن يعقوب بن إبراهيم، كلاهما عن إسماعيل - ابن إبراهيم- به.

ورواه أبو داود في «السنة» حديث [٤٦١٤]، وابن بطة (١٣٠٠-الأثيوبي)، واللالكائي [١٠٠٦]، والبيهقي في «القضاء والقدر» [٣٣٥]، من طرق أخرى عن حماد بن زيد عن خالد الحذاء به مثله، وبزيادة.

٤٦٤- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: حدثنا خالد الحذاء، عن الحسن قال: قلت: أرأيت قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ١٦٢ - ١٦٣]؟ قال: إلا من كتب عليه أن يصلى الجحيم.

٤٦٥- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله قال: حدثنا هشيم قال: أخبرنا منصور، عن الحسن في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ١٦٢ - ١٦٣]، يقول: لستم عليه بمضلين، إلا من هو صال الجحيم، من سبق له في علم الله عَزَّوَجَلَّ أن يصلى الجحيم(١).

٤٦٦- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريرى قال: حدثنا حماد بن زيد قال: حدثنا خالد الحذاء قال: خرجت - أو غبت غيبة لي - والحسن لا يتكلم في القدر، فقدمت، فإذا هم يقولون: قال الحسن، وقال الحسن، فأتيته، ودخلت عليه منزله. قال: فقلت: يا أبا سعيد، أخبرني عن آدم، للسماء خلق، أم للأرض؟ قال: ما هذا يا أبا منازل؟ قال حماد: يقول لي خالد: و لم تكن هذه من مسائلنا، قال: قلت: يا أبا سعيد، إني أحب أن أعلم، قال: بل للأرض خلق. قال: قلت

---

(١) إسناده صحيح: إبراهيم بن عبد الله هو ابن حاتم الهروي، من أعلم الناس بحديث هشيم قاله ابن معين وصالح جزرة كما في «التهذيب» (١/ ١٣٢-١٣٣). وبقية رجاله ثقات.

وروى الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٢٤) من طريق حماد بن زيد، وابن بطة في «الإبانة» (١٦٧٢-الأثيوبي) من طريق روح بن عبادة، قال حماد: عن حبيب ومنصور، وقال روح: عن حبيب ابن الشهيد، عن ابن زاذان - يعني: منصور بن زاذان-، قالا: «سألنا الحسن عما بين ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] إلى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١]، ففسره على الإثبات». وهذان إسنادان صحيحان، رجالهما ثقات رجال الشيخين.

لـه: أرأيـت لو اعتصم فلم يأكل من الشـجرة؟ قال: بل لم يكـن له بد من أن يأكل منها، لأنه للأرض خلق.

٤٦٧-حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد الحِنَّائي قال: حدثنا محمد بن عبيد ابـن حسـاب قـال: حدثنا حمـاد بن زيد، عن خالـد الحذاء قال: خرجـت خرجة لي، ثـم قدمـت فقيل لي: إن الحسـن قد تكلـم في القدر، فأتيته، فقلت: يا أبا سـعيد، آدم خلق للأرض أم للسـماء؟ قال: ما هذا يا أبا منازل؟ فقلت: إني أحب أن أعلمه، قال: لـلأرض، قلـت: فلـو اعتصم فلم يأكل من الشـجرة؟ قال: إنه لم يكـن له بد من أن يأكل منها، لأنه للأرض خلق[١].

٤٦٨-أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي، قال: حدثنا محمـد بن بـكار قال: حدثنا إسماعيـل بن زكريا، عن عاصـم الأحول قال: سمعت الحسـن يقـول: مـن كـذب بالقدر فقـد كـذب بالحـق - مرتـين - إن الله عَزَّوَجَلَّ قدر خلقًـا، وقـدر أجـلًا، وقدر بلاء، وقدر مصيبـة، وقدر معافاة، فمن كـذب بالقدر فقد كذب بالقرآن[٢].

....

(١) أثر صحيح، وإسناداه صحيحان.
رواه أبو داود في «السـنة»، حديث [٤٦١٤]، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٤)، ويعقوب الفسوي في «المعرفة» (٢/ ٢٤)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» [١٠٨]، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٧٦)، وابن بطة في «الإبانـة» (١٣٨٨ - الأثيوبي)، و(١٣٩٠-الأثيوبي)، و(١٣٩١-الأثيوبي)، و(١٦٨٠-الأثيوبي)، والبيهقي في «القضاء والقدر» [٥٠٦]، من طرق عن حماد بن زيد به.
ورواه ابـن أبي حاتم في «التفسـير» (١/ ٧٦)، ابـن بطة في «الإبانـة» (١٣٩١-الأثيوبي)، و(١٦٧٩-الأثيوبي)، و(١٦٨٠-الأثيوبي)، وأبو عمرو السلمي في جزئه (٦١، ٦٢)، واللالكائي [١٠٠٦]، من ثلاثة طرق أخرى عن خالد الحذاء به نحوه.

(٢) أثر صحيح، وهذا إسـناد حسـن. فيه إسـماعيل بن زكريا وهو الخلقاني، قال في «الكاشف»: «صدوق اختلف قول ابن معين فيه». وقال في «التقريب»: «صدوق يخطئ قليلًا، ع».

=

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بطل دعوى القدرية على الحسن، إذ زعموا أنه إمامهم، يموهون على الناس، ويكذبون على الحسن، لقد ضلوا ضلالًا بعيدًا، وخسروا خسرانًا مبينًا.

كان القدرية قد افتروا على الإمام الحسن بن أبي الحسن البصري أنه يقول بنفي القدر على طريقتهم الباطلة، فعلوا هذا ليروجوا لبدعتهم، وهذا من طرق أهل الضلال يرون أنه لا بد من التستر بإمام أو أئمة لتروج وتنطلي بدعهم على الناس فيقبلونها، وكم أوقعوا في حبائلهم من الناس بهذه الطريقة الماكرة.

أهمَّ هذا الأمر بعضَ أعيان أئمة أهل السنة فيأتون الإمام الحسن ليتأكدوا من صحة هذه الدعاية أو كذبها، فيبين لهم الإمام الحسن بأنه على نهج الكتاب والسنة ونهج السلف الصالح في إثبات القدر بكل مراتبه.

وقد ساق الإمام الآجري هنا أحد عشر نصًّا لنفي هذه التهمة عن الإمام الحسن وإثبات ضدها من أقواله وفقهه العميق للآيات القرآنية الدالة على إثبات القدر، وأن الاهتداء إلى الحق وإلى طريق الجنة بمشيئة الله وإرادته، وأن الضلال لا يخرج عن مشيئته وإرادته، وأن اتفاق أهل الحق على الحق وعدم اختلافهم بإرادة الله وتوفيقه، وأن الضلال والاختلاف من أهل الكفر والشقاء بإرادة الله وخذلانه لهم؛ لأنهم للاختلاف والنار خلقوا، لا يسأل سُبْحَانَهُ عما يفعل، وله في كل ذلك الحكمة البالغة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

=

قلت: وهذه الرواية مما حفظه إسماعيل، فقد تابعه ثلاثة عن عاصم بنحوه. رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٦٩٥-الأثيوبي) عن أبي يُوسُفَ يَعْقُوب بْن يُوسُفَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الله أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِيُّ به. ورواه ابن أبي حاتم كما في «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٦/ ١٣٨) عن طلحة بن سنان، وابن بطة (١٧٠٩-الأثيوبي)، واللالكائي [١٢٥٤]، من طريقين عن مروان بن معاوية، والبيهقي في «القضاء والقدر» [٢٧٨] عن حفص بن غياث، ثلاثتهم عن عاصم به نحوه.

ابن سيرين

٤٦٩- أخبرنا الفريابي قال: حدثني أبو عثمان أحمد بن محمد المقدمي قال: حدثنا سليمان بن حرب قال: حدثنا عبيد الله بن شميط، عن عثمان البتي قال: دخلت على ابن سيرين فقال لي: ما يقول الناس في القدر؟ قال: فلم أدر ما رددت عليه، قال: فرفع شيئًا من الأرض، فقال: ما يزيد على ما أقول لك مثل هذا، إن الله عَزَّوَجَلَّ إذا أراد بعبد خيرًا وفقه لمحابه وطاعته وما يرضى به عنه، ومن أراد به غير ذلك اتخذ عليه الحجة، ثم عذبه غير ظالم له(١).

٤٧٠- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ، قال: حدثنا أبي قال: حدثنا ابن عون، عن محمد بن سيرين أنه قال: ما ينكر قوم إن الله عَزَّوَجَلَّ علم شيئًا فكتبه؟(٢)

٤٧١- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا معاذ بن معاذ، عن ابن عون قال: لم يكن أبغض ولا أكره إلى محمد بن سيرين من هؤلاء القدرية.

....

(١) إسناده حسن، فيه عثمان البتي، قال في «الكاشف»: «وثقه أحمد وغيرُه، وابنُ معين في قول». وقال في «التقريب»: «صدوق عابوا عليه الإفتاء بالرأي». وفيه أبو عثمان المقدمي، قال ابن أبي حاتم: «كتبت عنه بمكة وهو صدوق». وباقي رجاله ثقات.

رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٧٢٥-الأثيوبي) عن أبي ذر الباغندي عن المقدمي به.

(٢) أثر صحيح، وإسناده صحيح رجاله رجال الشيخين، عدا شيخ المصنف وهو ثقة.

رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٩٠٣]، والفاكهي في «أخبار مكة» (١/ ٨٦) برقم [١١] من طريقين آخرين عن ابن عون به.

٤٧٢- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ قال: حدثنا أبي قال: حدثنا ابن عون قال: لم يكن قوم أبغض إلى محمد- يعني ابن سيرين - من قوم أحدثوا في هذ االقدر ما أحدثوا[(١)].

٤٧٣- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا معاذ قال: أخبرني ابن عون قال: أخبر رجل محمد بن سيرين عن رجلين اختصما في القدر، فقال أحدهما لصاحبه: أرأيت الزنا، بقدر هو؟ قال الآخر: نعم، قال محمد: وافق رجلًا حيًا[(٢)].

٤٧٤- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا معاذ بن معاذ قال: حدثنا ابن عون عن محمد بن سيرين أنه كان يرى أن أسرع الناس ردة: أهل الأهواء[(٣)].

ينقل الإمام الآجري هذه النصوص عن الإمام العظيم محمد بن سيرين البصري قرين الإمام الحسن البصري في العلم والإمامة في الدين، أنه يثبت القدر على طريقة الكتاب والسنة وطريقة السلف الصالح، وأنه ينكر الإنكار الشديد على نفاة القدر ويبغضهم أشد البغض، ويرى أن أهل البدع ومنهم القدرية أسرع الناس إلى الردة نعوذ بالله من ذلك، وليس هذا الإمام هو الوحيد في بغض أهل البدع، بل هذا منهج السلف

---

(١) **هذا الأثر صحيح**؛ إسناداه صحيحان رجالهما رجال الشيخين، عدا شيخ المصنف وهو ثقة.

(٢) **أثر صحيح**: وإسناد المصنف صحيح.

رواه الفريابي في «القدر» [٣٥٧] وعبد الله بن أحمد في «السنة» [٨٨٩] من طريق معاذ بن معاذ به.

(٣) **أثر صحيح**: وإسناد المصنف صحيح.

رواه الفريابي في «القدر» [٣٦٢] وابن بطة في «الإبانة» (٣٥٣-الأثيوبي) وابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١٣١٤) من طرق عن معاذ بن معاذ به.

ورواه ابن بطة في «الإبانة» (٥٤٥-الأثيوبي) من طريق قريش بن أنس عن ابن عون به.

الصالـح جميعًـا، فهل من يتولى أهـل البدع ويدافع عنهم ويحارب أهل السـنة من أجلهم يعد من أهل السنة؟ يأبى ذلك السلف الصالح ومنهجهم.



مطرف بن عبد الله

٤٧٥- حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال: حدثنا عبيد الله ابن عمر القواريري قال: حدثنا جعفر بن سليمان قال: حدثنا ثابت، عن مطرف أنه قال: نظرت، فإذا ابن آدم ملقى بين يدي ربه عَزَّوَجَلَّ وبين يدي إبليس، فإن شاء الله عَزَّوَجَلَّ أن يعصمه عصمه، وإن تركه ذهب به إبليس[1].

٤٧٦- وحدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد الحنائي قال: حدثنا محمد بن عبيد بن حساب قال: حدثنا حماد بن زيد قال: حدثنا داود بن أبي هند قال: قال مطرف: لم نوكل إلى القدر، وإليه نصير.

٤٧٧- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو كامل الجحدري قال: حدثنا بشر بن المفضل قال: حدثنا داود بن أبي هند قال: ذكر القدر، فقال مطرف: لم نوكل إليه، ووجدنا إليه نصير[2].

مطرف هذا هو ابن عبد الله بن الشخير أحد العلماء من أهل البصرة، وهو أقدم من الحسن وطبقته، له فضائل وكان مستجاب الدعوة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ينقل عنه الإمام الآجري هذه النصوص التي يثبت فيها إيمانه بالقدر على طريقة أهل السنة وأئمتهم اهتداء بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

انظر إلى قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«لم نوكل إلى القدر، وإليه نصير»**.

---

(١) **إسناده حسن**، فيه جعفر بن سليمان الضبعي، قال في «الكاشف»: «ثقة فيه شيء مع كثرة علومه، قيل: كان أميًّا، وهو من زهاد الشيعة». وقال في «التقريب»: «صدوق زاهد، لكنه كان يتشيع».
رواه اللالكائي [١٢٥٦]، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس»، ص: [٣٥]، من طريقين آخرين عن جعفر به.

(٢) **أثر صحيح**، إسناداه صحيحان رجالهما ثقات.

فإنه أخذه من كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القدر من مثل حديث عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةٍ فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ فَقَالَ: «مَامِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ٦]... الآية[1].

فمن هذا الحديث ونحوه أخذ مطرف قوله هذا، فما على العبد إلا أن يعمل وأن يؤمن بالقدر، ومعرفة نهايته بيد الله ونهاية كل أحد إلى ما كتبه الله له أو عليه.



(١) أخرجه البخاري حديث [٤٩٤٩]، ومسلم حديث [٢٦٤٧].

إياس بن معاوية

٤٧٨- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن عبيد بن حساب قال: حدثنا حماد بن زيد قال: حدثنا حبيب بن الشهيد قال: سمعت إياس بن معاوية يقول: لم أخاصم بعقلي كله من أصحاب الأهواء، غير أصحاب القدر. قال: قلت: أخبروني عن الظلم في كلام العرب ما هو؟ قالوا: أن يأخذ الرجل ما ليس له، قال: فقلت: فإن لله عَزَّوَجَلَّ كل شيء.

٤٧٩- وحدثنا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبَنْدَارُ قَالَ: حدثنا بُنْدَارٌ مُحَمَّدُ ابْنُ بَشَّارٍ قَالَ: حدثنا صَفْوَانُ بْنُ عِيسَى قَالَ: حدثنا حَبِيبُ بْنُ الشَّهِيدِ قَالَ: جَاؤوا بِرَجُلٍ إِلَى إِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالُوا: هَذَا يَتَكَلَّمُ فِي الْقَدَرِ، فَقَالَ إِيَاسُ: «مَا تَقُولُ؟ قَالَ: أَقُولُ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ وَنَهَاهُمْ، وَإِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ الْعِبَادَ شَيْئًا، قَالَ لَهُ إِيَاسُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الظُّلْمِ، تَعْرِفُهُ أَمْ لَا تَعْرِفُهُ؟ قَالَ: بَلَى، أَعْرِفُهُ، قَالَ: مَا الظُّلْمُ؟ قَالَ: أَنْ يَأْخُذَ الرَّجُلُ مَا لَيْسَ لَهُ، قَالَ: فَمَنْ أَخَذَ مَا لَهُ ظَلَمَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ إِيَاسُ: الْآنَ عَرَفْتَ الظُّلْمَ؟»[1].

....

(١) أثر صحيح: إسناده الأول صحيح، رجاله ثقات.
رواه البيهقي في «القضاء والقدر» [٣٥٠] من طريق محمد بن عبيد به.
ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٩٤٦]، والخلال في «السنة» [٩٤٢]، وأبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» [٣٩١]، واللالكائي [١٢٨٠]، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٢٤)، من طرق أخرى عن حماد بن زيد به.
والإسناد الثاني حسن أو صحيح، فيه صفوان بن عيسى، وثقه العجلي وابن حبان، وقال أبو حاتم: صالح. كما في «التهذيب» (٤/ ٤٣٠). وقال في الكاشف: «وثق». وقال في «التقريب»: «ثقة، خت م ٤». وشيخ المصنف وثقه الدارقطني كما في «تاريخ بغداد» (٢/ ٤٦).
رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٩٠٠-الأثيوبي) من طريق أبي موسى محمد بن المثنى عن صفوان بن =

استشهد المؤلف بقول القاضي إياس بن معاوية المعروف بالذكاء النادر.

يقـول إيـاس: إنه لم يخاصـم بعقله كله من أصحـاب الأهواء إلا أصحـاب القدر، فأهـل القـدر يقولون: إن الله لـو كتب وأراد كفر الكافرين ومعصيـة العاصين ثم عذبهم على كفرهم ومعاصيهم فإن هذا من الظلم، فهم ينكرون القدر ومشيئة الله لأعمال العباد تـنـزيهًا له من الظلم في زعمهم.

أورد القـاضي إيـاس هذا السـؤال عـلى أحدهم، فقـال: أخبرني عن الظلـم، فقال القدري: أن يأخذ الرجل ما ليس له، فقال له إياس: فمن أخذ ماله ظلم؟ فقال القدري: لا، قال إياس: الآن عرفت الظلم، أي أنه كسره وأفحمه.

والجواب السديد أن يقال: إن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه.

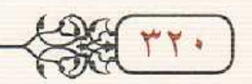
وتعذيـب الله للكافريـن المتمرديـن على دينه ورسـله وكتبـه اختيارًا منهـم وعنادًا واقـع هذا التعذيب في موقعه، فما عذبهم إلا عـلى ذنوبهم وجرائمهم التي أتوها برغبتهم واختيارهم وردهم للحق باختيارهم وعدوانهم، وإن كانت أفعالهم لا تخرج عن مشـيئة الله.



=

عيسى به.

ورواه في «الإبانة» (١٨٩٩-الأثيوبي) من طريق همام عن حبيب بن الشهيد، بنحو رواية حماد.



زيد بن أسلم

٤٨٠- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا أبو أسامة، عن سفيان، عن ابن جريج، عن زيد بن أسلم ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] **قال: ما جبلوا عليه من شقوة أو سعادة**[1].

٤٨١- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا سويد بن سعيد قال: حدثنا حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] **قال: علم أسرار العباد، وأخفى سره فلم يعلم**[2].

٤٨٢- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا سويد بن سعيد قال: حدثنا المعتمر بن

---

(١) أثر ضعيف، رجاله ثقات، إلا أن ابن جريج مدلس وقد عنعن.
رواه الخلال في «السنة» [٩٣٤] عن الحسن بن أحمد الكرماني، قال: ثنا أبوبكر بن أبي شيبة به.
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٤١)، والطبري (٢٢/ ٤٤٤)، وابن بطة في «الإبانة» (١٨٠٦- الأثيوبي)، والبيهقي في «القضاء والقدر» [٥٧٩]، من طرق أخرى عن سفيان الثوري به نحوه.
ورواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٤٤٤)، والخلال في «السنة» [٩٣٣] من طريقين عن يحيى بن يمان، عن ابن جريج به، نحوه.

(٢) أثر حسن، وإسناده فيه ضعف؛ سويد بن سعيد هو الحدثاني، قال في «الكاشف»: «كان يحفظ، لكنه تغير، قال البخاري: عمي فتلقن. وقال النسائي: ليس بثقة». وقال في «التقريب»: «صدوق في نفسه، إلا أنه عمي فصار يتلقن ما ليس من حديثه، فأفحش فيه ابن معين القول». وحفص بن ميسرة فيه كلام يسير كما في «التهذيب» (٢/ ٤١٩-٤٢٠).
قلت: أخرج مسلم في «الصحيح» نسخة حفص بن ميسرة عن سويد بن سعيد. وهذا الأثر من صحيح حديث حفص بن ميسرة إذ رواه عنه ثقتان غير سويد.
وقد رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٨١٤-الأثوبي) من طريق أبي حاتم الرازي عن سويد به.
ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٦٤)، وعنه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥١٦) عن يونس عن ابن وهب، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥١٦) من طريق سعيد بن منصور، كلاهما عن حفص به.

سليمان، عن محمد بن جعفر، عن زيد بن أسلم قال: القدر: قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، فمن كذب بالقدر فقد جحد قدرة الله عَزَّوَجَلَّ [(١)].

٤٨٣- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عمرو بن علي قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أبو غسان قال: سمعت زيد بن أسلم يقول: ما أعلم قومًا أبعد من الله عَزَّوَجَلَّ من قوم يخرجونه من مشيئته، وينكرونه من قدرته [(٢)].

[٤٨٤] وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا خلف بن محمد الواسطي المعروف بكردوس قال: حدثنا يعقوب بن محمد قال: حدثنا الزبير بن حبيب، عن زيد ابن أسلم قال: والله ما قالت القدرية كما قال الله عَزَّوَجَلَّ، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال النبيون، ولا كما قال أهل الجنة، ولا كما قال أهل النار، ولا كما قال أخوهم إبليس، وذكر الحديث [(٣)].

---

(١) إسناده فيه ضعف، لحال سويد بن سعيد.

رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٨٠٥-الأثيوبي) من طريق أبي حاتم الرازي عن سويد به.

وتابع سويدًا محمد بن معاذ بن عباد بن معاذ العنبري، عن المعتمر به، رواه ابن عساكر في تاريخه (١٩/ ٢٨٧) من طريق الدارقطني عن محمد بن مخلد عن أحمد - في الأصل: محمد- ابن أبي عمران، عن محمد بن معاذ- في الأصل: يعلى- بن عباد العنبري عن المعتمر به. ورجاله ثقات، إلا شيخ ابن عساكر أبا العز ابن كادش، فهو متهم أقر بوضع حديث، ثم تاب وأناب. وكان صحيح السماع؛ قاله ابن عساكر. «لسان الميزان» (١/ ٢١٨).

(٢) إسناده حسن، فيه عمرو بن عثمان - وفي الكتاب: علي-، ووقع عند الفريابي في «القدر» [٢٠٨]: عمرو بن عثمان، على الصواب، وهو أبو حفص عمرو بن عثمان بن كثير بن دينارٍ الحِمْصي. قال في «الكاشف»: «صدوق حافظ». وقال في «التقريب»: «صدوق». وأبو غسان هو محمد بن مطرف بن داود الليثي المدني، وهو ثقة كما في «التقريب».

رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٨٠٤-الأثيوبي) من طريق أبي الأحوص عن عمرو بن عثمان به.

(٣) راجع الحديث رقم [٣١٩] فتتمته هناك.

زيد بن أسلم المدني مولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو من كبار المفسرين للقرآن، ومن أعيان أهل السنة رَحِمَهُ اللَّهُ.

فهو هنا يعرف القدر فيقول: «**القدر: قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ، فمن كذب بالقدر فقد جحد قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ**» **يعني:** أن هذا كفر.

ويقول: «**ما أعلم قومًا أبعد من الله عَزَّ وَجَلَّ من قوم يخرجونه من مشيئته، وينكرونه من قدرته**».

يعني أن قول القدرية: إن أفعال العباد، لا سيما الكفر والمعاصي خارجة عن مشيئة الله، وأن العباد يفعلون ما لا يشاؤه الله أن هذا تنقص لله وجحد لمشيئة الله وإرادته لكل شيء يجري في هذا الكون وقدرته عل كل شيء وأنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن.

إلا أن في تفسيره؛ لقول الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] نظرًا؛ لأن الله خلقهم لعبادته وتوحيده، هذا هو مدلول هذه الآية الكريمة، هذا هو معنى الآية.

والسعادة للسعداء والشقاوة للأشقياء إنما تؤخذ من الآيات والأحاديث الدالة على القدر.



محمد بن كعب القرظي

٤٨٥- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبد الأعلى بن حماد قال: حدثنا معتمر ابن سليمان، عن محمد بن أبي حميد، عن محمد بن كعب القرظي سمعته يقول: لقد سمى الله تعالى المكذبين بالقدر باسم نسبهم إليه في القرآن، فقال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٧ - ٤٩]، قال: فهم المجرمون[١].

٤٨٦- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا وكيع عن سفيان، عن سالم بن أبي حفصة، عن محمد بن كعب القرظي في قوله عز وجل: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]، قال: نزلت تعييرًا لأهل القدر.

٤٨٧- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن موسى الأنصاري قال: حدثنا الحسن بن موسى البزاز قال: حدثنا أبو مودود أن محمد بن كعب قال لهم: لا تخاصموا هؤلاء القدرية ولا تجالسوهم، والذي نفسي بيده لا يجالسهم رجل لم يجعل الله عز وجل له فقهًا في دينه، وعلمًا في كتابه، إلا أمرضوه، والذي نفس محمد بيده لوددت أن يمين هذه تقطع على كبر سني، وأنهم أتموا آية من كتاب الله عز وجل، ولكنهم يأخذون بأولها ويتركون آخرها، ويأخذون بآخرها ويتركون

---

(١) إسناده فيه ضعف، فيه محمد بن أبي حميد، قال في «الكاشف»: «ضعفوه». وقال في «التقريب»: «ضعيف».

رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٧٦٨-الأثيوبي) من طريق أحمد بن المقدام العجلي عن معتمر بن سليمان به.

أولها، والذي نفسي بيده لإبليس أعلم بالله عَزَّوَجَلَّ منهم، يعلم من أغواه، وهم يزعمون أنهم يغوون أنفسهم ويرشدونها[(١)].

٤٨٨- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن مصفى قال: حدثنا بقية ابن الوليد قال: حدثنا عمر بن عبد الله - مولى غفرة - عن محمد بن كعب القرظي قال: لو أن الله عَزَّوَجَلَّ مانع أحدًا منع إبليس مسألته حين عصاه، ودحره من جنته، وآيسه من رحمته، وجعله داعيًا إلى الغي، فسأله النظرة: أن ينظره إلى يوم يبعثون، فأنظره، ولو كان الله عَزَّوَجَلَّ مشفعًا أحدًا في شيء ليس في أم الكتاب، لشفع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في أبيه حين اتخذه خليلًا، ولشفع محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمه أبي طالب[(٢)].

محمد بن كعب القرظي من علماء وثقات التابعين، وفي الأسانيد إليه ضعف.

---

(١) أثر ضعيف، لجهالة في أحد رواته.

رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٧٦٥-الأثيوبي) عن الآجري به. لكن وقع عنده: حدثنا «أبو داود» بدل: «أبو مودود».

ووقع عند الفريابي- وقد روى المصنف هذا الأثر عنه- في القدر [٢٥١]:...حَدَّثَنَا «حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَرَّادُ، حَدَّثَنَا أَبُو مَوْدُودٍ». ولعل هذا هو الصواب؛ فقد روى الحسن بن علي ابن البراد المديني عن أبي مودود، وروى عنه أبو موسى إسحاق بن موسى الأنصاري. انظر: «التاريخ» للبخاري (٢/ ٢٩٨)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٣/ ٢٠)، و«تهذيب الكمال» للمزي (٢/ ٤٨١)، و«تاريخ» الذهبي (١٢/ ١٢١).

والحسن بن علي البراد، قال ابن أبي حاتم: «سألت أبي عن الحسن بن علي البراد هذا؟ فقال: شيخ مديني حدثنا عنه إبراهيم بن المنذر». ولم أجد فيه جرحًا ولا تعديلًا.

(٢) في إسناده عمر مولى غفرة، قال في «التقريب»: « ضعيف وكان كثير الإرسال».

رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٧٦٦-الأثيوبي) عن المصنف.

ورواه الفريابي في «القدر» [١٧٩] عن أبي أنس مالك بن سليمان عن بقية به مثله.

ينقل الإمام الآجري مواقفه القوية من القدرية:

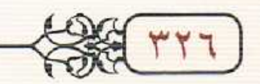
١- فهو ينزل عليهم قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٧ - ٤٩]، قال: فهم المجرمون.

والحق أن الآية أعم، فهي تتناول القدرية، لا سيما غلاتهم، وتتناول الكفار على اختلاف مللهم.

٢- يحذر القرطي من مجالسة القدرية ومخاصمتهم لخطورة ضلالهم ومنهجهم وعقيدتهم، ومثلهم سائر أهل البدع من الروافض والخوارج والمرجئة وغيرهم من أهل الضلال.

٣- وقوله الأخير يقصد منه أن الله فعّال لِمَا يريد، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، وكل الأمور مرجعها ومردها إلى الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]





إبراهيم النخعي

٤٨٩- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٢ - ١٦٣]، قال: بفاتنين إلا من قدر له أن يصلى الجحيم.

٤٩٠- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا أبو أسامة، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ [الصافات: ١٦٢]، قال: بمضلين إلا من قدر له وقضى له أن يصلى الجحيم[(١)].

٤٩١- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبد الأعلى بن حماد قال: حدثنا محمد ابن عبد الله قال: حدثنا يعلى بن الحارث المحاربي، عن وائل بن داود قال: سمعت إبراهيم يقول: إن آفة كل دين: القدرية[(٢)].

إبراهيم بن يزيد النخعي من أئمة الإسلام وفقهائهم.

ينقل عنه الآجري تفسير قول الله تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٢ - ١٦٣].

---

(١) هذا أثر صحيح، إسناداه صحيحان، رجالهما ثقات رجال الشيخين، عدا شيخ المصنف وهو ثقة.
رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٢٤) من طريق محمد بن بشار عن ابن مهدي به.
ورواه ابن بطة في «الإبانة» [١٢٨٤] من طريق وكيع عن سفيان به.
ورواه البيهقي في «القضاء والقدر» [٣٤٠] من طريق شيبان عن منصور عن مجاهد وإبراهيم نحوه.

(٢) في إسناده عبد الأعلى بن حماد، قال في «الكاشف»: «المحدث الثبت». وقال في «التقريب»: «لا بأس به». وهو متابع كما يأتي في التخريج. ومحمد بن عبد الله هو أبو أحمد الزبيري من الثقات إلا في حديثه عن الثوري فله أوهام كما في «التقريب»، وباقي رجاله ثقات.
رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٨٩٥] من طريق يحيى بن آدم، وابن بطة في «الإبانة» [١٨٠١]، من طريق أحمد بن يونس، كلاهما عن يعلى بن الحارث به.

فيستخرج منها عقيدة القدر، وأن الشياطين لا يستطيعون إضلال أحد من عباد الله إلا مـن كتب الله عليه أنه من أهل الجحيم ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴾ [الليل: ١٥]، الذي كتب الله عليه الشقاء، فهذا الذي تضله الشياطين.



القاسم وسالم وغيرهما

٤٩٢- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا أحمد بن إسحاق، عن عكرمة بن عمار قال: سمعت القاسم وسالمًا يلعنان القدرية(١).

٤٩٣- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن سيار قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال: حدثنا معاوية بن صالح، عن ضمرة بن حبيب، عن جبير بن نفير أنه قال: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كان عرشه على الماء، وإنه خلق القلم فكتب ما هو خالق، وما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم إن ذلك الكتاب سبح الله عَزَّوَجَلَّ ومجده ألف عام قبل أن يبدأ الله عَزَّوَجَلَّ خلق شيء من الإنسان»(٢).

---

(١) أثر حسن. في إسناده عكرمة بن عمار اليمامي روى له مسلم والأربعة، وقال في الكاشف: «ثقة إلا في يحيى بن أبي كثير فمضطرب». وقال في التقريب: «صدوق يغلط، وفي روايته عن يحيى بن أبي كثير اضطراب، ولم يكن له كتاب». وأحمد بن إسحاق هو الحضرمي البصري، قال في «الكاشف»: «ثقة». وقال في «التقريب»: «ثقة كان يحفظ».
رواه ابن سعد في «الطبقات» (٥/ ١٨٨)، واللالكائي [١١٦٧] من طريقين آخرين عن أحمد بن إسحاق به، لكن لفظه عند اللالكائي: «سمعت القاسم وسليمان يعني ابن يسار يلعنان القدرية».
ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٨٤٨]، وابن بطة في «الإبانة» (١٥٥٢-الأثيوبي)، و(١٥٥٣-الأثيوبي)، والبيهقي في «القضاء والقدر» [٥٢١] من أربعة طرق أخرى عن عكرمة بن عمار بنحو لفظ المصنف. وزاد عبد الله بن أحمد: «الذين يكذبون بقدر الله عَزَّوَجَلَّ حتى يؤمنوا بخيره وشره».
ورواه ابن سعد في «الطبقات» (٥/ ١٩٩) عن أبي مسعود النهدي، وابن عرفة في جزئه [٥٣]، ومن طريقه ابن بطة في «الإبانة» (١٥٥١-الأثيوبي)، واللالكائي [١١٦٦]، وكذا البيهقي في «القضاء والقدر» [٥٢٠]، عن علي بن ثابت الجزري، (أبو مسعود وعلي بن ثابت) كلاهما عن عكرمة بن عمار، قال: سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ، «يَلْعَنُ الْقَدَرِيَّةَ». هذا لفظ علي. ولفظ أبي مسعود: «سمعت سالمًا يلعن القدرية الذين يكذبون بالقدر حتى يؤمنوا بخيره وشره».

(٢) في إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث: صدوق، كثير الغلط. وشيخه معاوية بن صالح، قاضي الأندلس، صدوق له أوهام. وقد توبعا.
=

٤٩٤ـ أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا معاوية ابن هشام، عن هشام بن سعد، قيل لنافع: إن هذا الرجل يتكلم في القدر، قال: فأخذ كفًا من حصى فضرب بها وجهه(١).

٤٩٥ـ وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الرحيم قال: حدثنا عفان ابن مسلم قال: حدثني حرب بن سريج أبو سفيان البزاز قال: سألت أبا جعفر محمد ابن علي، فقال: أشامي أنت؟ فقالوا له: إنه مولاك، فقال: مرحبًا، وألقى لي وسادة من أدم، قال: قلت: إن منهم من يقول: لا قدر، ومنهم من يقول: قدر الله الخير، ولم يقدر الشر، ومنهم من قال: ليس شيء كائن، ولا شيء كان إلا جرى به القلم، فقال: بلغني أن قبلكم أئمة يضلون بالناس مقالتهم المقالتان الأولتان، فمن رأيت ممن هم إمامًا يصلي بالناس فلا تصلوا وراءه، ثم سكت هنيهة ثم قال: من مات منهم فلا تصلوا عليه، قاتلهم الله إخوان اليهود، قلت: قد صليت خلفهم، قال: من صلى خلف أولئك فليعد الصلاة(٢).

= فقد رواه أبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٣٦٨)، من طريق أحمد بن سعيد الهمداني عن ابن وهب عن معاوية بن صالح به. وأحمد بن سعيد الهمداني، قال فيه الحافظ في «التقريب»: «صدوق».

ورواه الفريابي في «القدر» [٧٦]، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٨٠)، من طريق بقية بن الوليد عن أرطأة ابن المنذر سمعت ضمرة بن حبيب عن جبير مثله. وبقية مدلس.

ورواه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٤٩-٢٥٠)، وفي تاريخه (١/ ٣٣)، عن القاسم بن الحسن، عن الحسين بن داود، عن مبشر الحلبي، عن ضمرة بن حبيب قوله. شيخ الطبري القاسم لم أجد له ترجمة، والحسين بن داود الملقب بسنيد فيه كلام كما في «الميزان».

(١) إسناده فيه ضعف. فيه معاوية بن هشام، قال في «التقريب»: «صدوق له أوهام».
وفيه هشام بن سعد، ليَّنه بعض الأئمة كما في «الميزان» (٤/ ٢٩٨-٢٩٩).

(٢) في إسناده حرب بن سريج المنقري، قال في التقريب: «صدوق يخطئ».
رواه ابن بطة (١٨٢٤-الأثيوبي) عن الآجري به.

ذكـر الآجري هنا عددًا من الأئمة وبيَّن مواقفهم من الفرقة القدرية، فالقاسـم هو ابن محمد بن أبي بكر الصديق، وسالم هو ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهما إمامان جليلان، ولا يلعنان القدرية إلا لأنها يعتقدان كفرهما، ولا شك أن غلاة القدرية الذين ينكرون علم الله السابق كانوا في زمان هذين الإمامين.

وجبـير بـن نفير الحضرمـي ثقة جليل من المخضرمـين، وهو هنا يذكـر كتابة القلم مقادير الخلق بأمر الله وفي قوله هذا إثبات للقدر، لكن في الإسناد إليه ضعف.

ونافـع هنـا هو الإمام الثقـة الثبت مولى ابن عمر، وقد أهان هـذا القدري، لكن في صحة الإسناد إليه نظر.

وأبو جعفر هو محمد بن علي بن الحسين المشهور بالباقر معروف بالإمامة والفضل، وفي الإسناد إليه حرب بن سريج: صدوق يخطئ، فإن صح الإسناد فنقول: إنه قد عرض على هذا الإمام مذهبان للقدرية، وثالث لأهل السنة والحق.

الأول مـن مذهبـي القدرية قولهـم: لا قدر، وهـذا شر من المذهب الثـاني، مع أن الثاني يشـبه مذهب المجوس، ومن ثم نهى الباقر عن الصلاة وراءهم، ونهى عن الصلاة على موتاهم، ثم قال: «**قاتلهم الله إخوان اليهود**»؛ لأنهم يردون نصوص القرآن والسنة الدالة على القدر بأنواعه، ويخالفون ما عليه الصحابة والتابعون من الإيمان بقدر الله، وأنه لا يكـون في الكون من خير وشر وحركة وسـكون إلا بمشـيئة الله، ثـم أمر بإعادة صلاة من صلى خلفهم.



مجاهد

٤٩٦- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي قال: حدثنا الحجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٢ - ١٦٣] قال: إلا من كتب عليه أنه يصلى الجحيم[(١)].

٤٩٧- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا سويد بن سعيد قال: حدثنا مروان بن معاوية عن رجاء المكي قال: سمعت مجاهدًا يقول: القدرية مجوس هذه الأمة ويهودها فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم[(٢)].

٤٩٨- أخبرنا أبو القاسم إبراهيم بن الهيثم الناقد قال: حدثنا محمد بن بكار قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه قال: في

....

(١) أثر حسن. وإسناده ضعيف، فيه ابن جريج ثقة من رجال الجماعة، لكنه مدلس، وقد عنعن. وقال ابن الجنيد لابن معين: سمع ابن جريج من مجاهد؟ قال: في حرف أو حرفين في القراءة، لم يسمع غير ذلك، وكذلك قال البرديجي وغيره. «جامع التحصيل» للعلائي، ص: [٢٢٩].
قال البخاري في صحيحه، في كتاب «القدر»: باب: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١] قضى. قَالَ مُجَاهِدٌ: «(بِفَاتِنِينَ) بِمُضِلِّينَ، إِلاَّ مَنْ كَتَبَ الله أَنَّهُ يَصْلَى الْجَحِيمَ». هكذا معلَّقًا، ووصله عبد بن حميد في تفسيره من طريق شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. كما في «الفتح» (١١/ ٥١٥).
ورواه البيهقي في «القضاء والقدر» (٣٣٩، ٣٤٠) من طريق بقية عن محمد الكوفي عن الثوري، ومن طريق محمد بن شعيب عن شيبان، وعبد بن حميد -كما في الفتح (١١/ ٥١٥)- من طريق إسرئيل، ثلاثتهم عن منصور عن مجاهد بلفظه ومعناه.

(٢) إسناده ضعيف: فيه سويد بن سعيد الحدثاني، صدوق اختلط. ومروان بن معاوية، قال في «التقريب»: «ثقة حافظ، وكان يدلس أسماء الشيوخ». وفيه رجاء المكي لم أجد له ترجمة.
رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٧٥٢-الأثيوبي) عن الآجري به.

قـراءة عبـد الله: ﴿ مَآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ [(١)] ، وأنـا كتبتها عليك﴾ [(٢)].

التفسير الصحيح لهذه الآية وما في معناها:

بعض الناس يفسر الحسنة هنا بعمل الحسنات والسيئة بعمل السيئات وهذا خطأ، الحسـنة هنـا النعمـة: ﴿ مَآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩] أي: ما أصابك من نعمة فمن الله، والسيئة هنا المصيبة.

فـما يصيب العبد من نعمـة أو مصيبة فكلُّها من الله عَزَّوَجَلَّ، الخـير والشر كلُّه يقدِّره الله عَزَّوَجَلَّ و المصائب والنِّعم كلها من عند الله والله يفعل ما يشاء وخالق كل شيء ويقدر الحسنات والسيئات.

سـاق شيخ الإسـلام هذه الآية الكريمة: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٧٨ - ٧٩]، فقال:

---

(١) سورة النساء الآية: [٧٩].

(٢) هذه الأقوال الثلاثة المنسـوبة إلى مجاهد أسـانيدها ضعيفة، لكن معاني المتـون صحيحة، ولها ما يؤديها من كلام أهل العلم.

وهذا إسناد ضعيف، فيه إسماعيل بن عياش ضعيف في روايته عن غير الشاميين، وهذه منها.

وفيه عبد الوهاب بن مجاهد، ضعيف.

رواه المصنف [٥٦٨] عن أحمد بن عبد الجبار الصوفي عن محمد بن بكار به.

ورواه ابن وهب في تفسيـره [٢٥٣] وأبو عبيد القاسـم بن سـلام في «فضائل القرآن»، ص: [٢٩٧]، وابـن المنـذر (٢/ ٨٠٠)، وابن بطة في «الإبانة» (١٧٤٤-الأثيوبي) من طرق عن إسـماعيل بن عياش به.

....

«فإن هذه الآية تنازع فيها كثير من مثبتي القدر ونفاته: هؤلاء يقولون: الأفعال كلها من الله؛ لقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]. وهؤلاء يقولون: الحسنة من الله والسيئة من نفسك؛ لقوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

وقد يجيبهم الأولون بقراءة مكذوبة: ﴿فَمَن نَّفْسِكَ﴾ بالفتح على معنى الاستفهام، وربما قدر بعضهم تقديرًا: أي أفمن نفسك؟ وربما قدر بعضهم القول في قوله تَعَالَىٰ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ فيقولون: تقدير الآية ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] يقولون. فيحرفون لفظ القرآن ومعناه، ويجعلون ما هو من قول الله -قول الصدق- من قول المنافقين الذين أنكر الله قولهم، ويضمرون في القرآن ما لا دليل على ثبوته بل سياق الكلام ينفيه، فكل من هاتين الطائفتين جاهلة بمعنى القرآن وبحقيقة المذهب الذي تنصره.

وأما القرآن فالمراد منه هنا بالحسنات والسيئات النعم والمصائب؛ ليس المراد الطاعات والمعاصي، وهذا كقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠] وكقوله: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝٥٠ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ [التوبة: ٥٠ - ٥١]... الآية. ومنه قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] **أي:** بالنعم والمصائب.

....

وهـذا بخـلاف قولـه: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠] وأمثـال ذلـك، فإن المراد بها الطاعـة والمعصية، وفي كل موضع ما يبين المراد باللفظ، فليس في القرآن العزيز بحمد الله تعالى إشكال؛ بل هو مبين. وذلك أنـه إذا قـال: (مـا أصابك) وما (مسـك) ونحو ذلـك، كان من فعل غيرك بـك كما قال: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾، وكـما قال تعالى: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الروم: ٣٦]، [الشورى: ٤٨].

وإذا قـال: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ كانـت من فعله؛ لأنه هو الجائي بها، فهذا يكون فيما فعلـه العبـد لا فيما فعل به، وسـياق الآية يبين ذلـك، فإنه ذكر هذا في سـياق الحض على الجهـاد وذم المتخلفين عنه فقـال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧١ - ٧٣].

فأمـر سبحانه بالجهـاد وذم المثبطـين، وذكر ما يصيب المؤمنين تارة مـن المصيبة فيه، وتـارة من فضل الله فيه، كما أصابهم يـوم أحد مصيبة فقال: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٥] وأصابهـم يـوم بدر فضل من الله بنصره لهم وتأييده كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٣]»، انظر «مجموع الفتاوى» (٨/ ١١٠-١١٢).

الشاهد: أن الآية هذه تعني بالحسنة النعمة؛ ولهذا كتب شيخ الإسلام كتابًا في هذا «الحسنات والسيئات» كُتيِّب معروف وفسر الآية التي يقصد منها بالحسنة الطاعة أو بالحسنة النعمة فسر هذا، فالمراد بالحسنة في هذه الآية النعم التي ينعم الله بها على عباده، والمراد بالسيئة فيها المصائب.

وتفسير الجبرية لها غلط، وتفسير القدرية لها غلط.

الموضع الثاني: قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٢ - ١٦٣] هذه الآية معناها يُشكل على بعض الطلاب، ومعناها يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للكفار والمشركين: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦١ - ١٦٣] **يعني:** أنتم ومعبوداتكم من الشيطان والأصنام وغيرها لا تستطيعون أن تُضِلُّوا أحدًا أبدًا إلا من أراد الله له الضلال وإدخاله النار وأن يُصليه بالنار وهم الأشقياء، والشقاء حصل لهم بتقدير الله.

وهذه الأمور مردُّها إلى الله عَزَّوَجَلَّ، يعني لا هم يستطيعون أن يهدوا أحدًا ولا يستطيعون أن يُضِلُّوا أحدًا لا هم ولا غيرهم ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، فيقول لهم: أنتم ومعبوداتكم ما تستطيعون أن تُضِلُّوا أحدًا أنتم عاجزون ما تستطيعون أن تملكوا لأنفسكم نفعًا ولا ضرًّا، لكن من أراد الله له الشقاء يَضِل ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣] كافر كتبه الله كافرًا كتبه الله شقيًّا، وتأتي الشياطين وتجتاحه بقدر الله عَزَّوَجَلَّ، فهذه الآية مما احتج بها عمر بن عبد العزيز وغيره على إثبات القدر؛ احتج بها على غيلان [1] واحتج

---

(١) «السنة» لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٢٨-٤٢٩) رقم [٩٤٧]، و«القدر» للفريابي [٢٣٧] رقم [٣٤٠].

بها على غيره من القدرية (١) ويحتج بها أهل السنة على أنهَّا من الآيات التي تثبت أن القدر بيـد الله وأن ما شـاء الله كان وما لم يشـأ لم يكـن فهذه من جملة الآيـات الكثيرة ويجري في مجراهـا الأحاديـث الكثيرة أن الهداية بيـد الله والإضلال بيـد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ للكافرين الذين يجهدون أنفسـهم في إضلال النـاس يقول مهما فعلتم ومهما بذلتم لن تسـتطيعوا أن تُضِلُّـوا أحدًامن الذين اختارهم الله واصطفاهم واسـتخلصهم وكتب لهـم السـعادة والجنة هؤلاء ما يسـتطيع أن يُضِلَّهم أحد لا أنتـم ولا معبوداتكم ولا أحد لكـن من كتبتُ عليه الشـقاء وأردت له النار هذا يُضَـلُّ كما قال: ﴿أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا﴾ [مَرْيَمَ :٨٣]، وذكر أن الشـيطان يغويهم ويتسـلَّط عليهم لكن على من يتسـلَّط؟ ليس له سـلطان على الذين آمنوا ليس له أي سلطان وإنما يتسلَّط على الكافرين الذين أراد الله لهم الشقاء وأراد لهم أن يُعذَّبوا بالنار ويخلدوا فيها.



(١) «السـنة» لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٢٥) رقم [٩٣٧]، و(٢/ ٤٣١) رقم [٩٥٣]، والفريابي في «القدر» (٢٧٦، ٢٧٧، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٥)، و«الشريعة» للآجري (٣١٢، ٥١٣، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٥، ٥٢٦، ٢٠٦٧)، و«الإبانـة» لابن بطة (١/ ٢٧٢) رقـم [١٢٨٧]، و(٢/ ٦٦) رقم [١٤٧٦]، و(٢/ ٢٣٧) رقم [١٨٤٥]، و«شرح أصول الاعتقاد» للالكائي (٣/ ٥٦٦) رقم [١٠٠٥]، والبيهقي في «الأسماء والصفـات» (١/ ٤٠١) رقم [٣٢٧]، وفي «الاعتقـاد»، ص: [١٥٩]، وفي «القضاء والقدر» (٣٣٧، ٥٤٠، ٥٤١).

جماعة من التابعين وغيرهم من العلماء

٤٩٩- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبد الأعلى بن حماد قال: حدثنا معتمر ابن سليمان قال: حدثنا أبو مخزوم، عن سيار أبي الحكم قال: بلغنا أن وفد نجران قالوا: أما الأرزاق والآجال فبقدر، وأما الأعمال فليست بقدر، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ **فيهم هذه الآية:** ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٧ - ٤٩][1].

سيار أبو الحكم من ثقات الرواة.

وفي الإسناد إليه أبو مخزوم لم أقف له على ترجمة بعد بحث، وفي الإسناد علة أخرى، وهي أن سيارًا يقول: بلغنا، وهو يأتي بعد طبقة صغار التابعين، وهذه الآية من ضمن سورة مكية، ووفد نجران إلى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان في آخر حياته في المدينة.

ولكن الإمامين أحمد ومسلمًا يرويان حديثًا في سبب نزول الآية، وهي أن مشركي قريش جاؤوا يخاصمون النبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في القدر، فنزلت هذه الآية في هذه الحادثة.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ (٢/ ٤٤٤): «ثنا وكيع، قال: ثنا سفيان، عن زياد بن إسماعيل، عن محمد بن عباد بن جعفر، عن أبي هريرة، قال: جاء مشركو قريش إلى النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يخاصمونه في القدر، فنزلت: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٨ - ٤٩].

ورواه مسلم في «القدر» حديث [٢٦٥٦] من طريق وكيع به.

وساقه ابن كثير في تفسير هذه الآية مع أحاديث أخر يحتج بها على نفاة القدر.

---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٨٢٦-الأثيوبي) عن الآجري به.

٥٠٠- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا الهيثم بن أيوب الطالقاني قال: حدثنا المعتمر بن سليمان قال: سمعت أبا مخزوم يحدث عن سيار وأبي هاشم الرماني أنهما كانا يقولان: التكذيب بالقدر شرك[(١)].

٥٠١- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي قال: أخبرنا هشيم قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٢ - ١٦٣]، يقول: من سبق له في علم الله عَزَّوَجَلَّ أنه يصلى الجحيم[(٢)].

الأثران (٥٠٠، ٥٠١) ضعيفان، في الأول أبو مخزوم مجهول، وفي الثاني جويبر ضعيف جدًّا، وقال الذهبي: تركوه.



---

(١) رواه الفريابي في «القدر» [٤٠٦] عن عبد الأعلى بن حماد عن معتمر به.

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢١/ ١٢٤) من طريق عبيد -ابن سليمان- عن الضحاك نحوه، وفي سنده مبهم.

٥٠٢- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا أنس بن عياض، عن أبي حازم قال: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٨] فالتقي: ألهمه التقوى، والفاجر: ألهمه الفجور[١].

في هذا الأثر إثبات القدر من الآية.



---

(١) إسناده صحيح: رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٨٩٠]، وابن بطة في «الإبانة» (١٢٩٦-الأثيوبي)، من طريق أنس بن عياض به نحوه. وقد سبق عند المصنف [٣١٩].

٥٠٣- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا عمرو بن عثمان الحمصي قال: حدثنا بقية ابن الوليد عن أرطأة بن المنذر قال: ذكرت لابن عون[(١)] شيئًا من قول أهل التكذيب بالقدر، فقال: أما تقرؤون كتاب الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨][(٢)].

في هذا الأثر بقية، مدلس، وقد عنعن في إسناده، لكن معناه صحيح.



---

(١) كذا، وفي المصادر الأخرى: أبي عون، وهو الصواب؛ فإن أرطأة بن المنذر يروي عن أبي عون بن أبي عبد الله الأنصاري الشامي الأعور كما في «الكنى والأسماء» للإمام مسلم (١/ ٦٠٤)، و«تهذيب الكمال» للمزي (٢/ ٣١٢-أرطاة)، و(٣٤/ ١٥٤-أبو عون)، و«الكاشف» للذهبي (٢/ ٤٤٨)، ولم أجد من ذكر له رواية عن ابن عون البصري. والله أعلم.

(٢) رواه الفريابي في «القدر» [٣٢٨] وعنه المصنف.

وابن بطة في «الإبانة» (١٨٠٣-الأثيوبي) من طريق عمرو بن عثمان به نحوه.

٥٠٤- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن المصفى قال: حدثنا بقية ابن الوليد قال: سألت أرطأة بن المنذر، فقلت: أرأيت من كذب بالقدر؟ قال: هذا لم يؤمن بالقرآن، قلت: أرأيت من فسره على الجذام والبرص، والطويل والقصير، وأشباه ذلك؟ قال: هذا لم يؤمن بالقرآن، قلت: فشهادته؟ قال: إذا استقر أنه كذلك: لم تجز شهادته لأنه عدو، ولا تجوز شهادة عدو[1].

في هذا الأثر بقية، لكنه سمعه من أرطأة، وفيه أن القدري مكذب بالقرآن، وعدم قبول شهادته.



(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٨٢٥-الأثيوبي) من طريق محمد بن مصفى به.

٥٠٥- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا إبراهيم بن الحجاج الشامي قال: حدثنا جويرية بن أسماء قال: سمعت علي بن زيد تلا هذه الآية: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، فنادى بأعلى صوته: انقطع والله هاهنا كلام القدرية[(١)].

علي بن زيد ضعيف، وتفسيره للآية صحيح.



(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٨٢٧-الأثيوبي) عن المصنف.

٥٠٦- أخبرنا الفريابي قال: سمعت عمرو بن علي يقول: سمعت أبا محمد الغنوي يقول: سألت حماد بن سلمة، وحماد بن زيد، ويزيد بن زريع، وبشر بن المفضل، والمعتمر بن سليمان، عن رجل زعم أنه يستطيع أن يشاء في ملك الله ما لا يشاء؟ فكلهم قال: كافر مشرك، حلال الدم، إلا معتمرًا فإنه قال: الأحسن للسلطان استتابته[(١)].

في إسناده أبو محمد الغنوي لا يعرف.



---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٨٧٠-الأثيوبي) عن المصنف.

٥٠٧- وأخبرنا الفريابي قال: سمعت نصر بن علي الجهضمي قال: سمعت الأصمعي يقول: من قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يرزق الحرام، فهو كافر[1].

فيه تكفير لمن يعتقد أن الله لا يرزق الحرام، فالله هو الرزاق، ولا يكون شيء في الكون إلا بإرادته.



(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٩٠٢-الأثيوبي) عن المصنف. وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٧/ ٨٠) من طريق الفريابي به.

٥٠٨- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن إسماعيل قال: حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله الأويسي قال: قال مالك بن أنس: ما أضل من كذب بالقدر لو لم يكن عليهم فيه حجة إلا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢] **لكفى به حجة**[(١)].

قول الإمام مالك فيه بيان شدة ضلال منكري القدر، ويعتقد أن في قول الله تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢] حجة كافية في إثبات القدر وبيان ضلال منكريه.



---

(١) **أثر صحيح**، رجال إسناده ثقات.

رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٨٥٨-الأثيوبي) عن المحاملي عن محمد بن إسماعيل البخاري به. ورواه ابن بطة في «الإبانة» (١٣٠٢-الأثيوبي)، والبيهقي في «القضاء والقدر» [٥٥٨] من طريقين آخرين عن عبد العزيز الأويسي به. وقد سبق عند المصنف برقم [٣١٦].

٥٠٩- حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد قال: حدثني عبد الله بن وهب قال: سمعت الليث بن سعد يقول في المكذب بالقدر: ما هو بأهل أن يعاد في مرضه، ولا يرغب في شهود جنازته، ولا تجاب دعوته[(١)].

الإمام الليث بن سعد يرى أن المكذب بالقدر لا حق له على المسلمين، فما هو بأهل أن يعاد في مرضه، ولا تجاب دعوته إن دعا المسـلمين إلى مناسـبة، ولا نشهد جنازته؛ لأن هذه من حقوق المسلمين الصادقين المؤمنين بالقدر، وهذا المكذب بالقدر ليس منهم.



---

(١) إسناده صحيح: رجاله ثقات.

رواه ابن بطة في الإبانة (١٨٥٧-الأثيوبي) من طريق بحر بن نصر الخولاني عن شعيب بن الليث عن ابن وهب به.

٥١٠- وأخبرنا الفريابي قال: سمعت أبا حفص عمرو بن علي قال: سمعت معاذ بن معاذ - وذكر قصة عمرو بن عبيد -: إن كانت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] في اللوح المحفوظ، فما على أبي لهب من لوم، قال أبو حفص: فذكرته لوكيع بن الجراح، فقال: من قال بهذا؛ يستتاب، فإن تاب، وإلا ضربت عنقه[1].

الإمام وكيع يرى أن قول عمرو بن عبيد ردة يستتاب قائله، فإن تاب وإلا ضربت عنقه؛ لأنه لا يؤمن أن هذه الآية من كتاب الله، ولأنه مكذب بالقدر.



(١) هذا الأثر عن وكيع إسناده صحيح.
رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٩٧٧-الأثيوبي) عن المصنف به. ورواه الخطيب البغدادي في تاريخه (١٢/ ١٧٠) من طريق الفريابي به نحوه.



باب ٤٥
سيرة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أهل القدر

٥١١- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا مالك بن أنس، عن عمه أبي سهيل بن مالك قال: كنت أسير مع عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فاستشارني في القدرية قلت: أرى أن تستتيبهم فإن تابوا، وإلا عرضتهم على السيف، فقال: أما إن ذلك رأيي قال مالك: وذلك رأيي.

عـرض على هذا الخليفة الراشـد أمر القدرية وكان معه عـم الإمام مالك وهو عالم فاستشـاره في هـؤلاء القـوم عن نفـاة القدر، وأنتـم تعرفـون أن القدر نشـأ في آخر عهد الصحابة، وبلغ ذلك ابن عمر وغيره من الصحابة وتبرأوا منهم.

عمر بن عبد العزيز أراد حلاً لهذه المشـكلة لأنها بدأت تستفحل وستضر بالإسلام والمسـلمين، فاستشـار هذا العالم: ما رأيك في القدرية؟ قال: «**أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا عرضتَهـم علـى السـيف**». **يعـني**: القتل، إما أن يتوبـوا، وإما السـيف يعني القتل، يقتلهـم أو يهددهم بالسـيف، فـإن تابوا وإلا نفـذَّ فيهم القتل؛ لأن هـؤلاء شرٌّ من قطاع الطـرق الموصوفين بالمحاربين الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ ﴾ [المَائدَة :٣٣]. فبهـذا في مذهب أحمد والشـافعي ومالك رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ أن الذي يدعو إلى البدعة

يُنصح فإن أبى وإلا فيقتل [1] لأنَّه شرٌّ من قطاع الطرق المحاربين، أولئك يفسـدون على النـاس دنياهـم أو على بعض الناس، أما هؤلاء فيفسـدون على الناس دينهم، لاسيما في مثـل هـذه الأزمان التـي ينشر فيها أهل الضـلال ضلالهم بمختلف الوسـائل عن طريق الانترنـت وعن طريـق القنوات الفضائية وعـن طريق الإذاعات وعـن طريق الصحف والمجـلات والمؤلفـات، فشرُّهم عظيم وعظيـم، فأنى لنا بمثل عمر بـن عبد العزيز يهمه أمرهم ويعاملهم بما يستحقونه من النكال!



(١) انظـر: «التمهيـد» لابن عبـد الـبر (٢٣/ ٣٣٧-٣٣٨)، و«شرح البخاري» لابن بطـال (٨/ ٥٨٧)، و«مجموع الفتاوى» لشـيخ الإسـلام ابن تيميـة (٢٨/ ١٠٩)، و«جامع العلـوم والحكم» لابن رجب ص(١٣٠-١٣١).

٥١٢- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا عبد الله بن جعفر والد علي ابن المديني قال: حدثني أبو سهيل نافع بن مالك قال: سايرت عمر ابن عبد العزيز فاستشارني في القدرية فقلت: أرى أن تستتيبهم، فإن تابوا وإلا ضَربت أعناقهم، فقال عمر: أما إن تلك سيرة الحق فيهم.

هذه الرواية في إسنادها عبد الله بن جعفر والد علي بن المديني ضعيف، ولكن يؤيد إسناده الأثر الأول الصحيح عن مالك.

وبالنسبة للقول الأول، قال مالك: هذا رأيي - وهو أحد أئمة المذاهب - يرى قتل أهل البدع إذا استمرُّوا في بدعهم؛ يستتابون فإن لم يتوبوا فإنهم يقتلون.

والظاهر أن هذا الحكم ليس في كل بدعة، يعني بعض البدع الخفيفة ولا سيما إذا لم يدع إليها أهلها، فلهم تعامل آخر، إما حبس، وإما نفي، وإما أن يسكتوا وتنتهي مشاكلهم.



٥١٣- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن موسى قال: حدثنا أبو ضمرة أنس بن عياض قال: حدثني أبو سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر أنه قال: قال لي عمر بن عبد العزيز من فيه إلى أذني: ما تقول في الذين يقولون: لا قدر؟ قلت: أرى أن يستتابوا، فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم، فقال عمر: ذلك الرأي فيهم، والله لو لم يكن إلا هذه الآية الواحدة لكفت: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦١ - ١٦٣][(١)].

انظر! هذا الفقه لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعني لو لم يكن حجة على القدرية إلا هذه لكفت ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٢ - ١٦٣] **يعني:** الأمور كلُّها بقدر الله عَزَّ وَجَلَّ وأنتم لا تستطيعون إضلال أحد أنتم ومعبوداتكم وكلُّ من في السماء والأرض لا يستطيعون أن يُضِلُّوا أحدًا إلا من كَتَبَ الله عليه الشقاء والضلال، فالأمور كلُّها مردُّها إلى قدر الله ومشيئته.

---

(١) **هذا الأثر صحيح** رواه المصنف بثلاثة أسانيد عن أبي سهيل عن عمر بن عبد العزيز.
أما الإسناد الأول فصحيح رجاله ثقات.
ورواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٠٠) رقم [٦]، ومن طريقه البيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٣٤٦) وفي «القضاء والقدر» [٥٤٢]، وابن أبي عاصم في «السنة» [١٩٩]، وعبد الله بن أحمد في «السنة» [٩٥٢]، والخلال في «السنة» (٨٧٦، ٨٧٧)، وابن بطة في «الإبانة» [١٨٣٤]، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧)، من طرق عن مالك به.
والإسناد الثاني فيه ضعف يتقوى بالطرق الأخرى، فيه عبد الله بن جعفر والد علي بن المديني، قال في «التقريب»: « ضعيف من الثامنة، يقال: تغير حفظه بأخرة».
رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٨٣٥-الأثيوبي) عن المصنف به.
والإسناد الثالث صحيح، رجاله ثقات.
رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٩٥٣] ومن طريقه البيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٣٤٦) وفي «القضاء والقدر» [٣٣٧] من طريق أنس بن عياض به.
ورواه الفريابي في «القدر» [٢٧٦] من طريق عبد العزيز الدراوردي عن أبي سهيل به نحو رواية عبد الله بن جعفر.

٥١٤- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبد الله بن عبد الجبار الحمصي، قال حدثنا محمد بن حمير، عن محمد بن مهاجر، عن أخيه عمرو بن مهاجر قال: بلغ عمر بن عبد العزيز أن غيلان يقول في القدر فبعث إليه فحجبه أيامًا، ثم أدخله عليه، فقال: يا غيلان، ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال عمرو بن مهاجر: فأشرت إليه أن لا تقول شيئًا، قال: فقال: نعم يا أمير المؤمنين، إن الله تَعَالَىٰ قال: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ١ - ٣] قال: اقرأ آخر السورة: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الإنسان: ٣٠ - ٣١].

ثم قال: ما تقول يا غيلان؟ قال: أقول: قد كنت أعمى فبصرتني، وأصم فأسمعتني، وضالًا فهديتني، فقال عمر: اللهم إن كان عبدك غيلان صادقًا، وإلا فاصلبه. فأمسك عن الكلام في القدر، فولاه عمر بن عبد العزيز دار الضرب بدمشق، فلما مات عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأفضت الخلافة إلى هشام، تكلَّم في القدر، فبعث إليه هشام فقطع يده. فمر به رجل والذباب على يده، فقال له: يا غيلان: هذا قضاء وقدر، فقال: كذبت، لعمر الله ما هذا قضاء ولا قدر، فبعث إليه هشام فصلبه»[1].

---

(١) **إسناده لا بأس به**. فيه عبد الله بن عبد الجبار، وهو الخبائري، قال في «الكاشف»: «ثقة». وقال في «التقريب»: «صدوق». وفيه محمد بن حمير، قال في «الكاشف»: «وثقه ابن معين ودحيم، وقال أبو حاتم: لا يحتج به». وقال في «التقريب»: «صدوق». وبقية رجاله ثقات.

رواه الفريابي في «القدر» [٢٧٩]، ورواه من طريقه: ابنُ بطة (١٨٤٠-الأثيوبي) عن المصنف عنه، وابن عساكر في تاريخه (٤٨/ ١٩٦). =

ما هي حجة غيلان في الآية التي تلاها؟

الله هدى الإنسـان جعل له سـمعًا وجعل له بصرًا وبيَّن طريق الخير وطريق الشر، فاختـار إمـا الكفر وإما الإيمان؛ فالمسـألة عنده مـا هي مرتطبة بمشـيئة الله عَزَّوَجَلَّ، فالعبد يخلـق فعل نفسـه ويختـار الكفر ويختـار المعاصي ولا علاقـة لإرادة الله ومشـيئته بالإيمان والمعصية وما شـاكل ذلك، فربط له عمر ابن عبد العزيز مشـيئة العبد بمشـيئة الله بما في آخر السـورة: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] فلا يشاء العبد شيئًا ولا يفعل شيئًا إلا بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



= ورواه ابن عسـاكر في تاريخه (٤٨/ ١٩٤-١٩٧) من طرق أخرى عن عمـرو بن مهاجر نحو القصة وفي بعضها زيادة.

قـال: «ثـم قـال: ما تقول يـا غيلان؟ قـال: أقول: قـد كنت أعمـى فبصَّرتني، وأصـمَّ فأسمعتني، وضالًا فهديتني. فقال عمر: اللهم إن كان عبدك غيلان صادقًا، وإلا فاصلبه....».

هذا الضال كذاب، قالها وهو كذاب، وتقلَّب في توبته، وأهل البدع يكذبون.



قال: «فأمسك عن الكلام في القدر، فولاه عمر بن عبد العزيز دار الضرب بدمشق».

يعني: عمر ما سلم له تسليمًا كاملًا، علَّق الأمر على الظاهر، هو في نفسه منه شيء، ولكن قال نأخذ بالظاهر، **(اللهم إن كان صادقًا)** **أي:** فاقبل توبته، وإن كان كذابًا **(فاصلبه)**، الله أكبر الله أكبر!

ثم تبيَّن أن الرجل كذاب، فاستجاب الله فيه دعوة عمر بن عبد العزيز!

وهذا ذكَّرني بواحد كان موظفًا في الجامعة الإسلامية بالمدينة، وهو صوفي حنفي متعصب أعمى، وألَّف كتابًا في أبي حنيفة وغلا فيه، ونسب إلى أبي حنيفة القول بخلق القرآن، أبو حنيفة نُسِب إليه القول بخلق القرآن، لكنه تاب، وهذا لا يزال يرى أن القول بخلق القرآن هو المذهب الصحيح، وأن أبا حنيفة يرى هذا المذهب، فبلغ هذا أحد أساتذة الجامعة، فذهب إلى رئيس الجامعة، وقال: فلان موظف في الجامعة، ويقول كذا وكذا، ويفعل كذا وكذا، ونسب إلى أبي حنيفة أنه يقول بخلق القرآن، ويرى أن القول بخلق القرآن حق، قال: ناقشْه، فذهب يناقشه، فاستسلم.. ما جادل، قال: أنت قلت هكذا وكذا، قال: والله أنا جاهل، والله ما أعرف.. إن شاء الله أرجع! قال له: اكتب، قال: إن شاء الله أكتب لك، فجاء هذا الأستاذ وكنا في جلسة، فحكى لنا هذه القصة، وأنه وعد بالتراجع، وقال: إنه جاهل وكذا..، فقلت: أصدقته؟ قال: كيف ما أصدقه؟ قلت: والله إنه لكذاب، ستون سنة على هذا المذهب، ويؤلف فيه كتابًا، وهكذا بدون مناقشة يرجع لك بهذه السهولة..!! والله إنه كذاب، ثم ذهب هذا الأستاذ على الموعد لهذا الرجل يطلب منه الكتابة بالتوبة، قال له: اذهب أنت على الباطل، وأنا على الحق، لماذا ذهب؟ بحث له عن أناس يشدون ظهره ويقوونه ووجد في أهل المدينة من

يقوي ظهره ويشد ظهره، فصدع بها عنده! وهذا غيلان عند الخليفة عمر بن عبد العزيز لو صدع بباطله لقتله.

ولهـذا لمـا قيل للحسـن: إن فلانًا وفلانًـا من الخوارج تابـوا، قال: انظـروا إلى آخر الحديث: «يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون»، فالمبتدع قلَّما يعود، قد يعود بعضهم، لكن الغالب عليهم عدم العودة.



قال: «فأمسك عن الكلام في القدر، فولاه عمر بن عبد العزيز دار الضرب بدمشق».

«دار الضرب» يعني: تضرب فيها العملة الدينار والدراهم.



«فلما مات عمر بن عبد العزيز، وأفضت الخلافة إلى هشام، تكلم في القدر، فبعث إليه هشام فقطع يده».

يعني: أنه في زمن عمر بن عبد العزيز أخفى رأيه؛ لأن عمر كان رجلًا متدينًا وراسخًا في الدين وعنده غيرة، وأما هشام فظنه رجلًا سياسيًّا ما يبالي، فأعلن رأيه، لكن هشامًا كان ما شاء الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ يغار على دينه، كان بنو أمية على ما عندهم -**يعني**: شر الإنسان في نفسه - أما الحكم بكتاب الله وبسنة الرسول والشريعة مطبقة في المجتمعات الإسلامية، وإن وجد الانحراف في نفسه، الانحراف في نفسه فقط، ما يضع مبادئ ينشرها، وعندهم غيرة، الجعد بن درهم قُتل في العهد الأُموي، وهذا غيلان قُتل في العهد الأموي، ولهذا يقول الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«لا يزال أمر الإسلام عزيزًا ما ولي أمر هذه الأمة اثنا عشر خليفة»**(١) فوالله كان الإسلام عزيزًا في عهد بني أمية إلى عهد هشام هذا، وبعده جاء الضعف، فتوحات دخلت الأندلس ودخلت الهند ودخلت بلدان أخرى في أيام بني أمية فتوحات عظيمة في بلدان كثيرة كما قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «البداية والنهاية» قال هذا عصر الفتوحات، وكانت جيوش الإسلام في الشرق والغرب وكذا وكذا يعني عهد بني أمية رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.



(١) رواه مسلم في «الإمارة» حديث [١٨٢١].

«فلما مات عمر بن عبد العزيز، وأفضت الخلافة إلى هشام، تكلم في القدر، فبعث إليه هشام فقطع يده، فمر به رجل والذباب على يده، فقال له: يا غيلان: هذا قضاء وقدر، فقال: كذبت، لعمر الله ما هذا قضاء ولا قدرًا، فبعث إليه هشام فصلبه».

انظر! هو رجل منطوٍ على الخبث وعلى الشر لما قطعت يده قال: والله هذا ما هو قضاء ولا بقدر؛ يقال له: كذبت، هل يكون شيء في هذا الكون بغير مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ولكن هذا القدري الضال هذا رأيه الفاسد قُطعت يده عقوبة على هذه الجريمة، وأبى أن يرتدع واستمر متماديًا في باطله، وقال هذه المقالة لمن ذكَّره ليتوب ويندم فعاند، وقال: كذبت ليس بقضاء ولا قدر! فلما بلغ ذلك الخليفة هشام بن عبد الملك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمر بقتله وهو ما يراه عمر بن العزيز ويراه عم مالك أبو سهيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عم مالك بن أنس هذا من علماء الأمة الأجلاء.

الشاهد: أنه كما قلنا سابقًا أن الذي يحارب ويقطع السبل على المسلمين هذا يرتكب فسادًا في الأرض، لكنه فساد في دنيا الناس، وأما الذي يبتدع بدعة مثل بدعة القدر وغيرها وينشرها في الناس فهذا شرٌّ منه ويستحق الجزاء الذي يستحقه المحاربون لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّ هذا يفسد في الدين.

طيب أين مذهب هؤلاء الذين يقولون: إن الروافض إخواننا والمعتزلة، والنصارى إخواننا، أين مذهب السلف أين الفقه في الدين أين هو؟! يعني الآن يرون حرية الأديان ويمكن أن ينشروا هذه الحرية في بلاد المسلمين، والعياذ بالله، فنسأل الله العافية.

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩] **يعني**: الذي يقتل يفسد في الأرض كأنما قتل الناس جميعًا ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢]، فإذا قُتل القاتل عصمت دماء المسلمين وحُميت، وإذا لم يكن هناك قصاص فكم من الألوف يهلكون بسبب هذه الفوضى، فالقصاص فيه حكمة، وفيه حماية لدماء المسلمين، والحدود فيها حماية لأعراض المسلمين وأموالهم، حد الزنا يحمي المسلمين من الزنا ومن هتك الأعراض، وإقامة الحدود قطع يد السارق يحمي أموال الناس، وهكذا الحدود لها مصالح عظيمة جدًّا يدرأ الله بها شرًّا كبيرًا، والقصاص يدرأ الله به شرًّا كبيرًا، وإقامة الحدود على المحاربين يدفع الله بها شرًّا كبيرًا، وقتل الخوارج والخارجين على الأمّة يدفع الله به شرًّا كبيرًا، وترك هذه الأمور المشروعة يُفسد الدين والدنيا.



٥١٥- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ قال: حدثنا أبي قال: حدثنا محمد ابن عمرو الليثي أن الزهري حدثه قال: دعا عمر بن عبد العزيز غيلان فقال: يا غيلان، بلغني أنك تتكلم في القدر، فقال: يا أمير المؤمنين، إنهم يكذبون عليَّ؟ فقال: يا غيلان، اقرأ أول (يس) فقرأ: ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [يس: ١ - ٢] حتى أتى على قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يس: ٨ - ١٠]، فقال غيلان: يا أمير المؤمنين، والله لكأني لم أقرأها قط قبل اليوم، أشهدك يا أمير المؤمنين أني تائب مما كنت أقول، فقال عمر: «اللهم إن كان صادقًا فثبته، وإن كان كاذبًا فاجعله آية للمؤمنين»[(١)].

قال الزهري: «دعا عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ غيلان فقال: يا غيلان بلغني أنك تتكلم في القدر، فقال: يا أمير المؤمنين، إنهم يكذبون علي؟ فقال: يا غيلان، اقرأ أول يس فقرأ...».

انظر إلى هذا المكر، الرجل مبتدع حقيقة، ومع ذلك يجحد أنه مبتدع، ويُكذِّب من يقول: إنه مبتدع، وهكذا يفعل أهل البدع، لكن عند الخوف، فإذا قال سني صادق: فلان عنده بدعة كذا، أو بدع، يبادر إلى تكذيب هذا الصادق، فيقول: كذب عليَّ.

هذا موجود الآن، هذا موجود الآن عند أهل البدع إذا كان خائفًا، فإذا ذهب الخوف يعلن بدعته ويدعو إليها، وإذا كان خائفًا يقول: والله كذبوا علي! شيخ الإسلام

---

(١) **إسناده حسن،** فيه محمد بن عمرو الليثي قال في «التقريب»: صدوق له أوهام. وباقي رجاله ثقات. رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٨٣٨-الأثيوبي) من طريق عبيد الله بن معاذ به. وتابعه محمد بن المثنى، أخرجه اللالكائي [١٣٢٣] من طريقه عن معاذ بن معاذ به.

ابـن تيميـة يقول: «كل مبتدع كـذاب»[١] لا بد أن يكذب المبتـدع، إن لم يكن يكذب على النـاس يكـذب عـلى الله بإدخاله البدعـة في دينه وتبنِّيه لها ونسـبته إيَّاهـا إلى دين الله وإلى شريعته، والآن ينسـبون بِدعًا إلى المنهج السـلفي والعياذ بالله، وهذا المنهج السـلفي -إن شـاء الله- هـو ديـن الله الحق، ونسـبة البـدع إليه أيُّ بدعـة كائنة ما كانت كـذبٌ على الله عَزَّوَجَلَّ.



(١) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٢٨١)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٣٩٠).

(فقرأ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: ١ - ٢] حتى أتى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: ٨ - ١٠]).

هـذه مـن أدلة القـدر أن كفرهم كائن بـإرادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما وقـع إلا بإرادة الله عَزَّوَجَلَّ، وهو أضلهم وجعل الأغلال في أعناقهم لهوانهم على الله.



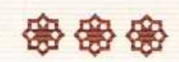
«فقال غيلان: والله يا أمير المؤمنين لكأني لم أقرأها قط قبل اليوم، أشهدك يا أمير المؤمنين أني تائب مما كنت أقول».

يمكن أن يكون المجلس واحدًا، فرجل نقل الكلام الأول الذي قرأ عليه سورة الإنسان وأجابه عمر، وأيضًا لعله في هذا المجلس كمل هذا الدرس بهذا الكلام ونقله راو آخر.



«فقال عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اللهم إن كان صادقًا فثبِّته، وإن كان كاذبًا فاجعله آية للمؤمنين».

الله أكبر الله أكبر! فجعله الله آية، كان كاذبًا، وجعله الله آية للمؤمنين، فقتل وصلب.



٥١٦ - أخبرنا الفريابي قال: حدثنا هشام بن خالد الأزرق قال: حدثنا أبو مسهر قال: حدثني عون بن حكيم قال: حدثني الوليد بن سليمان مولى ابن أبي السائب أن رجاء بن حيوة كتب إلى هشام بن عبد الملك: بلغني يا أمير المؤمنين أنه وقع في نفسك شيء من قتل غيلان وصالح، فوالله لقتلهما أفضل من ألفين من الروم والترك.

قال هشام: صالح مولى ثقيف[(١)].

إذا قلنا: إن أهل البدع أضر على الإسلام من الكفار يعيبون علينا ذلك ويرجفون بها، ولست أول من قالها، لقد قالها أئمة قبلي بناءً على معرفة وخبرة، وعلى دراسة للآثار الخبيثة في المجتمعات الإسلامية التي تنجم عن نشر البدع، وأعتقد أنهم ما قالوها إلا عن دراسة وتجربة وخبرة.

فعندكم قول رجاء هذا، فإنه واضح في أن شر أهل البدع أخطر على الإسلام والمسلمين من أهل الكفر.

وقال أبو الفضل الهمداني شيخ ابن عقيل الحنبلي قال - وهذا ذكره ابن الجوزي في أول كتابه الموضوعات[(٢)] - «الكذابون وأهل البدع أضر على الإسلام من الملاحدة»

---

(١) في إسناده عون بن حكيم ترجم له ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٥٨-٥٩) ولم ينقل فيه جرحًا ولا تعديلًا، إلا أنه كان مصاحبًا للأوزاعي.
رواه ابن بطة في «الإبانة» [١٨٥٠] عن المصنف.
ورواه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه (٣٧٠-٣٧١) وابن أبي خيثمة في تاريخه (٣/ ٢٥٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٧١)، ومن طريق ابن أبي خيثمة رواه اللالكائي [١٣٢٧] وابن عساكر في تاريخه (٤٧/ ٥٩)، جميعًا عن أبي مسهر به.

(٢) انظر: «الموضوعات» (١/ ٥١).

وضرب مثالًا، قال: إن العدو يحاصرون البيت من الخارج، وهؤلاء يخربونه من الداخل.

ثم بعد ذلك يفتحون للعدو فيدخل، فهم يفسدون العالم الإسلامي من الداخل، وبعد ذلك يجيء العدو من الخارج يكتسحهم بسهولة، وبعضهم يتآمر؛ بعض أهل البدع يتآمرون مع الكفار الذين يحتلون بلاد الإسلام، يتآمرون معهم ويدخلونهم كما فعل الروافض في إدخال هولاكو وإسقاط الخليفة وذبح المسلمين في بغداد وغيرها وقتل الخليفة، وفعل الصوفية كثير مع فرنسا وغيرها تآمروا مع فرنسا وغيرها وأدخلوهم بلاد الإسلام.

فأهل البدع خطيرون جدًّا، أخطر على الإسلام من العدو الخارجي، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن شرهم وضررهم أشد من ضرر العدو الخارجي، فإن العدو الخارجي يعني يحتل الأرض ابتداءً، ثم بعد ذلك القلوب، أما هؤلاء فيقصدون إلى القلوب ابتداءً [(١)]، وقال هذا الكلام ابن الجوزي نفسه وابن عقيل شيخه وعبد الغني المقدسي والشوكاني قاله مرتين في تفسيره رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(٢)].

وهذا رجاء بن حيوة من خيار التابعين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لما قَتل هشام غيلان هذا الخبيث وقَتل صالحًا الثقفي زميله في القدر أو تلميذه ندم؛ لأن هشامًا كان يتعفف عن الدماء، ما كان يحب القتل أبدًا، لكن إذا اضطر قد يقتل في النادر، فقتل غيلان وندم ندمًا شديدًا، فأرسل إليه رجاء بن حيوة أحد الفقهاء الكبار، قال: «بلغني يا أمير المؤمنين أنك قد

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٣٢).

(٢) انظر: «الموضوعات» لابن الجوزي (١/ ٥١) وعقيدة الحافظ «عبد الغني المقدسي» ص [١٢١]، و«فتح القدير» للشوكاني (١/ ١٥٤-الفكر) و(٢/ ١٥٠-الفكر).

ندمت على قتل صالح وغيلان، فوالله لقتلهما خيرٌ من قتل ألفين من الترك والروم»، الترك كانوا كفارًا في ذاك الوقت في بلاد بخارى وغيرها، وبعضهم ما زال على الكفر، والروم كفار، قتلهم خيرٌ من قتل ألفين من الروم والترك الكفار؛ لأن هذا المبتدع يهدم من الداخل، يهدم بيت الإسلام من داخله، وهؤلاء قد يقصدون هذا البيت وقد لا يقصدونه، فانظروا إلى خطورة البدع، وانظروا إلى نظرة علماء الإسلام وأئمة الإسلام إلى المبتدعة والمبتدعين.

الآن بعض الأحزاب حتى العلمانيين عندهم إخوان، والنصارى إخوانه والروافض وإلى آخره.. نسأل الله العافية، هذه صورة من من صور وحدة الأديان.



٥١٧ـ أخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا الهيثم بن خارجة قال: حدثنا عبد الله بن سالم الأشعري حمصي، عن إبراهيم بن أبي عبلة قال: كنت عند عبادة بن نُسَي فأتاه رجل فأخبره أن أمير المؤمنين هشامًا، قطع يد غيلان ولسانه وصلبه، فقال له: حقًّا ما تقول؟ قال: نعم، قال: أصاب والله السنة والقضية، ولأكتبن إلى أمير المؤمنين فلأحسننَّ له ما صنع(١).

الله أكبر ! هذا تأييد وتحسين للحق والخير وليس تحسينًا للباطل؛ وبهذا العمل الرشيد من الخليفة اختفى القدرية ومذهبهم سنين، وكان القدرية محاصرين، وأهل البدع والجهمية كانوا محاصرين، إلى عهد المأمون ما كان لمذاهبهم انتشار، كانوا مدسوسين في الجحور، فلما تغلغلوا في دولة المأمون وتمكنوا من غرس هذه البدعة في ذهنه وتحمس لها، أصبح لهم شوكة، وأصبح لهم قوة، فانتشروا وانتشر شرهم، وهكذا إن وجدت لهم دول تساندهم أو ترخي لهم العنان انتشروا، وإن وجدت دولة سُنية تقمع البدع انحصروا في جحورهم، فنسأل الله أن يوفق العلماء وحكام المسلمين للتمسك بكتاب الله وبسنة رسول الله والسير على هدي السلف الصالح في نشر الإسلام، وقمع الكفر، وقمع البدع والضلالات، نسأل الله أن يهيئ هذا اليوم لهذه الأُمَّة.



---

(١) أثر صحيح، إسناده حسن، فيه الهيثم بن خارجة، قال في «التقريب»: «صدوق». وعبد الله بن أبي سعد هو أبو محمد عبد الله بن عمرو الوراق، وثقه الخطيب في تاريخه (١١/ ٢٠٤). وتابعه عبد الله بن أحمد عند الطبراني في «مسند الشاميين» [٢٢٢٨].
رواه ابن بطة (١٨٥١-الأثيوبي) عن المصنف به. ورواه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه، ص: [٣٧٠] واللالكائي [١٣٢٨] من طريق أبي مسهر عن عبد الله بن سالم به.

٥١٨- وأخبرنا الفريابي قال: حدثني إسحاق بن سيار النصيبي قال: حدثنا عبد الله بن صالح قال: حدثنا معاوية - يعني ابن صالح -، عن حكيم بن عمير قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: إن قومًا ينكرون من القدر شيئًا، فقال عمر: بيِّنوا لهم، وارفقوا بهم، حتى يرجعوا، فقال قائل: هيهات هيهات، يا أمير المؤمنين، لقد اتخذوه دينًا يدعون إليه الناس، ففزع لها عمر، فقال: أولئك أهل أن تُسَلَّ ألسنتهم من أقفيتهم سلًا، هل طار ذباب بين السماء والأرض إلا بمقدار؟

٥١٩- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن مصفى قال: حدثنا بقية بن الوليد قال: حدثني أرطأة بن المنذر قال: حدثني حكيم بن عمير قال: قيل لعمر بن عبد العزيز - فذكر الحديث نحوًا منه -[(١)].

٥٢٠- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا عبد الله بن إدريس، عن عمر بن ذر قال: قال عمر بن عبد العزيز: لو أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن لا يعصى ما خلق إبليس وهو رأس الخطيئة [(٢)].

---

(١) **أثر حسن**، رواه المصنف بإسنادين عن حكيم بن عمير:

الأول- لا بأس به، فيه عبد الله بن صالح، قال فيه ابن حجر في «التقريب»: «صدوق، كثير الغلط، ثبت في كتابه». ومعاوية بن صالح، قال ابن حجر: «صدوق له أوهام».

والثاني- رجاله ثقات. وحكيم بن عمير، قال في «الكاشف»: «صدوق». وقال في «التقريب»: «صدوق يهم».

رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٨٤٩-الأثيوبي) من طريق إسحاق بن سيار ومن طريق علي بن داود القنطري، كلاهما عن أبي صالح به.

ورواه ابن عرفة في جزئه [٨٩] من طريق أبي بكر ابن أبي مريم عن حكيم بن عمير بمعناه مختصرًا.

(٢) **إسناده صحيح**: ورواه المصنف [٥٢٥] من طريق محمد بن العلاء عن ابن إدريس به مطوَّلًا.

ورواه ابن بطة في «الإبانة» (١٢٨٧-الأثيوبي) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢٩، ٣٧٣) وفي «القضاء والقدر» [١٦٩] من طرق عن عمر بن ذر عن عمر بن عبد العزيز بالجملة الأولى فقط.

٥٢١- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن عمر بن ذر قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: لو أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن لا يعصى ما خلق إبليس، وقد فسر ذلك في آية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، عقلها من عقلها، وجهلها من جهلها: ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٢ - ١٦٣][(١)].

٥٢٢- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا عبد الله ابن إدريس، عن عمر بن ذر قال: قال عمر بن عبد العزيز: لو أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن لا يعصى ما خلق إبليس، وهو رأس الخطيئة، وإن في ذلك لعلمًا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، جهله من جهله، وعرفه من عرفه، ثم قرأ: ﴿فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ١٦١ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦١ - ١٦٣][(٢)].

٥٢٣- وحدثنا أبو شعيب عبد الله بن حسن الحراني قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي قال: حدثنا عبد الله بن أبي الوليد قال: خرج عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة، فخطب كما كان يخطب، ثم قال: أيها الناس، من عمل منكم خيرًا فليحمد الله تَعَالَىٰ، ومن أساء فليستغفر الله، ثم إن عاد فليستغفر الله، فإنه لابد لأقوام أن يعملوا أعمالًا وضعها الله في رقابهم وكتبها عليهم[(٣)].

....

(١) إسناده صحيح: رواه ابن أبي زمنين في «أصول السنة» [١٢٨] -مختصرًا- والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٣٢٧] من طريقين عن عبد الرحمن بن مهدي به.

(٢) مكرر، سبق برقم [٣١٢]. ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ١٠٦)، وعبد الله بن أحمد في «العلل» [١٠٤٦] وابن بطة في «الإبانة» (١٤٧٦-الأثيوبي) واللالكائي [١٠٠٥] والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٣٧٣]، من طرق عن عمر بن ذر به نحوه.

(٣) في إسناده عبد الله بن أبي الوليد، لم أعرفه.

=



٥٢٤- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم قال: حدثنا الوليد قال: سمعت ابن جريج يقول: قال عمر بن عبد العزيز: لو أراد الله أن لا يعصى ما خلق إبليس(١).

٥٢٥- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن العلاء قال: حدثنا ابن إدريس، عن عمر بن ذر قال: قدمنا على عمر بن عبد العزيز خمسة: موسى بن أبي كثير، ودثار النهدي، ويزيد الفقير، والصلت بن بهرام، وعمر بن ذر، فقال: إن كان أمركم واحدًا فليتكلم متكلمكم، فتكلم موسى بن أبي كثير، وكان أخوف ما يتخوف عليه أن يكون عرَّض بشيء من أمر القدر قال: فعرض له عمر، فحمد الله عَزَّوَجَلَّ وأثنى عليه، ثم قال: لو أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن لا يعصى ما خلق إبليس وهو رأس الخطيئة، وإن في ذلك لعلمًا من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، علمه من علمه، وجهله من جهله، ثم تلا هذه الآية: ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ١٦١ - ١٦٣]، ثم: لو أراد الله عَزَّوَجَلَّ حمل خلقه من حقه على قدر عظمته لم يطق ذلك أرض ولا سماء، ولا ماء ولا جبل، ولكنه رضي من عباده بالتخفيف.

٥٢٦- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله قال: أخبرنا علي بن ثابت، عن عمر بن ذر قال: جلسنا إلى عمر بن عبد العزيز رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فتكلم منا متكلم، فعظم الله

....

= رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٧٣ -الحوت) ومن طريقه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن» [٦٨] وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٩٦) من طريق أبي مخزوم عن عمر - بدل عبد الله- ابن أبي - وليس عند ابن أبي الدنيا ذكر «أبي»- الوليد نحوه.

ورواه ابن عساكر في تاريخه (٤٧/ ٣٢٧-٣٢٨) من طريقين عن عيسى بن أبي عطاء سمعت عمر بن عبد العزيز وهو على المنبر، فذكره نحوه.

(١) **أثر صحيح**، وهذا إسناد ضعيف، فيه ابن جريج ثقة، لكنه مدلس ولم يصرح بالسماع.

عَزَّوَجَلَّ وذكر بآياته، فلما فرغ تكلم عمر بن عبد العزيز، فحمد الله وأثنى عليه، وشهد شهادة الحق، وقال للمتكلم: إن الله عَزَّوَجَلَّ كما ذكرت وعظمت، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ لو أراد أن لا يعصى ما خلق إبليس وقد بين ذلك في آية من القرآن، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، ثم قرأ: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦١ - ١٦٣]، قال: ومعنا رجل يرى رأي القدرية، فنفعه الله عَزَّوَجَلَّ بقول عمر ابن عبد العزيز، ورجع عما كان يقول، فكان أشد الناس بعد ذلك على القدرية(١).

٥٢٧- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو كامل الجحدري قال: حدثنا بشر بن المفضل قال: حدثنا التيمي قال: سئل عمر بن عبد العزيز عن القدر؟ فقال: ما جرى ذباب بين اثنين إلا بقدر، ثم قال للسائل: لا تعودن تسألني عن مثل هذا(٢).

٥٢٨- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا الهيثم بن عمران قال: سمعت عمرو بن مهاجر قال: أقبل غيلان - وهو مولى لآل عثمان - وصالح بن سويد إلى عمر بن عبد العزيز فبلغه أنهما ينطقان بالقدرية، فدعاهما، فقال: أَعِلْم الله نافذٌ في عباده أم منتقض؟ قالا: بل نافذ يا أمير المؤمنين، قال: ففيم

---

(١) أثر صحيح، رواه المصنف بإسنادين الأول صحيح.
رواه ابن عساكر في تاريخه (١٧/ ١٩٦) من طريق الفريابي عن محمد بن العلاء به.
ورواه الفريابي في «القدر» (٣١٣، ٣١٤) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن ابن إدريس به مفرقًا.
ورواه اللالكائي [١٢٤٥] من طريق أبي سعيد المؤدب عن عمر بن ذر بنحوه.
والإسناد الثاني فيه علي بن ثابت لم يتبين من هو. لكن رواه البيهقي في «القضاء والقدر» [٥٤١] من طريق أبي معاوية عن عمر بن ذر بنحو القصة.

(٢) رجال إسناده ثقات، والتيمي هو سليمان بن طرخان ثقة مدلس، ذكره ابن حجر في «طبقات المدلسين» (ص٣٣) في المرتبة الثانية.
رواه الفريابي في «القدر» [٣٢٣] عن القواريري عن بشر بن المفضل به نحوه.

الـكلام؟ فخرجنـا، فلما كان عند مرضه بلغه أنهما قد أشـرفا، فأرسـل إليهما وهو مغضب، فقال: ألم يك في سابق علمه حين أمر إبليس بالسجود: أنه لا يسجد؟ قال عمرو: فأومأت إليهما برأسي: قولا: نعم، فقالا: نعم، فأمر بإخراجهما وبالكتاب إلى الأجناد بخلاف ما قالا، فمات عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل أن ينفذ تلك الكتب[1].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: كان غيلان مُصرًّا على الكفر بقوله في القدر، فـإذا حضـر عند عمـر نافق، وأنكر أن يقـول بالقدر، فدعا عليه عمـر بأن يجعله الله عَزَّ وَجَلَّ آية للمؤمنين، إن كان كذابًا، فأجاب الله عَزَّ وَجَلَّ فيه دعوة عمر، فتكلم غيلان في وقت هشام، هو وصالح مولى ثقيف، فقتلهما وصلبهما، وقبل ذلك قطع يد غيلان ولسانه، ثم قتله وصلبه، فاستحسن العلماء في وقته ما فعل بهما.

وهكـذا ينبغـي لأئمـة المسـلمين وأمرائهـم - إذا صـح عندهم أن إنسـانًا يتكلم بالقـدر بخـلاف ما عليه من تقـدم - أن يعاقبوه بمثل هذه العقوبـة، ولا تأخذهم في الله لومة لائم.

٥٢٩- حدثني أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا أبـو موسـى محمـد بن المثنى قـال: حدثنا مؤمل بـن إسماعيل قال: حدثنا سـفيان الثوري قال: حدثني شيخ - قال مؤمل: زعموا أنه أبو رجاء الخراساني - أن عدي بن

....

(١) إسـناده لا بأس به، فيه الهيثم بن عمران، ترجم له ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٩/ ٨٢-٨٣) برواية ثلاثة من الثقات عنه، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

رواه أبـو زرعة الدمشـقي في تاريخه، ص: [٣٧١]، وابن عسـاكر في تاريخـه (٢٣/ ٣٣٤-٣٣٥) عن هشام بن عمار به.

ورواه ابن عسـاكر في تاريخه (٢٣/ ٣٣٥-٣٣٦) عن الهيثم بن خارجة عن الهيثم بن عمران سـمعت عمرو بن مهاجر يحدث أبي، وذكر نحو القصة.

أرطـأة كتـب إلى عمـر بن عبد العزيـز: إن قبلنا قومًا يقولون: لا قـدر، واكتب إلي برأيك فيهم، واكتب إليَّ بالحكم فيهم، فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عدي بن أرطأة.

أما بعد: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أمـا بعـد: فإنـي أوصيكـم بتقـوى الله، والاقتصـاد في أمـره، واتبـاع سـنة نبيه ﷺ، وتـرك ما أحـدث المحدثون مما قد جرت سـنته، وكُفُـوا مؤنته، فعليكم بلزوم السـنة، فإن السـنة إنما سـنها من قد عـرف ما في خلافها مـن الخطأ والزلل، والحمـق والتعمـق، فارض لنفسـك بمـا يرضى به القوم لأنفسـهم، فإنهـم عن علم وقفـوا، وببصـر نافذ كفوا، ولهم كانوا على كشـف الأمور أقـوى بفضل لو كان فيه أحرى، فلئن قلتم: أمر حدث بعدهم، ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سنتهم، ورغـب بنفسـه عنهم، إنهم لهم السـابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفـي، ووصفوا منه مـا يشـفي، فما دونهم مقصـر، وما فوقهم محسـر، لقد قصر عنهم آخـرون فضلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم.

كنت تسألني عن القدر؟ على الخبير بإذن الله سقطت.

ما أحدث المسـلمون محدثة، ولا ابتدعوا بدعة هي أبين أمرًا، ولا أثبت من أمر القـدر، ولقـد كان ذكره في الجاهلية الجهلاء، يتكلمـون به في كلامهم، ويقولون به في أشـعارهم، يُعزُّون به أنفسـهم عن مصائبهم، ثم جاء الإسـلام فلم يزده إلا شدة وقوة، ثم ذكره رسول الله في غير حديث ولا حديثين ولا ثلاثة، فسمعه المسلمون من

....

رسـول الله ﷺ، فتكلمـوا فيـه حياة رسـول الله ﷺ، وبعد وفاتـه، يقينًا وتصديقًا وتسليمًا لربهم وتضعيفًا لأنفسهم: أن يكون شيء من الأشياء لم يحط به علمه، ولم يحصه كتابه، ولم ينفذ فيه قدره.

فلئـن قلتـم: قـد قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه كذا وكـذا، ولِمَ أنزل الله عَزَّوَجَلَّ آية كذا وكذا؟

لقـد قـرؤوا منه ما قد قرأتم، وعلمـوا من تأويله ما جهلتم، ثم قالوا بعد ذلك: كله كتاب وقدر، وكتب الشقوة، وما يقدر يكن، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا نملك لأنفسنا نفعًا ولا ضرًا، ثم رغبوا بعد ذلك ورهبوا، والسلام عليك.

كتبت إلي تسألني الحكم فيهم، فمن أُتِيت به منهم فأوجعه ضربًا، واستودعه الحبس، فإن تاب من رأيه السوء، وإلا فاضرب عنقه[(١)].

٥٣٠- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو المنذر عنبسة بن يحيى المروزي، بالشاش - سـنة ثمـان وعشـرين ومائتين - قال: حدثنا أبـو داود الحفري، عن أبـي رجاء قال: كتب عامل لعمر بن عبد العزيز إليه يسأله عن القدر؟ فكتب إليه:

....

(١) إسـناده فيه مؤمل بن إسـماعيل، قال الذهبي في «الكاشـف»: «قال أبو حاتم: صدوق شديد في السنة، كثير الخطأ، وقيل دفن كتبه وحدث حفظًا فغلط». وقال الحافظ في التقريب: «صدوق سيء الحفظ». وفيه شيخ سفيان مبهم.

ورواه أبـو داود في سـننه [٤٦١٢] وابـن وضـاح في «البدع والنهـي عنها» [٧٤] من طريق أسـد بن موسـى عـن حماد بـن دُليل عن سـفيان عن النضر بـه. والنضر هو ابن عـربي، قاله المـزي في «تهذيب الكـمال» (٢٩/ ٤٠٧) وابن حجر في «التقريـب» (ص٥٦٢-عوامة). وقال فيه: «لا بأس به». فالأثر يحتمل التحسين. والله أعلم.

أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله عَزَّوَجَلَّ، واتباع سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاجتهاد في أمره، وترك ما أحدث المحدثون بعده - وذكر الحديث نحوًا من الحديث الذي قبله -(١).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه حجتنا على القدرية: كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسنة أصحابه والتابعين لهم بإحسان، وقول أئمة المسلمين، مع تركنا للجدل والمراء والبحث عن القدر، فإنا قد نهينا عنه، وأمرنا بترك مجالسة القدرية، وأن لا نناظرهم، وأن لا نفاتحهم على سبيل الجدل، بل يهجرون ويهانون ويذلون، ولا يصلى خلف واحد منهم، ولا تقبل شهادته، ولا يزوج، وإن مرض لم يعد، وإن مات لم تحضر جنازته، ولم تجب دعوته في وليمة إن كانت له، فإن جاء مسترشدًا أُرشد على سبيل النصيحة له، فإن رجع فالحمد لله، وإن عاد إلى باب الجدل والمراء لم يلتفت إليه، وطرد وحذر منه، ولم يكلم، ولم يسلم عليه.

نقل الإمام الآجري نقولًا كثيرة عن أئمة الإسلام في إثبات القدر والرد على القدرية الضلال، لاسيما عن الخليفة العظيم عمر بن عبد العزيز، فقد أكثر النقول عنه؛ لأنه عاصر غيلان الدمشقي القدري المراوغ الكذاب.

وقد لخص الإمام الآجري هنا مذهب أهل السنة وحجتهم، وأنها من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، وقول أئمة المسلمين، وذكر

---

(١) في إسناده أبو رجاء لم أعرفه، وأبو المنذر عنبسة بن يحيى المروزي ذكره ابن حبان في «الثقات» (٨/ ٥١٥) وقال: «كَانَ مِمَّن ينصر السّنة ويذب عَنْهَا ويقمع من يُخَالِفهَا».
رواه أبو داود [٤٦١٢] وابن بطة (١٦٤-رضا نعسان) من طريقين عن أبي رجاء، قال أبو داود: عن أبي الصلت، وقال ابن بطة: عن شهاب بن خراش - ولعله واحد فإن أبا الصلت كنية شهاب بن خراش كما في «التهذيب» (٤/ ٣٦٦)- قال: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى رَجُلٍ، وذكر نحوه.

....

تحريم مجالسة القدرية وترك الجدال معهم ومشروعية هجرانهم وإهانتهم وإذلالهم، وأنه لا يصلى خلفهم، ولا تشهد جنائزهم، ولا تجاب دعوتهم.

فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.



٤٦ بَابُ

ترك البحث والتنفير عن النظر في أمر المقدر بكيف؟ ولم؟ بل الإيمان به والتسليم

٥٣١- حدثنا أبو العباس سهل بن أبي [سهل] الواسطي قال: أخبرنا أبو حفص عمرو بن علي قال: حدثنا يحيى بن عثمان القرشي - سنة ثمانين ومائة، سمعته منه - قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن أبي مليكة، عن أبيه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من تكلم بالقدر سئل عنه، ومن لم يتكلم فيه لم يسأل عنه»(١).

٥٣٢- وحدثنا أبو [العباس] سهل بن أبي سهل أيضًا قال: حدثنا عمرو بن علي قال: حدثنا حماد بن مسعدة قال: حدثني زياد أبو عمر قال: حدثني محمد بن إبراهيم القرشي، عن أبيه قال: كنت جالسًا عند ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فسئل عن القدر؟ فقال: «شيء أراد الله عَزَّ وَجَلَّ أن لا يطلعكم عليه، فلا تريدوا من الله تَعَالَى ما أبى عليكم»(٢).

---

(١) رواه ابن ماجه [٨٤] من طريق يحيى بن عثمان به.

(٢) في إسناده زياد أبو عمر وهو ابن أبي مسلم الفراء. قال في «التقريب»: «صدوق فيه لين». ومحمد بن إبراهيم القرشي وأبوه لم أعرفهما.

رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٢٨٠-الأثيوبي) عن حماد بن مسعدة به.

=

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا معنى ما قال عمر بن عبد العزيز، في رسالته لأهل القدر، قوله: «فلئن قلتم: قد قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه كذا وكذا، يقال لهم: لقد قرؤوا منه - يعني: الصحابة - ما قد قرأتم، وعلموا من تأويله ما جهلتم، ثم قالوا بعد ذلك: كله كتاب وقدر، وكتب الشقوة وما قدر يكن، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا نملك لأنفسنا ضرًّا ولا نفعًا، ثم رغبوا بعد ذلك ورهبوا، والسلام».

حديث عائشة ضعيف، في إسناده ضعيفان، وهما يحيى بن عبد الله بن أبي مليكة ويحيى بن عثمان القرشي.

وحاصل كلام ابن عمر أن القدر سر الله، ومن الضلال السؤال عنه والبحث والتنقيب عنه.

وحاصل كلام عمر بن عبد العزيز أن الصحابة الكرام قرؤوا القرآن وعلموا من تأويله ما جهله نفاة القدر، ثم سلَّموا بما ورد من القرآن من الآيات الدالة على القدر، فآمنوا به وسلَّموا به، واعتقدوا أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن من أقوال العباد وأعمالهم، طاعاتهم ومعاصيهم، لا يجري في الكون من شيء ولا يتحرك ولا يسكن إلا بإرادة الله ومشيئته عَزَّوَجَلَّ، ثم مع إيمانهم العميق بالقدر يخافون الله ويرغبون إليه، ويرهبون غضبه وعذابه، فمن سلك منهجهم سلك طريق الحق، ومن حاد عن منهجهم ضلَّ ضلالًا مبينًا.

= ورواه البخاري في تاريخه (١/ ٣١٩) والدولابي في «الكنى» (٢/ ٧٧٤) من طريقين عن زياد أبي عمر، قال: عن إبراهيم بن محمد القرشي عن أبيه نحوه. وإبراهيم بن محمد هذا ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ١٢٧) برواية زياد بن أبي مسلم -وهو زياد أبو عمر- عنه، ولم يزد على ذلك. فهو مجهول.

٥٣٣- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا وكيع، عن سفيان الثوري، عن داود بن أبي هند: أن عزيرًا سأل ربه عَزَّوَجَلَّ عن القدر؟ فقال: «سألتني عن علمي، عقوبتك ألا أسميك في الأنبياء»(١).

٥٣٤- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن أبي عمران الجوني عن نوف البكالي قال: قال عزير فيما ناجى به ربه: يا رب تخلق خلقًا، فتضل من تشاء وتهدي من تشاء، قال: قيل له: يا عزير، أعرض عن هذا، قال: فعاد فقال: يا رب، تخلق خلقًا، فتضل من تشاء وتهدي من تشاء؟ قال: قيل له: يا عزير، أعرض عن هذا، وكان الإنسان أكثر شيء جدلًا، فعاد، فقال: يا عزير، لتعرضن عن هذا أو لأمحونك من النبوة، إني لا أُسأل عما أفعل وهم يُسألون(٢).

هذان الأثران ضعيفان، وهما من الإسرائيليات.



---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٩٩٠-الأثيوبي) والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٢٣٩] من طرق عن وكيع به.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٥٠) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» [١٣٤٣] والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٣٦٩] من طريق جعفر بن سليمان به.

٥٣٥- حدثني أبو عبد الله جعفر بن إدريس القزويني قال: حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق القزويني الصواف قال: حدثنا سهل بن عثمان العسكري قال: حدثنا سعيد بن النعمان، عن نهشل، عن الضحاك بن عثمان قال: وافيت الموسم، فلقيت في مسجد الخيف - ذكر جماعة - قال: ورأيت طاوسًا اليماني، فسمعته يقول لرجل: إن القدر سر الله عَزَّوَجَلَّ، فلا تدخلن فيه، ولقد سمعت أبا الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يحدث عن نبيكم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أن موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ لما خرج من عند فرعون متغير الوجه، إذ استقبله ملك من خزان النار، وهو يقلب كفيه متعجبًا لما قال له الروح الأمين: إن ربك أرسلك إلى فرعون، مع أنه قد طبع على قلبه فلن يؤمن، قال: يا جبريل، فدعائي ما هو؟ قال: امض لما أمرت، قال: صدقت، ثم قال: يا موسى، نحن اثنا عشر ملكًا من خزان النار، وقد جهدنا على أن نسأل في هذا الأمر، فأوحي إلينا: أن القدر سر الله عَزَّوَجَلَّ فلا تدخلوا فيه[1].

هذا الحديث المنسوب إلى أبي الدرداء مرفوعًا لا يثبت؛ لأن في إسناده مجهولين، وهما سعيد بن النعمان ويعقوب بن إسحاق القزويني.

والحديث يشبه الإسرائيليات، وعلى كل حال فالقدر سر الله يجب الإيمان به والابتعاد عن التنقيب لإدراكه.



---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٩٩٣-الأثيوبي) من طريق أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الصواف به.

٥٣٦- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا عبد الأعلى بن حماد قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: أخبرنا كلثوم بن جبر، عن وهب بن منبه أنه قال: أجد في التوراة، أو في الكتاب: أنا الله لا إله إلا أنا، خالق الخلق، خلقت الخير والشر، وخلقت من يكون الخير على يديه، فطوبى لمن خلقته ليكون الخير على يديه، وويل لمن خلقته ليكون الشر على يديه[(١)].

هذا الأثر من الإسرائيليات ومعناه صحيح.



(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٧٦٩-الأثيوبي) من طريق عبد الأعلى بن حماد عن حماد بن سلمة به.
ورواه أيضًا (١٧٦٩-الأثيوبي) من طريق ربيعة بن كلثوم عن أبيه كلثوم بن جبر عن المغيرة بن حكيم اليماني عن وهب به.
ورواه (١٧٧٠-الأثيوبي) من طريق معرف بن واصل عن وهب نحوه.

٥٣٧- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا الليث بن سعد، عن عقيل، عن الزهري، عن مسافع الحاجب أنه قال: وجدوا حجرًا حين نقضوا البيت فيه ثلاثة صفوح، فيها كتاب من كتب الأُوَل، فدعي لها رجل فقرأها، فإذا في صفح منها؟ أنا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر، حففتها بسبعة أملاك، وباركت لأهلها في اللحم والماء، وفي الصفح الآخر: أنا الله ذو بكة، خلقت الرحم، واشتققت لها من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته، وفي الصفح الثالث. أنا الله ذو بكة، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن كان الخير على يديه، وويل لمن كان الشر على يديه[1].

هذا الأثر إسناده صحيح، والفقرة الثانية في صلة الرحم لها شواهد صحيحة [2].

والفقرة الثالثة معناها صحيح، فالله خالق كل شيء، ومن ذلك الخير والشر، وهذا مما يجب على العباد الإيمان به.

وفيه الحث على فعل الخيرات والوعد لفاعيلها، والوعيد على فعل الشر، نسأل الله أن يوفقنا للخير والأعمال الصالحة وأن يجنبنا الشر والأعمال السيئة.

---

(١) رواه البيهقي في «القضاء والقدر» [١٥٦] من طريق قتيبة بن سعيد به مختصرًا بذكر القدر فقط. ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ١٤٩)، ومن طريقه ابن بطة في «الإبانة» (١٩٠٥-الأثيوبي) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٤٦٧-الرشد) عن معمر عن الزهري قال: بلغني أنهم وجدوا في مقام إبراهيم، فذكر نحوه.

(٢) روى أبو داود في «الزكاة» حديث [١٦٩٤]، والترمذي في «البر والصلة» حديث [١٩٠٧] وصححه، وأحمد [١٦٨٦] عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا اللهُ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِن اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ**». قال الترمذي: «وَفِي البَابِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَابْنِ أَبِي أَوْفَى، وَعَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ».

٥٣٨- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا سويد بن سعيد قال: حدثنا يوسف بن سهل الواسطي قال: حججت، فسمعت رجلًا يلبي يقول في تلبيته: لبيك لبيك، والشر ليس إليك، فلما دخلت مكة لقيت سفيان، فأخبرته بالذي سمعت، فما زادني على أن قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ١ - ٢][(١)].

ما معنى هذا الحديث: «والشر ليس إليك»[(٢)]؟

نقل محقق الكتاب فيه خمسة أقوال لأهل العلم:

القول الأول: أنه لا يُتقرَّب إليه يعني بالشر إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ قاله الخليل بن أحمد - هذا إمام اللغة معروف - والنضر بن شميل - كذلك من أئمة اللغة - وإسحاق بن راهويه - وهو من أئمة الحديث وقرين أحمد ويحيى بن معين -، وأبو بكر بن خزيمة - الذي يسمونه إمام الأئمة صاحب الصحيح والتوحيد وغيرها من المؤلفات - والأزهري -من أئمة اللغة-، ماذا قالوا في قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«والشر ليس إليك»؟ يعني:** لا يُتقرَّب إليك بالشر، وإنما يُتقرَّب إليك بالطاعات، ولكن قد يفعل الشر ويظن نفسه يتقرب إلى الله ويرتكب المعاصي ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وهذا لا يجوز التقرب به إلى الله عَزَّوَجَلَّ، بل هو شركٌ وضلال وكذلك سائر المعاصي والبدع وما شاكل ذلك لا يُتقرَّب بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والذي يتقرب بها إلى الله ما تزيده من الله إلا بعدًا.

التفسير الثاني: الشر لا يضاف إليه على انفراده، قال أبو عثمان الصابوني صاحب عقيدة أهل الحديث: «لا يضاف إلى الله ما يُتَوَهم منه نقصٌ على الانفراد، ولا يقال:

---

(١) في إسناده سويد بن سعيد وهو الحدثاني، قال في «التقريب»: «صدوق في نفسه إلا أنه عمي فصار يتلقن ما ليس من حديثه فأفحش فيه ابن معين القول». ويوسف بن سهل لم أعرفه.

(٢) جملة من حديث طويل رواه مسلم في «صلاة المسافرين وقصرها» حديث [٧٧١] عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يـا خالـق القـردة والخنازير، بل يقال: الله خالـق كل شيء بهذا العمـوم؛ لأنَّه خالق الخير والـشر وخالـق كل شيء بما فيها يعني الأنبيـاء والملائكة وإلى آخره إلى سـائر المخلوقات شرها وخيرها الله خالقها، لكن لا يقال: يا خالق الخنزير، هذا سوء أدب، سوء أخلاق، مـا يليـق أن تقول، الله خالق كل شيء، يا خالق كل شيء أنت خلقت كل شيء، ما تقول: أنت خالق الخنازير وكذا وكذا.

فقـال: لا يضـاف إليه على الانفراد، **يعني**: الشر، وإنما بالعموم يقال: الله خالق كل شيء ويـا خالق كل شيء، أمـا أن يقول: يا خالق القردة والخنازيـر والجرذان والخنافس، يعني يختار الأشـياء الحقيرة الخبيثة ويضيفها إلى الله؛ هذا سـوء أدب مع الله وغلط، وإنما تقول: الله خالق كل شيء أو يا خالق كل شيء.

والتفسـير الثالـث: معنـاه الـشر لا يصعـد إليـه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: ١٠]، والأعـمال المعاصي والبدع والشرور لا ترفع إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولا تُسَـجَّل في عليين، وإنما هي في سـجين والعياذ بالله، **فمعنى: «والشـر ليس إليك»:** لا يصعـد إليـك؛ هـذا على تفسـير بعـض الأئمـة، ولم يذكر من فـسَّر هذا التفسـير، وله وجه(١).

هذا حاصل ما نقله المحقق.

قـال شـيخ الإسـلام ابـن تيمية مـا معنـاه وحاصله: **إضافـة الشـر إلى الله تَعَالَىٰ لم تجيء في القرآن والسنة إلا على أحد الوجوه الثلاثة التالية:**

---

(١) حكاه البغوي في «شرح السنة» (٣/ ٣٧)، و«القاضي عياض في مشارق الأنوار» (٢/ ٢٤٧)، والنووي في «شرح مسـلم» (٦/ ٥٩)، وفي «الأذكار» (ص٤٤-الفكـر) قولًا من الأقـوال. وذكر ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٤٥٨) أحد القولين.

يعني إذا استعرضت القرآن واستعرضت السنة لا تجد الشر يضاف إلى الله إلا على ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: «إِمَّا أَنْ يَدْخُلَ فِي عُمُومِ الْمَخْلُوقَاتِ» كقوله تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾، ﴿ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يدخل فيه الخير والشر.

فيقول: إنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يذكر في القرآن هذا الشر إلا على واحد من الوجوه:

الوجه الأول: أن يكون على وجه العموم كما في هذه الآية: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ومثله أسماء الله المقترنة كالمعطي المانع، والضار النافع، ما تقول: الله الضار، الله المانع.. وإنما تقول: الله الضار النافع؛ لأنَّ اجتماع الاثنين يفيد العموم المعطي المانع، فلا تذكر المانع إلا مع المعطي، ولا تذكر الضار إلا مع النافع؛ لأنه باجتماعهما يفيدان العموم الخير والشر كقوله: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فلا تفرد أحدهما عن الآخر، فلا تفرد المانع عن المعطي، ولا تفرد الضار عن النافع، وإنما تقرن بينهما؛ هذا اللائق بجلال الله عَزَّوَجَلَّ، ويكون بمعنى خالق الخير والشر يفيد العموم والضر والنفع.

الوجه الثاني: أن يضاف الشر إلى السبب كقوله تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ [الفلق: ١ - ٢] فهو مضاف هنا إلى سببه؛ سبب الشر ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ٢ - ٥]، فالشر هنا مضاف إلى سببه، وإن كان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خالق كل شيء.

الوجـه الثالـث: أن يحذف الفاعل من الكلام؛ كقولـه تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن: ١٠]، هـذا ذكره الله عن الجن الذين سـمعوا محمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقـرأ القرآن: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١ - ٢]، وسـاق الآيـات إلى أن قالوا: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الجن: ٨ - ١٠] **يعني:** هذا من حسـن أدبهـم، انظـر أول مـا دخلوا في الإسـلام وإذا هم يعرفـون كيف يتكلمـون، كلام عظيم جدًّا، دخلوا في الإسـلام ورأسًـا تسـمع منهم منطقًا عجيبًا جدًّا كأنهم مـن كبار العلماء، ومـن كلامهم الجيد أنهـم ما قالوا: أراد الله شرًّا بأهل الأرض، بل قالوا: ﴿ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ الفاعل الله هنا، لكن أدبًا مع الله قالوا: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن: ١٠] انظر لما ذكروا الخير قالوا: ﴿ أَرَادَ بِهِمْ ﴾، والشر أسـندوه هكذا بصيغة المجهول، ما قالوا: إنا لا ندري أشر أراد الله بأهل الأرض أم أراد بهم رشدًا؛ قالوا: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾، فلـما كان الرَشَـد خـيرًا صرحوا بالفاعل وهـو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولما ذكروا الشر تأدبوا مـع الله وحذفوا الفاعل وذكروا الفعل بصيغة الفعل المبني للمجهول: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾[1].

على هذه الثلاثة الوجوه يذكر الشر.

الوجه الأول: على وجه العموم.

والثاني: أن يضاف الشر إلى سببه: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ أضيف إلى السبب وهم المخلوقون ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾، وهو القمر إذا غاب ﴿ وَمِن شَرِّ

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٨/ ٩٤-٩٥).

﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾، وهنَّ السواحر ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وهو الحاسد الذي يحسد الناس وقد يكون منهم العائن.

والثالث: حذف الفاعل ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾.

وهذه الشرور هنا أضيفت إلى أسبابها وإن كان الله خالق كل شيء خيرًا وشرًّا.

تنبيه: والشر ذو جهتين جهة الله خالقها سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يخلقه الله لحكمة وهو بالنسبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ ليس شرًّا، لكنه شرٌّ بالنسبة للمخلوق، والله لا يخلق شيئًا إلا وكان خلقه هذا حَسَنًا يليق بجلاله، وأفعالُه كلها جميلة وطيِّبة وحَسَنَة وقائمة على الحكمة والفضل والعدل، وليس فيها شيء من السوء، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فأفعاله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالمؤمنين وبغيرهم كلُّها بالنظر لله حَسَنَة وطيِّبة لأنَّها قائمة على العدل وقائمة على الحكمة، وأما بالنسبة للعباد فمن نزل به شرٌّ فذلك شر بالنسبة إليه، أما بالنسبة إلى الله فلا، هذا أحد المعاني في تفسير: «**والشر ليس إليك**» أن أفعال الله كلها عدل وكلها حكمة، وكلها حَسَنَة، وما يصدر منه إلا حَسَنٌ جميل، وإذا وقع شر بإرادة الله بالعبد فإنما هو شرٌّ بالنسبة وبالإضافة إلى من وقع عليه الشر أو وقع منه الشر.

وللإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام قيم في أنه لا يجوز إضافة الشر إلى الله وتنزيه قضاء الله عن ذلك، انظر «شفاء العليل» (ص٥٥٧) فما بعدها.



٥٣٩- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا قطن بن نُسير قال: حدثنا جعفر بن سليمان قال: حدثنا أبو سنان قال: اجتمع وهب بن منبه وعطاء الخراساني بمكة، فقال عطاء: يا أبا عبد الله، ما كُتُب بلغني أنها كتبت عنك في القدر؟ فقال وهب: ما كتبت كتبًا، ولا تكلمت في القدر، ثم قال وهب: قرأت نيفًا وسبعين من كتب الله عَزَّوَجَلَّ، منها نيف وأربعون ظاهرة في الكنائس، ومنها نيف وعشرون لا يعلمها إلا قليل من الناس، فوجدت فيها كلها: أن من وكل إلى نفسه شيئًا من المشيئة فقد كفر[(١)].

هذا الأثر فيه ضعف؛ لأن في إسناده قطن بن نسير، قال فيه الحافظ ابن حجر: «صدوق يخطئ»، وقال الذهبي فيه: «قال ابن عدي: يسرق الحديث».

---

(١) رواه ابن بطة (١٩٩٥-الأثيوبي) واللالكائي [١٢٥٨] من طريق قطن بن نسير به.
ولم يتفرد به، فقد تابعه بشر بن هلال عن جعفر به، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٤).
وتابعه أيضًا فضيل بن عبد الوهاب عن جعفر به مختصرًا، أخرجه اللالكائي [١١٧٠].
ولم يتفرد به جعفر بن سليمان، فقد رواه البيهقي في «القضاء والقدر» [١٧٤] وفي «الأسماء والصفات» [٣٧٤] من طريقين عن أبي سنان قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ، يَقُولُ، فذكر قول وهب دون ذكر سؤال عطاء. فمدار إسناد هذا الأثر على أبي سنان، قال في «الميزان»: «ضعفه أحمد، وابن معين، وهو ممن يكتب حديثه على لينه. وقواه بعضهم يسيرًا. وقال العجلي: لا بأس به. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي».
ورواه ابن بطة (١٧٧٢-الأثيوبي) من طريق حبيب بن أبي حبيب الدمشقي، فقال: عَنْ يَزِيدَ الْخُرَاسَانِيِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَمَكْحُولٌ، إِذْ قَالَ: يَا وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ..، فذكر نحو لفظ المصنف. وحبيب بن أبي حبيب الشامي، ذكره الذهبي في الميزان، وقال: «قال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به».
ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» [٣٧٥] من طريق عَبْد الصَّمَدِ بْنِ مَعْقِلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ ابْنَ مُنَبِّهٍ، فذكره بدون ذكر سؤال عطاء. وفي إسناده من لم أعرفه.
وروى الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٢٨١) بإسناد صحيح عن عمرو بن دينار قال: دَخَلْتُ عَلَى وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ دَارَهُ بِصَنْعَاءَ فَأَطْعَمَنِي جَوْزًا مِنْ جَوْزَةٍ فِي دَارِهِ. فَقُلْتُ لَهُ: وَدِدْتُ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ كتبت في القدر كتابًا. فقال: أَنَا وَاللهِ لَوَدِدْتُ ذَلِكَ.

وعلى كل حال فمن الإيمان بالقدر أنه لا يحدث في هذا الكون حادث دقّ أو جلّ إلا بمشيئة الله، وللعباد مشيئة، ولكنها مرتبطة بمشيئة الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩].



٥٤٠- وأخبرنا الفريابي قال: حدثني أبو حفص عمر بن عثمان الحمصي قال: حدثنا بقية بن الوليد قال: حدثنا أبو عمرو - يعني الأوزاعي - قال: حدثني العلاء ابن الحجاج، عن محمد بن عبيد المكي، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قيل له: إن رجلًا قدم علينا يكذب بالقدر، فقال: دلوني عليه - وهو يومئذ أعمى - فقالوا: وما تصنع به؟ فقال: والذي نفسي بيده، لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته في يدي لأدقنها، والذي نفسي بيده لا ينتهي بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله عَزَّوَجَلَّ من أن يكون قدر الخير، كما أخرجوه من أن يقدر الشر[1].

هذا الأثر ضعيف، في إسناده محمد بن عبيد المكي ضعيف، وحديثه عن ابن عباس مرسل.



---

(١) رواه إسحاق في مسنده (٢٩٦٠-المطالب العالية) واللالكائي [١١١٦] من طريق بقية به، وفي رواية إسحاق زيادة.

ورواه أحمد (٣٠٥٥-الرسالة) عن أبي المغيرة عن الأوزاعي به نحو رواية إسحاق.

٥٤١- وأخبرنا الفريابي قال: حدثني عمرو بن عثمان الحمصي قال: حدثنا بقية قال: حدثنا أبو عمرو الأوزاعي، عن عبدة بن أبي لبابة قال: علم الله عَزَّوَجَلَّ **ما هو خالق. وما الخلق عاملون، ثم كتبه، ثم قال لنبيه** صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠][1].

إسناده حسن، وعبدة بن أبي لبابة من ثقات التابعين، وكلامه في إثبات القدر مستمد من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ودعم قوله بالآية الدالة على علم الله بكل شيء، وذلك أصل الإيمان بالقدر.



---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٨/ ٦٨١) وابن بطة في «الإبانة» (١٩٩٦-الأثيوبي) من طريقين عن الأوزاعي به.

٥٤٢- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو أنس مالك بن سليمان الألهاني الحمصي قال: حدثنا بقية بن الوليد، عن أرطأة بن المنذر، عن مجاهد بن جبر أنه بلغه، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أول شيء خلقه الله عَزَّ وَجَلَّ القلم، فأخذه بيمينه - وكلتا يديه يمين -» قال: «فكتب الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول، بر أو فجور، رطب أو يابس، وأحصاه عنده في الذكر»، ثم قال: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٩] فهل يكون النسخ إلا من أمر فرغ منه؟»[1].

حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هنا ظاهره الانقطاع بينه وبين مجاهد، لكنه قد تقدم في حديث [٣٣٩] متصلًا، فثبت عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا متصلًا ومرفوعًا، وفيه الدلالة على الإيمان بالقدر، وإثبات اليدين لله على الوجه اللائق به.

وفيه إثبات أن الله قد كتب مقادير الخلائق وأعمالهم، وهذا أمر ثابت، وقد سبق حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الصحيح: **«أن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»**.



---

(١) سبق تخريجه برقم [٣٣٦].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فهذا طريق أهل العلم: الإيمان بالقدر خيره وشره واقع من الله عَزَّوَجَلَّ بمقدور جرى به، يضل من يشاء ويهدي من يشاء، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

وأما الحجة في ترك مجالسة القدرية، وأنهم لا يفاتحون الكلام، ولا المناظرة إلا عند الضرورة بإثبات الحجة عليهم وتبكيتهم، أو يسترشد منهم مسترشد فيرشد، ويوقف على طريق الحق، ويحذر طريق الباطل، فلا بأس بالبيان على هذا النعت.

وسأذكر في ذلك ما يدل على ما قلت إن شاء الله، والله الموفق لكل رشاد.

هنا يؤكد الإمام الآجري على أن طريق أهل العلم ويعني بهم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تَعَالَىٰ كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة، وأن الله لا يسأل عما يفعل والعباد يسألون، ويؤكد على أن القدرية لا يجالسون ولا يفاتحون الكلام بناء على توجيه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما يجلبه أهل الضلال على المسلمين من الشرور.

ويرى أنه لا مانع من الاستماع إلى المسترشد منهم لنرشده إلى الحق، ويحذر من طريق الباطل وأهله، فإن هذا من الدعوة إلى الله، وأنه لا يجوز مناظرة أهل الشر والبدع إلا عند الضرورة لإقامة الحجة عليهم.



٥٤٣- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن راهويه قال: أخبرنا المقرئ عبد الله بن يزيد قال: حدثني سعيد بن أبي أيوب، عن عطاء بن دينار، عن حكيم بن شريك الهذلي، عن يحيى بن ميمون الحضرمي، عن ربيعة الجرشي، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم»[1].

إسناده ضعيف، فيه حكيم بن شريك الهذلي مجهول، ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وقال الحافظ في «التقريب»: مجهول، وقال الذهبي في «الكاشف»: «وثق»، يشير إلى توثيق ابن حبان، ومعلوم أن ابن حبان يوثق المجهولين.

لكنه يعتضد بتحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الزيغ وبتحذيره من جلساء السوء.



(١) رواه أحمد (٢٠٦-الرسالة) وأبو داود في «السنة» حديث (٤٧١٠، ٤٧٢٠) وابن حبان (١/ ٢٨٠/ ٧٩) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٥٩/ ٢٨٧) من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ به.

٥٤٤- حدثنا أبو العباس سهل بن أبي سهل الواسطي قال: حدثنا أبو حفص عمرو بن علي قال: حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ قال: حدثني سعيد بن أبي أيوب - وذكر الحديث مثله سواء -.

٥٤٥- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن داود قال: حدثنا أحمد بن صالح قال: حدثنا عبد الله بن وهب قال: حدثني الليث بن سعد، عن عبيد الله بن عمر قال: كنا نجالس يحيى بن سعيد، فيسرد علينا مثل اللؤلؤ، فإذا طلع ربيعة قطع يحيى الحديث، إعظامًا لربيعة، فبينما نحن يومًا يحدثنا تلا هذه الآية: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، فقال له جميل بن نباتة العراقي، وهو جالس معنا: يا أبا محمد، أرأيت السحر من تلك الخزائن؟ فقال يحيى: سبحان الله، ما هذا من مسائل المسلمين، فقال عبد الله بن أبي حبيبة: إن أبا محمد ليس بصاحب خصومة، ولكن عليَّ ما قيل[1]: أما أنا فأقول: إن السحر لا يضر إلا بإذن الله، أفتقول أنت ذلك؟ فسكت، فكأنما سقط عنَّا جبل[2].

أخشى أن يكون قوله: يا أبا محمد خطأ، فإن كنية يحيى بن سعيد الأنصاري إنما هي أبو سعيد، والخطاب موجه له.

وجواب عبد الله بن أبي حبيبة جواب علمي قوي مسكت، فهو يشير إلى قول الله تعالى عن السحر: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فلا يكون شيء في هذا الوجود إلا بإذن الله ومشيئته.



---

(١) كذا، ولعل الصواب: ولكن عليَّ فأقبل.

(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة» [٢٠٠٦] من طريق أبي حاتم الرازي عن أحمد بن صالح به.

٥٤٦- أخبرنا إبراهيم بن الهيثم الناقد قال: حدثنا محمد بن بكار قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عمر بن محمد العمري قال: جاء رجل إلى سالم بن عبد الله فقال: رجل زنى، فقال سالم: يستغفر الله ويتوب إليه، فقال الرجل: الله قدره عليه؟ فقال سالم: نعم، قال: ثم أخذ قبضة من الحصى، فضرب بها وجه الرجل وقال: قم[(١)].

في إسناده إسماعيل بن عياش، وهو ضعيف في غير الشاميين، وعمر بن محمد مدني.



(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (٢٠٠٩-الأثيوبي) من طريق الحسن بن عرفة عن إسماعيل بن عياش به. لكن تابعه سفيان الثوري عن عمر بن محمد به نحوه، أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٩٣٣] واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٢٧٠، ١٢٩٤) والبيهقي في «القضاء والقدر» [٥٢٢] من طرق عنه. فالأثر صحيح.

٥٤٧- حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا أيوب شيخ لنا قال: حدثنا إسماعيل بن أبي عمرو البجلي قال: حدثنا عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جده قال: أتى رجل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: أخبرني عن القدر؟ قال: طريق مظلم فلا تسلكه، قال: أخبرني عن القدر؟ قال: بحر عميق فلا تلجه، قال: أخبرني عن القدر؟ قال: سر الله عَزَّوَجَلَّ فلا تكلفه، ثم ولى الرجل غير بعيد، ثم رجع فقال: لعلي في المشيئة الأولى: أقوم وأقعد، وأقبض وأبسط؟ فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إني سائلك عن ثلاث خصال، ولن يجعل الله لك ولا لمن ذكر المشيئة مخرجًا، أخبرني: أخلقك الله لما شاء أو لما شئت؟ قال: بل لما شاء، قال: أخبرني: أفتجيء يوم القيامة كما شاء أو كما شئت؟ قال: بل كما شاء، قال: أخبرني: أخلقك الله كما شاء أو كما شئت؟ قال: لا، كما شاء، قال: فليس لك من المشيئة شيء [(١)].

هذا الأثر ضعيف جدًّا، فيه عبد الملك بن هارون ضعيف جدًّا، بل رماه ابن حبان بوضع الحديث، وفيه أبوه ضعّفه الدارقطني، وعلى كل حال فالكلام المنسوب لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوي ومفحم لنفاة القدر.



---

(١) سبق تخريجه برقم [٤٢٢].

٥٤٨ـ حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا أحمد بن صالح قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: قال لنا طاوس: أخروا معبدًا الجهني فإنه كان قدريًا.

٥٤٩ـ حدثنا الفريابي قال: أخبرنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا سفيان، عن عمرو قال: قال لنا طاوس: أخروا[١] معبدًا الجهني فإنه كان يتكلم في القدر[٢].

هذا الأثران صحيحان، وفيهما التحذير من أهل البدع، وهذا من منهج السلف، وقد حذّر رسول الله ﷺ من أهل الأهواء.



---

(١) عند اللالكائي: «احذروا معبدًا الجهني».

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٨٤٦/ أ) وابن بطة في الإبانة (١٩٦٣-الأثيوبي) واللالكائي (١١٤١، ١٢٧٣) من طرق عن سفيان بن عيينة عن عمرو بألفاظ متقاربة.

٥٥٠ـ أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا يزيد ابن هارون قال: أخبرني يحيى بن سعيد، عن أبي الزبير: أنه كان مع طاوس يطوف بالبيت، فمر معبد الجهني فقال قائل لطاوس: هذا معبد الجهني، فعدل إليه فقال: أنت المفتري على الله، القائل ما لا تعلم؟ قال: إنه يُكذب علي! قال أبو الزبير: فعدلت مع طاوس، حتى دخلنا على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال له طاوس: يا أبا عباس: الذين يقولون في القدر؟ قال: أروني بعضهم، قلنا: صانع ماذا؟ قال: إذًا أضع يدي في رأسه فأدق عنقه[1].

هذا الأثر عن طاووس ثم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا صحيح، فلا يستغرب منهما هذان الموقفان السلفيان، فقل لي بربك: هل يطبق هذا الأسلوب اليوم أدعياء السلفية زورًا، أولئك المتاجرون بدينهم من المدافعين عن أهل البدع، بل عن دعاة وحدة الأديان وحرية الأديان ومؤاخاة الأديان ومساواة الأديان؟



---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٩١١] وابن بطة (١٦١١-الأثيوبي) واللالكائي [١٣٢٢] من طرق عن يزيد بن هارون به.
ورواه الفريابي في «القدر» [٢٦٤] وابن بطة (١٦٢٩-الأثيوبي) والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢١٧) من طرق عن يحيى بن سعيد به.

٥٥١- حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين قال: حدثنا عمار بن خالد الواسطي قال: حدثنا مرحرم بن عبد العزيز العطار قال: سمعت أبي وعمي يقولان: سمعنا الحسن ينهى عن مجالسة معبد الجهني، ويقول: لا تجالسه، قال: وقال أبي: لا أعلم يومئذ أحدًا يتكلم في القدر غير معبد، ورجل من الأساورة يقال له سيسنوه[(١)].

هذا الأثر المنسوب إلى الحسن البصري إسناده ضعيف، فيه عبد العزيز العطار، قال فيه الحافظ: مقبول، وعم مرحوم لا يعرف.

لكن الإمام الحسن له مواقف مشهورة من القدرية والقدر، وقد نقل عنه الإمام الآجري فيما سلف حوالي عشرة نصوص في الكلام على القدرية.



(١) رواه الترمذي في «العلل الصغير» (٦/ ٢٥١-آخر الجامع) والفريابي في «القدر» [٣٤٥] وعنه المصنف [٥٥٨] وعبد الله بن أحمد في «السنة» [٨٤٩] وابن بطة في «الإبانة» (٢٠٠٣-الأثيوبي) واللالكائي [١١٤٢] من طرق عن مرحوم به.

لكن روى العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢١٧) من طريق أبي طلحة -وهو شداد بن سعيد- عن غيلان ابن جرير قال: «سَمِعْتُ الْحَسَنَ، يَقُولُ: لَا تُجَالِسُوا مَعْبَدًا، إِنَّهُ ضَالٌّ مُضِلٌّ». وهذا إسناد حسن. أبو طلحة شداد بن سعيد وثقه ابن معين وأحمد وغيرهما، وتكلم فيه بعضهم كما في «الميزان».

٥٥٢- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا محمد بن مصفى قال: حدثنا بقية قال: حدثني محمد بن نافع الثقفي، عن محمد بن عبيد بن أبي عامر المكي قال: لقيت غيلان بدمشق مع نفر من قريش، فسألوني أن أكلمه، فقلت له: اجعل لي عهد الله وميثاقه أنْ لا تغضب، ولا تجحد، ولا تكتم، قال: فذلك لك، فقلت: نشدتك الله، هل في السموات والأرض شيء قط من خير أو شر لم يشأه الله، ولم يعلمه حتى كان؟ قال غيلان: اللهم لا، قلت: فعلم الله عَزَّوَجَلَّ بالعباد كان قبل أو بعد أعمالهم؟ قال غيلان: بل كان علمه قبل أعمالهم، قلت: فَمِنْ أَيْنَ كَانَ عِلْمُهُ بِهِمْ مِنْ دَارٍ كَانُوا فِيهَا قَبْلَهُ جَبَلَهُمْ فِي تِلْكَ الدَّارِ غَيْرُهُ؟ وَأَخْبَرَهُ الَّذِي جَبَلَهُمْ هُوَ فِي الدَّارِ عَنْهُمْ غَيْرُهُ؟ أَمْ مِنْ دَارٍ جَبَلَهُمْ هُوَ فِيهَا؟ وَخَلَقَ لَهُمُ الْقُلُوبَ الَّتِي يَهْوُونَ بِهَا الْمَعَاصِي؟ قال غيلان: بل من دار جبلهم فيها، وخلق لهم القلوب التي يهوون بها المعاصي، قلت: وهل كان الله يحب أن يطيعه جميع خلقه؟ قال غيلان: نعم، قلت: انظر ما تقول. قال: هل معها غيرها؟ قلت: نعم، قلت: فهل كان إبليس يحب أن يعصي الله عَزَّوَجَلَّ جميع خلقه؟ قال: فلما عرف الذي أريد سكت، فلم يرد عليَّ شيئًا [(١)].

هذا الأثر المنسوب إلى محمد بن عبيد في إسناده ضعف؛ لأن فيه محمد بن نافع الثقفي مجهول، ومحمد بن عبيد ضعيف كما سبق، ومع ضعفه فأرجو أن يكون هذا الكلام ثابتًا عنه، فإن فيه حججًا دامغة لمنكري القدر.



(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (٢٠٠٧-الأثيوبي) عن المصنف وحفص بن عمر بإسنادهما إلى محمد بن مصفى به.

٥٥٣- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا نصر بن عاصم قال. حدثنا الوليد بن مسلم، عن سعيد بن عبد العزيز، عن مكحول أنه قال: حسب غيلان الله، لقد ترك هذه الأمة في مثل لجج البحار [(١)].

هذا الأثر المنسوب إلى الإمام مكحول في إسناده نصر بن عاصم الأنطاكي، قال فيه: الحافظ: لين الحديث، وقال الذهبي في «المغني»: له حديث، وهو منكر، وهو: «كان بين آدم وإبراهيم عشرون قرنًا».

ومع ذلك فالواقع أن غيلان قد خلَّف فتنة وشرًّا مستطيرًا.



---

(١) أثر حسن: رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٩٦١-الأثيوبي) من طريق شيخ المصنف وأبي داود بإسنادهما عن الوليد به، وإسناد أبي داود حسن.

٥٥٤- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا نصر قال: حدثنا الوليد عن ابن جابر قال: سمعت مكحولًا يقول: ويحك يا غيلان، لا تموت إلا مفتونًا[(١)].

هذا الأثر عن مكحول ضعيف أيضًا، وعلته نصر بن عاصم.



---

(١) رواه ابن بطة (١٧٨١ -الأثيوبي) من طريق ابن عياش عن محمد بن عبد الله -الشعيثي- عن أيوب -صاحب مكحول- سمعت مكحولًا بمثله.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قال قائل: من أئمة القدرية في مذاهبهم؟

قيل له: قد أجل الله عَزَّوَجَلَّ المسلمين عن مذاهبهم، وإنما أئمتهم في مذاهبهم القذرة: معبد الجهني بالبصرة، وقد رد عليه الصحابة والتابعون ما قد تقدم ذكرنا له، وقبله رجل من أهل العراق كان نصرانيًا فأسلم، ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني القدر. كذا قال الأوزاعي رحمه الله، وأخذ غيلان عن معبد.

وقد تقدم ذكرنا لقصة غيلان، وما عجل الله عَزَّوَجَلَّ له من الخزي في الدنيا، وما له في الآخرة أعظم، وعمرو بن عبيد وما ذمه العلماء وهجوه وكفروه، وهؤلاء أئمتهم الأنجاس الأرجاس.

هنا ذكر الإمام الآجري أئمة الضلال وزعماء السوء لفرقة القدرية الضالة، وأن الصحابة والتابعين قد ردوا هذا المذهب الباطل وذموا أهله، وسار على منهجهم أئمة الإسلام في رد هذا الضلال وغيره من أنواع الزيغ.



٥٥٥- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا صفوان بن صالح قال: حدثنا محمد بن شعيب قال: سمعت الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: أول من نطق في القدر: رجل من أهل العراق يقال له: سوسن، كان نصرانيًا فأسلم، ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد[(١)].

إسناد هذا الأثر حسن، وفيه بيان أصل مذهب القدرية، وأنه مأخوذ عن النصارى.



(١) رواه ابن بطة (١٩٥٤-الأثيوبي) واللالكائي [١٣٩٨] من طريق صفوان بن صالح به.

٥٥٦- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا إسحاق بن موسى الأنصاري قال: حدثنا أنس بن عياض قال: أرسل إلي عبد الله بن يزيد بن هرمز فقال: لقد أدركت وما بالمدينة أحد يتهم بالقدر إلا رجل من جهينة يقال له: معبد الجهني، فعليكم بدين العواتق اللائي لا يعرفن إلا الله عَزَّوَجَلَّ[1].

إسناد هذا الأثر إلى عبد الله بن يزيد بن هرمز صحيح، وحثه على دين العواتق المسلمات؛ لأنه على الفطرة السليمة فعقائدهن أسلم، بخلاف القدرية وغيرهم من أهل الأهواء، فإنهم قد فسدت عقائدهم وفطرهم.

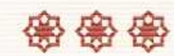


(١) رواه ابن بطة (١٩٦٠-الأثيوبي) من طريق الحسن بن عرفة عن أنس بن عياض به.

٥٥٧- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أحمد بن خالد قال: حدثنا معاذ بن معاذ قال: سمعت ابن عون يقول: أول من تكلم من الناس في القدر بالبصرة معبد الجهني وأبو يونس الأسواري[1].

إسناد هذا الأثر صحيح.

وقصد الآجري به تأكيد أن مذهب منكري القدر أصله ناشئ عن خبثاء النصارى، فإن الأسواري هذا هو سوسن النصراني الذي تظاهر بالإسلام كيدًا، ثم عاد إلى نصرانيته، فهو أستاذ معبد الجهني إمام السوء لمنكري القدر.



(١) رواه الفريابي في «القدر» [٤٠٨] وابن بطة في «الإبانة» (١٩٥٢، ١٩٥٣، ١٩٥٥، ١٩٥٧-الأثيوبي) واللالكائي [١٣٩٦] والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢١٧) من طرق عن ابن عون بمعناه تامًا ومختصرًا.

٥٥٨- وأخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا مرحوم ابن عبدالعزيز، عن أبيه و عمه سمعتهما يقولان: سمعنا الحسن وهو ينهى عن مجالسة معبد الجهني ويقول: لا تجالسوه فإنه ضال مضل[١].

أثر الحسن هذا تقدم أنه ضعيف، وللحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوال كثيرة في ذم القدرية والتحذير منهم ومن مذهبهم.



---

(١) سبق تخريجه برقم [٥٥١].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أن القدري لا يقول: اللهم وفقني، ولا يقول: اللهم اعصمني، ولا يقول: ولا حول ولا قوة إلا بالله، لأن عنده: أن المشيئة إليه، إن شاء أطاع وإن شاء عصى، واحذروا مذاهبهم لا يفتنوكم عن دينكم.

هنا يبين الإمام الآجري سوء مذهب القدرية، وأن الشر انتهى بهم أنهم لا يسألون الله أن يوفقهم ويعصمهم من المعاصي والذنوب، ولا يقولون: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ لأنهم في اعتقادهم أن المشيئة إليهم إن شاؤوا أطاعوا وإن شاؤوا عصوا، ولا دخل لمشيئة الله في ذلك، وهذا تكذيب للقرآن والسنة.



٥٥٩ـ أخبرنا الفريابي قال: حدثنا عمر[و] بن علي قال: سمعت معاذ بن معاذ يقول: صليت أنا وعمر[و] بن الهيثم الرقاشي خلف الربيع بن برة، قال معاذ: أخبرني عمر بن الهيثم: أنه حضرته الصلاة مرة أخرى، فصلى خلفه، قال: فقعدت أدعو، فقال: لعلك ممن يقول: اللهم اعصمني؟ قال معاذ: فأعدت تلك الصلاة بعد عشرين سنة[1].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكان الربيع بن برة هذا قدريًا، وكان من المتعبدين عندهم.

إسناد هذا الأثر إلى معاذ بن معاذ صحيح.

وقصد الآجري من سوقه دعم قوله: إن القدري لا يقول: اللهم وفقني...الخ، وعمرو بن الهيثم هذا بصري وهو ثقة.

ولما تبين لمعاذ حال الربيع بن برة من سؤاله هذا أنه قدري وأنه لا يستعين بالله ولا يعتصم به، أعاد صلاته التي صلاها وراءه، ولعل معاذًا كان يُكفِّر القدرية كحال كثير من السلف كما مر بك، وقد قدمنا أن كثيرًا من السلف لا يكفرون القدرية المتأخرين وإن كان بعض السلف يكفرهم، فمن يكفرهم يرى أن الصلاة لا تصح خلفهم كمعاذ هذا.



---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» [١٩٣١] عن المصنف. ورواه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٥٣) عن محمد بن عيسى عن عمرو بن علي به.

٥٦٠- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا عمرو بن علي قال: سمعت معاذ بن معاذ يقول: أخبرني عمرو بن الهيثم قال: خرجت في سفينة إلى الأبلة أنا وقاضيها هبيرة بن العديس قال: وصحبنا في السفينة مجوسي وقدري، قال: فقال القدري للمجوسي: أسلم، فقال المجوسي: حتى يريد الله، فقال القدري: الله يريد والشيطان لا يدعك، قال: يقول المجوسي: أراد الله، وأراد الشيطان، فكان ما أراد الشيطان، هذا شيطان قوي[1].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا كلام ذكره الفريابي بالفارسية عن القدري والمجوسي، ثم فسره لنا الفريابي بهذا المعنى أو نحوه.

إسناد هذه القصة إلى عمرو بن الهيثم صحيح، وهو ثقة.

وفي هذه القصة عبرة عظيمة تبين شدة فساد مذهب القدرية المنكرين للقدر، وأنه إنكار لقدرة الله ومشيئته، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.



---

(١) رواه ابن بطة (١٩١٣-الأثيوبي) من طريق الحسن بن علي بن زيد عن الفلاس به.

٥٦١- حدثنا أبو الفضل العباس بن يوسف الشكلي قال: قال بعض العلماء مسألة يُقطع بها القدري، يقال له: أخبرنا: أراد الله عَزَّوَجَلَّ من العباد أن يؤمنوا فلم يقدر، أو قدر ولم يرده؟

فإن قال: قدر فلم يرد، قيل له: فمن يهدي من لم يرد الله هدايته؟ فإن قال: أراد فلم يقدر، قيل له: لا يشك جميع الخلق أنك قد كفرت يا عدو الله[1].

يؤكد الإمام الآجري أن منكري القدر ينكرون قدرة الله على الهداية والإضلال، ومثل هذا الاحتجاج يقصم ظهور القدرية ويلقمهم أحجارًا.



---

(١) رواه ابن بطة (١٩٣٢-الأثيوبي) من طرق عن الشكلي به نحوه.

٥٦٢- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا أبو تقي هشام بن عبد الملك قال: حدثنا بقية بن الوليد قال: حدثني أبو غياث قال: بينا أنا أغسل رجلًا من أهل القدر قال: فتفرقوا عني، فبقيت أنا وحدي فقلت: ويل للمكذبين بأقدار الله، قال: فانتفض حتى سقط عن دفه، قال: فلما دفناه عند باب الشرقي فرأيت في ليلتي تلك في منامي، كأني منصرف من المسجد، إذا بجنازة في السوق يحملها حبشيان رجلاها بين يديها فقلت: ما هذا؟ قالوا: فلان، قلت: سبحان الله، أليس قد دفناه عند باب الشرقي؟ قال: دفنتموه في غير موضعه، فقلت: والله لأتبعنه حتى أنظر ما يصنع به، فلما أن خرجوا به من باب اليهود مالوا به إلى نواويس النصارى، فأتوا قبرًا منها فدفنوه فيه، فبدت لي رجلاه، فإذا هو أشد سوادًا من الليل.

قصة هذا القدري التي يرويها أبو غياث إن صحت ففيها عبرة تنبئ عن سوء هذا المعتقد وخطره ونهاية أهله، إضافة إلى ما يعلمه أهل السنة والحق من بطلان هذا المذهب ومضادته لنصوص الكتاب والسنة.



٥٦٣- أخبرنا الفريابي قال: حدثني أحمد بن أبي الحواري - إملاء علي - قال: قلت لأبي سليمان الداراني: من أراد الحظوة فليتواضع بالطاعة، فقال لي: ويحك، وأي شيء التواضع؟ إنما التواضع أن لا تعجب بعملك، وكيف يعجب عاقل بعمله؟ وإنما يعد العمل نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ، ينبغي أن يشكر الله عَزَّوَجَلَّ عليها ويتواضع، إنما يعجب بعمله القدري الذي يزعم أنه يعمل، فأما من زعم أنه يستعمل، فكيف يعجب؟[(١)].

التواضع هو ضد الكبر والاستعلاء، والتواضع لله من أعظم العبادات، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»[(٢)].

والعُجب قرين الرياء ويحبط العمل، نعوذ بالله من ذلك، ولا يبعد أن القدري يُعجب بعمله؛ لأنه لا يراه نعمة من الله ولا بتوفيقه، فلا يشكر الله بسبب سوء تصوره واعتقاده الباطل.



---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (١٩٢٩، و١٩٣٠-الأثيوبي) من طريقين عن أحمد بن أبي الحواري به. ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٦٣ و٢٧٢) عن ابن أبي الحواري مفرّقًا.

(٢) رواه مسلم في «البر والصلة» حديث [٢٥٨٨]، وأحمد (٢/ ٣٨٦)، والترمذي في «البر» حديث [٢٠٢٩] وغيرهم.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقال للقدري: يا من لعب به الشيطان، يا من ينكر أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق الشر، أليس إبليس أصل كل شر؟ أليس الله عَزَّوَجَلَّ خلق الشياطين وأرسلهم على من أراد ليضلوهم عن طريق الرشد؟ فأي حجة لك يا قدري؟ يا من قد حُرم التوفيق، أليس الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٥]، **وقال** عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦ - ٣٧]، **وقال** عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣].

ساق الإمام الآجري في هذا المقطع عددًا من الأدلة والبراهين التي تدمغ أباطيل القدرية، وتقيم عليهم الحجج الشرعية والعقلية، التي تدل على أن الله بيده ملكوت كل شيء، وأنه لا يوجد خير ولا شر في هذا الكون إلا بمشيئته وتقديره، فلا يكون في الكون دقيق من الأمور ولا جليل ولا خير ولا شر إلا بتقدير الله وإذنه، والآيات التي ساقها الآجري دامغة لأباطيل القدرية، فإذا كان الله هو الذي يقيض القرناء للكافرين يزينون لهم الكفر والشرك والفجور، وإذا كان الله يرسل الشياطين على الكافرين تؤزهم وتدفعهم إلى الكفر والانحراف فماذا يبقى للقدرية من الحجج، وإذن لا يكون شر ولا خير في هذا الكون إلا بإرادة الله، لا يكون في ملكه ما لا يريد.

وليس للكافرين والجبرية حجة على الله؛ لأنه أعطاهم العقول والسمع والأبصار، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل إليهم الكتب، فاستكبروا وعاندوا، ومارسوا الكفر والفسوق والفجور برغبتهم واختيارهم، فاستحقوا من الله الغضب والجزاء العظيم الذي هو الخلود في نار الجحيم.

٥٦٤- حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني قال: حدثنا خلف بن هشام البزار قال: حدثنا أبو شهاب - يعني الحناط - عن الأعمش، عن خيثمة و عمارة ابن عمير، عن مسروق قال: دخلت أنا وأبو عطية على عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فقلنا لها: يا أم المؤمنين، إن أبا عبد الرحمن - يعني: ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - يقول: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فأيُّنا يحب الموت؟ فقالت: يرحم الله ابن أم عبد، حدَّث أول الحديث وأمسك عن آخره، ثم أنشأت تحدث. فقالت: إذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ بعبد خيرًا بعث إليه ملكًا قبل موته بعام يسدده ويوفقه، حتى يموت على خير أحايينه، فيقول الناس: مات فلان على خير أحايينه، فإذا حضر ورأى ما أعد له، جعل تتهوع نفسه من الحرص على أن تخرج هناك: أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإذا أراد بعبد غير ذلك، قيض الله له شيطانًا قبل موته يغويه ويصده حتى يموت على شر أحايينه فيقول الناس: مات فلان على شر أحايينه، فإذا حضر ورأى ما أعد له جعل يتبلع نفسه، كراهية أن تخرج، هناك كره لقاء الله وكره الله لقاءه[1].

٥٦٥- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن خيثمة، عن أبي عطية قال: دخلت أنا ومسروق على عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فذكر لها قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: يرحم الله أبا عبد الرحمن، حدثكم أول الحديث، ولم تسألوه عن آخره، وسأحدثكم عن ذلك:

....

(١) في إسناده أبو شهاب الحناط، وهو عبد ربه بن نافع الكناني، قال في «الكاشف»: «صدوق». وقال في «التقريب»: «صدوق يهم».

إن الله عَزَّوَجَلَّ إذا أراد بعبد خيرًا قيض له قبل موته ملكًا يسدده ويبشره، حتى يموت وهو على خير ما كان، ويقول الناس: مات فلان على خير ما كان، فإذا حضر ورأى ثوابه من الجنة، فجعل تتهوع نفسه، ود لو خرجت نفسه، فذاك حين أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإذا أراد بعبد شرًّا قيض له شيطانًا قبل موته بعام، فجعل يفتنه ويضله حتى يموت على شر ما كان، ويقول الناس: مات فلان على شر ما كان، فإذا حضر ورأى منزله من النار، فجعل يتبلع نفسه أن تخرج، هناك حين كره لقاء الله وكره الله لقاءه[1].

في سياق الحديث من طريقيه غرابة، لا سيما ما نُسب إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من أنها قالت: «**إذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ بعبد خيرًا بعث إليه ملكًا قبل موته بعام يسدده ويوفقه... الخ**».

والحديث منقول على الوجه الصحيح عن عدد من الصحابة: عبادة بن الصامت وأبي هريرة وأبي موسى الأشعري وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والكل في صحيح مسلم في «كتاب الذكر» من حديث (٢٦٨٣-٢٦٨٦)، وفي بعض طرقه عن أبي هريرة ثم عائشة ما يأتي:

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا محمد بن عبد الله الرُّزِّي حدثنا خالد بن الحارث الهجيمي حدثنا سعيد عن قتادة عن زرارة عن سعد بن هشام عن عائشة قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ

---

(١) **إسناده صحيح** رجاله ثقات.

رواه إسحاق بن راهويه في مسنده [١٥٩١] عن عيسى بن يونس، والحسين المروزي في زيادات الزهد [٩٧٢] عن محمد بن عبيد، والبيهقي في «القضاء والقدر» [٤٧٧] عن عبد الله بن نمير، (ثلاثتهم) عن الأعمش عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ أَبِي عَطِيَّةَ به.

أَحَبَّ لِقَاءَ الله، أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله، كَرِهَ الله لِقَاءَهُ» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله أَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَ: «لَيْسَ كَذَلِكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ الله وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ الله، فَأَحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ الله وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ الله، وَكَرِهَ الله لِقَاءَهُ»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حدثنا سعيد بن عمرو الأشعثي أخبرنا عبثر عن مطرف عن عامر عن شريح بن هانئ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله، أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله، كَرِهَ الله لِقَاءَهُ»، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَذْكُرُ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا إِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَقَدْ هَلَكْنَا، فَقَالَتْ: إِنَّ الْهَالِكَ مَنْ هَلَكَ بِقَوْلِ رَسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله، أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله، كَرِهَ الله لِقَاءَهُ»، وَلَيْسَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَتْ: قَدْ قَالَهُ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ بِالَّذِي تَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ إِذَا شَخَصَ الْبَصَرُ، وَحَشْرَجَ الصَّدْرُ، وَاقْشَعَرَّ الْجِلْدُ، وَتَشَنَّجَتِ الْأَصَابِعُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله، أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله، كَرِهَ الله لِقَاءَهُ»(٢).

فهذا هو الصحيح عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

ويؤيده قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي

(١) «صحيح مسلم» حديث [٢٦٨٤]، والترمذي حديث [١٠٦٧].
(٢) «صحيح مسلم» حديث [٢٦٨٥].

ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾

[فصلت: ٣٠ - ٣٢]

فهذا التنزل من الملائكة، وهذه البشائر هي عند احتضار المؤمن، وعندها يرى مقعده من الجنة، وهذا حين يفرح بلقاء الله.

وقال تعالى في شأن الكافرين: ﴿... وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة الأنعام (٣/ ٣٠٢-سامي ابن سلامة):

«قال الله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: في سكراته وغمراته وكُرُباته، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بالضرب، كقوله: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾...الآية [المائدة: ٢٨]، وقوله: ﴿وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾...الآية [الممتحنة: ٢].

وقال الضحاك، وأبو صالح: ﴿بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بالعذاب. كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠]؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بالضرب لهم، حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم؛ ولهذا يقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾، وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنَّكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده، وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ

بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣] أي: اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته، والانقياد لرسله.

وقد وردت الأحاديث المتواترة في كيفية احتضار المؤمن والكافر عند الموت، وهي مقررة عند قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].



قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٦٦- حدثنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن عاصم الدمشقي قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: حدثنا عبد الله بن حجر قال: قال عبد الله بن المبارك - يعني: لرجل سمعه - يقول: ما أجرأ فلانًا على الله، فقال: لا تقل: ما أجرأ فلانًا على الله، فإن الله عَزَّوَجَلَّ أكرم من أن يجترأ عليه، ولكن قل: ما أغرَّ فلانًا بالله، قال: فحدثت به أبا سليمان الداراني فقال: صدق ابن المبارك، الله عَزَّوَجَلَّ أكبر من أن يجترأ عليه، ولكنهم هانوا عليه، فتركهم ومعاصيهم، ولو كرموا عليه لمنعهم منها[1].

أقول:

يرشد الإمام عبد الله بن المبارك إلى الأسلوب الأرشد في التأدب مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وتوجيهه هذا مأخوذ من قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

وقوله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

أعاذنا الله من ذلك.

وأيدَّ الداراني قول ابن المبارك، ثم قال: «ولكنهم هانوا عليه»، يعني: أهل الضلال، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، نعوذ بالله من الخزي والهوان.

❁❁❁

---

(١) رجال إسناده ثقات، إلا عبد الله بن حجر لم أجد له ترجمة إلا أن يكون مصحفًا عن علي بن حجر السعدي؛ فإنه روى عن ابن المبارك وروى عنه ابن أبي الحواري كما في «التهذيب» (٧/ ٢٩٣-٢٩٤). فإن كان عليًّا فالأثر صحيح. والله أعلم.

رواه ابن بطة (١٩٤٤-الأثيوبي) عن المصنف. ورواه ابن عساكر في تاريخه (٣٤/ ١٥١) من طريق أبي الجهم عن ابن أبي الحواري عن ابن حجر - هكذا لم يسمه - به.

٥٦٧ـ حدثنا ابن صاعد يحيى بن محمد بن يحيى أبو محمد قال: حدثنا الحسن ابن الحسين المروزي قال: أخبرنا ابن المبارك قال: أخبرنا شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قول الله تَعَالَى: ﴿أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥] قال: الأيدي: القوة في العمل، والأبصار: بصرهم ما هم فيه من دينهم[1].

في إسناده شريك بن عبد الله النخعي، قال الحافظ ابن حجر: صدوق يخطئ كثيرًا، وقال فيه الذهبي في «الكاشف»: أحد الأعلام... وثّقه ابن معين، وقال غيره: سيئ الحفظ، وقال النسائي: ليس به بأس، وهو أعلم بحديث الكوفيين من الثوري، قاله ابن المبارك، وسعيد بن جبير من الكوفيين، وتفسيره هذا للآية صحيح.



(١) رواه الحسين المروزي في «زوائد الزهد» -رواية ابن صاعد- [١٥١٦]. ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٨٤) من طريق الوركاني عن شريك به. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٩٧-١٩٨) إلى عبد بن حميد.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن اعترض بعض هؤلاء القدرية بتأويله الخطأ فقال: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩]، فيزعم أن السيئة من نفسه، دون أن يكون الله عَزَّوَجَلَّ قضاها وقدرها عليه.

قيل له: يا جاهل، إن الذي أنزلت عليه هذه الآية هو أعلم بتأويلها منك، وهو الذي بين لنا جميع ما تقدم ذكرنا له من إثبات القدر، وكذلك الصحابة الذين شاهدوا التنزيل، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، هم الذين بينوا لنا ولك إثبات المقادير بكل ما هو كائن من خير وشر.

وقيل له: لو عقلت تأويلها لم تعارض بها، ولعلمت أن الحجة عليك لا لك فإن قال: كيف؟ قيل له: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩] أليس الله أصابه بها: خيرًا كان أو شرًّا؟ فاعقل يا جاهل، أليس قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ﴾ [يوسف: ٥٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٠٠]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢]، وهذا في القرآن كثير.

ألا ترى أن الله عَزَّوَجَلَّ يخبرنا أن كل مصيبة تكون بالعباد من خير أو شر فالله عَزَّوَجَلَّ يصيبهم بها، وقد كتب مصابهم في عالم قد سبق، وجرى به القلم على حسب ما تقدم ذكرنا له.

....

فاعقلوا يا مسلمين فإن القدري محروم من التوفيق.

وقد روي: أن هذه الآية التي يحتج بها القدري في قراءة عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب: ﴿مَآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ، وأنا كتبتها عليك﴾.

٥٦٨- أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي قال: حدثنا محمد بن بكار قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه قال: في قراءة عبد الله و أبي بن كعب: «ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك»[1].

يبين الإمام الآجري جهل القدرية بمعنى هذه الآية التي يحتجون بها على مذهبهم الفاسد في أفعال العباد، لا سيما المعاصي خارجة عن مشيئة الله، ثم قام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالبيان الصحيح لمعنى هذه الآية الكريمة، وقدمت تفسيرها تحت حديث [٤٩٨] من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو يوافق تفسير الإمام الآجري.



---

(١) أثر ضعيف، سبق تخريجه برقم [٤٩٨].

٥٦٩- أخبرنا الفريابي قال: حدثنا قتيبة بن سعيد وعبد الأعلى بن حماد قالا: حدثنا المعتمر بن سليمان، عن حميد الطويل، عن ثابت، عن الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قضي القضاء، وجف القلم، وأمور تقضى في كتاب قد خلا[(١)].

كلام الحسن حسن، وهو منتزع من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



---

(١) رواه ابن بطة (١٩٤٦-الأثيوبي) من طريق معتمر به.

ورواه الفريابي في «القدر» [٩٩] وعبد الله بن أحمد في السنة [٨٨١] وابن بطة (١٨٣٠-الأثيوبي) من طرق عن حماد بن سلمة عن حميد به.

ورواه الطبراني [١٦٨٤] وعبد الله بن أحمد في «السنة» [٨٧٥] والفريابي في «القدر» [١٠٢] وابن بطة (١٣٧٧-الأثيوبي) وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٠١) واللالكائي [١٢٣٤] والبيهقي في «القضاء والقدر» [٤٧٦] من طرق عن محمد بن جحادة عن قتادة عن أبي السوار العدوي عن الحسن بن علي بنحوه.

[٥٧٠] أخبرنا الفريابي قال: حدثني أبو بكر محمد بن إسحاق قال: حدثنا أصبغ بن الفرج قال: أخبرني ابن وهب قال: أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت رسول الله فقلت: إني رجل شاب، وأنا أخاف على نفسي العنت، ولا أجد ما أتزوج به النساء، فائذن لي أختصي، قال: فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك، فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك، فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أبا هريرة، قد جف القلم بما أنت لاق، فاختص على ذلك أو ذر».

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحيح، رواه البخاري في «النكاح» حديث [٥٠٧٦].

وقد يفهم بعض الناس منه جواز الاختصاء، وليس الأمر كذلك، فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نهى عن الاختصاء، كما في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا نغزو مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس لنا شيء، فقلنا: ألا نختصي، فنهانا عن ذلك... الحديث[(١)].

قال الحافظ ابن حجر: «هو نهي تحريم بلا خلاف في بني آدم، وفيه من المفاسد أيضًا تعذيب النفس والتشويه، مع إدخال الضرر الذي قد يفضي إلى الهلاك»، انظر: «فتح الباري» (٩/ ٢١).

والشاهد من الحديث هنا في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يا أبا هريرة، قد جف القلم بما أنت لاق، فاختص على ذلك أو ذر»**.

فإن فيه إثباتًا للقدر، وفي معنى هذا قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«رفعت الأقلام وجفت الصحف»**[(٢)].

---

(١) **متفق عليه**، رواه البخاري في «النكاح» حديث [٥٠٧٥] ومسلم في «النكاح» [١٤٠٤].

(٢) سبق تخريجه.

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»(١).

وقال تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾ [يس: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [الحديد: ٢٢].

وهذه الآيات والأحاديث وغيرها من النصوص تدمغ ضلالات القدرية.



(١) رواه مسلم في «القدر» حديث [٢٦٥٣].

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أن الله عَزَّوَجَلَّ أمر العباد باتباع صراطه المستقيم، وأن لا يعوجوا عنه يمينًا ولا شمالًا، فقال جل ذكره: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ثم قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨] ففي الظاهر: أنه جل ذكره أمرهم بالاستقامة واتباع سبيله وجعل في الظاهر إليهم المشيئة، ثم أعلمهم بعد ذلك: أنكم لن تشاءوا إلا أن أشاء أنا لكم ما فيه هدايتكم، وأن مشيئتكم تبع لمشيئتي، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

فأعلمهم أن مشيئتهم تبع لمشيئته عَزَّوَجَلَّ.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [البقرة: ١٤٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

الظاهر أن الإمام الآجري أراد بهذا الكلام بيان ما أوجبه الله على العباد من عبادته وطاعته والاستقامة على شرعه، فمن وحد الله وأطاعه واتبع شرعه، جازاه الله جزاء المحسنين المطيعين بإدخاله الجنة خالدًا في نعيم مقيم، ومن خالف أوامر الله وشرعه، واتبع سبيل الشيطان استحق من الله العذاب والعقاب، فإن كانت مخالفته شركًا بالله أو كفرًا به فحكمه الخلود في النار أبد الآبدين، وإن كانت مخالفته معاصي دون الشرك فهو

في مشـيئة الله إن شـاء عفا عنه، وإن شـاء عذبه على قدر ذنوبه، ثم يخرجه الله من النار إما بشفاعة الشافعين وإما بمحض رحمته وهو أرحم الراحمين.

فالكافر والعاصي والجبري لا حجة لهم في القدر السـابق؛ إذ لا يجوز الاحتجاج به إلا في المصائب، ولا يجوز الاحتجاج به في المعاصي والمعايب.

فعـلى عبـاد الله أن يعبدوه ويحققـوا الغاية التي خلقوا من أجلهـا، هذا هو واجبهم وعنـه يسـألون، وأمـا ما كتبـه الله على فلان أو فلان فأمـر غيبـي لا يعلمـه إلا الله، وعلى العبد أن لا يتجاوز حدود العبودية، وأن يعرف قدر نفسه، فلا ينازع الله في أمره وشرعه ولا في علمه وتقديره.

وأراد الإمـام الآجـري بقولـه: « **ثم قـال** عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾، **ففي الظاهـر: أنـه جل ذكره أمرهم بالاسـتقامة واتباع سـبيله وجعـل في الظاهر إليهم المشـيئة...الخ**»، إثبـات أن للعبـاد مشـيئة وإرادة واختيـارًا وقدرة وعقـلًا، وهذه مناط المسـئولية أمـام الله، فمـن سـخر هـذه المواهـب في عبـادة الله وطاعتـه أكرمـه الله بالجنة ونعيمها، ومن سخرها في الكفر بالله وارتكاب معاصيه استحق من الله الإهانة والعذاب في نار الجحيم، وفي إثبات هذه المشـيئة للعباد رد على الجبرية الضالين المسـقطين للأوامر والنواهي احتجاجًا باطلًا بالقدر.

وفي قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ رد على القدرية الذين يعتقدون أن للعباد مشيئة مسـتقلة لا ارتبـاط لهـا بمشـيئة الله، وأن أعمال العبـاد لا تدخل تحت مشـيئة الله وإرادته الكونية والشرعية، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، فمؤدى قولهم: إن إرادة العباد

تغلـب إرادة الله، وأنـه يجـري في هذا الكون الـذي خلقه ما لا يريده، تعـالى الله عما يقول الظالمون ملء السموات والأرض.



قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: انقطعت حجة كل قدري قد لعب به الشيطان فهو في غيه يتردد، والحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به.

(وبعد) فقد اجتهدت وبينت في إثبات القدر بما قال الله عَزَّوَجَلَّ، وبما قال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المبين عن الله عَزَّوَجَلَّ ما أنزله في كتابه، وذكرت قول الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقول التابعين، وكثير من أئمة المسلمين، على معنى الكتاب والسنة.

فمن لم يؤمن بهذا فهو ممن قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

هذا تلخيص من الإمام الآجري لكل ما عرضه في أبواب القدر من نصوص قرآنية ونبوية وما عرضه من أقوال الصحابة وأئمة الإسلام من إثبات للقدر وطعن وذم في منكريه.

ولقد أطال هذا الإمام النفس في قضية القدر وإثباته وشدة النكير على منكريه، فعقد في ذلك ستة عشر بابًا شحنها بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقوال علماء الأمة وأئمتها في إثبات القدر، وذم القدرية ومذهبهم، فأجاد وأفاد، وأمعن في النصح للعباد، فجزاه الله أحسن الجزاء وأكرمه في المعاد.



الجزء السابع



قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحمد لله على جميل إحسانه، ودوام نعمه، حمد من يعلم أن مولاه الكريم يحب الحمد، فله الحمد على كل حال، وصلى الله على محمد النبي الأمي وسلم، وعلى آله أجمعين، وحسبي الله ونعم الوكيل.

أما بعد: فإن الله جل ذكره وتقدست أسماؤه، خلق خلقه كما أراد لما أراد، فجعلهم شقيًا وسعيدًا.

فأما أهل الشقوة فكفروا بالله العظيم وعبدوا غيره، وعصوا رسله، وجحدوا كتبه، فأماتهم على ذلك فهم في قبورهم يعذبون، وفي القيامة عن النظر إلى الله محجوبون، وإلى جهنم واردون، وفي أنواع العذاب يتقلبون، وللشياطين مقارنون، وهم فيها أبدًا خالدون.

وأما أهل السعادة: فهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، فآمنوا بالله وحده، ولم يشركوا به شيئًا، وصدقوا القول بالفعل، فأماتهم على ذلك، فهم في قبورهم

....

ينعمـون، وعند المحشـر يبشـرون، وفي الموقـف إلى الله عَزَّوَجَلَّ بأعينهـم ينظرون، وإلى الجنة بعد ذلك وافدون، وفي نعيمها يتفكهون، وللحور العين معانقون، والولدان لهم يخدمون، وفي جوار مولاهم الكريم أبدًا خالدون، ولربهم عَزَّوَجَلَّ في داره زائرون، وبالنظر إلى وجهـه الكريـم يتلذذون، وله مكلمون، وبالتحية لهم من الله عَزَّوَجَلَّ، والسـلام منه عليهم يكرمون؛ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فإن اعترض جاهل ممن لا علم معه، أو بعض هؤلاء الجهمية الذين لم يوفقوا للرشـاد، ولعب بهم الشـيطان وحرموا التوفيق فقال: وهـل المؤمنون يرون الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة؟

قيل له: نعم، والحمد لله على ذلك.

فإن قال الجهمي: أنا لا أؤمن بهذا.

قيل له: كفرت بالله العظيم.

فإن قال: وما الحجة؟

قيل: لأنك رددت القرآن والسنة، وقول الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقول علماء المسلمين، واتبعـت غير سـبيل المؤمنين، وكنت ممن قـال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ ﴾

[النساء: ١١٥]

فأما نص القرآن فقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾

[القيامة: ٢٢ - ٢٣]

....

وقـال عَزَّوَجَلَّ مخـبرًا عن الكفار أنهـم محجوبون عن رؤيتـه فقال تَعَالَىٰ ذكره: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥ - ١٧]

فـدل بهذه الآيـة: أن المؤمنين ينظرون إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وأنهم غير محجوبين عن رؤيته، كرامة منه لهم.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦].

فروي أن الزيادة هي النظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ.

وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣ - ٤٤].

واعلـم - رحمـك الله - أن عنـد أهـل العلم باللغـة أن اللقي هاهنـا لا يكون إلا معاينة، يراهم الله عَزَّوَجَلَّ ويرونه، ويسلم عليهم ويكلمهم ويكلمونه.

قـال محمد بن الحسـين رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد قـال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

فـكان ممـا بينه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمتـه في هذه الآيـات: أنه أعلمهـم في غير حديث: «إنكـم تـرون ربكـم عَزَّوَجَلَّ» رواه جماعة مـن صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقبلهـا العلماء عنهم أحسـن القبـول، كمـا قبلوا عنهم علم الطهـارة والصلاة والـزكاة والصيام والحج والجهـاد، وعلـم الحـلال والحرام، كـذا قبلوا منهـم الأخبار: أن المؤمنـين يرون الله عَزَّوَجَلَّ، لا يشكون في ذلك، ثم قالوا: من رد هذه الأحاديث فقد كفر.

....

٥٧١ ـ حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري قال: حدثني مضر القاري قال: حدثنا عبد الواحد بن زيد قال: سمعت الحسن يقول: لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم عَزَّوَجَلَّ لذابت أنفسهم في الدنيا(١).

٥٧٢ ـ حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد العطشي قال: حدثنا أبو حفص عمر بن مدرك القاص قال: حدثنا مكي بن إبراهيم قال: حدثنا هشام بن حسان عن الحسن قال: «إن الله عَزَّوَجَلَّ ليتجلى لأهل الجنة، فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة»(٢).

٥٧٣ ـ حدثنا أبو بكر بن أبي داود السجستاني قال: حدثنا يوسف بن موسى القطان قال: حدثنا جرير ـ يعني ابن عبد الحميد ـ عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن كعب الأحبار قال: ما نظر الله عَزَّوَجَلَّ إلى الجنة قط إلا قال: طيبي لأهلك، فزادت ضعفًا على ما كانت، حتى يأتيها أهلها، وما من يوم كان لهم عيدًا في الدنيا إلا يخرجون في مقداره في رياض الجنة، فيبرز لهم الرب عَزَّوَجَلَّ، فينظرون إليه، وتسفي عليهم الريح بالمسك والطيب، ولا يسألون ربهم عَزَّوَجَلَّ شيئًا إلا أعطاهم، حتى يرجعوا وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفًا، ثم يرجعون إلى أزواجهم وقد ازدادوا مثل ذلك(٣).

---

(١) ضعيف جدًّا، فيه عبد الواحد بن زيد، قال يحيى بن معين: ليس بشيء. وقال البخاري: تركوه. «الميزان».
رواه عبد الله بن أحمد في السنة [١٠٧٢] وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٥٩) واللالكائي [٨٦٩] من طرق عن عبيد الله بن عمر به.

(٢) ضعيف جدًّا، فيه عمر بن مدرك القاص، قال في «الميزان»: «ضعيف. قال يحيى بن معين: كذاب».

(٣) إسناده فيه ضعف، فيه يزيد بن أبي زياد الهاشمي مولى عبد الله بن الحارث، قال في «الكاشف»: =

٥٧٤ - حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا أحمد بن صالح قال: حدثنا عبد الله بن وهب قال: قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الناس ينظرون إلى الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة بأعينهم(١).

٥٧٥ - حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا عبد الوهاب الوراق قال: قلت للأسود بن سالم: هذه الآثار التي تروى في معاني النظر إلى الله عَزَّوَجَلَّ ونحوها من الأخبار؟ فقال: نحلف عليها بالطلاق والمشي. قال عبد الوهاب: معناه: نصدق بها(٢).

٥٧٦ - حدثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي قال: حدثنا محمد بن سليمان لوين قال: قلت لسفيان بن عيينة: هذه الأحاديث التي تروى في الرؤية؟ فقال: حق على ما سمعناها ممن نثق به(٣).

٥٧٧ - حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال: حدثنا الفضل بن زياد قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وبلغه عن رجل أنه قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يُرى في الآخرة، فغضب غضبًا شديدًا ثم قال: من قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يُرى في

....

= «صدوق رديء الحفظ لم يترك». وقال في «التقريب»: «ضعيف كبر فتغير وصار يتلقن وكان شيعيًا».
رواه الدارمي في «الرد على الجهمية»، ص: [١٢١] من طريق أبي الربيع الزهراني عن جرير به.

(١) إسناده صحيح:

رواه الدراج في جزئه (١١٣/٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٦) واللالكائي [٨٧٠] والسلفي في «الطيوريات» [٩٢٣] من طرق عن ابن أبي داود به.

(٢) إسناده صحيح.

(٣) إسناده صحيح:

رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٤٢٤] والدارقطني في «الصفات» [٥٩] وذكره اللالكائي – من كتاب ابن أبي حاتم – [٨٧٧] من طرق عن لوين به.

الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه، من كان من الناس، أليس الله جل ذكره قال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] هذا دليل على أن المؤمنين يرون الله [١] عَزَّوَجَلَّ.

٥٧٨ ـ حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال: حدثنا حنبل بن إسحاق بن حنبل قال: سمعت أبا عبد الله يقول قالت الجهمية: إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يرى في الآخرة، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]، فلا يكون هذا إلا أن الله عَزَّوَجَلَّ يرى، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، فهذا النظر إلى الله عَزَّوَجَلَّ والأحاديث التي رويت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم ترون ربكم» بروايات صحيحة، وأسانيد غير مدفوعة، والقرآن شاهد أن الله عَزَّوَجَلَّ يرى في الآخرة[٢].

٥٧٩ ـ حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا محمد بن يحيى ابن عبد الكريم الأزدي قال: حدثنا علي بن الحسن بن شقيق قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية[٣].

---

(١) في إسناده الفضل بن زياد، صاحب الإمام أحمد، ترجم له الخطيب في «تأريخ بغداد» (١٤/ ٣٣٠)، وابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٥١-٢٥٣)، وذكر تقدير الإمام أحمد له، ونقل عنه عددًا من النصوص تتعلق بالعقيدة. وفيه: «كان من المتقدمين عند أحمد، وكان يعرف قدره ويكرمه، وكان يصلي بأبي عبد الله».

رواه ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٥٣) مختصرًا.

(٢) إسناده صحيح.

(٣) إسناده صحيح:

رواه الدارمي في «الرد على الجهمية»، ص: [٢٦]، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٢٣، ٢١٦)، =

٥٨٠ - حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار قال: حدثنا أبو داود السجستاني قال: سمعت أحمد بن حنبل - وذكر عنده شيء من الرؤية - فغضب وقال: من قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ لا يُرى، فهو كافر(١).

٥٨١ - حدثنا أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان قال: حدثنا العباس بن محمد الدوري قال: سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول - وذكر عنده هذه الأحاديث في الرؤية - فقال: هذه عندنا حق، نقلها الناس بعضهم عن بعض(٢).

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمن رغب عما كان عليه هؤلاء الأئمة الذين لا يستوحش من ذكرهم، وخالف الكتاب والسنة، ورضي بقول جهم وبشر المريسي وأشباههما، فهو كافر.

فأما مما تأدى إلينا من التفسير في بعض ما تلوته، مما حضرني ذكره: فأنا أذكره إن شاء الله، ثم أذكر السنن الثابتة في النظر إلى الله عَزَّوَجَلَّ، مما تقوى به قلوب أهل الحق، وتقر به أعينهم، وتذل به نفوس أهل الزيغ، وتسخن به أعينهم في الدنيا والآخرة.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه وبعد:

= والخلال في «السنة» (١٦٨٤، ١٦٨٥)، وابن بطة في «الإبانة» (٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤-الوابل)، والداني في «الرسالة الوافية» [٢٢٤]، والذهبي في «السير» (٨/ ٤٠١) من طرق عن علي بن الحسن بن شقيق به.

(١) إسناده صحيح: رواه أبو داود في «مسائل أحمد» (٣٥٣/ ١٧٠٠-طارق).

(٢) إسناده صحيح: رواه الدارقطني في «الصفات» [٥٧]، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٧٦٠]، واللالكائي [٩٢٨]، من طرق عن الدوري به مطوّلًا.

فالإيمان بصفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وبأسمائه أمر مقرَّر في كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليه الأنبياء والمرسلون والمؤمنون والصديقون في كل زمان ومكان ولله الحمد، وقد ابتلي المؤمنون المسلمون بأهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة والخوارج فشوَّشوا على هذه العقائد الصحيحة الثابتة بكتاب الله وبسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتتمشى مع العقل والفطرة، شوَّشوا عليها وأوَّلوها وحرَّفوها، فتصدى لهم أئمة السنة وبيَّنوا ما هم عليه من الضلال منذ انحرف هؤلاء القوم وأهل السنة يبيِّنون ضلالات هؤلاء القوم سواء تعلق بالأسماء والصفات أو تعلق برؤية الله أو تعلق بشيء من العقائد الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عقد الإمام الآجري هذا الجزء السابع باسم «كتاب التصديق بالنظر إلى وجه الله عَزَّ وَجَلَّ».

وله كتاب يُنسب له ولعله هو هذا الجزء من الشريعة يُسمَّى: «كتاب التصديق بالنظر إلى الله عَزَّ وَجَلَّ» وألَّف في ذلك الدارقطني وغيره لأهمية هذا الموضوع، وهنا بعد المقدمة التي ساقها رَحِمَهُ اللَّهُ في الثناء على الله عَزَّ وَجَلَّ وحمد الله عَزَّ وَجَلَّ ومصير أهل النار أهل الشقاء ومصير أهل السعادة، قال بعد ذلك:

[فإن اعترض جاهل ممن لا علم معه، أو بعض هؤلاء الجهمية - أي: المتعالمين المدعين العلم - **الذين لم يوفقوا للرشاد، ولعب بهم الشيطان وحرموا التوفيق فقال: والمؤمنون يرون الله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة؟]** أي: استفهام استنكاري يستنكر أن يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة لأن هذا عنده من المستحيلات قبحهم الله ومما ينزهون الله عنه، قبّح الله رأيهم، لأن الرؤية في زعمهم لا تحصل إلا للأجسام والله ليس بجسم قبحهم الله.

المعدومات هي التي لا ترى، وأما الله العظيم الجليل فيُرى، ولكن الناس الآن لا يطيقون رؤيته كما سيأتي في الحديث عن طلب موسى من الله أن ينظر إليه، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فهذا الجبل الصلد القوي صار دكًّا بمجرد أن تجلى الله له، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا يراه البشر ولا يراه المؤمنون في هذه الدنيا لا يرونه، ولكن الله يكافئهم بإيمانهم بالغيب من الإيمان بذاته جَلَّ وَعَلَا وصفاته وأسمائه ومن الإيمان بالجنة والنار ومن غيرها من الأمور الغيبية يكافئهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالنعيم في الجنة ويكافئهم برؤيته والنظر إلى وجهه الكريم وهو أعظم ما يتمتعون به من نعيم الجنة أو من النعيم في الدار الآخرة.

قال المصنف مجيبًا على سؤال هذا الجهمي الضال: [**فقل له: نعم، والحمد لله على ذلك. إن المؤمنين يرون ربهم وهذا من أعظم نعم الله عَزَّوَجَلَّ التي يستحق عليها الحمد**].

[**فإن قال الجهمي: أنا لا أؤمن بهذا**] كيف لا تؤمن بهذا وقد نص عليه القرآن ونصت عليه السنة النبوية في أحاديث متواترة والقرآن نص عليه في أدلة متعددة في نصوص متعددة، ودان بذلك الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام، ما الذي يجعلك لا تؤمن به ما الذي يحملك على الكفر بهذا الأمر العظيم؟

فقل له: كفرت بالله العظيم. لأنك رددت الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، فليس أحد من الصحابة ينكر رؤية الله، قد سمعوا أحاديث الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فآمنوا

....

بها، قرؤوا القرآن فآمنوا بما فيه من النصوص ولم يستنكر منهم أحد أبدًا أن الله يُرى في الآخرة.

وجاء هؤلاء الضلال فأنكروا استواء الله على عرشه، وأنكروا نزوله ومجيئه ورحمته وغضبه، وأنكروا رؤيته، وأنكروا سائر أسمائه وصفاته، والمعتزلة شاركوا الجهمية إلى حد كبير في إنكار صفات الله عَزَّوَجَلَّ.

[فإن قال: وما الحجة؟] ما الحجة على رؤية الله، وأن الله يرى، وعلى أني كافر؟

[قيل: لأنك رددت القرآن والسنة، وقول الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقول علماء المسلمين، واتبعت غير سبيل المؤمنين] سبيل المؤمنين الإيمان بصفات الله عَزَّوَجَلَّ ومنها الرؤية، وأنت اتخذت سبيلًا آخر غير سبيلهم، **[وكنت ممن قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]]**.

فهذا وعيد شديد لمن يخالف سبيل المؤمنين، وسبيل المؤمنين يعني أمر مهم جدًّا في عقيدة المسلم ومنهجه، فلا بد أن نسلك سبيلهم، ومن سبيلهم الإيمان بأسماء الله وصفاته، بما في ذلك رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة، والتسليم لله عَزَّوَجَلَّ، والتصديق بأخباره، والتسليم للرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والتصديق بما يخبرهم به، فهذا سبيل المؤمنين، آمنوا وصدَّقوا بكتاب الله وبسنة رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وجاء الجهمية فخالفوا سبيل المؤمنين وهم يستحقون هذا الوعيد وهذا الذم الشديد، وكذلك كل من خالف سبيل المؤمنين في قضايا أو قضية واحدة يستحق هذا الوعيد؛ وهذا من الأدلة على أن الإجماع حجة.

الإمام الشافعي وغيره من أئمة الإسلام احتجوا على أن الإجماع أصل من أصول الإسلام وحجة من حجج الله على عباده بهذه الآية: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، فهذا المُشاقُّ قد يكون كافرًا، وهذا من الأدلة على أنه لا يُكفَّر الإنسان إلا بعد أن يتبين له الهدى ثم يخالفه يعني هذا من الأدلة للأئمة القائلين بأنك لا تكفر إنسانًا ينتمي للإسلام إلا بعد أن تقيم عليه الحجة، منها -من الأدلة- هذه الآية: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [النساء: ١١٥]، فإذا حصل منه مخالفة بغير علم وبجهل منه لا يُكفَّر ويجب أن ينبه وتقام عليه الحجة، فإذا عاند بعد إقامة الحجة وبلوغ العلم له فحينئذ يكفر.

الآن يسوق الإمام الآجري الأدلة على أن من ينكر رؤية الله عَزَّوَجَلَّ فهو كافر، وهذه العبارات يطلقها السلف، ولكن لابد أن نلاحظ أنه لابد من إقامة الحجة على من يقع في مُكفِّر.

[فأما نص القرآن فقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] حسنة جميلة تنظر إلى ربها، يعني عليها نضرة النعيم، فينظرون إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فهنا أسند النظر إلى الوجه الذي هو موضع النظر بالعينين: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] وجوه يومئذ جميلة حسنة رائعة من لذة النعيم في الجنة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٣]، فعُدِّيَ النظر هنا بإلى، وإذا عُدِّيَ النظر بـ «إلى» كان نصًّا في الرؤية بالعين.

لأن النظر كما يقال له عدة استعمالات، إن كان متعديًا بنفسه فالمراد به التوقف والانتظار؛ كما قال تَعَالَىٰ إخبارًا عن المنافقين إذ يخاطبون المؤمنين حينما يُضرَب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبَله العذاب يقولون: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]، ﴿ٱنظُرُونَا﴾: **يعني:** انتظرونا، فالنظر هنا تعدَّى بنفسه، ﴿ٱنظُرُونَا﴾: الضمير مفعول به للنظر تعدَّى إليه النظر بنفسه فهو من الانتظار بمعنى: انتظرونا، توقفوا لنا، وانتظرونا حتى نلحق بكم ونقتبس من نوركم ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ [الحديد: ١٣] هذا مصير المنافقين والعياذ بالله.

وإذا تعدى النظر بـ «في» فمعناه التفكر والاعتبار: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] **يعني:** تفكروا فيها، فهنا النظر بمعنى التفكر والاعتبار في هذا الكون ماذا في السموات وماذا في الأرض من الآيات، وهذا ما يدرك إلا بالتفكير والتدبر والتعقل.

وإذا عُدِّي بـ «إلى» فمعناه المعاينة بالأبصار؛ كما في الآية هذه: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٩] انظروا إلى...، نظر بالعين، فإذا تعدى النظر بإلى فهو نص في الرؤية بالعين.

المعتزلة ومنهم أحد كبارهم الزمخشري في «الكشاف» وهو يدس عقائده دسًّا ماكرًا، ولا يعرف هذا المكر إلا الأذكياء النبلاء، ولهذا قال بعض العلماء: إني أستخرج ما يدسه بالمناقيش.

فيقول «إلى» هنا جمع «إل»، وهذا من المغالطات، بل إن «إلى» هنا حرف جر، لكن هذا الملبس يقول إن «إلى»هنا جمع، جمع «إل» وهو النعمة، وهذا تلاعب.

والدليل الثاني: قول الله تَعَالَىٰ في مصير الكفار وماذا يلاقون من العذاب الشديد، وعلى رأس هذا العذاب والعقوبة والنكال أنهم محجوبون عن رؤية الله التي هي فوق نعيم الجنـة، فلا ينالون هذا النعيم والعياذ بالله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] هـذا مـن جملة ما يعاقبهـم الله ويعذبهم بـه وهو الحرمان مـن رؤيته الذي هـو أعلى نعيم عنـد أهل الجنـة: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٥ - ١٧]. يحجبـون عـن الله ويصلون بالنـار ويوبخون هذا التوبيخ ويبكتون هذا التبكيت، فجعل على رأس هذا الشـقاء والعذاب أنهم محجوبون عن رؤية الله، وهذا يدل على أن المؤمنين ينعمون برؤية الله، حيث هؤلاء عوقبوا سَخِطَ الله عليهم، فعاقبهم بأن حال بينهم وبين رؤيته وبين كلامه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آل عمران: ٧٧]، والمؤمنـون ينظـر الله إليهـم ويكلمهـم، ولهم النعيم المقيم، فالآية يؤخذ منهـا أن المؤمنين يرون ربهم حيث أن الله عاقـب بعدمهـا أعداءه الذين سـخط عليهم، وأنه تَعَالَىٰ يمن عـلى أوليائه من الأنبياء والصديقين والصالحين والشهداء وغيرهم يمن عليهم بهذه النعمة العظيمة التي حرمها أعداءه. وهذه الآية الكريمة احتج بها الإمام الشـافعي والإمام أحمد وغيرهما، هذا الذي يعقلـه العقـلاء أنـه إذا كان يعذب أعـداءه بعدم رؤيته فلا شـك أنَّ عكس هـذا أن ينعم عـلى أوليائـه وأحبائه بأن يكرمهم بهذه النعمة العظيمة التي هي فوق كل نعمة وفوق كل نعيم.

فدل بهذه الآية: أن المؤمنين ينظرون إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وأنهم غير محجوبين عن رؤيته، إكرامًا منه لهم.

هذا مقتضى الآية بالإضافة للأدلة الكثيرة من القرآن والسنة.

[وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]]: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾: في هذه الدنيا بالإيمان الصادق والعمل الصالح والاستقامة على دين الله والجهاد في سبيله والقيام بهذا الدين، ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهي الجنة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ٧] الحسنى الجنة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦] الذين أحسنوا في دينهم وأعمالهم الحسنى ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ عليها، ما هذه الزيادة؟ فسرها رسول الله صَلَّىٰللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ برؤية الله والنظر إلى وجهه الكريم، وفسرها كذلك السلف برؤية الله، هذا من جملة الأدلة من الكتاب على أن المؤمنين يرون ربهم في الجنة، وفيها حديث رواه مسلم عن صهيب عن النبي صَلَّىٰللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«إذا دخل أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قال: يقول الله** تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: **تُرِيدُونَ شيئًا أَزِيدُكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وتنجينا من النَّارِ، قال: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فما أُعْطُوا شيئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ من النَّظَرِ إلى رَبِّهِمْ** عَزَّوَجَلَّ»(١)، وأحاديث كثيرة عن الصحابة وستأتي إن شاء الله.

[وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣ - ٤٤]].

فاللقاء هنا هو الرؤية لله عَزَّوَجَلَّ.



(١) «صحيح مسلم»، كتاب «الإيمان»، حديث [١٨١].

الأسئلة

سؤال: **يقول السائل: هل من يعتقد أن الله في كل مكان بذاته بسبب التلبيس عليه وقلب الحقائق كافر ولا يعذر بالجهل، علمًا بأن كثيرًا منهم مجرد ما تبين لهم سرعان ما يرجع؟**

جواب: أنا قررت - ودائمًا أقرر- أنه لابد من قيام الحجة، وفي هذا الدرس مرات قررت هذا، كيف يأتي هذا السؤال؟ هل جاء في كلامي أني أُكَفِّر هكذا بدون قيام حجة؟ هو يقول لابد من قيام الحجة مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله يصلي ويصوم، ثم تأول هذه الأشياء، لكن نحن لا نكفره حتى نقيم عليه الحجة وكررت هذا مرات.

سؤال: **ويقول أيضًا: إني يا شيخ أسأل بعض الناس: أين الله؟ لكي أعرف ما عندهم من عقيدة وأقوم بنصحه، فهل فعلي هذا صحيح؟**

جواب: الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل: «**أين الله؟**»[1] سأل الجارية، وأهل البدع والضلال لا يجيزون السؤال بأين.

إذا دعت الحاجة لا تشغل نفسك وتشغل الناس بهذا، إذا دعت الحاجة ورأيت الإنسان يعطل علو الله عَزَّ وَجَلَّ واحتجت أن تسأل هذا السؤال فاسأله. لكن تجعله مشغلة، فلا. أنت إذا شككت فيه تقرأ عليه آيات الاستواء، وتقول: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذكر استواءه في سبعة مواضع من كتابه الكريم، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٦]، وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠]، وتذكر الأدلة ومنهج السلف يعني بطريقة العرض النافع، إذا قال

---

(١) رواه مسلم في كتاب «المساجد»، حديث [٥٣٧].

لـك: هـذا غلط، والمذهب الصحيح خلافه، أكد له الحجة وتسأله الأسئلة، منها قول الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أين الله؟**» للجارية: قالت في السماء، وأقرها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشهد لها بالإيمان لأنها اعترفت بأن الله في السماء.

سؤال: يقول السائل: هل يجوز استعمال هذا اللفظ؟ قال الله حكاية عن المنافقين، وحكاية عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

جواب: إخبارًا، أحسن أن يقول إخبارًا؛ لأن كلمة حكاية هذه يأتي بها الأشاعرة أن القرآن حكاية عن كلام الله وليس كلام الله، فيقع اللَّبس، قد يسمعك إنسان فيظنك من الأشاعرة عندما تقول حكاية، لأنهم يعتبرون القرآن حكاية عن كلام الله وليس كلام الله؛ لأن كلام الله عندهم هو المعنى النفسي القائم بالذات من غير حرف ولا صوت، وبعضهم غلا فقال هذا القرآن الموجود في المصاحف مخلوق من أواخر الأشاعرة، والأولون وإن كانوا يعتقدون هذه العقيدة لكن ما يتوقحون إلى هذه الدرجة، فالمتأخرون بعضهم توقح وقال: هذا القرآن الموجود ليس هو كلام الله ومخلوق.

والأصل كانوا يقولون القرآن حكاية عن كلام الله.

القرآن كلام الله لفظه ومعناه كلام الله سواء تُلي بالألسن أو كُتب في المصاحف أو حُفظ في الصدور فالقرآن كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. الصوت صوت القاري والكلام كلام الباري. الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يتكلم بحرف وصوت وسمعه جبريل من الله، وجبريل بلغه لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحمد بلغ لأصحابه، والصحابة بلغوه لهذه الأمة.

سؤال: يقول السائل: ما الدليل على أن حجاب الله مخلوق؟

جواب: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦]، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غاير بينه وبين هذا النور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو مخلوق، كل شيء سوى الله مخلوق.



سؤال: لعله خلط بين حديث: «حجابه النور»[(١)]؟

جواب: حجابه النور حاجب ومحتجب، الحاجب حجاب مخلوق الله خلقه الله خلق النور، وخلق الظلمات، خلق الظلمات والنور هذه الأدلة ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦].

ما أدري من أين جاءت الشبهة لمثل هذا الإنسان المسكين غفر الله له!

سؤال: يقول السائل: ما الدليل على أن حجاب الله مخلوق وهل هو صفة من صفاته جَلَّ وَعَلَا؟ ثم يقول: هل هناك فرق بين الرؤية والتجلي؟

جواب: هذه الأسئلة فيها تنطع زائد والله، ليست أسئلة سلفية، فالسلف كانوا يكرهون التنطع في الأسئلة يا إخوان، ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ نهى عن قيل وقال وكثرة السؤال[(٢)].

ما الدليل أن الحجاب مخلوق؟ وأنت، ما الدليل على أن حجاب الله هو صفة لله؟ أنا أقول للسائل: ما الدليل أن هذا الحجاب صفة ذاتية لله عَزَّوَجَلَّ؟

الدليل على أن الحجاب مخلوق قوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦] خلق السموات والأرض والعرش والكرسي وخلق هذا النور، وخلق الظلمات والنور، والله خالق كل شيء.

أم هو صفة من صفاته عَزَّوَجَلَّ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، ولهذا هذا النور ما يضر لأنه ليس من ذات الله، أما نور الله الذي هو وصفه لو زيح هذا الحجاب لاحترق

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم في «الإيمان» حديث [١٧٩].

(٢) رواه البخاري في «الرقاق» حديث [٦٤٧٣] ومسلم في «الحدود» حديث (٥٩٣م).

كل شيء ينتهي إليه بصره تَعَالَىٰ، فكم الفرق بين هذا النور المخلوق وبين نور الله الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي هو صفة من صفات الخالق، ألا ترى هذا الفرق الكبير.

وهل قال بذلك أحد من الأئمة يرجع إليه؟ وهل قال أحد من الأئمة أن هذا النور صفة من صفات الله؟ النص واضح -يا أخي-: «**حجابه النور**» ما قال هذا الحجاب وصف لله عَزَّوَجَلَّ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من رحمته خلق هذا النور وجعله حجابًا حتى لا يهلك هذا الكون، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل ما انتهى إليه بصره، كيف نوره كله؟ لأحرق كل ما انتهى إليه بصره من شيء، وهذا النور ليس له هذا الشأن لماذا؟ لأنه مخلوق، وهذه وساوس اتركوها.

سؤال: هل الجبل رأى الله عَزَّوَجَلَّ؟

جواب: لا ما رأى الله ولا يراه؛ لأنه لا يعقل وليس له سمع ولا بصر، لكن لما تجلَّى الله له اندك كما لو تجلى هذا النور للكون لاندكَّ كله.

سؤال: وما الفرق بين الرؤية والتجلي؟

جواب:الرؤية رؤيتنا لله عَزَّوَجَلَّ، غير تجلي الله عَزَّوَجَلَّ، تجلي الله فعله وصفاته، رؤيتنا لله عَزَّوَجَلَّ من صفاتنا نحن مخلوقون مساكين رؤيتنا غير تجلي الله، والله تجلى على شيء لا يَرَى وهو الجبل ولو أمكنت الرؤية في هذه الدنيا لرآه موسى الذي طلبها، وأرجو ألا تسألوا الأسئلة المتعنتة والمبنية على الوساوس، اسألوا أسئلة علمية طيبة.

❃ ❃ ❃

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٨٢- حدثنا أبو شعيب عبدالله بن الحسن الحراني قال: نا محمد بن حاتم قال: أنا علي ابن عاصم قال: أخبرني موسى بن عبيدة الربذي، عن محمد بن كعب القرظي في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] قال: «نضر الله تلك الوجوه وحسنها للنظر إليه».

٥٨٣- وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا محمد بن يحيى بن عثمان قال: نا أبو سمرة قال: عن علي بن ثابت، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب في قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: «نضرها الله تَعَالَىٰ للنظر إليه»[1].

٥٨٤- وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: نا يعقوب بن سفيان، وداود بن سليمان، أن أبا نعيم الفضل بن دكين حدثهم، عن سلمة بن سابور، عن عطية، عن ابن عباس في قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ يعني: «حسنها» ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: «نظرت إلى الخالق عَزَّ وَجَلَّ»[2].

....

(١) أثر ضعيف: رواه المصنف من طريقين عن موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن كعب، والربذي ضعيف، قال في الكاشف: «ضعفوه». وقال في التقريب: «ضعيف ولاسيما في عبد الله ابن دينار».
أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٤٧٧] عن أحمد بن منيع عن علي بن ثابت به.

(٢) إسناده فيه ضعف، فيه عطية وهو ابن سعد العوفي، قال في «الكاشف»: «ضعفوه». وقال في «التقريب»: «صدوق يخطىء كثيرًا وكان شيعيًا مدلسًا». وسلمة بن سابور، قال في «اللسان»: «ضعفه ابن معين... وقال ابن حبان في «الثقات»: كان يحيى القطان يتكلم فيه، ومن المحال أن يلحق بسلمة ما جنت يدا عطية».

رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٤٨٥] والبيهقي في «الاعتقاد»، ص: [١٣٣] من طريق أبي نعيم به.

٥٨٥- وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال نا محمد بن عبد الملك، وعبد الله بن محمد بن خلاد قالا: نا يزيد بن هارون قال: نا مبارك، عن الحسن في قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: «النضرة: الحسن» ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: «نظرت إلى ربها عَزَّوَجَلَّ فنضرت لنوره»[(١)].

٥٨٦- حدثنا عمر بن أيوب السقطي قال: نا الحسن بن الصباح قال: نا علي ابن الحسن بن شقيق قال: نا الحسين بن واقد،: أنا يزيد النحوي، عن عكرمة في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: «من النعيم» ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: «تنظر إلى ربها عَزَّوَجَلَّ نظرًا».

٥٨٧- وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: نا محمد بن منصور قال: نا علي بن الحسن ابن شقيق قال: نا الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة في قول الله تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: «تنظر إلى الله تَعَالَىٰ نظرًا»[(٢)].

٥٨٨- وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: نا أحمد بن الأزهر قال: نا إبراهيم بن الحكم قال: نا أبي، عن عكرمة قال: قيل لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كل من دخل الجنة يرى الله تَعَالَىٰ؟ قال: نعم»[(٣)].

---

(١) إسناده فيه ضعف، فيه مبارك بن فضالة، قال في «الكاشف»: «صدوق يدلس ويسوي». ولم يصرح هنا بالتحديث. رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٧٩، ١٠٣٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٥٦) والطبري في «التفسير» (٢٤/ ٧٢) واللالكائي [٨٠٠] من طرق عن المبارك نحوه.

(٢) أثر صحيح، رواه المصنف من طريقين رجالها ثقات، عن علي بن الحسن بن شقيق بإسناد صحيح عن عكرمة.
رواه الدارمي في «الرد على الجهمية»، ص: [١٢١]، وعبد الله بن أحمد في «السنة» [٤٨١] والطبري في «التفسير» (٢٤/ ٧٢)، واللالكائي [٨٠٢] من طرق عن علي بن الحسن بن شقيق به.

(٣) إسناده ضعيف، فيه إبراهيم بن الحكم، قال في «التقريب»: «ضعيف وصل مراسيل».

٥٨٩- حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني قال: نا علي بن عبد الله المديني قال: نا حماد بن أسامة قال: حدثني زكريا، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد البجلي، عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قول الله تَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال: «النظر إلى وجه الله تَعَالَى»[(١)].

٥٩٠- وحدثنا جعفر بن محمد الصندلي قال: نا زهير بن محمد المروزي: قال: نا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد،عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قول الله تَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «الزيادة: النظر إلى وجه الله تَعَالَى»[(٢)].

٥٩١/أ- أخبرنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري قال: نا هناد بن السري قال: نا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد، عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٣)].

---

(١) **أثر ضعيف**: رواه المصنف من ثلاث طرق عن أبي إسحاق - وهو السبيعي - عن عامر بن سعد عن أبي بكر.
وأبو إسحاق ثقة إلا أنه مدلس كما في «التهذيب» و«طبقات المدلسين» ولم يصرح بالسماع هنا، وعامر ابن سعد هو البجلي، قال في «الكاشف»: «وثق». لكن حديثه عن أبي بكر مرسل، كما في «التهذيب».
رواه الدارقطني في «الرؤية» (١٩٢، ١٩٤) من طريقين عن زكريا به.

(٢) تقدم الكلام عليه.

(٣) رواه هناد في «الزهد» [١٧٠] عن وكيع به، ورواه إسحاق في مسنده (٣/ ٧٩٣) وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨٣-الجوابرة)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» [٤٧١]، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» [٣٤٢]، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٥٠) والدارقطني في «الرؤية» [١٩٣]، والنحاس في «الرؤية» [١٤]، واللالكائي [٧٨٤] من طرق عن وكيع به.
ورواه الطبري في تفسيره (١٥/ ٦٣)، وابن منده في «الرد على الجهمية»، ص: [٥١]، والدارقطني في «الرؤية» (١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠١) والنحاس في «الرؤية» [١٤] والبيهقي في «الأسماء والصفات» =

٥٩١/ ب- وعن أبي إسحاق، عن مسلم بن نذير، عن حذيفة في قول الله تَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ **قالا: «النظر إلى الله تَعَالَىٰ»**[(١)].

هـذه الآثار كلها تدور عـلى إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة والنظر إليه عَزَّوَجَلَّ بأبصارهم، وقد تقدم شرح ذلك وبيانه والحمد لله.



= [٦٦٦] وفي «الاعتقاد»، ص: [١٣١]، من طرق أخرى عن أبي إسحاق به.

(١) إسـناده لا بأس به لولا ما يخشـى من تدليس أبي إسـحاق السبيعي، فمسلم بن نذير، ويقال: ابن يزيد السعدي، قال في «الكاشف»: «صالح».

رواه هناد في «الزهد» [١٧٠] عن وكيع به. ورواه إسـحاق في مسـنده (٣/ ٧٩٣)، وابن أبي الدنيا في «صفـة الجنة» [٣٤٣] وعبد الله بن أحمد في «السـنة» [٤٧٣] وابن خزيمـة في «التوحيد» (٢/ ٤٥٠)، والدارقطني في «الرؤية» (٢٠٢ و٢٠٣) واللالكائي (٧٨٣ و٧٨٤)، من طريق وكيع به.

ورواه الطـبري في «التفسـير» (١٥/ ٦٤) والدارقطني في «الرؤيـة» [٢٠٤] من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن إسرائيل به.

ورواه ابـن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٥٢) والدارقطني في «الرؤية» [٢٠٥] من طريقين آخرين عن أبي إسحاق به.

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما السنن فإنا سنذكر ما روى صحابي صحابي على الانفراد، ليكون أوعى لمن سمعه، وأرادحفظه إن شاء الله تَعَالَىٰ.

فمما روى جرير بن عبد الله البجلي.

٥٩٢- حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني قال: نا محمد بن الصباح الدولابي قال: نا وكيع بن الجراح قال: نا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا عند رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنظر إلى القمر ليلة البدر قال: «إنكم ستعرضون على ربكم عَزَّوَجَلَّ فترونه كما ترون هذا القمر، لا تضارون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»(١).

٥٩٣- وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: نا أحمد بن سنان قال: نا يزيد بن هارون، ويعلى ومحمد ابنا عبيد الطنافسي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس ابن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا عند رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة البدر فقال: «إنكم راءون ربكم عَزَّوَجَلَّ كما ترون هذا القمر، لا تضارون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها».

٥٩٤/ أ- وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: نا محمد بن معمر قال: نا روح بن عبادة قال: نا شعبة.

---

(١) حديث جرير بن عبد الله متفق عليه. وقد أخرجه المصنف بأسانيد صحيحة وحسنة.
رواه مسلم في «المساجد ومواضع الصلاة» حديث [٦٣٣] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع وغيره به نحوه، بذكر الآية.

٥٩٤/ ب- وحدثنا أبو بكر النيسابوري قال: نا أبو الأزهر قال: حدثنا روح في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠] قال: نا شعبة قال: سمعت إسماعيل بن أبي خالد قال: سمعت قيس بن أبي حازم قال: سمعت جرير بن عبد الله يقول: كنا عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم عَزَّوَجَلَّ كما ترون هذا القمر، لاتضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على هاتين الصلاتين قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾. وهذا لفظ حديث النيسابوري[(١)].

٥٩٥- حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: نا عبدة بن عبد الله قال: نا حسين الجعفي، عن زائدة بن قدامة، عن بيان، عن قيس بن أبي حازم قال: نا جرير بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة البدر قال: ونظر إلى القمر، فقال: «إنكم ترون ربكم عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته»[(٢)].

ومما روى أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

٥٩٦- أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي قال: نا محمد بن أبي عمر المكي قال: نا سفيان بن عيينة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة، ليست في سحابة؟» قالوا: لا قال: «فهل تضارون في رؤية

---

(١) رواه البخاري في «مواقيت الصلاة» حديث (٥٥٤، ٥٧٣)، وفي «التفسير» حديث [٤٨٥١] وفي «التوحيد» حديث (٧٤٣٤-٧٤٣٥)، ومسلم في «المساجد ومواضع الصلاة» حديث [٦٣٣]، من طرق أخرى عن إسماعيل بن أبي خالد به نحوه، مطوَّلًا ومختصرًا.

(٢) رواه البخاري في «التوحيد» حديث [٧٤٣٦] عن عبدة بن عبد الله به.

القمر ليلة البدر، ليس في سحابة؟» قالوا: لا، قال: «فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم، إلا كما لا تضارون في رؤية أحدهما»(١).

٥٩٧- حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال: نا زهير بن محمد قال: أنا عبد الرزاق قال: أنا معمر، عن الزهري، عن عطاء بن يزيد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال الناس: يا رسول الله، هل نرى ربنا عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نعم، هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فإنكم ترون ربكم عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة كذلك».

٥٩٨- وأخبرنا الفريابي قال: نا محمد بن عبيد بن حساب قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال الناس: يا رسول الله هل نرى ربنا عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله قال: «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله قال: «فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك»(٢).

---

(١) **إسناده حسن**، فيه محمد بن أبي عمر العدني نزيل مكة، قال في التقريب: «صدوق، صنف المسند وكان لازم ابن عيينة لكن قال أبو حاتم: كانت فيه غفلة». وفيه سهيل بن أبي صالح، قال في «التقريب»: «صدوق تغير حفظه بأخرة».

رواه مسلم في «الزهد والرقائق» حديث [٢٩٦٨] عن محمد بن أبي عمر به مطوَّلًا.

(٢) حديث صحيح، متفق عليه. رواه المصنف بإسنادين صحيحين.

رواه أحمد في «المسند» [٧٧١٧] عن عبد الرزاق به مطوَّلًا.

ورواه البخاري في «التوحيد» [٧٤٣٧] ومسلم في «الإيمان» حديث [١٨٢] كلاهما من طريق إبراهيم ابن سعد عن الزهري به مطوَّلًا.

٥٩٩- وحدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا محمد بن مصفى قال: حدثنا سويد بن عبد العزيز قال: حدثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن سعيد بن المسيب قال: لقيني أبو هريرة فقال: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، قلت: وفيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ: «أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا بفضل أعمالهم، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون الله عَزَّوَجَلَّ فيه، فيبرز الله عَزَّوَجَلَّ لهم عن عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ويوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم دنيء على كثبان المسك والكافور، وما يرون أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا» قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قلت: يا رسول الله، هل نرى ربنا؟ قال: «نعم؛ هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟» قلنا: لا، قال: «فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم عَزَّوَجَلَّ» وذكر الحديث بطوله[(1)].

....

= ورواه البخاري في «الأذان» حديث [٨٠٦] ومسلم في «الإيمان» حديث [١٨٢]،كلاهما من طريق أبي اليمان عن شعيب عن الزهري عن عطاء وعن سعيد المسيب عن أبي هريرة نحوه.

(١) **حديث ضعيف**: إسناده ضعيف جدًّا، فيه سويد بن عبد العزيز، هو الدمشقي، قال في «التقريب»: «ضعيف جدًّا».

وأخرجه الترمذي في «أبواب صفة الجنة» حديث [٢٥٤٦] وابن ماجه في «الزهد» حديث [٤٣٣٦] كلاهما عن هشام بن عمار عن عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين عن الأوزاعي به.

قال الترمذي: «هَـذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَـذَا الوَجْهِ، وَقَدْ رَوَى سُوَيْدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنِ الأَوْزَاعِيِّ، شَيْئًا مِنْ هَذَا الحَدِيثِ».

والحديث أعله أحمد والدارقطني وأبو أحمد الحاكم وأبو يعلى الخليلي وغيرهم بالانقطاع. انظر: مسائل الإمام أحمد -برواية أبي داود- (٣٩١ رقم ١٨٧٤)، و«العلل» للدارقطني (٧/ ٢٧٥-٢٧٦)، و«الإرشاد» للخليلي -بتجزئة السلفي- ج: [١]، ص: [٤٤٧]، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤/ ٥٧)، و«السلسلة الضعيفة» للألباني (٤/ ٢١١-٢١٢) برقم [١٧٢٢].

مما رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٦٠٠- حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا عيسى بن حماد زغبة قال: أنا الليث بن سعد، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلنا: يا رسول الله، أنرى ربنا عَزَّ وَجَلَّ؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هل تضارون في رؤية الشمس إذا كان يوم صحو؟» قلنا: لا قال: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر أو قال: صحو[1]؟» قلنا: لا قال: «فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم عَزَّ وَجَلَّ يومئذ، إلا كما لا تضارون في رؤيتهما»[2].

٦٠١- وحدثنا ابن أبي داود أيضًا قال: حدثنا عمي محمد بن الأشعث، وعبد الله بن محمد بن النعمان قالا: حدثنا ابن الأصبهاني قال: أخبرنا عبد الله بن

---

(١) كذا، ولعله «ليلة صحو».

(٢) حديث صحيح متفق عليه. أخرجه المصنف بإسناد صحيح. فيه سعيد بن أبي هلال، قال في التقريب: «صدوق لم أر لابن حزم في تضعيفه سلفًا، إلا أن الساجي حكى عن أحمد أنه اختلط». قلت: لكن قال أبو داود في مسائله (برقم٢٥٤): « سَمِعت أَحْمد يَقُول: سعيد بن أبي هِلَال سمعُوا مِنْهُ بِمصْر القدماء فَخرج -زَعَمُوا- إِلَى الْمَدِينَة فَجَاءَهُمْ بِعدْل أَو قَالَ بوسق كتب كتبت عَن الصغار وَعَن كل، وَكَانَ اللَّيْث بن سعد سمع مِنْهُ ثمَّ شكّ فِي بعضه، فَجعل بَينه وَبَين سعيد خَالِدًا». قال أبو داود: «خَالِد بن يزِيد ثِقَة».

رواه مسلم في «الإيمان» حديث [١٨٣] عن عيسى بن حماد به.

ورواه البخاري في «التفسير» حديث [٤٩١٩] عن آدم، وفي «التوحيد» حديث [٧٤٣٩] عن يحيى بن بكير، كلاهما عن الليث به.

ورواه البخاري في «التفسير» حديث [٤٥٨١] عن حفص بن ميسرة، ومسلم في «الإيمان» حديث [١٨٣]، عن حفص بن ميسرة وهشام بن سعد، (حفص وهشام) كلاهما عن زيد بن أسلم به نحوه.

إدريس، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال: قلنا: يا رسول الله، أنرى ربنا عَزَّوَجَلَّ؟ فقال: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة في غير سحاب؟» قلنا: لا؛ قال: «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر في غير سحاب؟» فقلنا: لا، قال: «فإنكم لا تضارون في رؤيته، كما لا تضارون في رؤيتهما»[1].

أحاديث جرير بن عبد الله وأبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كلها تشترك في الدلالة على رؤية المؤمنين لربهم.

وفيها كلها التأكيد على هذه الرؤية، وذلك بتشبيه رؤية المؤمنين لربهم في الجنة برؤيتهم في الدنيا للشمس والقمر في ليلة البدر ليس دونها سحاب.

وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي، تعالى الله أن يشبهه شيء من خلقه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وفي حديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن مما يؤهل المؤمنين لرؤية ربهم في الدار الآخرة المحافظة على صلاتي الفجر والعصر، فليحافظ عليهما المؤمن، بل وعلى كل الصلوات المفروضة في الجماعة.

وفي هذه الأحاديث كلها أن المؤمنين في الجنة يرون ربهم بدون زحام ولا مضايقة، كما هو الشأن في رؤيتهم للشمس والقمر.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن مما يكرم الله به عباده المؤمنين زيارتهم لربهم ورؤيتهم له أن يوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من

---

(١) إسناده صحيح:

رواه ابن ماجه في «المقدمة» حديث [١٧٩] عن محمد بن العلاء الهمداني عن عبد الله بن إدريس به.
ورواه أحمد في مسنده (١١١٢٠-الرسالة) عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش به نحوه.

ذهب ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم -وما فيهم من دنيء- على كثبان المسك والكافور، وما يرون أصحاب الكراسي بأفضل منهم.

فشـمِّر أيُّها المؤمن عن سـاعد الجد لتكون ممن يكرمهم الله برؤيته وإفضاله وإكرامه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.



ومما رواه صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٦٠٢- حدثنا أبو بكر بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا عبد الوهاب بن عبد الحكم الوراق قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: أنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة نودوا: أن يا أهل الجنة، إن لكم عند الله عَزَّوَجَلَّ موعدًا لم تروه»؛ قالوا: وما هو؟ ألم تبيض وجوهنا؟ وتزحزحنا عن النار؟ وتدخلنا الجنة؟ قال: «فيكشف الحجاب وينظرون إليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فوالله ما أعطاهم الله عَزَّوَجَلَّ شيئًا أحب إليهم منه» ثم تلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1].

٦٠٣- حدثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري قال: حدثنا هناد بن السري قال: حدثنا قبيصة بن عقبة قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب قال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ثم قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل الله عَزَّوَجَلَّ موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويخرجنا[2] من النار؟

---

(١) حديث صحيح: أخرجه المصنف بإسناد صحيح.
رواه مسلم في «الإيمان» حديث [١٨١] عن أبي بكر بن أبي شيبة به.
ورواه مسلم -أيضًا- في «الإيمان» حديث [١٨١] عن عُبَيْد الله بْن عُمَرَ بْنِ مَيْسَرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَهْدِيٍّ عن حماد به، دون ذكر الآية.

(٢) أشار المحقق إلى أن في نسخة (ت): «تجرنا».

فيكشف الحجاب عَزَّوَجَلَّ فينظرون إليه» قال: فوالله ما أعطاهم عَزَّوَجَلَّ شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة[(١)].

٦٠٤- حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال نا يونس بن حبيب قال: نا أبو داود الطيالسي قال نا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب: « أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله تَعَالَىٰ موعدًا فيقولون: ما هو؟ أليس قد بيض وجوهنا وثقل موازيننا وأدخلنا الجنة؟ فيقال: إن لكم عند الله موعدًا - قال -: فيتجلى لهم فينظرون إليه»[(٢)].

ومما روى أبو رزين العقيلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٦٠٥- حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي: قال نا زهير بن محمد المروزي قال: أنا علي بن عثمان اللاحقي قال: نا حماد بن سلمة قال: أنا يعلى ابن عطاء، عن وكيع بن عدس، عن أبي رزين العقيلي قال: قلت: يا رسول الله: أكلنا يرى ربه عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة؟ قال: «نعم» قلت: وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر مخليًا به؟» قلت: بلى، قال: «فالله أعظم» وذكر الحديث.

٦٠٦- حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: نا يونس بن حبيب قال: نا أبو داود يعني الطيالسي قال: نا حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن عدس، عن

---

(١) إسناده صحيح.

رواه هناد في «الزهد» [١٧١] بالإسناد نفسه.

(٢) إسناده صحيح: رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (١٤١١-التركي) بالإسناد نفسه.

أبي رزين قال: قلت: يا رسول الله كلنا يرى ربه عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة؟ قال: «نعم»، قلت: ما آية ذلك؟ قال: «أليس كلكم يرى القمر مخليًّا به؟» قلت: بلى، قال: «فالله أعظم»[(١)].

ومما روى أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٦٠٧- حدثنا أبو القاسم البغوي عبد الله بن محمد قال: نا هدبة بن خالد قال: نا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عمارة القرشي، عن أبي بردة بن أبي موسى قال: وفدت إلى الوليد بن عبد الملك، وكان الذي يعمل في حوائجي عمر بن عبد العزيز، فلما قضيت حوائجي أتيته فودعته وسلمت عليه، ثم مضيت، فذكرت حديثًا حدثني به أبي أنه سمعه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأحببت أن أحدثه به، لما أولاني من قضاء حوائجي، فرجعت إليه، فلما رآني قال: لقد رد الشيخ حاجة، فلما قربت منه، قال: ما ردك؟ أليس قد قضيت حوائجك؟ قلت: بلى، ولكن حديثًا سمعته من أبي، سمعه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأحببت أن أحدثك به لما أوليتني، قال: وما هو؟ قلت: حدثني أبي قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا، فيذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون في الدنيا، ويبقى أهل التوحيد، فيقال لهم: ما تنتظرون وقد ذهب

....

(١) روى المصنف هذا الحديث بإسنادين رجالهما ثقات، إلا وكيع بن عدس، قال فيه الذهبي في «الميزان»: «لا يعرف». وقال الحافظ في «التقريب»: «مقبول».

رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (١١٩٠-التركي) بالإسناد نفسه.

رواه أبو داود في «السنة» حديث [٤٧٣١] وابن ماجه في «المقدمة» حديث [١٨٠] وأحمد -الرسالة- (١٦١٨٦، ١٦١٩٢، ١٦١٩٨) من طرق عن حماد بن سلمة به.

وروواه أبو داود في «السنة» حديث [٤٧٣١] من طريق شعبة عن يعلى بن عطاء به نحوه.

الناس؟ فيقولون: إن لنا ربًّا كنا نعبده في الدنيا لم نره. قال: وتعرفونه إذا رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وكيف تعرفونه ولم تروه؟ قالوا: إنه لاشبه له فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إلى الله عَزَّوَجَلَّ فيخرون له سجدًا، ويبقى قوم في ظهورهم مثل صياصي البقر، فيريدون السجود فلا يستطيعون، فذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: ارفعوا رءوسكم، فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلًا من اليهود والنصارى في النار»، فقال عمر بن عبد العزيز: الله الذي لا إله إلا هو لحدثك أبوك هذا الحديث، سمعه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فحلف له ثلاثة أيمان على ذلك فقال عمر ابن عبد العزيز: ماسمعت في أهل التوحيد حديثًا هو أحب إلي من هذا[(١)].

٦٠٨- حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي قال: نا زهير بن محمد المروزي قال: نا الحسن بن موسى قال: نا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عمارة ابن موسى القرشي، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يجمع الله عَزَّوَجَلَّ الأمم يوم القيامة في صعيد واحد، فإذا بدا له أن يصدع بين خلقه مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون، فيتبعونهم حتى يقحموهم النار، ثم يأتينا ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ونحن على مكان رفيع، فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون فيقول: ما تنتظرون؟: قالوا: ننتظر ربنا عَزَّوَجَلَّ فيقول: هل تعرفونه إذا رأيتموه؟ فيقولون:

(١) في إسناده علي بن زيد بن جدعان، ضعيف كما في «التقريب».

وعمارة بن موسى القرشي، قال في «الميزان»: «قال الأزدي: ضعيف جدًّا، روى عنه علي بن زيد بن جدعان وحده.».

رواه ابن أبي عاصم في «السنة» [٦٣٠] ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» [٢٨٥] واللالكائي [٨٣٢] عن هدبة بن خالد به.

نعم، فيقول: كيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: إنه لا عدل له، فيتجلى لهم ضاحكًا فيقول: أبشروا معاشر المسلمين، فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت مكانه في النار يهوديًّا أو نصرانيًّا»[1].

٦٠٩- حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: نا الحسن بن يحيى بن كثير العنبري قال: حدثني أبي يحيى بن كثير قال: نا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أسلم العجلي، عن أبي بردة[2]، عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: بينا هو يعلمهم شيئًا من أمر دينهم: إذ شخصت أبصارهم فقال: «ما أشخص أبصاركم؟» قالوا: نظرنا إلى القمر، قال: «فكيف بكم إذا رأيتم الله عَزَّوَجَلَّ جهرة»[3].

---

(١) انظر التخريج السابق.
رواه أحمد (١٩٦٥٤-الرسالة) عن الحسن بن موسى وعفان عن حماد بن سلمة به.
ورواه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥٧٦-٥٧٧) وابن بطة في «الإبانة» (٦٨-الوليد نن نبيه) والدارقطني في «الرؤية» (٤٠-٤٢) وتمام في «الفوائد» [٥٢٨] من طرق أخرى عن حماد به، تامًّا ومختصرًا.
ولبعضه أصل في الصحيح، فقد روى مسلم في صحيحه «كتاب التوبة» حديث [٢٧٦٧] من طريق عَفَّان بْن مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، أَنَّ عَوْنًا، وَسَعِيدَ بْنَ أَبِي بُرْدَةَ، حَدَّثَاهُ أَنَّهُمَا شَهِدَا أَبَا بُرْدَةَ يُحَدِّثُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللهُ مَكَانَهُ النَّارَ، يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا**».
(٢) كذا، والصواب: أبو مُراية، كما سيأتي في التخريج.
(٣) في إسناده ضعف، فيه الحسن بن يحيى العنبري، قال في «الميزان»: «قال النسائي: لا بأس به. وقال مرةً: لا شيء خفيف الدماغ».
رواه القاضي عياض في «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع»، ص: [٤٩] من طريق ابن أبي داود به.
ورواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٤٦٥] عن محمد بن عبد الله الرُّزِّي، وابن بطة في «الإبانة» (٢٢-الوليد بن نبيه) عن أحمد ابن المقدام العجلي، كلاهما عن معتمر بن سليمان به، وقالا: عن أبي مراية، بدل أبي بردة.
=

أحاديث صهيب وأبي رزين العقيلي وأبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فيها إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة، وفي أسانيد حديث أبي رزين بعض الضعف، ولكن يعضد بعضها بعضًا، وحديث أبي موسى مداره على علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، وفي ألفاظه غرابة، وما ليس بغريب له شواهد منها ما سلف.

ومنها حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم في «الإيمان» حديث [١٨٣] وعند أبي عوانة حديث [٧٨١].

ففي هذه الأحاديث إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة.

وفي حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تكرم الله على عباده وتذكيرهم بوعده بأن يروه في الجنة، ومن وعده قوله تَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

فالزيادة هي النظر إلى وجهه الكريم، وأن نظرهم إلى وجه الله أحب شيء إليهم، وفوق إنعامه عليهم بجنة عرضها السموات والأرض، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من أنواع الإكرام والإنعام.

= ومن هذا الوجه رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٤١) عن بحر بن نصر عن يحيى بن سليم عن سليمان التيمي به. وقال: «ذِكْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْخَبَرِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ عِلْمِي وَهْمٌ، هَذَا مِنْ قِبَلِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ، لَا مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

ثم رواه (٢/ ٤٤٢) عن بشر المفضل، ورواه الحسن بن عرفة في جزئه [٥٥] ومن طريقه اللالكائي [٨٦٢] عن إسماعيل بن علية، كلاهما عن سليمان التيمي به، عن أبي موسى قوله نحوه. وتابعهما على وقفه يزيد بن هارون وابن أبي عدي، كما في «حادي الأرواح» لابن القيم، ص: [٣٣١].

وأبو مراية تابعي اسمه عبد الله بن عمرو، ذكره البخاري في تاريخه (٥/ ١٥٤) وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥/ ١١٨) برواية ثقتين عنه، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٥/ ٣١)، وقال الدارقطني (٢/ ٣٦٧-موسوعة أقوال الدارقطني): «يعتبر به».

وفي حديث أبي رزين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إثبات رؤية المؤمنين لربهم لا يضارون في رؤيته تَعَالَىٰ.

وكذلك حديث أبي موسى وحديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وفيهما فضح المنافقين في الآخرة وإخزاؤهم على رؤوس الأشهاد، جزاء على نفاقهم وكفرهم، وبعد هذا الخزي مصيرهم إلى الدرك الأسفل من النار.

وفي حديثهما أن كل أمة من أمم الكفر والشرك تتبع ما كانت تعبد، وفيهم يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، إلا من لا يرضى بعبادتهم له كعيسى وعزير، فإنهم ممن قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١ - ١٠٢].



قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومما روى عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

٦١٠- حدثنا أبو عبد الله أحمد بن أبي عوف البزوري قال: نا وهب بن بقية الواسطي قال: نا محمد بن الحسن المدني، عن عبد الأعلى بن أبي المساور، عن المنهال بن عمرو، عن قيس بن سكن، وأبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود كلاهما عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ يجمع الأمم، فينزل عَزَّ وَجَلَّ من عرشه إلى كرسيه، وكرسيه وسع السموات والأرض، فيقول لهم: أترضون أن يتولى كل أمة ما تولوا في الدنيا؟ فيقولون: نعم، فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: أعدل ذلك من ربكم؟ قال: فيقولون: نعم قال: فيمثلون لهم، فمن كان يعبد شمسا مثلت له، ومن كان يعبد القمر مثل له القمر، ومن كان يعبد النار مثلت له النار، ومن كان يعبد صنمًا مثل له، ومن كان يعبد عيسى مثل له عيسى، ومن كان يعبد عزيرًا مثل له عزير، ثم يقال: ليتبع كل أمة منكم ما تولوا في الدنيا، حتى يوردهم النار قال: ثم قرأ: ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴾ [يونس: ٢٨ - ٢٩]، وتبقى أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقال لهم: ما تنتظرون؟ قالوا: إن لنا ربا لم نره بعد فيقال لهم: أتعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: بيننا وبينه علامة قال: فذلك حين يكشف عن ساق قال: فيخرون له سجودًا طويلًا قال: ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر، يريدون السجود فلا يستطيعون قال: فيقال لهم: ارفعوا رءوسكم، وخذوا نوركم على قدر أعمالكم»[1].

....

(١) رواه الطبراني [١٠٣٨٦] من طريق عبد الأعلى بن أبي المساور به، مختصرًا.

وخالفه الأعمش فرواه موقوفًا، أخرجه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» [٢٧٩] عن =

حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا في إسناده عبد الأعلى بن أبي المساور: متروك، وكذبه ابن معين، لكن الحديث في الجملة يشارك حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مضمونه، وقد تقدم.

❁ ❁ ❁

= زائدة و[٢٨١] عن جرير، وأبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» [١١٠٤] والدارقطني في «الرؤية» [١٦٤] كلاهما عن أبي عوانة، (زائدة وجرير وأبو عوانة) - ثلاثتهم - عن الأعمش عن المنهال به موقوفًا. وإحدى طريقيه من جهة قيس حسنة الإسناد، وتقويها طريق أبي عبيدة المنقطعة، والأثر له حكم الرفع؛ لأنه خبر غيب لا يدرك بالاجتهاد.

وروى قطعة منه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٣٣-الحوت) عن أبي معاوية عن الأعمش، وروى قطعة منه أيضًا (٧/ ١٠٧-الحوت) عن عبد الله بن إدريس عن أبيه، (الأعمش وإدريس الأودي) كلاهما عن المنهال عن قيس عن عبد الله موقوفًا. وهذا إسناد حسن أيضًا، وله حكم الرفع.

ورواه محمد بن نصر [٢٨٠] وعبد الله بن أحمد في «السنة» [١٢٠٣] والشاشي في مسنده [٤١٠] والدارقطني في «الرؤية» [١٦٣] من طريق إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة عن محمد بن سلمة عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله مرفوعًا. وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

وتابع زيد بن أبي أنيسة على رفعه أبو خالد الدالاني، رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٢٤، ٨٧٥١)، وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» [٢٧٨] وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥٨٢-٥٨٤) والدارقطني في «الرؤية» [١٦٢]،كلهم من طريقه قال: ثنا المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله نحوه، مرفوعًا. قال الحاكم في الموضع الثاني: «وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وَأَبُو خَالِدٍ الدَّالَانِي مِمَّنْ يُجْمَعُ حَدِيثُهُ فِي أَئِمَّةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ»، فتعقبه الذهبي: «ما أنكره حديثًا على جودة إسناده». قلت: إسناده حسن، أبو خالد الدالاني ثقة وفيه كلام كما في «التهذيب»، وقال في «التقريب»: «صدوق يخطئ كثيرًا وكان يدلس».

ورواه الطبراني [٩٧٦٣] من الوجهين عن المنهال به مرفوعًا، فالحديث ثابت مرفوعًا إن شاء الله. وقد صححه طائفة من أهل العلم كما في «الصحيحة» للألباني [٣١٢٩].

ومما روى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٦١١- حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: نا عمي محمد بن الأشعث قال: نا حسن ابن حسن قال: نا أبي حسن، عن الحسن، عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن أهل الجنة يرون ربهم عَزَّ وَجَلَّ في كل يوم جمعة في رمال الكافور، وأقربهم منه مجلسًا: أسرعهم إليه يوم الجمعة، وأبكرهم غدوًا»[1].

حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في إسناده محمد بن الأشعث، قال فيه الحافظ: «مقبول»، ولبعضه شواهد قد مرَّت.



---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (٣٠-الوليد بن نبيه) عن أَبِي عَمْرٍو عَبْد الله بْن مُحَمَّدِ بْنِ مُسَبِّحٍ الْعَطَّار عن ابـن أبي داود عـن عمه، فقال: عن ابن جسر حَدَّثَنِي أَبِي جَسْرٌ، عَنِ الْحَسَـنِ بـه. وابن جسر هو جعفر ابن جسر بن فرقد، وهو وأبوه ضعيفان متكلم فيهما. انظر: «الميزان» (١/ ٣٩٨-٣٩٩)، (١/ ٤٠٣-٤٠٤).

قلـت: ذكر القاضي أبو يعلى الفراء في «إبطال التأويـلات» (١/ ٢٨٧) هذا الأثر فقال: «إِنَّ أَبَا عَبْدِ الله ابْنَ بطَّةَ رَوَاهُ، عَن أَبِي عُمَر عُبَيْدِ الله بْنِ مسبح الْعَطَّارِ، وَأَبِي يُوسُـفَ يَعْقُوبَ بْنِ يُوسُـفَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالُوا: نا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الله بْنُ سُـلَيْمَانَ أَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ..» وذكره بإسـناد الآجري. ولعل الصواب هو ما وقع عند ابن بطة، وما وقع عند الآجري وأبي يعلى تصحيف. والله أعلم.

ومما روي عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٦١٢- حدثنا أبو الحسن علي بن إسحاق بن زاطيا قال: نا عبد الأعلى بن حماد النرسي قال: نا عمر بن يونس قال: نا جهضم بن عبد الله قال: حدثني أبو ظبية، عن عثمان بن عمير، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتاني جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي كفه مرآة بيضاء، فيها نكتة سوداء؛ فقلت: ما هذه يا جبريل؟ فقال: هذه الجمعة يعرضها عليك ربك عَزَّ وَجَلَّ ليكون لك عيدًا، ولقومك من بعدك، تكون أنت الأول، وتكون اليهود والنصارى من بعدك، قال: قلت: ما لنا فيها؟ قال: لكم فيها خير، لكم فيها ساعة: من دعا الله عَزَّ وَجَلَّ فيها بخير هو له قسم إلا أعطاه الله تَعَالَىٰ، أو ليس له قسم إلا ذخر له ما هو أعظم منه، أو تعوذ فيها من شر ما هو مكتوب عليه إلا أعاذه الله تعالى من أعظم منه، قلت: ما هذه النكتة السوداء فيها؟ قال: هي الساعة تقوم في يوم الجمعة، وهو سيد الأيام عندنا، ونحن ندعوه في الآخرة: يوم المزيد، قال: قلت: ولم تدعونه يوم المزيد؟ قال: إن ربك عَزَّ وَجَلَّ اتخذ في الجنة واديًا أفيح من مسك أبيض، فإذا كان الجمعة نزل تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من عليين على كرسيه، ثم حف الكرسي بمنابر من نور، ثم جاء النبيون حتى يجلسوا عليها ثم حف المنابر بكراسي من ذهب، ثم جاء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها ثم يجيء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثيب ثم يتجلى لهم ربهم عَزَّ وَجَلَّ فينظرون إلى وجهه عَزَّ وَجَلَّ، وهو يقول: أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي: وهذا محل كرامتي، فسلوني، فيسألونه الرضا، فيقول: رضاي أحلكم داري، وأنالكم كرامتي، فسلوني به، فيسألونه، حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، إلى مقدار منصرف الناس من يوم الجمعة،

....

ثم يصعد عَزَّوَجَلَّ على كرسيه، ويصعد معه الصديقون والشهداء، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم درة بيضاء، لا فصم فيها ولا فصل، أو ياقوتة حمراء، أو زبرجدة خضراء، فيها ثمارها، وفيها أزواجها وخدمها، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة، ليزدادوا منه كرامة، وليزدادوا نظرا إلى وجهه عَزَّوَجَلَّ، ولذلك يسمى يوم المزيد» أو كما قال.

٦١٣- وحدثنا البغوي أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال: نا عبد الأعلى ابن حماد فذكر هذا الحديث بطوله إلى آخره[1].

٦١٤- وحدثنا أبو بكر بن أبي داود، وذكر فيه غير طريق، عن أنس، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ نحو ما ذكرناه.

وقال لنا ابن أبي داود: وأبو ظبية؛ اسمه رجاء بن الحارث ثقة قال: وعثمان بن عمير يكنى أبا اليقظان.

حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ ضعيف، وفيه فقرات مستغربة، وما فيه من إثبات رؤية المؤمنين لربهم له شواهد كثيرة، تقدم بعضها.

---

(١) حديث ضعيف: رواه المصنف من طريقين عن عمر بن يونس، عن جهضم بن عبد الله قال: حدثني أبو ظبية، عن عثمان بن عمير، عن أنس بن مالك مرفوعًا. وهذا إسناد ضعيف. فعثمان بن عمير أبو اليقظان، قال فيه في «التقريب»: «وهو عثمان ابن أبي حميد أيضًا البجلي، الكوفي، الأعمى، ضعيف، واختلط، وكان يدلس ويغلو في التشيّع».
رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» [٤٦٠] عن عبد الأعلى بن حماد به.
ورواه ابن طهمان في مشيخته [١١٢]، وابن أبي شيبة (٤/ ٤٧٧-الحوت) والدارمي في «الرد على الجهمية»، ص: [٩١] ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٦٩)، وابن بطة في «الإبانة» (٢٤-الوليد ابن نبيه)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (٥٤-٥٥)، والدارقطني في «الرؤية» (٥٩-٦٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٦٣)، من طرق عن عثمان بن عمير به مطوَّلًا ومختصرًا.

ومما روى جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٦١٥- حدثنا أبو القاسم البغوي عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال: نا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال: نا أبو عاصم عبد الله بن عبيد الله العباداني قال: نا الفضل الرقاشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ طلع لهم نور، فرفعوا رءوسهم فإذا الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد أشرف عليهم من فوقهم؛ فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨] قال: «فينظر إليهم وينظرون إليه، فلايلتفتون إلى شيء من النعيم، ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ويبقى نوره وبركته عليهم، وفي ديارهم»(١).

٦١٦- وحدثنا أبو القاسم أيضًا قال: نا سويد بن سعيد قال: نا مروان بن معاوية، عن الحكم بن أبي خالد، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة: جاءتهم خيول من ياقوت أحمر، لها أجنحة، لا تروث ولا تبول، فيقعدون عليها، ثم طارت بهم في الجنة، فيتجلى لهم الجبار عَزَّ وَجَلَّ فإذا رأوه خروا له سجدًا، فيقول لهم الجبار عَزَّ وَجَلَّ: ارفعوا رءوسكم ليس هذا يوم عمل، إنما هو يوم نعيم وكرامة، فيرفعون رءوسهم، فيمطر الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم طيبًا، فيرجعون إلى أهليهم فيمرون بكثبان المسك فيبعث الله عَزَّ وَجَلَّ على تلك الكثبان ريحًا فيهيجها ؛حتى إنهم ليرجعون إلى أهليهم، وإنهم لشعث غبر من المسك»(٢).

---

(١) رواه ابن ماجه في «المقدمة» حديث [١٨٤] عن ابن أبي الشوارب به.

(٢) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٢٩ -علي رضا) عن أبي محمد بن حيان عن القاسم بن زكريا عن سويد به.

٦١٧- وحدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال: نا الحسين بن الحسن المروزي قال: حدثنا مروان بن معاوية قال: نا الحكم بن أبي خالد، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديمت عليهم الكرامة، جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لها أجنحة لا تبول ولا تروث، فيقعدون عليها، ثم يأتون الجبار عَزَّ وَجَلَّ، فإذا تجلى لهم خروا له سجدًا، فيقول الجبار عَزَّ وَجَلَّ: يا أهل الجنة ارفعوا رءوسكم فقد رضيت عنكم رضا لا سخط بعده، يا أهل الجنة، ارفعوا رءوسكم فإن هذه ليست بدار عمل إنما هي دار مقام ودار نعيم، قال: فيرفعون رءوسهم؛ فيمطر الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم طيبًا، فيرجعون إلى أهليهم فيمرون بكثبان المسك فيبعث الله عَزَّ وَجَلَّ ريحًا على تلك الكثبان فتهيجها في وجوههم، حتى إنهم ليرجعون إلى أهليهم وإنهم وخيولهم، ذكر كلمة، لشباع من المسك»(١).

حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رقم [٦١٥] ضعيف، فيه الفضل بن عيسى الرقاشي: منكر الحديث ورمي بالقدر.

وحديث رقم [٦١٦] عنه أشد ضعفًا، في إسناده الحكم بن أبي خالد الفزاري: متروك، ورمي بالرفض واتهمه ابن معين.

وحديث [٦١٧] ضعيف جدًّا، في إسناده الحكم بن أبي خالد السالف الذكر.

ولو جاء المؤلف بحديث جابر من صحيح مسلم في «الإيمان» لكان أنفع وأوثق، فقد روى مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الإيمان» حديث [١٩١]:

«عن أبي الزبير أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله، يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ، فَقَالَ: نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا، انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ؟ قَالَ: فَتُدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا،

---

(١) رواه المروزي في «زيادات الزهد» [١٥٢٣].

وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقًا، أَوْ مُؤْمِنًا نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا».

ففي هذا الحديث إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة في عرصات القيامة، وفيه إثبات صفة الضحك لله عَزَّوَجَلَّ إكرامًا لعباده.

وفيه إطفاء نور المنافقين الذي أعطاهم الله استدراجًا لهم أولًا ثم أطفأه عليهم.

ثم فيه بيان أن أهل الجنة يأتون زمرًا، الأولى وجوههم كالقمر ليلة البدر؛ سبعون ألفًا لا يحاسبون، والزمرة الثانية كأضوإ نجم في السماء.

وفيه ذكر الشفاعة للمذنبين من الموحدين وإخراج الله لهم من النار، ثم إدخالهم الجنة بفضله ثم بفضل توحيدهم.

❁❁❁

ومما روى عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

٦١٨- أخبرنا الفريابي قال: نا عثمان بن أبي شيبة قال: نا إسماعيل بن علية، عن هشام الدستوائي، عن قتادة، عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر: كيف سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: «يدنو المؤمن يوم القيامة من ربه عَزَّوَجَلَّ حتى يضع كنفه عليه، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: رب أعرف، فيقول: فإني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها اليوم لك، فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكافر والمنافق فينادى بهم على رءوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم»[(١)].

٦١٩- حدثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي قال: نا الحسن بن الصباح البزار قال: نا يزيد بن هارون قال: أنا همام بن يحيى قال: نا قتادة، عن صفوان ابن محرز قال: كنت آخذًا بيد ابن عمر فأتاه رجل فقال: كيف سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في النجوى؟ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يدني الله عَزَّوَجَلَّ المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه فيستره من الناس فيقول: أيا عبدي، تعرف كذا وكذا؟ فيقول: نعم، أي رب ثم يقول: أيا عبدي، تعرف كذا وكذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه وقال في نفسه: إنه هالك، قال الله: فإني سترتها عليك في الدنيا، وقد غفرتها لك اليوم، ويعطى كتاب حسناته»[(٢)].

---

(١) حديث متفق عليه. أخرجه المصنف بإسناد صحيح.

ورواه مسلم في «التوبة» حديث [٢٧٦٨] عن زهير بن حرب عن ابن علية به. ورواه البخاري في «التفسير» حديث [٤٦٨٥] عن مسدد عن يزيد بن زريع عن هشام به نحوه.

(٢) إسناده حسن:

رواه البخاري في «المظالم» حديث [٢٤٤١] عن موسى بن إسماعيل عن همام به.

٦٢٠- وأخبرنا أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب القاضي قال: نا الحسن ابن محمد الزعفراني قال: نا شبابة بن سوار قال: حدثنا إسرائيل، عن ثوير بن أبي فاختة، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة: من ينظر إلى خيامه ونعيمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله عَزَّوَجَلَّ من ينظر إلى وجهه عَزَّوَجَلَّ غدوة وعشية»(١).

٦٢١- حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: نا المسيب بن واضح قال: نا حجاج، عن إسرائيل، عن ثوير بن أبي فاختة، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أهل الجنة من ينظر إلى قصوره وخيامه وما أعد الله عَزَّوَجَلَّ له مسيرة ألف سنة، وإن من هم من ينظر إلى الله عَزَّوَجَلَّ مقدار الدنيا غدوة وعشية»، ثم قرأ ابن عمر: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣](٢).

إسناد حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الأول صحيح، والثاني حسن، وفيهما دليل على كرم الله وحلمه وستره على من شاء من عباده المؤمنين في الدنيا والآخرة.

وفيه تكليم الله لعباده المؤمنين، أما الكفار فلا يكلمهم ولا ينظر إليهم.

= ورواه في «التفسير» حديث [٤٦٨٥] عن مسدد عن سعيد بن أبي عروبة، وفي «التوحيد» حديث [٧٥١٤] عن مسدد عن أبي عوانة، كلاهما عن قتادة به نحوه.

(١) رواه الترمذي في «أبواب صفة الجنة» حديث [٢٥٥٣] عن عبد بن حميد عن شبابة به نحوه ولم يذكر الآية. وقال: «وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ ثُوَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، مَرْفُوعًا. وَرَوَاهُ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ أَبْجَرَ، عَنْ ثُوَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، مَوْقُوفًا. وَرَوَى عُبَيْدُ الله الأَشْجَعِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ ثُوَيْرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَوْلَهُ، وَلَمْ يَرْفَعْهُ. حَدَّثَنَا بِذَلِكَ أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ العَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ الله الأَشْجَعِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ ثُوَيْرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، نَحْوَهُ، وَلَمْ يَرْفَعْهُ».

(٢) رواه أحمد (٥٣١٧-الرسالة) عن حسين بن محمد عن إسرائيل به.

ورواه أحمد [٤٦٢٣] والحاكم [٣٨٨٠] من طريق عبد الملك بن أبجر عن ثوير نحوه.

....

وأما الحديثان الآخران فضعيفان، مدارهما على ثوير بن أبي فاختة: ضعيف، ورمي بالرفض.



ومما روى عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه:

٦٢٢- حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن شاهين قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: نا حماد بن أسامة أبو أسامة قال: نا الأعمش قال: نا خيثمة بن عبد الرحمن، عن عدي بن حاتم الطائي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه تعالى ليس بينه و بينه ترجمان ولا حاجب يحجبه، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئًا قدمه، ثم ينظر أيسر منه فلا يرى إلاشيئًا قدمه، ثم ينظر أمامه فلا يرى إلا النار، اتقوا النار ولو بشق تمرة» [1].

٦٢٣- وأخبرنا الفريابي قال: نا أبو بكر، وعثمان، ابنا أبي شيبة قالا: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه تعالى يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئًا قدمه، ثم ينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئًا قدمه، وينظر أمامه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل».

---

(١) حديث متفق عليه.

رواه البخاري في «التوحيد» حديث [٧٤٤٣] عن يوسف بن موسى عن أبي أسامة به مختصرًا.

ورواه البخاري في «الرقاق» حديث [٦٥٣٩] من طريق حفص بن غياث، ورواه في «التوحيد» حديث [٧٥١٢]، ومسلم في «الزكاة» حديث [١٠١٦]، كلاهما من طريق عيسى بن يونس، (حفص وعيسى) كلاهما عن الأعمش به نحوه.

ورواه البخاري في «التوحيد» حديث [٧٥١٢] عن علي بن حجر، ومسلم في «الزكاة» حديث [١٠١٦] عن علي بن حجر وإسحاق، كلاهما عن عيسى بن يونس عن الأعمش حدثني عمرو بن مرة عن خيثمة به مثله.

ورواه البخاري في «الزكاة» [١٤١٣] من طريق مُحِلِّ بن خليفة عن عدي بن حاتم نحوه مطوَّلًا.

حديث عدي بن حاتم صحيح من الطريقين، وهو من أحاديث البخاري ومسلم.

وفيه بشرى للمؤمنين بأن الله سيكلمهم يوم القيامة، ليس بين العبد وربه ترجمان، ويريه عمله، وما قدمه في الحياة الدنيا.

ففي ذلك حث من رسول الله ﷺ لأمته أن يقدموا لأنفسهم من الأعمال الصالحة ما يرضي ربهم عنهم ويقيهم شر النار.

وفيه حث على التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة دقيقها وجليلها، وبذل المال فلا تحتقرن من بذله شيئًا، ولو كان شقة تمرة، فإنه يتقي بها مع غيرها النار.



حديث شجرة طوبى

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ما أعد للمؤمنين من الكرامات في الجنة في غير موضع من كتابه عَزَّوَجَلَّ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فكان مما أكرمهم به أنه قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد: ٢٩]، وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَجَرَةِ طُوبَى، وَمِمَّا أَعَدَّ الله عَزَّوَجَلَّ فِيهَا مِنْ كَرَامَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا يُكْرِمُهُمْ بِهِ مِنْ زِيَارَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ عَلَى النُّجُبِ مِنَ الْيَاقُوتِ قَدْ نَفَخَ فِيهَا الرُّوحَ، فَيَزُورُونَ الله عَزَّوَجَلَّ فَيَتَجَلَّى لَهُمْ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَيُكَلِّمُهُمْ وَيُكَلِّمُونَهُ، وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ، وَيَزِيدُ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَنَا أَذْكُرُهُ لِيُقِرَّ الله تَعَالَىٰ بِهِ أَعْيُنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَسْخُنَ بِهِ أَعْيُنَ الْمُلْحِدِينَ، وَالله وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.

٦٢٤- أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي قال: نا يزيد بن خالد بن موهب الرملي قال: نا عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث، أن درَّاجًا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن رجلًا قال: طوبى لمن رآك وآمن بك، فقال: «طوبى لمن رآني وآمن بي، ثم طوبى، ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني» فقال رجل: يا رسول الله وما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»[1].

هذا الحديث ضعيف، في إسناده دراج أبو السمح، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف.

---

(١) رواه ابن حبان [٧٢٣٠] وابن أبي داود في «البعث» [٦٨] والطبري في «التفسير» (١٦/ ٤٤٣) من طريق ابن وهب به. ورواه أحمد [١١٦٧٣] وأبو يعلى [١٣٧٤] وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» [١٤٣] من طريق ابن لهيعة عن دراج به.

٦٢٥- وحدثنا أبو بكر محمد بن يحيى بن سليمان المروزي قال: نا أبو طالب عبد الجبار ابن عاصم قال: حدثني عبد الله بن زياد الرملي، عن زرعة بن إبراهيم، عن نافع، عن ابن عمر قال: ذكر عند النبيِّ ﷺ طوبى فقال: «يا أبا بكر هل بلغك ما طوبى؟» قال: الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله أعلم، قال: «طوبى: شجرة في الجنة لا يعلم ما طولها إلا الله عَزَّوَجَلَّ، يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفًا، ورقها الحلل يقع عليها طير كأمثال البخت» قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن هناك لطيرًا ناعمًا يا رسول الله؟ فقال: «أنعم منه من يأكله، وأنت منهم إن شاء الله يا أبا بكر»(١).

الحديث ضعيف، في إسناده زرعة بن إبراهيم الدمشقي، قال الذهبي في «المغني» (١/ ٢٣٨): «زرعة بن إبراهيم عن عطاء، قال أبو حاتم الرازي: ليس بالقوي»، وكذا قال الذهبي في «الميزان».

وفيه عبد الله بن زياد الفلسطيني، قال الذهبي فيه في «الميزان» (٢/ ٤٢٥): «عن زرعة بن إبراهيم بخبر منكر»، ولعله يقصد هذا الحديث.



---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (٦٥-الوليد بن نبيه) من طريق أبي طالب به.

٦٢٦/ أ- حدثنا أبو جعفر محمد بن هارون بن بدينا الدقاق إملاء قال: نا محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي قال: قال: نا المعافى بن عمران، عن أبي إياس إدريس بن سنان، عن وهب بن منبه، عن محمد بن علي.

قال إدريس: ثم لقيت محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين فحدثني قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:...

٦٢٦/ب- وحدثنا أبوعبد الله الحسين بن محمد بن عفير الأنصاري إملاء قال: نا إسحاق بن داود القنطري، عن أحمد بن عبد الله بن يونس قال: نا المعافى ابن عمران قال: نا إدريس بن سنان، عن وهب بن منبه، عن محمد بن علي بن الحسين ابن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال إدريس: ثم لقيت محمد بن الحسين، فحدثني قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن في الجنة شجرة يقال لها: طوبى لو يسخر للراكب الجواد أن يسير في ظلها لسار مائة عام قبل أن يقطعها، ورقها وساقها: برود خضر، وزهرتها رياض صفر، وأفنانها سندس وإستبرق، وثمرها: حلل خضر وماؤها: زنجبيل وعسل، وبطحاؤها: ياقوت أحمر، وزبرجد أخضر، وترابها: مسك وعنبر وكافور أبيض، وحشيشها زعفران منير، والأجوج يتأجج من غير وقود، ويتفجر من أصلها أنهار السلسبيل والمعين والرحيق، وظلها مجلس من مجالس أهل الجنة ومتحدث لجمعهم، فبينا هم في ظلها يتحدثون؛ إذجاءهم الملائكة يقودون نجبًا خلقت من الياقوت، ثم نفخ فيها الروح مزمومة بسلاسل من ذهب، كأن وجوهها المصابيح نضارة وحسنًا، وبرها من أحمر ومرعزى أبيض، لم ينظر الناظرون إلى مثلها حسنًا وبهاءً وجمالًا، ذللًا من غير مهابة، نجبًا من غير رياضة،

....

عليها رحال ألواحها من الدر واليواقيت، مفضضة باللؤلؤ والمرجان، صفائحها من الذهب الأحمر ملبسة بالعبقري والأرجوان، فأناخوا إليهم تلك النجائب، ثم قالوا لهم: إن ربكم عَزَّوَجَلَّ يقرئكم السلام، ويستزيدكم لتنظروا إليه، وينظر إليكم ويحييكم وتحيونه، ويكلمكم وتكلمونه، ويزيدكم من فضله وسعته، إنه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم، فيتحول كل رجل منهم على راحلته ثم انطلقوا صفًا واحدًا معتدلًا، لا يفوت من شيء شيئًا ولا يفوت أذن ناقة أذن صاحبتها، ولا يمرون بشجرة من أشجار الجنة إلا أكفتهم بثمرتها، ورحلت لهم عن طريقهم كراهية أن تثلم صفهم، أو تفرق بين الرجل ورفيقه، فلما رفعوا إلى الجبار تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، أسفر لهم عن وجهه الكريم، وتجلى لهم في عظمته، فحياهم بالسلام، فقالوا: ربنا أنت السلام، ومنك السلام، ولك حقُّ الجلال والإكرام، فقال لهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إني أنا السلام، ومني السلام، ولي حق الجلال والإكرام، فمرحبًا بعبادي الذين حفظوا وصيتي، ورعوا عهدي وخافوني بالغيب، وكانوا مني على وجل مشفقين، فقالوا: أما وعزتك وعظمتك وجلالك وعلو مكانك، ما قدرناك حق قدرك، وما أدينا إليك كل حقك، فائذن لنا بالسجود لك، فقال لهم ربهم عَزَّوَجَلَّ: قد وضعت عنكم مؤنة العبادة، وأرحت لكم أبدانكم، فطالما أنصبتم الأبدان، وأعنيتم لي الوجوه، فالآن أفضوا إلى روحي ورحمتي وكرامتي، فسلوني ما شئتم، وتمنوا علي أعطكم أمانيكم، فإني لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم، ولكن بقدر رحمتي وكرامتي، وطولي وجلالي، وعلو مكاني، وعظمة سلطاني، فلا يزالون في الأماني والعطايا والمواهب، حتى إن المقصر منهم في أمنيته ليتمنى مثل جميع الدنيا منذ يوم خلقها الله عَزَّوَجَلَّ إلى يوم أفناها، فقال لهم ربهم عَزَّوَجَلَّ: لقد قصرتم في أمانيكم ورضيتم بدون ما يحق لكم، فقد أوجبت لكم

....

ما سألتم وتمنيتم وألحقت لكم وزدتكم ما قصرت عنه أمانيكم فانظروا إلى مواهب ربكم التي وهب لكم، فإذا بقباب في الرفيق الأعلى، وغرف مبنية من الدر والمرجان، وإذا أبوابها من ذهب، وسررها من ياقوت، وفرشها سندس وإستبرق، ومنابرها من نور، يفور من أبوابها وأعراصها نور، شعاع الشمس عنده مثل الكوكب الدري، فإذا بقصور شامخة في أعلى عليين من الياقوت يزهر نورها، فلولا أنه سخرها للمعت الأبصار، فما كان من تلك القصور من الياقوت الأبيض فهو مفروش بالحرير الأبيض، وما كان منها من الياقوت الأحمر، فهو مفروش بالعبقري الأحمر، وما كان منها من الياقوت الأخضر فهو مفروش بالسندس الأخضر، و ما كان منها من الياقوت الأصفر، فهو مفروش بأرجوان أصفر، مبثوثة بالزمرد الأخضر، والذهب الأحمر والفضة البيضاء، وبروجها وأركانها من الجوهر، وشرفها قباب اللؤلؤ، فلما انصرفوا إلى ما أعطاهم ربهم عَزَّوَجَلَّ، قربت لهم براذين من الياقوت الأبيض، منفوخ فيها الروح، يجنبها الولدان المخلدون، بيد كل وليد منهم حكمة برذون من تلك البراذين لجمها وأعنتها من فضة بيضاء، منظومة بالدر والياقوت، سرجها مفروشة بالسندس والإستبرق فانطلقت بهم تلك البراذين تزف بهم وتطوف بهم رياض الجنة، فلما انتهوا إلى منازلهم وجدوا الملائكة قعودًا على منابر من نور ينتظرونهم ليزوروهم ويصافحوهم، ويهنوهم بكرامة ربهم عَزَّوَجَلَّ، فلما دخلوا قصورهم وجدوا فيها جميع ما تطول به عليهم ربهم عَزَّوَجَلَّ مما سألوه وتمنوا، وإذا على باب كل قصر من تلك القصور أربع جنان: جنتان ذواتا أفنان، وجنتان مدهامتان، فيها عينان نضاختان، وفيهما من كل فاكهة زوجان، وحور مقصورات في الخيام فلما تبوءوا منازلهم واستقر قرارهم قال لهم ربهم عَزَّوَجَلَّ: هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ قالوا:

....

نعم. قال: أفرضيتم بمواهب ربكم؟ قالوا: نعم، رضينا ربنا، فارض عنا قال: فبرضاي عنكم حللتم داري، ونظرتم إلى وجهي الكريم، وصافحتم ملائكتي، فهنيئًا هنيئًا لكم، عطاءً غير مجذوذ، ليس فيه تنقيص ولا تصريم، فعند ذلك قالوا: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فَاطِر: ٣٤ - ٣٥][1].

الحديث المنسوب إلى محمد بن علي بن الحسين وهو الباقر ضعيف، في إسناده إدريس بن سنان الصنعاني ابن بنت وهب بن منبه ضعيف، قاله الحافظ ابن حجر، وقال الدارقطني: متروك، انظر «المغني» للذهبي (١/ ٦٤).

فهذا الحديث إما من الإسرائيليات أو هو من خبط إدريس هذا؛ إذ فيه مبالغات غريبة لا تشبه أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والحديث في شجرة طوبى صحيح متفق عليه، فقد رواه البخاري من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها**»، حديث [٣٢٥١]، وحديث [٣٢٥٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة، واقرؤوا إن شئتم:** ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [الوَاقِعَة: ٣٠]».

وروى مسلم حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «كتاب الجنة» حديث [٢٨٢٦] وبرقم [٢٨٢٧] من حديث سهل بن سعد نحوه، وبرقم [٢٨٢٨] من حديث أبي سعيد، بلفظ: «**إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها**».

---

(١) رواه ابن بطة في «الإبانة» (٦٤-الوليد بن نبيه)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤١١-علي رضا) من طريق أحمد بن يونس عن المعافى بن عمران به.

فهذه الأحاديث قمة في الصحة.

وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما في الحديث الصحيح[١].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

نسأل الله أن يجعلنا من أهل هذا الوعد العظيم والنعيم المقيم.



(١) أخرجه البخاري في «بدء الخلق» حديث [٣٢٤٤] ومسلم في «كتاب الجنة وصفة نعيمها» حديث [٢٨٢٤].

قال محمد بن الحسين: هذه الأخبار كلها يصدق بعضها بعضًا[1] مع ظاهر القرآن يبين أن المؤمنين يرون الله عَزَّوَجَلَّ، فالإيمان بهذا واجب، فمن آمن بما ذكرنا؛ فقد أصاب حظه من الخير إن شاء الله في الدنيا والآخرة، ومن كذب بجميع ما ذكرنا، وزعم أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يرى في الآخرة فقد كفر، ومن كفر بهذا، فقد كفر بأمور كثيرة مما يجب عليه الإيمان بها، وسنبين جميع ما يكذب به الجهمي في كتاب غير هذا الكتاب إن شاء الله، فإن اعترض بعض من قد استحوذ عليهم الشيطان فهم في غيهم يترددون، ممن يزعم أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يرى في القيامة، واحتج بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فجحد النظر إلى الله عَزَّوَجَلَّ بتأويله الخاطئ لهذه الآية قِيلَ لَهُ: يَا جَاهِلُ إِنَّ الَّذِي أَنْزَلَ الله عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، وَجَعَلَهُ الْحُجَّةَ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَمَرَهُ بِالْبَيَانِ لِمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنْ وَحْيِهِ هُوَ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهَا مِنْكَ يَا جَهْمِيُّ، هُو الَّذِي قَالَ لَنَا: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَزَّوَجَلَّ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ» فَقَبِلْنَا عَنْهُ مَا بَشَّرَنَا بِهِ مِنْ كَرَامَةِ رَبِّنَا عَزَّوَجَلَّ عَلَى حَسَبِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ، مِنَ الأَخْبَارِ الصِّحَاحِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ مِنَ الْعِلْمِ، ثُمَّ فَسَّرَ لَنَا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَعْدَهُ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] فَسَّرُوهُ عَلَى النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الله عَزَّوَجَلَّ، وَكَانُوا بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَبِتَفْسِيرِ مَا احْتَجَجْتَ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أَعْرَفَ مِنْكَ، وَأَهْدَى مِنْكَ سَبِيلًا، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَّرَ لَنَا قَوْلَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] وَكَانَتِ الزِّيَادَةُ:

(١) هذه الأخبار منها صحيح، وفي بعضها ضعف، لكنها تنتهض بشواهدها من الصحاح، ما عدا حديث إدريس ابن سنان عن وهب عن محمد بن علي، وقدّمنا الكلام عليه.

النَّظَـرُ إِلَى وَجْـهِ الله تَعَالَى، وَكَذَا عِنْدَ صَحَابَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَاسْـتَغْنَى أَهْلُ الْحَقِّ بِهَذَا، مَـعَ تَوَاتُـرِ الْأَخْبَارِ الصِّحَاحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّظَـرِ إِلَى وَجْهِ الله عَزَّوَجَلَّ، وَقَبِلَهَا أَهْلُ الْعِلْمِ أَحْسَـنَ قَبُولٍ وَكَانُوا بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ الَّتِي عَارَضْتَ بِهَا أَهْلَ الْحَقِّ أَعْلَمَ مِنْكَ يَا جَهْمِيُّ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قِيـلَ لَـهُ: مَعْنَاهَا عِنْـدَ أَهْلِ الْعِلْـمِ: أَيْ: لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَـارُ، وَلَا تَحْوِيهِ عَزَّوَجَلَّ، وَهُمْ يَرَوْنَـهُ مِـنْ غَـيْرِ إِدْرَاكٍ وَلَا يَشُـكُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، كَمَا يَقُـولُ الرَّجُلُ: رَأَيْتُ السَّـمَاءَ وَهُوَ صَادِقٌ، وَلَمْ يُحِطْ بَصَرُهُ بِكُلِّ السَّمَاءِ، وَلَمْ يُدْرِكْهَا وَكَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ: رَأَيْتُ الْبَحْرَ، وَهُـوَ صَادِقٌ وَلَمْ يُدْرِكْ بَصَرُهُ كُلَّ الْبَحْرِ، وَلَمْ يُحِطْ بِبَصَرِهِ، هَكَذَا فَسَّـرَهُ الْعُلَمَاءُ، إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ.

٦٢٧- حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ قَالَ: أَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: أَنَا عَمْرُو بْنُ طَلْحَةَ الْقَنَّادُ قَالَ: أَنَا أَسْـبَاطُ بْنُ نَصْرٍ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّـاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣] أَنَّ النَّـبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ، فَقَـالَ رَجُـلٌ عِنْدَ ذَلِكَ: أَلَيْسَ قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟ فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ: أَلَيْسَ تَرَى السَّمَاءَ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: أَوَ كُلَّهَا تَرَاهَا؟

حديث ابن عباس هذا فيه علتان:

الأولى- أن سماكًا في حديثه عن عكرمة اضطراب.

والثانية- أن زهيرًا معروف بأن حديثه لأهل الشام فيه غلط كثير، وقال فيه الذهبي في «الكاشف»: «ثقة يغرب، ويأتي بما ينكر».

ولأحمد فيه أقوال، مرة قال: ثقة، ومرة قال: ليس به بأس، ومرة قال: مقارب الحديث، وقال ابن المديني: لا بأس به.

واختلفت أقوال ابن معين فيه، فمرة قال: ثقة، ومرة قال: لا بأس به، ومرة قال: ضعيف، ومرة قال: ليس بالقوي، وقال أبو حاتم: محله الصدق، وفي حفظه سوء، وحديثه بالشام أنكر من حديثه بالعراق، وقال النسائي: ليس بالقوي.

وبالتأمل في هذه الأقوال يحصل للمتأمل أن زهيرًا صدوق سيء الحفظ[1].

ومما يضعف هذا اللفظ ما رواه مسلم في «الإيمان»: عن عطاء عن ابن عباس أنه (أي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) «رآه بقلبه».

وعن أبي العالية عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١١ - ١٣]، قال: رآه بفؤاده مرتين».

---

(١) إلا أن هذا الحديث لا يعل بزهير ولا بسماك؛ إنما علته شيخ زهير وهو عمرو بن طلحة القناد، وهو وإن وثقه بعض الأئمة وروى له مسلم في الصحيح، فإنه قد تكلم فيه بعضهم، قال الساجي: «يتهم في عثمان وعنده مناكير»، انظر: «التهذيب» (٨/ ٢٢-٢٣) و«الميزان» (٣/ ٢٥٤-٢٥٥). وحديثه هذا قد اختلف عليه الرواة في لفظه:

فرواه عنه فضل بن سهل الأعرج -وهو حافظ ثقة- بمثل لفظ زهير بن محمد، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» [٤٣٤] عن فضل بن سهل به.

ورواه الطبري في «التفسير» (٢٢/ ٣٢) عن أبي كريب، والدارقطني في «الرؤية» [٢٧٨] من طريق هارون بن إسحاق، ومن طريق العباس بن محمد بن حاتم الدوري وأحمد بن منصور الرمادي، واللالكائي [٩١٠] من طريق عباس الدوري، (أبو كريب وهارون بن إسحاق والرمادي والدوري) أربعتهم عن عمرو بن حماد بن طلحة القناد به. ولفظه عند جميعهم: «رأى ربه بقلبه».

وأما سماك فقد رواه عنه ثقتان بنحو لفظ الأكثرين عن عمرو القناد؛ فأخرجه عبد الرزاق (٣/ ٢٥٠) ومن طريقه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٨٩)، ورواه اللالكائي [٩١١] من طريق أبي أحمد الزبيري، (عبد الرزاق والزبيري) كلاهما عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ [النجم: ١١] قَالَ: «رَآهُ بِقَلْبِهِ».

فابن عباس لا يريد رؤية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه بعيني رأسه، وإنما يرى أنه رآه بفؤاده، انظر: «صحيح مسلم» حديث [١٧٦].

ويزيد هذا الحديث ضعفًا حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن هذه الرؤية كانت مرتين، وإنما كانت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرها بذلك، وقالت: «من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية»، صحيح مسلم «الإيمان» حديث [١٧٧].

فهذا هو الحق، وأما تعلق منكري رؤية الله بقوله تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، لإنكار رؤية المؤمنين لربهم عَزَّوَجَلَّ في الآخرة فباطل، والجواب المنسوب لعكرمة صحيح المعنى، وبه يقول أهل السنة.



٦٢٨ - حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار قال: حدثنا أبو داود السجستاني قال: سمعت أحمد بن حنبل وقيل له في رجل حدث بحديث، عن رجل، عن أبي العطوف يعني أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يرى في الآخرة، فقال: «لعن الله من حدث بهذا الحديث» ثم قال: «أخزى الله هذا»[(١)] .

إسناد هذا الكلام إلى الإمام أحمد صحيح.

وأبو العطوف هو جراح بن المنهال، قال الذهبي في «المغني»: «تركوه»، وفي «الميزان» (١/ ٣٩٠): قال ابن المديني: لا يكتب حديثه، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال الدارقطني: متروك، وقال ابن حبان: كان يكذب في الحديث ويشرب الخمر.

وأخيرًا ختم الآجري هذا الباب بكلام قوي في إثبات رؤية الله، والردود على منكري رؤية الله وبيان ضلالهم، وسوق الحجج الدامغة لهم ولأباطيلهم، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.



(١) رواه أبو داود في مسائله عن أحمد [١٧٠٢].

ورواه الخلال في «العلل» (٢٧٧/ ١٧٣ -المنتخب) قال: أخبرنا المروذي قال: قيل لأبي عبد الله: أتعرف عن يزيد بن هارون، عن أبي العطوف، عن أبي الزبير، عن جابر: «إن استقرَّ مكانه فسوف تراني وإنْ لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة»؟

فغضب أبو عبد الله غضبًا شديدًا، حتى تبين في وجهه، وكان قاعدًا والناس حوله، فأخذ نعله وانتعل.

وقال: أخزى الله هذا ! لا ينبغي أن يكتب هذا، ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه، أو حدث به.

وقال: هذا جهمي، هذا كافر، أخزى الله هذا الخبيث، من قال: إن الله لا يُرى في الآخرة، فهوكافر.

قال الخلال: وقال مهنا: سألت أحمد عن أبي العطوف؟

فقال: جَزَرِيٌّ، متروك الحديث.

ملحق

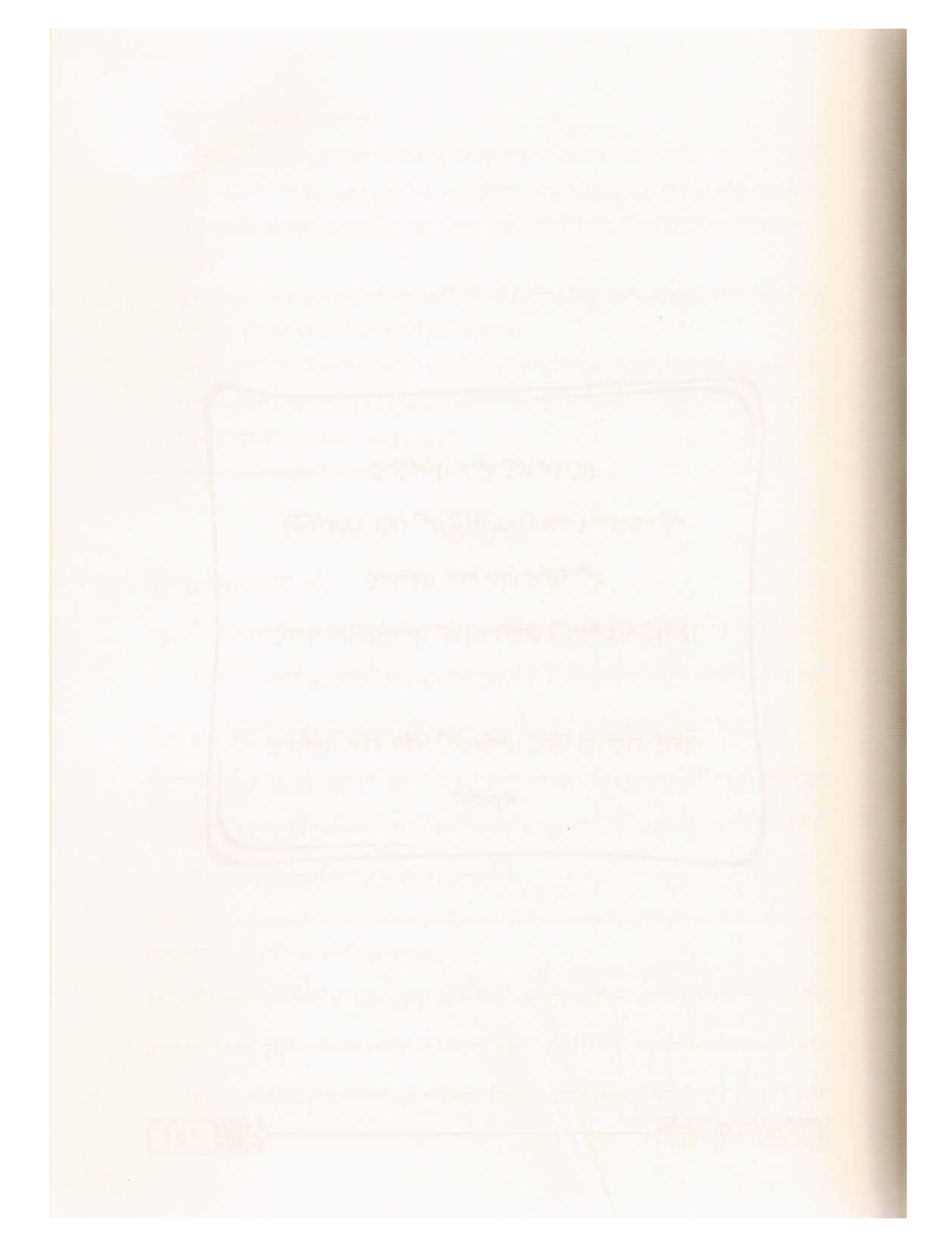
متعلق بإثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة

البيان والإيضاح لعقيدة أهل السنة والجماعة

في رؤية الله يوم القيامة

من كتاب (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)

للإمام ابن قيم الجوزية



الْبَابُ الْخَامِسُ وَالسِّتُّونَ

فِي رُؤْيَتِهِمْ رَبَّهُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَبْصَارِهِمْ جَهْرَةً كَمَا يُرَى الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَتَجَلِّيهِ لَهُمْ ضَاحِكًا إِلَيْهِمْ

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الباب أشرفُ أبواب الكتاب، وأجلُّها قدرًا، وأعلاها خطرًا، وأقرُّها لعيون أهل السنة والجماعة، وأشدُّها على أهل البدعة والضلالة، وهي الغاية التي شمَّر إليها المشمِّرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون، إذا ناله أهلُ الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم، وحرمانُه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشدُّ عليهم من عذاب الجحيم، اتَّفق عليها الأنبياءُ والمرسلون، وجميع الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوِّكون، والفرعونية المعطِّلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، وعلى مسبَّة أصحاب رسول الله عاكفون، وللسنة وأهلها محاربون، ولكل عدوٍّ لله ورسوله ودينه مسالمون، وكلُّ هؤلاء عن ربِّهم محجوبون، وعن بابه مطرودون، أولئك أحزاب الضلال، وشيعة اللعين، وأعداء الرسول وحزبه، وقد أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن أعلم الخلق به في زمانه....».

الشرح:

ألَّف الإمامُ ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الكتاب «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، أي إلى الجنة، وضمن كتابه هذا عددًا من الأبواب، ومنها هذا [الباب الخامس والستون]، ويقرِّر - وهو الحق - أن هذا هو أشرف أبواب الكتاب؛ لأنه بابٌ يتعلَّق بالجنة، والجنة مخلوقةٌ فيها حور، وفيها قصور، وفيها جنان، وفيها النعيم المقيم؛ هذه الأشياء كلها مخلوقة،

لكـن رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ راحة القلوب، وسـعادة النفوس، وراحة القلـوب أعلى من راحة الأبـدان، وهـو يقول: «هذا أشرف الأبـواب كلِّها، وأجلُّها قدرًا، وأعلاهـا خطرًا، وأقرُّها لعيون أهل السنة والجماعة».

فأهـل السـنة والجماعة لما يقـرأون في كتاب الله وفي سـنة رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي كلام السلف أنهم يرون ربَّهم، فترتاح نفوسهم، وتَقَرُّ عيونهم؛ لأنهم آمنوا بأنهم يرون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فتشـتاق نفوسـهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وسيتنافسـون في ميدان الطاعة ليحظوا برؤية الله عَزَّوَجَلَّ؛ لهذا قال: «وهي الغاية التي شمَّر إليها المشمِّرون، وتنافس فيها المتنافسون».

يعني: أهل النفوس الكبيرة والعلماء الراسـخون يؤمنون بالجنة ونفوسـهم تشتاق إليها، ولكن شـوقُهم إلى ربِّهم أعظم، وتنافسـهم فيما يوصلهم إلى هذه المنزلة؛ وهي رؤية الله التي يتنافسون فيها أعظم وأعظم.

فشمِّروا لها يا معشر المؤمنين بكتاب الله وبسنة رسول الله وبهذه المزية العظيمة وهي رؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وحال الإنسـان عندما يرى إمامًا عظيمًا خليفةً راشدًا يرى هذا سعادة عظيمـة، كيـف برؤيـة الله عَزَّوَجَلَّ؟! ويتـشرف الناس ويتباهـون بمقابلة الكـبراء، فكيف برؤية ربِّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟! لهذا يتنافسـون ليحظوا برؤيته، ويخافون أن يُحجَبوا عن رؤيتـه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيتجنَّبـون الأعمال التـي تزحزحهم عن مرضاة ربِّهـم، ويتقرَّبون إلى الله بما يؤهِّلهم للجنة، وبما يؤهِّلهم لرؤية ربِّهم عَزَّوَجَلَّ.

وقوله: [وأقرُّها لعيون أهل السنة والجماعة، وأشدُّها على أهل البدعة والضلالة]

يعني: هذه المسألة؛ رؤية الله عَزَّوَجَلَّ مما تقرُّ به أعين أهل السنة، وفيها غيظ لمن لا يؤمن بالرؤية، يسـتاءون جدًّا حينما يمرُّون على آيات الصفات ويتململون منها، مسـاكين..! لأنها ضدّ منهجهم وعقائدهم.

وأنا جلست في مجلس يقرأون فيه «كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، والله الذي لا إله إلا هو يقرأون وكأنهم يمرُّون بطريقٍ خطر هاربون! ما يريدون أن يفهموا معاني هذه النصوص، يقرأون البخاري للبركة فقط! لا يريدون أن يتفقهوا فيه، ولا يريدون أن يأخذوا منه العقائد التي تدل عليها النصوص النبوية، والمعتزلة والجهمية وغيرهم من الباطنية وغيرهم يستاءون جدًّا من نصوص رؤية الله عَزَّوَجَلَّ.

ولهذا قال: **[وأنكرها أهلُ البدع المارقون، والجهمية المتهوكون - أي المتحيرون الحمق - والفرعونية المعطِّلون]**.

فرعون قال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧] فرعون يُنكر وجود الله مكابرة قبَّحه الله! وهو في واقع الأمر يعترف في قرارة نفسه بوجود الله، وأنه ربُّ هذا الكون وخالقه، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا﴾ [النمل: ١٤]، ومع ذلك فرعون يغالط ويوهم أتباعه أن الله غير موجود، ولا هو في السماء، فهو إمام المعطلة الذين ينكرون أن الله في السماء وعلى العرش استوى.

[والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان مستمسكون، ومن حبل الله منقطعون] - وهم كذلك -.

والباطنية تعرفون أنهم ملاحدة أكفر من اليهود والنصارى، وينتسبون إلى الإسلام - قبَّحهم الله - وهم يندسُّون في أوساط الروافض، فالروافض والرفض مَرْتَعٌ خَصْبٌ للباطنية الذين ينكرون المعاد والجنة والنار وما شاكل ذلك، فهم ملاحدة أكفر من اليهود والنصارى.

[وعلى مسبَّة أصحاب رسـول الله عاكفون]: والله لهم أوراد يلعنون فيها أبا بكر وعمر وعائشـة وحفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقولون فيها يسمُّونه بدعاء صنمَي قريش: (اللهم العن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما...) وكله مليءٌ بالطعن لأصحاب محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلعنة الله على الرافضة أخزاهم الله وقبَّحهم!

قال: **[وللسنة وأهلها محاربون]** - وهم كذلك يعتقدون أن أهل السنة كفار! - ولكل عدوٍّ لله ورسوله ودينه مسالمون: هم الآن يتبجَّحون بأنهم أعداء النصارى، والله كذَّابون! ولا نُصدِّقهم أبدًا، وما أقام لهم دولة إلا اليهود والنصارى، الكذَّابون..! عجزوا عن إقامة دول حتى يقيمها لهم أعداء الله.

وهـم مع التتار ومع النصارى ومع اليهود، وحرب العراق كشـفت حالهم، حرب العـراق كشـفت حقيقتهـم، وهم من قديم الزمـان في حروب التتار وغيرهـا دائمًا هم في صفِّ أعداء الله.

[وكل هؤلاء عن ربِّهم محجوبون، وعن بابه مطرودون، أولئك أحزاب الضلال وشيعة اللَّعين]: يعني الشيطان **[وأعداء الرسول وحزبه]**:

وسيدخل الآن في سرد الأدلة.

قـال: **[وقـد أخـبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن أعلـم الخلق بـه في زمانه؛ وهـو كليمُه ونجيُّـه وصفيُّـه من أهل الأرض أنه سـأل ربَّه تَعَالَى النظر إليه، فقال له ربُّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣].**

وبيانُ الدلالة من هذه الآية من وجوهٍ عديدة:

أحدهـا- أنـه لا يُظنُّ بكليم الرحمن ورسـوله الكريم أن يسـأل ربَّـه ما لا يجوز

عليـه، بـل هو مـن أبطل الباطـل، وأعظم المحال، وهو عنـد فروخ اليونـان والصابئة والفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه، فيا لله العجب! كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عبَّاد الأصنام وفروخ الجهميـة والفرعونيـة أعلـم بالله تَعَالَىٰ من موسـى بن عمران، وبما يسـتحيل عليه، ويجب له، وأشد تنزيهًا له منه؟!

الوجه الثاني: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم ينكر عليه سـؤاله، ولو كان محالًا لأنكره عليه، ولهذا لما سأل إبراهيمُ الخليل ربَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه، ولما سـأل عيسـى بن مريم ربَّه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله، ولما سأل نـوح ربَّه نجاة ابنه أنكر عليه سـؤاله، وقـال: ﴿ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾

[هُود: ٤٦ - ٤٧]

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾، ولم يقل: «لا تراني» ولا «إني لست بمرئي ولا تجوز رؤيتي»، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمَّله.

وهـذا يدل على أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُرى، ولكن موسـى لا تحتمل قُواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تَعَالَىٰ، يوضِّحه:

الوجه الرابع: وهو قولـه: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فأعلمه أن الجبل مع قوَّته وصلابته لا يثبت لتجلِّيه له في هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذي خُلق من ضعف!

الوجـه الخامـس: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قادر على أن يجعل الجبل مسـتقرًّا مكانه، وليـس هذا بممتنع في مقدوره، بـل هو ممكن، وقد علَّق به الرؤية، ولو كانت محالًا

في ذاتها لم يعلِّقها بالممكن في ذاته، ولو كانت الرؤية محالًا لكان ذلك نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام، فالأمران عندكم سواء.

الوجه السادس: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فإنه إذا جاز أن يتجلَّى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلَّى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته، ويريهم نفسه، فأعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

الوجه السابع: أن ربَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد كلَّمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه، ومن جاز عليه التكلُّم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتمُّ إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين: فأنكروا أن يكلِّم أحدًا، أو يراه أحد. ولهذا سأله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ النظر إليه، وأسمعه كلامه، وعلم نبيُّ الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه، ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله، كما لم يثبت الجبل لتجلِّيه.

وأما قولُه تَعَالَىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ فإنما يدل على النفي في المستقبل، ولا يدل على دوام النفي، ولو قيِّدت بالتأبيد، فكيف إذا أطلقت! قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥] مع قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

الشرح:

فهذه الآية التي استدل بها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على جواز رؤية الله في الدار الآخرة من سبعة أوجه هي متعلَّقات من ينكر الرؤية، يتعلق بها المعتزلة والخوارج

وغيرهم الذين ينكرون رؤية الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الآية، قالوا: قال لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، ولن عندهم للنفي المؤبَّد، وهذا كذبٌ على اللغة وعلى القرآن، ليس بصحيح ما يدَّعونه، فاستخرج أئمة السنة من هذه الآية جواز رؤية الله من هذه الوجوه التي ذكرها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونِعْمَ الفقه! وهذا والله هو الفقه، أسأل الله أن يفقِّهنا وإيَّاكم في دينه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شأن موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: [كليمُ الله ونجيُّه]؛ يعني: لما كلَّمه الله، قال: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ طمع في رؤية الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه يعلم أن رؤية الله غير مستحيلة وجائزة، فسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فالله قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ **يعني:** في هذه الدنيا، ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، تجلَّى للجبل، فكيف ما يتجلَّى لأوليائه في دار كرامته ورضوانه، كما هو أحد الوجوه التي ذكرها ابن القيم – يمكن فيها عبارات صعبة نحلُّها لكم –.

قال: وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه.

وستأتي قاعدة لابن القيم أنه ما من نصٍّ يستدل به أهل الباطل من القرآن أو من صحيح السنة يستدلون به على باطلهم، إلا وفي هذا النص ما يدل على بطلان مذهبهم، والتزم ذلك الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: فأنا ملتزم لذلك أن أبيّن أن أيَّ نصٍّ يستدلون به على باطل من أباطيلهم، فإن في ذلك النص ما يبطل حجتهم، هذا والله الفقه!

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [بيانُ الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة: أحدها- أنه لا يُظنُّ بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربَّه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال].

يعني: أن نظن بهذا النبيِّ الكريم أنه يسأل الله شيئًا لا يجوز على الله؛ هذه من الاصطلاحات: الجائز والممتنع والمستحيل، من الاصطلاحات الكلامية، وتدخل في كلام أهل السنة للتوضيح والبيان، فالذي يمتنع عن الله صفاتُ النقص، كلُّها ممتنعة

لا تجوز، ولا يجوز للمسلم أن يصف الله بشيءٍ منها، أو يتصور أن الله يتصف بشيءٍ من صفات النقص؛ فهذه الممتنعات.

والواجبُ له صفات الكمال، صفات الكمال واجبة، يجب أن نصف الله بصفات الكمال، وهي واجبة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومستحقٌّ لها، وتجب له ومن صفات ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فقال هنا: [ما لا يجوز عليه]؛ يعني: شيء فيه نقص، فهل في طلب رؤية الله نقص لله عَزَّوَجَلَّ؟ لا والله!

[بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال] أن نظن بنبيٍّ الله هذا الظن، [وهو عند فروخ اليونان والصابئة والفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام]!

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ مثل أن يطلب: يا رب كُل! يا رب اشرب!...؛ وهذه مستحيلة على الله عَزَّوَجَلَّ، وموسى لا يطلب مستحيلًا على الله عَزَّوَجَلَّ، ولا قال: أرني كيف تأكل! - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا - ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه.

[فيا لله العجب! كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عبَّاد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران]؟! يعني: موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يجيز أن الله يُرى، ولهذا سأله الرؤية، وهم يقولون: لا يجوز أن يرى ربُّنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهم إذن أعلم بالله من موسى! مجوسٌ وصابئة وضُلاَّل وجهال! أيعلمون من صفات الله وصفات كماله ما لا يعلمه موسى، ويُنـزِّهون الله عما لا يُنـزِّهه عنه الأنبياء!! نزّه الله موسى والأنبياء أن يقولوا على الله ما لا يعلمون.

[الوجه الثاني: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم ينكر عليه سؤاله]: لو كان محالًا لأنكره، لكنه ما أنكره عليه؛ قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، ما قال: سؤالك هذا باطل! سؤالك غلط!

ما قال هذا، ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] **يعني:** في هذه الدنيا، ولو كان محالًا لأنكره عليه، [ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه] ما أنكر عليه، سأله سؤال تقرير: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ [البقرة: ٢٦٠] هذا سؤال تقرير، ليس سؤال إنكار.

[ولما سأل عيسى بن مريم ربَّه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله]؛ لأن هذا من الأمور الجائزة الدالة على كمال الله وكمال قدرته؛ فإبراهيم يعتقد أن الله على كل شيء قدير، ولكن قال: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وإلا هو يعلم أن الله على كل شيء قدير، فهو يؤمن بكمال قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه على كل شيء قدير، ولكن أحبَّ أن يرى هذا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وعيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سأل الله وهو يعلم ويعتقد أن الله قادرٌ أن يُنزِّل ما يطلبه وهي المائدة من السماء، فما سأل الله إلا أمرًا جائزًا ودالًّا على كماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكذلك موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما سأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إلا شيئًا يدل على كماله وشيئًا جائزًا، ولكن ما يعلم أن هذا ممتنع في الحياة الدنيا؛ لأن الله من كماله وسُنَّته في خلقه ألا يراه أحدٌ في هذه الدنيا؛ لأن الله مدح المؤمنين بالغيب؛ فالجنة غيب، والنار غيب، وذاته وصفاته غيب، والله مدح المؤمنين بالغيب: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، فمدح الله هؤلاء، وابتلى المؤمنين بالأمور الغيبية ابتداءً؛ ليرى من يؤمن وينقاد، ومن يُكذِّب.

فالكفار كذَّبوا بالجنة، وكذَّبوا بالنار، وكذَّبوا بالرسالة، وكذَّبوا برؤية الله عَزَّوَجَلَّ.

[الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾، ولم يقل: «لا تراني» ولا «إني لست بمرئي ولا يجوز رؤيتي»، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمَّله] يعني: - مثلًا -

لـو أن عنـدك حجرين، وواحد قـال: دعني آكلها! تقـول له: الحجران ما يـؤكلان، فإذا كان طعامًـا يقـول: لـن تأكله، ما يقول: ما يـؤكل، هذا فرق واضح يـضرب له مثل بهذا الكلام، أنت عندك شيء يظنه الإنسان طعامًا وهو حجارة، والحجارة ما تُؤكل، ما يقال: لن تأكله، يقال له: هذا ما يؤكل، فإذا قال: «لن تأكله» معناه أنه مما يؤكل، ولكن أنا الذي أمنعك من أكله؛ هذا معنى قوله: [والفرق واضح].

وقولـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ يـدل على أن الله يُرى، ولكن موسـى في هذه الحياة وغيره لا يحتملون رؤية الله عَزَّوَجَلَّ.

[ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تَعَالَىٰ].

والله مـا أراد أن يـراه أحد في هـذه الدنيا، ويكافئهم في الآخـرة؛ ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]، ومرحلـة اختبار، فمن آمن بهذه الرؤية رأى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ومن لا يؤمن بها لا يراه.

[يوضِّحـه الوجـهُ الرابع: وهـو قولُـه: ﴿وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فأعلمـه أن الجبـل مـع قوَّته وصلابتـه لا يثبت لتجلِّيه لـه في هـذه الدار، فكيف بالبشـر الضعيـف الذي خُلق مـن ضعف!] ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ففـي هذه الدنيـا الجبـل لا يطيق تجلِّي الله لـه؛ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، التجـلِّي حصل للجبل، ونفـس التجلِّي هذا يردُّ على إنكار رؤية الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فإذا كان الجبل على صلابته وقوَّته صار دكًّا بتجلِّي الله له في هذه الدنيا، فكيف يحتمل موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذلك؟!

ثم إلى جانب هذا أن الله أراد أن لا يراه أحد في هذه الدنيا، ولذلك أجمع المسلمون أن الله ما يُرى في هذه الدنيا[(١)].

[الوجه الخامس: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قادر على أن يجعل الجبل مستقرًّا مكانه].

نعم قادر مع تجلِّيه لهذا الجبل، قادر على أن يثبِّت هذا الجبل، وهذا أمر ممكن، إذن ما دام ممكنًا استقرار الجبل لتجلِّي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فرؤية الله ممكنة؛ هذا وجه الدليل منها.

أيضًا دليلٌ آخر: أن الله قد علَّق الرؤية به بثبات الجبل، ولو كان ثبات الجبل محالًا لما علَّق الرؤية عليه، فتعليقه رؤيته على أمرٍ ممكن دليل على إمكان أن يُرى ربُّنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

[الوجه السادس: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ـ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ـ وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ].

الجواز هنا ليس ما يقابل الحرام، وإنما هو ما يقابل المستحيل، تقول: هذا شيء جائز على الله أي يجوز أن نطلقه على الله ونصف الله به، يقابل المستحيل.

[فإذا جاز أن يتجلَّى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلَّى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه]!

فإذا كان يجوز أن يتجلَّى الله لهذا الجماد، أفلا يجوز أن يتجلَّى لأوليائه ورسله والأنبياء والصديقين والشهداء؟! بلى إن ذلك لجائز، **يعني:** حصل هذا التجلِّي، لكن الجبل ما أطاق، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يبعث أهل الجنة في خِلْقَةٍ مستعدَّة لرؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، الله الخلَّاق العليم القادر على كل شيء يبنيهم بِنْيَة ويخلقهم خلقًا على أتمِّ الاستعداد لرؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأما في هذه الدنيا فالله خلقهم ضعفاء لا يحتملون رؤية الله؛ لأن الله أراد

---

(١) «نقض الدارمي على بشر المريسي (٢/ ٧٣٨، ٨٢١ - الرشد)، و«مجموع فتاوى ابن تيمية» (٦/ ٥١٠)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (ص١٩٦ - السلام).

أن لا يُـرى في الحياة الدنيـا، ولهذا أجمع العلماء على أن الله لا يراه أحد في هذه الحياة الدنيا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكـن كلُّ شيء آية عـلى وجود الله وعلمه وعظمتـه وحكمته، فما من شيء ثابـت أو متحـرك في هذا الكـون إلا وهو دليل وشـاهد على وجـود الله وعظمته وعلمه وقدرته وحكمته وسائر صفات كماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

[الوجه السابع: أن ربَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد كلَّمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه، ومن جاز عليه التكلُّم والتكليم وأن يسمع مُخاطَبُه كلامه معه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز].

ولهذا لما كلَّم الله موسى اعتقد أن ربَّه يُرَى فسأله الرؤية، فالكلام والمتكلِّم يدل على أن هذا المتكلِّم يُرى، لكن ليس هذا وقت الرؤية، وقت الرؤية يوم المعاد وفي الآخرة وفي دار الكرامة.

فهذه الأوجه التي استخلصها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذا الدليل الذي يتعلَّق به نفاةُ رؤيـة الله، فهـم يقولـون: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال لموسـى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ لما سـأله رؤيته، قال: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قالـوا: هـذا من الأدلة على أن الله لا يُـرى، وإنَّ «لن» هنا تفيد التأبيد لنفي المستقبل المؤبَّـد، والقرآن يُكذِّبهم، وليس الأمر كما ادَّعوا!

قـال الله عـن اليهـود: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [البقرة: ٩٥] يريـد الله في الدنيـا، فهم لن يتمنَّـوه أبدًا في هذه الدنيا، فقـال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا﴾ [البقرة: ٩٥]، أما في الآخـرة وهم في نار جهنـم فإنهم يتمنونه ويحرصون عليـه؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] **يعـني:** يميتنـا، فهـم يتمنـون المـوت في الآخرة، فهنـا قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، وهـذا لا يـدل على أن الله لا يُرى في الآخرة وإن كان لا يرى في الدنيا، لا يُرى في الدنيا، أما في الآخرة فيُرى.

أنتم قلتم: إن «لن» للتأبيد، يعني: لن يُرى في الدنيا ولا في الآخرة! وهذا كذب! اليهودُ طُلب منهم أن يتمنَّوا الموت، فلم يتمنوه، وأخبر الله أنهم لا يتمنونه: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، وأكَّد «لن» بأداة التأبيد وهي «أبدًا»، ومع ذلك أخبر الله أنهم يتمنونه في الآخرة، وهم لن يتمنوه في الدنيا أبدًا، ولو تمنَّوه لهلكوا ولأبيدوا، ولكن هم إلى الآن ما يتمنَّون الموت، ولكن في الآخرة كل الكفار يتمنَّون الموت: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ألف سنة يصيحون - كما ذُكر في «التفسير»[(١)] - فيجيبهم بعد ألف سنة؛ يقول: ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] **يعني:** أحياء تستمرون في الحياة في عذاب الجحيم الدائم، وليس هناك موت، وماكثون أبدًا، ويُذبح الموت أمامهم: «**ينادى أهل الجنة: تعرفون الموت؟ يقال: نعم، ويُنادى أهل النار: هل تعرفون الموت؟ فيقولون: نعم، فيُذبح على الصراط بين الجنة والنار، حينئذ فلا موت**»[(٢)]، في الآخرة يتمنونه، ولكن لا يحصل لهم، فهذا الدليل يبطل دعواهم في أن «لن» للنفي المؤبَّد، ويرون أن الله لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة، فيقال لهم: إن القرآن يُكذِّبكم، وأن «لن» ليست للتأبيد كما تزعمون!

قال ابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الكافية الشافية»[(٣)]:

وَمَنْ رَأَى النَّفْيَ بِلَنْ مُؤَبَّدَا فَقَوْلَهُ ارْدُدْ وخلافه اعْضُدَا

---

(١) رواه ابن جرير الطبري عن السدِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، «جامع البيان في تأويل القرآن» (٢١/ ٦٤٥ - الرسالة، ط: [١].

(٢) إشارة إلى حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، رواه البخاري في «التفسير»، برقم [٤٧٣٠]، ومسلم في «الجنة وصفة نعيمها وأهلها»، برقم [٢٨٤٩].

(٣) «شرح الكافية الشافية» لابن مالك (٣/ ١٥١٥ـ المأمون للتراث).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَصْلٌ

الدليل الثاني

قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]،وقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نُسب إلى الحيِّ السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية، ولا ينتقض هذا بقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ [التوبة: ٧٧]، فقد دلَّت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تَعَالَىٰ في عرصات القيامة، بل والكفار أيضًا؛ كما في الصحيحين من حديث التجلِّي يوم القيامة، وسيمرُّ بك عن قريب إن شاء الله تَعَالَىٰ.

وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة: أحدها- أن لا يراه إلا المؤمنون.

والثاني- يراه جميعُ أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار، فلا يرونه بعد ذلك.

والثالث- يراه المنافقون دون الكفار.

والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد، وهي لأصحابه، وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم في تكليمه لهم، ولشيخنا في ذلك مصنف مفرد، وحكى فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها.

وكذلك قولُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، إن عاد الضمير على العمل فهو رؤيته في الكتاب مسطورًا مثبتًا، وإن عاد على الربِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فهو لقاؤه الذي وعد به.

الشَّرْحُ:

هذا من أدلَّة أهل السنة والجماعة على إثبات رؤية الله في الدار الآخرة، وهي لقاءُ الله عَزَّوَجَلَّ الوارد في القرآن في هذه النصوص التي ساقها:

[الدليل الثاني]: يعني: يجمع عددًا من النصوص.

[قولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ﴾] اتقوا الله وأيقنوا بلقاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

[وقوله تَعَالَىٰ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ﴾] يسلِّم عليهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عندما يلقاه أهل الجنة إكرامًا لهم، والكفار لا يُكلِّمهم ولا ينظر إليهم ولا يزَّكيهم ولهم عذاب أليم.

[وقوله تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا﴾] فمن يؤمن بلقاء الله وتكليمه له وإكرامه له ورؤيته لربه عَزَّوَجَلَّ؛ فليعمل عملًا صالحًا ليتحقق له ذلك.

[وقوله تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾] الظن هنا بمعنى اليقين؛ لأن الظن هو رجحان أحد الطرفين يعني فوق الشك، كما يُقال: الشك هو استواء الطرفين المتردد الكلام أو العمل بينهما، والظن هو أن يترجَّح أحد الطرفين المحتملين، واليقين يكون فيه المعارض ضعيفًا أو معدومًا، فالشاهد أن الظنَّ هنا بمعنى اليقين، وإلا لو كان ظنًّا بمعنى الظن المعروف لكان كفرًا - والعياذ بالله -، ولكنه ظنٌّ بمعنى اليقين.

[وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نُسب إلى الحيِّ السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية].

فيقول: أجمع أهل اللسان - أهل اللغة - أن اللقاء متى نُسب إلى إنسان حيٍّ سليمٍ يَرى ليس أعمى فيدل هذا اللقاء على الرؤية والمعاينة، وليس هناك مانع يحجبه ويحول بينه وبين الرؤية، فيدل دلالةً واضحةً على الرؤية بين المتلاقيين، فهذه النصوص - نصوص

اللقـاء - بمقتـضى اللغة، وأهل الجنة في غاية الحياة، وفي غاية السـلامة، وفي غاية القدرة والقـوة على رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فإذا أُطلق اللقاء؛ فالمراد رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فهذا من أدلَّة أهل السنة.

قـال: قـد يعترض معترض فيقول: [قـال الله تَعَالَى في المنافقين: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ [التوبة: ٧٧]].

كيف الكفار يلقون الله؟!

يقـول: نعم في عرصـات القيامة يلقونه فحسـب! أما المؤمنـون فيلقونه ويرونه في الجنـة دار الكرامة والنعيـم، أما الكفار والمنافقون فيرونه في عرصات القيامة حينما يتجلَّى الله عَزَّوَجَلَّ للنـاس ويقـول: لِتَتْبَع كلُّ أُمَّةٍ مَا كانت تعبـد، فيتبع أصحاب الأوثان الأوثان، وعُبَّـاد الصليب الصليـب، وهكذا..، ويبقى المؤمنـون بما فيهم المنافقـون، فيأتيهم ربُّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كـما سـيأتي في أحاديـث الرؤية، هـذا في عرصـات القيامة - فيسـألهم ربهم: بـماذا تعرفونه؟ فيقولون: نعرفه بأوصافه، فيكشـف لهم عن سـاقه، فيخرُّون له سُـجَّدًا، إلا المنافقـين؛ فـإن ظهورهم تصفَّح فلا يسـتطيعون السـجود ﴿ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴾ [القلم: ٤٣]، كانوا في الدنيا يُدْعَون إلى السجود وهم سالمون، فيأبون السجود؛ طاعـةً لله وإخلاصًا له، فتصفَّح ظهورهم فلا يسـتطيعون السـجود، ثم بعد ذلك يحصل التميُّـز بـين المؤمنين والمنافقين، فـيرى المؤمنون ربَّهم عَزَّوَجَلَّ في الجنـة، والكفار والمنافقون يُحجبون في دار عذابه وانتقامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الشاهد: أنه قد يرد هذا الإشكال: إذا كان الملاقاة يُقصَد بها رؤية الله، فكيف يقول الله في المنافقـين: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ [التوبة: ٧٧]، هل هذا اللقاء معناه رؤيـة الله؟ فيقـال: نعـم يرونه، لكـن أين؟ في العرصـات، وليـس في دار الكرامة؛ لأنهم

لا يدخلونها، فهم في النار دار الهوان كما قال تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ [المطففين: ١٥ - ١٦].

ذكر أن لأهل السنة ثلاثة أقوال في رؤية المنافقين والكفار لربِّهم، أما المؤمنون فأهل السنة مجمعون على رؤية الله، ليس هناك خلاف [(١)]، لكن في المنافقين الخلاف فقط، في جزئية، فمن بلغه النصوص عن المنافقين أنهم يشتركون مع المؤمنين في عرصات القيامة في رؤية الله عَزَّوَجَلَّ قال بها، ومن لم تبلغه أو بلغته مثلًا من طريق ضعيفة يقول: إن المنافقين ما يرونه.

فالاختلاف هذا ليس في الرؤية، فلا يَستغلُّ هذا الكلام أعداء السنة، فيقولون: إن أهل السنة اختلفوا في العقيدة؛ هذا ليس اختلافًا في العقيدة، هذه في المنافقين للأسباب التي ذكرناها، أما رؤية المؤمنين الله في الآخرة فلا خلاف بينهم.

ثم هذا فيه ردٌّ على أصحاب المجمل والمفصَّل؛ طيِّب! أحمد وأصحابه لهم ثلاثة أقوال في المسألة، هذه أين المجمل والمفصل؟

نقول: قولان خطأ، ولا نحمل الخطأ على الصحيح، نقول: قولان خطأ، وقولٌ من هذه الثلاثة هو الصواب، وهو الذي يوافق الأدلة. وهكذا؛ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ له أقوالٌ في كثير من المسائل، والشافعي له أقوال، والكثير من العلماء لهم أقوال، فلو استخدمنا قاعدة المجمل على المفصَّل لأفسدنا الدين تمامًا، معناه نحمل الباطل على الحق، ونحمل الخطأ على الصواب؛ هذا كلام فارغ! لا يقوله عقلاء ولا علماء، وإنما يقوله أهل الأهواء!

---

(١) نقله الإمام أحمد كما في «المنتخب من علل الخلال» لابن قدامة (ج١٠/ س١٨١)، والدارمي «الرد على الجهمية»، (ص١٢٢، ١٢٣ - البدر)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥٤٨، ٥٨٢، ٥٨٧)، وابن رجب الحنبلي في «فتح الباري» (٣/ ١٣٣).

عنـدك كتاب الروايتـين والروايات في مذهب الإمام أحمد مـا فيه حمل المجمل على المفصـل، بـل ترجيح ما يرجحه الدليل على ما لا دليل لـه، هذا هو الصواب وذاك خطأ؛ لأننـا كلنا خطاءون، والأئمـة يعترفون بالخطأ، والله ما أعطى العصمة إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسـلام، ولهذا اتفق السـلف على أنه لا يُؤوَّل إلا كلام المعصوم(١). فقول أهل الباطل بحمل المجمل على المفصل من كلام أهل العلم يخالف الكتاب والسنة، وما عليه عمـل علماء الإسـلام، وهو تضليل! وانتبهوا له كلام باطـل وتضليل! وتلاعب بالدين! وتلاعب بمنهج السلف الصالح أن نقول: يُحمل المجمل على المفصل! كلما ضلَّ شخص نقول: نحمل المجمل على المفصل، حتى في وحدة الوجود: احمل المجمل على المفصل!!



---

(١) نقلـه الشـوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصـوارم الحـداد» (ص٣١ – ٣٢). وانظـر: «تنبيه الغبـي إلى تكفير ابن عربي» للبقاعي (ص٢٥١ – ٢٥٣ – الوكيل).

فَصْلٌ

الدليل الثالث

قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

[يُونُسَ: ٢٥ - ٢٦]

فالحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجهه الكريم؛ كذلك فسَّرها رسول الله الذي أنزل عليه القرآن، فالصحابة من بعده، كما روى مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب: قَالَ قَرَأَ رَسُولُ الله: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يُونُسَ: ٢٦]، قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ الله مَوْعِدًا وَيُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: مَا هُوَ؟! أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَيُزَحْزِحْنَا عَنِ النَّارِ، فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَيَنْظُرُونَ الله فَمَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ. وَهِيَ الزِّيَادَةُ»[1].

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا مسلم بن سالم البلخي، عن نوح بن أبي مريم، عن ثابت، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سُئِلَ رَسُولُ الله عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يُونُسَ: ٢٦]قَالَ: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعَمَلَ فِي الدُّنْيَا الْحُسْنَى وَهِيَ الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ وَهِيَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الله تَعَالَىٰ»[2].

---

(١) «صحيح مسلم»: كتاب «الإيمان»، الحديث برقم [١٨١].

(٢) رواه ابن منده في «الرد على الجهمية»، ص: (٥١ - ٥٢) برقم: (٤ - ٨٥)، وابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٣/ ٣٢٦ - ٣٢٧)، والدارقطني في «الرؤية» [٦٧]، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٥٦) برقم: [٧٧٩].

وقـال محمد بن جريـر: حدثنا ابنُ حُميد قال: حدثنا إبراهيم بن المختار، عن ابـن جريـج، عن عطـاء، عن كعب بن عجرة، عن النـبيِّ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: «الزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الرَّحْمَنِ جَلَّجَلَالُهُ»(١).

قلت: عطاء هذا هو الخراساني، وليس عطاء بن أبي رباح.

قـال ابـن جريـر: وحدثنا ابـنُ عبد الرحيم، قـال: حدثنا عمرو بن أبي سـلمة، قـال: سمعـت زهيرًا، وقال يعقوب بن سـفيان: حدثنا صفوان بـن صالح قال: حدثنا الوليد بن مسلم: حدثنا زهير بن محمد، قال: حدثني من سمع أبا العالية الرياحي يحدث عن أُبيِّ بن كعب، قال: سَأَلْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الزِّيَادَةِ فِي كِتَابِ الله عَزَّوَجَلَّ: قَوْله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]؟ قَالَ: «الْحُسْنَى: الْجَنَّةُ. وَالزِّيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الله عَزَّوَجَلَّ»(٢).

وقـال أسـد السـنة: حدثنا قيس بـن الربيع قـال: حدثنا أبان، عـن أبي تميمة الهجيمي أنه سمع أبا موسى يحدِّث أنه سمع رسول الله يَقُولُ: «يَبْعَثُ الله عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَـةِ مُنَادِيًـا يُنَادِي: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَوْتٍ يُسْـمِعُ أَوَّلَهُمْ وَآخِرَهُـمْ أَنَّ الله وَعَدَكُمُ الْحُسْنَى، وَالْحُسْنَى الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةَ: النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الله عَزَّوَجَلَّ»(٣).

---

(١) رواه ابـن جريـر في تفسـيره (١٥/ ٦٨) برقـم [١٧٦٣١]، ورواه عبد الله بن أحمد (١/ ٢٦٢) برقم: [٤٨٤]، والطبراني في «مسند الشاميين» [٢٣٣٠]، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٥٦ – ٤٥٧) برقم [٧٨١] من طرق عن ابن حميد به.
وعطـاء هو الخرسـاني؛ كما جـاء التصريح به في رواية عبـد الله بن أحمد والطـبراني والنقاش وأبي نعيم واللالكائي.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ٦٩) برقـم [١٧٦٣٣] مـن طريـق عمـرو بـن أبي سـلمة، ورواه ابن أبي حاتم في تفسـيره (١٠/ ٣٤٤١) برقم [١٩٣٦٣]، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٥٦) برقم [٧٨٠] من طريقين عن صفوان بن صالح، كلاهما عن زهير به.

(٣) رواه أبو عبد الرحمن النحاس في رؤية الله [٩] واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» =

وقال ابنُ وهب: أخبرني شبيب، عن أبان، عن أبي تميمة الهجيمي أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله ﷺ: «أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَأْمُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُنَادِيًا يُنَادِي: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ أَوَّلَهُمْ وَآخِرَهُمْ أَنَّ اللهَ وَعَدَكُمُ الْحُسْنَى وَزِيَادَةً، الْحُسْنَى: الْجَنَّةُ. وَالزِّيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الرَّحْمَنِ»[1].

وأما الصحابة؛ فقال ابنُ جرير: حدثنا ابن يسار حدثنا عبد الرحمن هو ابنُ مهدي قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد، عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] **قال: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللهِ الْكَرِيمِ**[2].

وبهذا الإسناد عن أبي إسحاق، عن مسلم بن يزيد، عن حذيفة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] **قال: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ رَبِّهِمْ** تَعَالَىٰ[3].

= (٣/ ٤٥٧) برقم [٧٨٢] من طريق أسد به.

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٥/ ٦٥) برقم [١٧٦١٨] وابن مردويه في تفسيره كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٢٥).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ٦٣) برقم [١٧٦١٠]، ورواه إسحاق في مسنده (٣/ ٧٩٣) برقم [١٤٢٤]، وهناد في «الزهد» (١/ ١٣١) برقم [١٧٠]، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٣٣١) برقم [٤٨٣]، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٥٧) برقم [٤٧١]، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٥٠) برقم (٧ - ٢٦٤)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»، ص: [٢٢١] برقم [٣٤٢]، والآجري في «التصديق بالنظر»، ص: [٣٧]، برقم (١٩، ٢٠، ٢١) وابن منده في «الرد على الجهمية»، ص [٥١]، برقم (٣ - ٨٤).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ٦٤) برقم [١٧٦١٤]، ورواه إسحاق في مسنده (٣/ ٧٩٣)، برقم [١٤٢٤]، وهناد في «الزهد» (١/ ١٣١برقم١٧٠) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٣٨١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٣٣٠) برقم [٤٨٢]، وعثمان الدارمي في «النقض على المريسي» (٢/ ٧١٩)، وفي «الرد على الجهمية»، ص: [١١٨] برقم [١٩١] وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٥٨) برقم [٤٧٣]، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٥١) برقم (٨ - ٢٦٤ و٩ - ٢٦٥) وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»، ص [٢٢٢] برقم [٣٤٣]، والآجري في «التصديق بالنظر»، ص: [٣٨]، برقم [٢٢]، والدارقطني في «الرؤية» (٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد =

قال: حدثنا علي بن عيسى حدثنا شبابة حدثنا أبو بكر الهذلي قال: سمعت أبا تميمة الهجيمي يحدث عن أبي موسى الأشعري قال: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَبْعَثُ الله تَعَالَىٰ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مُنَادِيًا يُنَادِي: هَلْ أَنْجَزَكُمُ الله مَا وَعَدَكُمْ؟ فَيَنْظُرُونَ إِلَى مَا أَعَدَّ الله لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ(١).

وقال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال: أنبأنا أبو تميمة قال: سمعت أبا موسى الأشعري يخطب الناس في جامع البصرة ويقول: إِنَّ الله يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَلَكًا إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ أَنْجَزَكُمُ الله مَا وَعَدَكُمْ، فَيَنْظُرُونَ فَيَرَوْنَ الْحُلِيَّ وَالْحُلَلَ وَالأَنْهَارَ وَالأَزْوَاجَ الْمُطَهَّرَةَ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، قَدْ أَنْجَزَنَا الله مَا وَعَدَنَا، ثُمَّ يَقُولُ الْمَلَكُ: هَلْ أَنْجَزَكُمُ الله مَا وَعَدَكُمْ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَلا يَفْقِدُونَ شَيْئًا مِمَّا وُعِدُوا، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ بَقِيَ لَكُمْ شَيْءٌ؛ إِنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، أَلا إِنَّ الْحُسْنَى الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الله تَعَالَىٰ(٢).

= أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٥٨) برقم (٧٨٣، ٧٨٤) من طرق عن أبي إسحاق به.

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ٦٤) برقم [١٧٦١٦]، ورواه الدارقطني في «الرؤية» [٥٤] من طريق الحسن بن عرفة عن شبابة به.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد»، ص: [١٢٧] برقم [٤١٧] - رواية نعيم بن حماد) ومن طريقه الدارقطني في «الرؤية»، ص: [٦٨]، برقم [٥٦]، والدينوري في «المجالسة» (٦/ ١٧٦ - ١٧٨) برقم [٢٥٢٣]، ورواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»، ص [١٠٤] برقم [٩٥] من طريق عبد الله بن عثمان، والطبري في تفسيره (١٥/ ٦٤ - ٦٥) برقم [١٧٦١٥] من طريق سويد بن سعيد، والبيهقي في «البعث والنشور»، ص: [٢٦٢] برقم [٤٤٧] من طريق عتاب بن زياد، ثلاثتهم عن ابن المبارك به، واللفظ لابن جرير.

وفي تفسير أسباط بن نصر عن إسماعيل السدي، عن أبي مالك، وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مُرَّة الهمداني عن ابن مسعود: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: أَمَّا الْحُسْنَى فَالْجَنَّةُ، وَأَمَّا الزِّيَادَةُ فَالنَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الله تعالى، وَأَمَّا الْقَتَرُ فَالسَّوَادُ[١].

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى[٢] وعامر بن سعد[٣] وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي[٤] والضحاك بن مزاحم[٥] وعبد الرحمن بن سابط[٦]

---

(١) ذكره اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٥٩) برقم (٧٨٧، ٧٨٨) عن ابن أبي حاتم بإسناده إلى أسباط بن نصر به.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٩٦) والطبري في تفسيره (١٥/ ٦٦ - ٦٧) برقم (١٧٦١٩ - ١٧٦٢٣)، والدارمي في «الرد على الجهمية»، ص: [١١٨]، برقم [١٩٢]، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٤٨ - ٤٥٠) برقم (٤ - ٢٦١، ٥ - ٢٦٢، ٦ - ٢٦٣)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٤٤) برقم [٤٤٥]، والدارقطني في «الرؤية»، ص: (١٥٩ - ١٦٠) برقم (٢٣١ - ٢٣٦) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٦١)، برقم [٧٩١].

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ٦٣ - ٦٤، ٦٨) برقم: (١٧٦١٢، ١٧٦١٣، ١٧٦٢٨)، والدارمي في «الرد على الجهمية»، ص: [١١٩]، برقم: [١٩٤]، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٥٢)، وعبد الله ابن أحمد في «السنة» (١/ ٢٥٧) برقم [٤٧٢]، والدارقطني في «الرؤية»، ص: (١٦٠ - ١٦١) برقم (٢٣٧ - ٢٣٩) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٦١) برقم: (٧٩٢، ٧٩٣).

(٤) رواه الدارقطني في «الرؤية»، ص: [١٦١] برقم: [٢٤٠].

(٥) رواه الدارمي في الرد على الجهمية (ص١١٨ برقم١٩٣) والدارقطني في «الرؤية» (ص١٦٢ - ١٦٣) برقم: (٢٤٣، ٢٤٤).

(٦) رواه سعيد بن منصور (٥/ ٣١١ - التفسير) وابن ابي شيبة في المصنف (١٣/ ٤٢٩) وابن جرير في «التفسير» (١٥/ ٦٩) برقم [١٧٦٣٢]، والدارقطني في «الرؤية»، ص: [١٦٣] برقم (٢٤٥، ٢٤٦) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٦٢) برقم [٧٩٥].

وأبـو إسـحاق السـبيعي [١] وقتـادة [٢] وسـعيد بـن المسـيب [٣] والحسـن البصـري [٤] وعكرمـة مولى ابن عباس [٥] ومجاهد بن جبر [٦]: الْحُسْنَى الْجَنَّـةُ، وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وقال غيرُ واحد من السلف في الآيـة ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ [يُونُس: ٢٦]: بَعْدَ النَّظَرِ إِلَيْهِ [٧]. والأحاديث عنهم بذلك صحيحة.

ولما عطف سُبْحَانَهُ الزيادة على الحسنى التي هي الجنـة دلَّ على أنها أمر آخر مـن وراء الجنـة، وقـدر زائد عليها، ومن فسَّـر الزيادة بالمغفرة والرضـوان [٨] فهو من لوازم رؤية الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ٦٤) برقم [١٧٦١٥]، والدارقطني في «الرؤية»، ص (١٦٣ - ١٦٤) برقم: [٢٤٧]، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٦٢) برقم [٧٩٤].

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٩٤)، وابن جرير في «التفسير» (١٥/ ٦٨) برقم (١٧٦٢٩، ١٧٦٣٠) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٥٧ - ٤٥٨) برقم (١١ - ٢٦٨، ١٢ - ٢٦٩) والدارقطني في «الرؤية»، ص: [١٦٤]، برقم: [٢٤٨]، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٦٣) برقم [٤٩٨].

(٣) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٦٠) برقم [٧٨٩].

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ٦٧) برقم [١٧٦٢٤]، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٦٠) برقم [٧٩٠]، والبيهقي في «الاعتقاد»، ص: [١٣٢].

(٥) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٦٢ - ٣٦٣) برقم [٤٩٦].

(٦) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٦٣) برقم [٤٩٧].

(٧) رواه ابن أبي شيبة (١٣/ ٤٢٦)، والدارمي في «الرد على الجهمية»، ص: [١١٨]، برقم [١٩٢]، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٤٤) برقم [٤٤٥]، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٤٨ - ٤٤٩) برقم (٤ - ٢٦١)، والطبري في تفسيره (١٥/ ٦٦، ٧٣)، برقم (١٧٦١٩، ١٧٦٢٢، ١٧٦٤٣، ١٧٦٤٤)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٤٦١) برقم [٧٩٢]، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى.

(٨) علَّقه البخاري في صحيحه (٨/ ٣٤٧ - فتح الباري) عن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ ووصله ابن جرير في تفسيره =

الشرح:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه؛ وبعد:

فقد اعتنى ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب بسرد الأدلة من القرآن، ومن السنة، ومن كلام الصحابة، والتابعين، وأئمة التفسير على إثبات رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الدار الآخرة، وقد مرَّ بنا في الدرس السابق بعضُ الأدلة مع شرحها، ومن تلكم الأدلَّة سؤال موسى لربِّه عَزَّ وَجَلَّ أن ينظر إليه، فقال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وعند أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن جرى مجراهم من الخوراج والروافض من الفرق الضالة التي تنكر رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الدار الآخرة يعتبرون هذه الآية من أدلَّتهم على نفي رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ، فبيَّن هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذه الآية تحمل أدلَّة من وجوه عديدة على إمكان رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ ومنها أن موسى سأل هذا الأمر ولو كان مستحيلًا ما سأله، ومنها أنه علَّق الرؤية على إمكان استقرار الجبل وهذا أمرٌ ممكن، وغيرها من الأدلَّة التي ساقها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واستخرجها من هذه الآية. ومن الأدلَّة التي تقدَّمت قولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، وقوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ١١٠].

فعلَّق عليها ابنُ القيم أن اللقاء في اللغة للحيِّ السليم السالم من الموانع ليس المراد منها إلا الرؤية، وأدلَّة الملاقاة من ضمن الأدلة التي يُثبت بها رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الآخرة.

= (١٥/ ٧٠) برقم [١٧٦٤٠]، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٩٤٥) برقم [١٠٣٤٣]، والفريابي كما في «تغليق التعليق» لابن حجر (٤/ ٢٢٢)، وزاد السيوطي نسبته في «الدر المنثور» (٤/ ٣٥٩ - ٣٦٠) إلى «ابن أبي شيبة وابن المنذر».

ومنها هذه الآية التي ساقها، وساق تفسيرها من سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن تفسير الصحابة وأئمة التفسير؛ هذه الآية: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ **دارُ السلام**: الجنة، ﴿ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٥ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [يونس: ٢٥ - ٢٦]. الذين أحسنوا في الدنيا الحسنى وهي الجنة جزاءً على إحسانهم؛ ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، ﴿ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٦] فهذه الآية من الأدلة الواضحة على ثبوت رؤية المؤمنين ربَّهم في الدار الآخرة.

الحسنى الجنة، والزيادة هي رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهي أمر أفضل في نفوس أهل الجنة من نعيم الجنة نفسه.

وساق التفسير من سنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لهذه الآية؛ وهو حديث صهيب الذي رواه الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإسناده إلى صهيب الصحابيِّ الجليل أن المراد بالزيادة المذكورة في هذه الآية هي رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ساق الحديث قال: روى مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب قال: قَرَأَ رَسُولُ الله: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ**» نسأل الله أن يدخلنا الجنة وأن يجيرنا من النار «**نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ الله مَوْعِدًا وَيُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ**» **يعني**: بعدما دخلوا الجنة واستقرُّوا فيها وتمكنوا من نعيمها أرسل هذا المَلَك يناديهم ليزيدهم من النعيم، ليزيدهم ما هو أفضل من هذا النعيم الذي هم فيه؛ وهو إكرامهم برؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولقائه عَزَّوَجَلَّ، «**فَيَقُولُونَ: مَا هُوَ؟! أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَيُزَحْزِحْنَا عَنِ النَّارِ؟**» **يعني**: هذا نعيم عظيم وإكرام كبير، فما هو هذا الشيء؟ قال: «**فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ**» الحجاب الذي قال فيه: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ**

مَـا انْتَهَـى إِلَيْهِ بَصَـرُهُ»[١] **يعني:** في هذه الحياة الدنيا، أمـا الآخرة فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يهيِّئ الكـون، ويهيِّئ المؤمنين والملائكة؛ يهيِّئهم لرؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعد انكشـاف هذا الحجاب الـذي لـو حصـل في الدنيا لأحـرق كل ما انتهى إليه بـصرُه، ولكن الله يهيِّـئ هذا الكون والملائكة والمؤمنين من البشر ويُعدُّهم ليطيقوا بسـهولة هذا الأمر العظيم؛ وهو رؤية الله عَزَّوَجَلَّ بعد انكشاف الحجاب.

«فَيَكْشِـفُ الْحِجَـابَ فَيَنْظُـرُونَ الله، فَمَا أَعْطَاهُمْ شَـيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِـمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَهِيَ الزِّيَادَةُ».

هذا الحديث يرويه مسلم بإسناده إلى الصحابي الجليل صهيب الرومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث صحيح، وقد انتقده الإمام الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ، وأنا درسـته دراسة جيِّدة، وأثبتُّ صحة الحديث، وهو مذكور في كتابي: (بين الإمامين: ح [٦]، ص [٤٨]، ط: الرشد).

وقال الحسـن بن عرفة: حدثنا مسـلم بن سـالم البلخي، عن نوح بن أبي مريم، عن ثابـت، عـن أنس قال: سُـئِلَ رَسُـولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَـنْ هَذِهِ الآيَـةِ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قَـالَ: **«لِلَّذِيـنَ أَحْسَـنُوا الْعَمَلَ فِي الدُّنْيَا الْحُسْـنَى؛ وَهِيَ الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ؛ وَهِيَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الله تَعَالَى».**

هـذا حديث ثـانٍ يُعزى إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو واهٍ، في إسـناده نوح بن أبي مريم كذَّبـوه[٢]، ويغنـي عنه الأحاديث الأخرى، وإن كان في كلٍّ منهـا مقال، لكنها تتعاضد، هذا بالإضافة إلى الأدلَّة الكثيرة الواردة في هذا الباب التي بلغت درجة التواتر.

---

(١) رواه مسلم في كتاب «الإيمان»، الحديث برقم [١٧٩]، من رواية أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظـر: «تهذيب التهذيب» (١٠/ ٤٣٤ - ٤٣٥)، ت: برقم [٨٧٨]، و«ميزان الاعتدال» (٤/ ٢٧٩ - ٢٨٠)، ت: برقم [٩١٤٣].

[وقال محمد بن جرير: حدثنا ابن حُميد حدثنا إبراهيم بن المختار، عن ابن جريج، عن عطاء، عن كعب بن عجرة عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ].

فوائد في علم الجرح والتعديل

وهذا فيه محمد بن حُمَيد الرازي، وفيه كلام عند المحدثين؛ يزكِّيه الإمام أحمد، وينتقده غيرُه ويضعِّفه ويبالغ في تضعيفه[1]، وممن يُضعِّفُه ابنُ خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ، فقيل له: الإمام أحمد يُعدِّله أو يُزَكِّيه، فقال: «لو عرفه أحمد كما عرفناه لما زكَّاه»[2]، وهذا منهجٌ يسير عليه أهل السنة والجماعة وأئمة الحديث؛ وهو أن من عَلِمَ حُجَّةٌ على من لم يعلم، وأن الجرح مُقَدَّم على التعديل، وأنه لا غضاضة في هذا ولا نقص من أيِّ إمام يُزَكِّي رجلًا، ثم يأتي من هو مثله أو دونه فيُثبت بالحجة والبرهان الطعن في هذا الرجل الذي زكَّاه ذلكم الإمام، لا ضير في هذا ولا حرج، ولا يقال أن هذا تنقص، ولا يقال مخالفة، ولا شيء؛ لأنهم يدورون مع الحجج والبراهين، لا يريدون إلا الحق، ولا يريدون إلا وجه الله عَزَّ وَجَلَّ، فلا تأخذهم في الله لومة لائم، ما يقول: زكَّاه أحمد، زكَّاه الشافعي؛ لماذا أجرحه؟! لا، ما يقولون هذا الكلام، بل يصدعون بالحق، ويتلقَّاه أئمة السنة كلهم بصدور رحبة، لا يرون في ذلك حرجًا أبدًا.

لكن الآن نحن في عصر الظلمات والجهل الكثيف الذي صبَّه أهل البدع والأهواء على منهج أهل السنة والجماعة، فالإمام أحمد إمام أهل السنة، وهل قال أحدٌ: إن مخالفة ابن وارة والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم وابن خزيمة وغيرهم ممن جرحوا محمد بن حُمَيْد،

---

(١) قال أبو نعيم بن عدي: سمعت أبا حاتم محمد بن إدريس الرازي في منزله وعنده عبد الرحمن بن يوسف بن خراش وجماعة من مشايخ أهل الري وحفاظهم، فذكروا ابن حميد، فأجمعوا على أنه ضعيف في الحديث جدًّا، وأنه يحدِّث بما لم يسمعه، وأنه يأخذ أحاديث أهل البصرة والكوفة فيحدِّث بها عن الرازيين. «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٦١)، «تهذيب التهذيب» (٩/ ١١٣ - ١١٤).

(٢) «تهذيب التهذيب» (٩/ ١١٥)، ت برقم: [١٨١]، و«ميزان الاعتدال» (٣/ ٥٣٠) برقم [٧٤٥٣].

قالوا: إنهم ينتقصون أحمد أو يخالفه كلهم، فتجد أصحاب أحمد وتجد أصحاب الشافعي إذا كان الرجل قد مدحه أحمد، وجرحه غيره والحجة معهم، يقبلون جرح صاحب الحجة، وكذلك أتباع الشافعي إذا زكّى مثل محمد بن إبرهيم بن أبي يحيى وجرحه غيره، تلقَّوا هذا الجرح بالقبول، وما قالوا: والله إمامنا زكَّاه، حاشاهم أن يقولوا هذا! وهكذا - يا إخوة - تربَّوا على هذا المنهج المبارك الطيب، ويجب ترك التعصب لأيِّ شخص كائنًا من كان، إلا محمَّدًا ﷺ فهو لا يُنتقد، ولا تُقبل مخالفته من أحد، وكذلك أصحاب محمَّدٍ؛ فإن محمَّدًا ﷺ يدور مع الحق أينما دار، وأصحاب محمَّدٍ كذلك يدور معهم الحق أينما داروا، إلا إذا اختلفوا فالراجح من أقوالهم ما يدعمه الدليل، ومن عداهم فكلٌّ يُؤخذ من قوله ويُردُّ - رضوان الله عليهم وصلى الله على نبيِّنا محمد -.

ابن جرير إمام يحدِّث عن ابن حُمَيد، نقول: هذا الأثر الذي يرويه ابن جرير من طريق محمد بن حُميد ضعيف، وابن جرير يروي عنه، فلعلَّه ممن زكَّاه، ولكن ندور مع الحجة، فمن جرح قَدَّم الحجَّة على جرحه(١).

---

(١) **قال سعيد بن عمرو البرذعي:** قلت لأبي حاتم أصح ما صح عندك في محمد بن حميد الرازي أي شيء هو؟ فقال لي: كان بلغني عن شيخ من الخلقانيين أن عنده كتابًا عن أبي زهير، فأتيته فنظرت فيه، فإذا الكتاب ليس من حديث أبي زهير، وهي من حديث علي بن مجاهد، فأبى أن يرجع عنه، فقمت وقلت لصاحبي: هذا كذاب لا يحسن أن يكذب.

قال: ثم أتيت محمد بن حميد بعد ذاك، فأخرج إلي ذلك الجزء بعينه، فقلت لمحمد بن حميد: ممن سمعت هذا؟ قال: من علي بن مجاهد، وقع الكتاب إلى حاذق لا يجهل ما بين علي إلى أبي زهير، وكتبت منه أحاديث وقرأها علي محمد بن حميد وقال فيها: حدثنا علي بن مجاهد، فأسقط في يدي وتحيَّرت! فأتيت الشاب الذي كان معي يوم أتيت ذلك الشيخ فأخذت بيده فسرنا جميعًا إلى الشيخ فسألناه عن الكتاب الذي كان أخرجه إلينا يومئذ، فقال: ليس الكتاب عندي اليوم قد استعاره مني محمد بن حميد منذ أيام!

قال لي أبو حاتم: فبهذا استدللت على أنه كان يومئ إلى أنه أمره مكشوف!

قال البرذعي: وقال لي حجاج بن حمزة: هل سمعت من أبي زرعة ومن أبي حاتم في محمد بن حميد =

الإسناد هنا: «عن ابن جريج عن عطاء» قد يفهم القارئ أن عطاء هذا هو ابن أبي رباح؛ لأن ابن جريج يروي عن عطاء هذا، ويروي عن عطاء بن أبي رباح الإمام العظيم، وإمام أهل مكة، وأعلم الناس بالمناسك. وعطاء الخراساني من علماء التفسير، وعالم وفاضل، ولكنه دون عطاء، ذاك دون عطاء بن أبي رباح المكي تلميذ ابن عباس، دونه في العلم والدرجة والمكانة والمنزلة، ومع أن ابن جريج مدلِّس، وإذا عنعن عن عطاء ابن أبي رباح؛ فإنه يُغتفر ويُغض النظر عن هذه العنعنة ولا تُعتبر تدليسًا، وإذا عنعن عن غيره ومنهم عطاء الخراساني؛ فإنه يُقدح في هذه العنعنة، ويقال: إن فيها تدليس ابن جريج مع إمامته، ولا يخفى عليكم أن من الأئمة من رُمي بالتدليس، لكن التدليس ليس كذبًا وإنما فيه ضربٌ من الإيهام، فلا يُقبل من هذا المدلِّس روايتُه إذا عنعنها، إلا إذا صرَّح بالتحديث من وجه آخر أو في مناسبة أخرى صرَّح بالتحديث أو السماع، حينها تُقبل روايته[1]؛ لأنه ثقة واستخدم أسلوبًا من الإيهام، فإذا أوهمنا بعنعنته أو بقوله: قال أو عن أو ما شاكل ذلك؛ فإننا لا نقبل منه، هذا دين الله، وهذا من حماية الله لهذا الدين، ولو كان هذا المدلِّس إمامًا كبيرًا مُعَظَّمًا عند الأمة فإنهم لا يقبلون، ومن باب المناسبة فإن ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَسَّم المدلِّسين إلى طبقات: الطبقة الأولى والطبقة الثانية يُغتَفر في عنعنتهم، ويُغضُّ الطرف عن هذه العنعنة وما لها من أثر من التدليس، وتُقبل روايتهم. وباقي الطبقات من الثالثة والرابعة والخامسة؛ هؤلاء لا تُقبل عنعتهم أبدًا، إلا إذا صرَّحوا بالسماع أو التحديث

= شيئًا واضحًا يعمل عليه؟ فحدثته بهذه الحكاية، فقال لي حجاج: ما بلغني عنه شيء أوضح من هذا. سؤالات البرذعي لأبي زرعة الرازي (٢/ ٧٣٨ - ٧٤٠)، و«تاريخ بغداد» (٢/ ٢٦٣ - ٢٦٤)، و«تهذيب التهذيب» (٩/ ١١٤).

(١) قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرسالة»، ص (٣٧٩ - ٣٨٠): «ومن عرفناه دلَّس مرَّة فقد أبان لنا عورته في روايته، وليس تلك العورة بالكذب فنرد بها حديثه، ولا النصيحة في الصدق فنقبل منه ما قبلنا من أهل النصيحة في الصدق، فقلنا: لا نقبل من مدلس حديثًا حتى يقول فيه: حدثني أو سمعت».

مـن وجـوه أخرى. وطبقة شـاذَّةٌ أهلها ضعفـاء لا تقبل رواياتهم ولـو صرَّحوا بالتحديث والسماع.

كون ابن جريج مدلِّسًا إن كان تدليسه من روايته عن عطاء ابن أبي رباح؛ فيُغتفر في عنعنته هذه، ولا يقال: دلَّس، وتُقبل وكأنه صرَّح بالسماع، أما إذا كان تدليسه من روايته عن عطاء الخراسـاني؛ فـإن للعنعنة هذه أثرها؛ لهذا نبَّه ابن القيـم، وهذا من الأمانة؛ لأن السلف كما تعرفون يروون الأحاديث والآثار بأسانيدها، منها الضعيف شديد الضعف، ومنهـا الحسـن، ومنها المـتروك؛ من في روايته متروك، ومـن في روايته متهم، فإن كان فيها واحـدٌ مـن هذه الأحـوال؛ فإنهم يكتفون بسـياقة الإسـناد؛ لأنه ما عنـده تدليس، أعطاك الإسناد وأحالك عليه، فأنت تدرس، وإذا كنت عندك خلفية تعرف أن هذا دلَّس أو هذا ضعيف أو هذا سيء الحفظ أو هذا مُتَّهم بالكذب أو هذا كذَّاب..، يحيلك على السند، فما غَشَّك، ولا يُعتبر هذا العمل غشًّا منه، لكن قلنا: مثل هذه الآثار إذا تجمَّعت تعاضدت، ودلَّ عـلى صحـة ذلك الأمر الذي تكاثفت عليه الأسـانيد يدلُّ على أن لـه أصلًا، أما أن تكون ثابتة في الكتاب وثابتة في السـنة، فالآثار تُروى هنا للاستئناس، وتُعطي شـيئًا من القوة أيضًا، والأدلة إذا تعدَّدت أعطت قوةً أكثر وأكثر.

[قال ابن جرير: وحدَّثنا ابنُ عبد الرحيم قال: حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال: سمعت زهيرًا، وقال يعقوب بن سـفيان: حدثنا صفوان بن صالح قال: حدثنا الوليد ابن مسـلم حدثنا زهير بن محمد قال: حدثني من سمع أبا العالية الرياحي يحدِّث عن أبيِّ بن كعب قال: سـألت رسـول الله ﷺ عن الزيادة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ قوله تَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: «الْحُسْنَى: الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الله عَزَّوَجَلَّ»].

وهذا الإسناد أيضًا فيه نظر؛ لأن عندنا زهير بن محمد هذا إذا حدَّث عنه الشاميون فروايته ضعيفة، هو حجة، لكن إذا روى عنه الشاميون خاصة فروايته ضعيفة، حتى قال فيه الإمام أحمد: «إذا حدَّثك أهل الشام عن زهير فكأنما هو زهير آخر»[1]؛ لأن عندهم اضطربت روايته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ففيها رواية الشامي عنه وهو الوليد بن مسلم وعمرو بن أبي سلمة وهو أبو حفص التنيسي[2]، والوليد هنا صرَّح بالتحديث، لكن في الإسناد زهير بن محمد وهو حافظ، ولكن رواية الشاميين عنه ضعيفة، ولكنها تتقوَّى بغيرها.

[وقال أسد السنة]: هذا أسد السنة هو أحد المجاهدين الذي كان معروفًا بالعدل وبالسنة فعلًا، وبقمع أهل البدع، فكتب إليه أسد بن موسى الأُموي - من سلالة بني أمية الخلفاء - رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان من علماء الحديث وأئمتهم، ومن أهل السنة فعلًا، فكتب إلى أسد السنة هذا وهو أحد القُوَّاد الكبار والفاتحين والمجاهدين والقامعين لأهل البدع والضلال، كتب إليه كتابًا طويلًا[3] يشكره على قمعه لأهل البدع والضلال، هكذا كان أهل السنة يسرُّهم أن يُقمع أهل الأهواء، ويشكرون من يفعل ذلك، ولو شدَّد تكون شِدَّتُه هذه محمدة، أما عصرنا هذا فقمع أهل البدع عندهم مع الأسف الشديد من الأمور المذمومة!

لقد هزلت حتى بان من هزالها كلاها وحتى سامها كلُّ مفلس

---

(١) قال محمد: أنا أتقي هذا الشيخ كأن حديثه موضوع وليس هذا عندي زهير بن محمد وكان أحمد بن حنبل يضعف هذا الشيخ ينبغي أن يكون قلب اسمه، أهل الشام يروون عن زهير بن محمد هذا مناكير.
«علل الترمذي الكبير». (٢/ ٤٤٠)، (٢/ ٤٤٨).

(٢) قال الأثرم عن أحمد في رواية الشاميين عن زهير: يروون عنه مناكير، ثم قال: وأما أحاديث أبي حفص ذاك التنيسي عنه، فتلك بواطيل موضوعة أو نحو هذا، فأما بواطيل فقد قاله.
وقال النسائي في روايته عن زهير: عنه مناكير. «تهذيب التهذيب» (٣/ ٣٠١، ٣٠٢).

(٣) رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها»، ص: (٢٨ - ٣٠).

فالآن يحاكمونك على سيد قطب: لماذا تنتقده؟ دعه ولو سخر من نبي الله موسى! ولو طعن في الصحابة ولاسيما عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ!

ما هو الإسلام الذي يريدون نشره إذا كانوا يغضبون لأهل البدع الكبرى ويحاربون أهل السنة من أجلهم؟!

[وقال أسد السنة: حدثنا قيس بن الربيع قال: حدثنا أبان[1] عن أبي تميمة الهجيمي أنه سمع أبا موسى يحدث أنه سمع رسول الله يقول: «يَبْعَثُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُنَادِيًا يُنَادِي يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ أَوَّلَهُمْ وَآخِرَهُمْ أَنَّ اللهَ وَعَدَكُمُ الْحُسْنَى، وَالْحُسْنَى الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ».

فعلى كل حال إن كان في هذا الحديث كلام؛ فإنه يتقوَّى بالأحاديث والآثار، **ومعناه:** أن الله يبعث يوم القيامة مناديًا ينادي: «**يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ أَوَّلَهُمْ وَآخِرَهُمْ**»، أهل الجنة على كثرتهم وهم ملايين، فيُسمع أوَّلهم وآخرَهم، مَلَكٌ ينادي ليس عنده مكبِّر ولا شيء من الأجهزة الموجودة الآن، ولكن الله يعطيه قوة، فما بالكم إذا كان إسرافيل ينفخ فيتمزق هذا الكون من هذه النفخة، ويصعق من في السماء ومن في الأرض من نفخة ملك واحد! ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ [يس: ٢٩]، يعني هذا عذاب في الدنيا لبعض المجرمين، نفخة..! ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ ينفخ نفخة واحدة تعود الأرواح إلى أجسادها ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

---

(١) قد روى هذا الحديث ابن وهب عن شبيب بن سعيد عن أبان - كما سيأتي -، وشبيب يروي عن أبان ابن أبي عياش؛ كما في «التهذيب» (٤/ ٢٦٩)، ت برقم: [٥٣٤]. ولهذا الحديث طريق أخرى فيها التصريح باسم أبان بن أبي عياش، أخرجها الدارقطني في «الرؤية»، ص: [٦١]، برقم [٥٣] من طريق إبراهيم بن أبي بكرة عن أبان بن أبي عياش به نحوه.

فـالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق خلقًا عظيمًا منهم الملائكة، الملك الذي جاء للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رجوعه من الطائف إلى مكة، لما أوذي من ابن عبد ياليل، فقال له: «**إِنْ شِئْتَ أَطْبِقُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ**»(١)، لو أراد أن يطبق الجبال كلها لأطبقها؛ لأن الله أعطاه من القوة ما لا يعلمه إلا الله، وهذا دليل على قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يخلق هذا الكون، ويخلق فيه الملائكة عندهم من القوة ما لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فينادي بصوت يُسمع الأولين والآخرين: [**إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمُ الْحُسْنَى، وَالْحُسْنَى: الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةَ: النَّظَر إِلَى وَجْهِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ].

وقال ابن وهب - يعني عبد الله بن وهب - أخبرني شبيب، عن أبان، عن أبي تميمة الهجيمي أنَّهُ سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله: «أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَأْمُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُنَادِيًا يُنَادِي يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ أَوَّلَهُمْ وَآخِرَهُمْ أَنَّ اللهَ وَعَدَكُمُ الْحُسْنَى وَزِيَادَةً، الْحُسْنَى الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الرَّحْمَنِ».

هذه كلها أحاديث فيها كلام، وهذا الحديث الأول عن أبي موسى مدارُه على أبان عن أبي تميمة، والثاني كذلك مداره على أبان عن أبي تميمة، ويحتاج إلى النظر فيهما، وأظن أن في الحديثين ضعفًا.

وهذه الأحاديث ساقها المؤلف معزوَّةً إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الثابتُ منها هو الحديث الأول الذي رواه الإمام مسلم عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والبقية في أسانيدها كلام، ولكن يُقوِّي بعضُها بعضًا، ويعضدها الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين وأئمة السنة.

---

(١) رواه البخاري في كتاب «بدء الخلق»، الحديث برقم [٣٢٣١]، ومسلم في كتاب «الجهاد والسير»، برقم [١٧٩٥]، من رواية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ثـم فرغ الإمـام ابن القيم من سـوق الأحاديـث، وانتقل منهـا إلى الصحابة الذين فسَّروا هذه الآية؛ وهي قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونُس: ٢٦].

قال: [**وأما الصحابة فقال ابنُ جرير: حدثنا ابن يسـار**[١] **حدثنا عبد الرحمن - هـو ابـن مهـدي - قـال: حدثنا إسـرائيل، عن أبي إسـحاق، عن عامر بن سـعد، عن أبـي بكـر الصديـق** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونُس: ٢٦] **قـال: النَّظَرُ إلَى وَجْهِ الله الْكَرِيمِ**].

يعني هنا يقال: إن أبا إسـحاق مدلِّس وقد عنعن، وعامر بن سـعد لم يلق أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالأثر فيه ضعف، ولكن كما قلنا تساق هذه الآثار للتقوية.

وبهذا الإسـناد: عن أبي إسـحاق، عن مسلم بن يزيد، عن حذيفة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونُس: ٢٦] **قَالَ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ رَبِّهِمْ** تَعَالَىٰ.

عن أبي إسحاق وقد علمتم أنه مدلِّس، وقد عنعن هنا عن مسلم بن يزيد عن حذيفة.

قال: [حدثنا علي بن عيسـى حدثنا شبابة حدثنا أبو بكر الهذلي قال: سمعت أبا تميمة الهجيمي يحدِّث عن أبي موسى الأشعري].

الأثر الأول أورده من طريق أبان عن أبي تميمة الهجيمي أنه سمع أبا موسى يحدِّث عن رسـول الله، يعني في الطريق الأول سـاقه حديثًا مرفوعًا إلى رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما هنا فالإسـناد اختلف لم يأت من طريق أبان، وإنما جاء من طريق أبي بكر الهذلي قال: سمعت أبا تميمة الهجيمي يحدِّث عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) الظاهر أنه ابن بشار كما ذكرت سلفًا.

الشـاهد: أن هذا موقوف، فصار هنـاك تعارض بين الوقف والرفع في هذه الرواية إلى أبي موسـى الأشـعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الأول أورده المؤلـف مـن طريـق أبـان عـن أبي تميمة عـن أبي موسـى مرفوعًا، ثم طريـق آخر يرويه أبو بكر الهذلي عـن أبي تميمة الهجيمي عن أبي موسـى موقوفًا، ولعلَّ الراجح الوقف على أبي موسـى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن له حكم الرفع؛ قال: [إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَبْعَثُ الله تَعَالَى إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مُنَادِيًا يُنَادِي هَلْ أَنْجَزَكُمُ الله مَـا وَعَدَكُـمْ؟ فَيَنْظُرُونَ إِلَى مَا أَعَدَّ الله لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَـةِ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] الزِّيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ].

هـذا مـن جملة الآثار عن الصحابة في تفسـير هذه الآية أن المؤمنـين يرون ربهم يوم القيامة.

[وقال عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال: أنبأنا أبو تميمة قال: سمعت أبا موسى الأشعري يخطب].

وهـذا مما يؤكـد أن الأثر موقـوف ويؤكد رجحـان الموقوف على المرفـوع يعني أنه تعـارض الرفـع والوقف في هذا الأثر إلى أبي موسـى روي مرفوعا من طرق مدارها على أبي بكـر الهذلي وعلى أبان بن أبي عياش وهما مـتروكان فظهر رجحان الوقف على الرفع. ورُوِيَ من طريقين موقوفًا، وهذا مما يُرَجِّح جانب الوقف على أبي موسى، وأنه من قوله، ولكن له حكم الرفع كما أسلفنا؛ لأنه مما لا مجال للرأي فيه تفسيرًا لهذه الآية.

[قال: سَمِعْتُ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ يَخْطُبُ النَّاسَ فِي جَامِعِ الْبَصْرَةِ، وَيَقُولُ: إِنَّ الله يَبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَلَكًا إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ أَنْجَزَكُمُ الله مَا وَعَدَكُمْ، فَيَنْظُرُونَ فَيَرَوْنَ الْحُلِيَّ وَالْحُلَلَ وَالأَنْهَارَ].

الحُلِـي: مـن أسـاور الذهب وأسـاور الفضة وما شـاكل ذلك، **والحُلَل**: الألبسة الأكسـية مـن الحريـر الأخضر، لباسـهم فيهـا أخضر، ولباسـهم فيها حرير؛ كـما ورد في القرآن الكريم.

والأنهـار: ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد: ١٥].

والأزواج المطهـرة: كما ذكر الله في آيات كثـيرة الحور العين: ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الدخان: ٥٤].

[فَيَقُولُـونَ: نَعَـمْ، قَدْ أَنْجَزَنَـا الله مَا وَعَدَنَا ثُمَّ يَقُولُ الْمَلَـكُ: هَلْ أَنْجَزَكُمُ الله مَا وَعَدَكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ؟ فَلا يَفْقِدُونَ شَيْئًا مِمَّا وُعِدُوا].

فـوالله أُعطـوا أكثر مما دار في خيالهـم؛ لأن فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سـمعت، ولا خطر على قلب بشر.

[فَيَقُولُـونَ: نَعَـمْ، فَيَقُولُ: قَدْ بَقِيَ لَكُمْ شَـيْءٌ؛ إِنَّ الله عَزَّوَجَلَّ **يَقُولُ**: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] **أَلا إِنَّ الْحُسْـنَى الْجَنَّـةُ، وَالزِّيَـادَةُ النَّظَـرُ إِلَى وَجْـهِ الله الْكَرِيمِ].**

وهذا وإن كان لم يُرفع، لكن لا يقول هذا أبو موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلا إذا كان سمعه من رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ويقـول: **[وفي تفسـير أسـباط بن نصـر، عن إسماعيل السـدي، عـن أبي مالك وأبي صالح، عن ابن عباس، وعن مُرَّةَ الهمداني، عن ابن مسـعود**: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] **قَالَ: أَمَّا الْحُسْنَى فَالْجَنَّةُ، وَأَمَّا الزِّيَادَةُ فَالنَّظَـرُ إِلَى وَجْـهِ الله** تَعَالَىٰ**، وَأَمَّـا الْقَـتَرُ فَالسَّـوَادُ] نفـاه الله عن أهل الجنـة، وأثبته**

لأهل النار: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، **وقال تعالى في سورة «عبس»:** ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ [عبس: ٤٠ - ٤٢]، **أعاذنا الله من هذا الخزي، وأعاذنا الله من النار، وما يتبعها من الخزي في الدنيا والآخرة.**

[وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعامر بن سعد، وإسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي، والضحاك بن مزاحم، وعبد الرحمن بن سابط، وأبو إسحاق السبيعي، وقتادة، وسعيد بن المسيِّب، والحسن البصري].

يعني هذه الأقوال لهؤلاء الأئمة لها أسانيد، ولكن أراد الإمام ابن القيم أن يختصر فسرد لنا أسماء هؤلاء الأئمة من أئمة التفسير الذين فَسَّرُوا هذه الآية، نقل عن عددٍ منهم: [سعيد بن المسيب والحسن البصري وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد بن جبر: أن الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى].

وقال غير واحد من السلف - غير هؤلاء المذكورين وغيرهم ممن مرَّ ذكرهم من الصحابة - قالوا في الآية: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] بَعْدَ النَّظَرِ إِلَيْهِ.

يعني بعد النظر إليه لا يرهقهم شيء لا قتر ولا ذلَّة، بل عزٌّ ونُضرة وجمال ونعيم وفرح برؤية الله تبارك وتعالى.

[والأحاديث عنهم بذلك صحيحة].

يعني: الأحاديث عنهم أن الله ينفي عنهم القترة وينفي عنهم الذلة صحيحة.

[ولما عطف سُبْحَانَهُ الزيادة على الحسنى التي هي الجنة دلَّ على أنها أمرٌ آخر].

هذا تفقُّه في الآية؛ الحسنى الجنة، وعطفت عليها الزيادة، والعطف يدل على المغايرة، فما هو هذا الغير؟ هذا الغير هو الذي فسَّره النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وفسَّره الصحابة والتابعون وأئمة التفسير، فسَّروا هذه الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

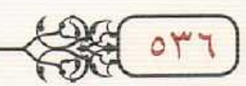
[ولما عطف سُبْحَانَهُ الزيادة على الحسنى التي هي الجنة دلَّ على أنها أمرٌ آخر من وراء الجنة، وقدر زائد عليها، ومن فسَّر الزيادة بالمغفرة والرضوان؛ فهو من لوازم رؤية الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ].

الرضوان: «وَأُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» – قال: فهو من لوازم رؤية الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

هذه من لوازم الرؤية، نحن نؤمن أن هناك مغفرة وهناك رضوانًا، ولكنها من لوازم رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وآثارها.

نسأل الله تَعَالَىٰ أن يوفِّقنا وإيَّاكم لما يحبُّ ويرضى، ونسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يكرمنا بالجنة، وأن يكرمنا بالنظر إلى وجهه الكريم، وأن يتفضَّل علينا بذلك، وإن كانت لنا ذنوب وعندنا تقصير ولكن رحمته أوسع التي وسعت كل شيء، نرجوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونحسن به الظن، ونسأل الله أن لا يخيِّب آمالنا ورجاءنا فيه، وأن يحققه لنا؛ إن ربنا لسميع الدعاء.





فَصْلٌ

الدليل الرابع

قوله تَعَالَى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]، ووجه الاستدلال بها أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته، واستماع كلامه، فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضًا محجوبين عنه.

وقد احتجَّ بهذه الحجَّة الشافعيُّ نفسه وغيرُه من الأئمَّة، فذكر الطبراني وغيره عن المزني قال: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] فِيهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَوْلِيَاءَ الله يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وقال الحاكم: حدثنا الأصم قال: أنبانا الربيع بن سليمان قال: حَضَرْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيَّ وَقَدْ جَاءَتْهُ رُقْعَةٌ مِنَ الصَّعِيدِ فِيهَا: مَا تَقُولُ فِي قَوْلِ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]؟ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَمَّا أَنْ حَجَبَ هَؤُلاءِ فِي السَّخَطِ كَانَ فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ يَرَوْنَهُ فِي الرِّضَى. قَالَ الرَّبِيعُ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الله وَبِهِ تَقُولُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَبِهِ أَدِينُ الله، وَلَوْ لَمْ يُوقِنْ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ أَنَّهُ يَرَى الله لَمَا عَبَدَ الله عَزَّوَجَلَّ. ورواه الطبراني في شرح السنة من طريق الأصم أيضًا[1].

وقال أبو زرعة الرازي: سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول: سئل محمد ابن عبد الله بن الحكم: هَلْ يَرَى الْخَلْقُ كُلُّهُمْ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُؤْمِنُونَ وَالْكُفَّارُ؟ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله: لَيْسَ يَرَاهُ إِلا الْمُؤْمِنُونَ.

---

(١) ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٥٠٥ - ٥٠٦) برقم [٨٨٤] من طريق الأصم به مثله.

قَالَ مُحَمَّدُ: وَسُئِلَ الشَّافِعِيُّ عَنِ الرُّؤْيَةِ، فَقَالَ: يَقُولُ الله تَعَالَى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] **فَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لا يُحْجَبُونَ عَنِ الله** عَزَّوَجَلَّ[(١)].

الشرح:

هـذا الكتاب [**حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**] للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحدَّث فيه عن أهل الجنة، وعن نعيم الجنة، وما فيها من الحور والقصور والأنهار والراحة والسعادة وحديث بعضهم البعض إلى آخره، ثم جاء بهذا الفصل، وقال: إنه أفضل الأبواب هو النعيم برؤية الله عَزَّوَجَلَّ، والنظر إلى وجهه الكريم، وإن هذا فوق كل نعيم يلقونه في الجنة.

ثم ساق فيه الأدلة الكثيرة من القرآن، ومن السنة، ومن أقوال الصحابة، وذكر أن الأحاديث قد تواترت في إثبات أن المؤمنين يرون ربَّهم في الجنة، وساق الأدلة التي يحتجُّ بها المعطِّلة على إنكار رؤية الله، فاستخرج منها الأدلَّة على بطلان استدلالهم، وبيَّن وجه الحق من هذه الأدلة، وأنه يستفاد منها رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كما تقدمت المناقشة في طلب موسى أن يرى ربَّه؛ كما في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فهذه الآية يحتجُّ بها المعتزلة والمعطِّلة على أن الله لا يُرى، بل يحتجُّون بها على تأبيد عدم الرؤية، وأن الناس لا يرونه أبدًا لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا شك أن الناس لا يرون الله ربَّهم في هذه الحياة الدنيا؛ لأن قُواهم لا تتحمل رؤية الله، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يخلقهم في الآخرة على هيئةٍ من الكمال والقدرة والطاقة التي تؤهِّلهم لرؤية الله عَزَّوَجَلَّ؛ وهو الخلاَّق العليم، وهو يفعل

---

(١) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٦٩) برقم [٨١٠] أخبرنا الحسين – ابن أحمد بن إبراهيم – قال: سمعت أبا زرعة أحمد بن الحسين الرازي به.

ما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وعدم الرؤية في الدنيا هي من الاختبار والابتلاء؛ لأن قضايا الغيب لا يصمد لها ويثبتها ويؤمن بها إلا من وفَّقهم الله عَزَّوَجَلَّ، فالمادِّيون لا يؤمنون إلا بما يرون، ويمتاز المؤمنون بأنهم يؤمنون بالغيب؛ كما مدحهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كثيرٍ من الآيات أنهم يؤمنون بالغيب، ومنها أنهم لا يرون الله في هذه الحياة الدنيا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن كل الكون يشهد بوجود الله وعلمه وحكمته وقدرته وتدبيره لهذا الكون سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا [الدليل الرابع: قَوْلُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]]. وهذه ساقها في سياق الوعيد للكفار، وهذا من أشدِّ ما توعَّدهم به، كما يقول ابن القيم وغيره، فإن المؤمنين يتنعَّمون بأعلى النعيم، وهو النظر إلى وجه الله، وهؤلاء يُحرمون من النظر إلى وجهه الكريم، وكيف ينعَّمون بهذه النعمة العظيمة وهم أشدُّ أعدائه، وقد كفروا به، وكذَّبوا رسلَه، فما جزاؤهم إلا النار، وإلا أن يُعذَّبوا ويُهانوا بعدم رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

بيِّن وجه الاستدلال من الآية: وهو أنه لما ذكر الله أن الكفار محجوبون في سياق سرد العقوبات والعذاب الأليم الذي يواجهونه، فيؤخذ منه ضد هذه الحال التعيسة للكفار يؤخذ منها أن أولياء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ينعَّمون برؤيته، كما حرم الله أعداءه من أن ينظروا إليه، ويتمتعوا بهذا النعيم العظيم الذي أنعم به على أوليائه من الأنبياء والصالحين وسائر المؤمنين وأكرمهم بهذه المنزلة العظيمة.

قال: [**ووجه الاستدلال بها أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه**].

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

[فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضًا محجوبين عنه].

ومشاركين للكفار في هذا الحرمان؛ إذن المؤمنون على ضد حال الكفار، حرم الله الكفار من هذه الكرامة ومن هذه المنزلة، وأضفاها على عباده المؤمنين.

وهذه ليست هي الدليل الوحيد كما مرَّ بكم، في الموضوع آيات وأحاديث في إثبات رؤية الله، وهذا الدليل يضاف إلى تلك الأدلة.

[وقد احتجَّ بهذه الحجة الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من الأئمة؛ ذكر الطبراني وغيره عن المزني قال: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] فِيهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَوْلِيَاءِ اللهِ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ].

هذا مفهوم المخالفة من الآية، مفهوم المخالفة هذا ليس هو الوحيد؛ يوافقه منطوقات كثيرة وصلت إلى درجة التواتر من السنة، وقبلها أدلَّة كثيرة من القرآن الكريم.

[فِيهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ].

فهذا وعيدٌ لأعدائه، فلا يشاركهم أولياؤه حجبهم عن رؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكما أن أولياءه لا يشاركونهم في النار والخلود فيها، كذلك لا يشاركونهم في هذه الإهانة.

[وقال الحاكم: حدثنا الأصم - هذا إسناد صحيح متصل إلى الشافعي - أنبانا الربيع بن سليمان قال: حَضَرْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسِ الشَّافِعِيَّ وَقَدْ جَاءَتْهُ رُقْعَةٌ مِنَ الصَّعِيدِ - وهو في مصر من صعيد مصر - فِيهَا - في هذه الرقعة -: مَا تَقُولُ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]؟ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَمَّا أَنْ حَجَبَ هَؤُلَاءِ فِي السَّخَطِ - يعني في حال غضب الله وسخطه عليهم - كَانَ فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ يَرَوْنَهُ فِي الرِّضَى].

نِعْمَ الفقه هذا! والشافعي هو من هو في الفقه والاستنباط رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ!

[قَالَ الرَّبِيعُ: فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الله وَبِهِ تَقُولُ؟ - وهذا سؤال غريب - قَالَ: نَعَمْ، وَبِهِ أَدِينُ الله - أتقرَّب إلى الله، وأدين بأني أرى الله يوم القيامة، وأن المؤمنين يرون ربهم -، وَلَوْ لَمْ يُوقِنْ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ - يعني: نفسه محمد بن إدريس الشافعي - أَنَّهُ يَرَى الله لَمَا عَبَدَ الله عَزَّوَجَلَّ].

من دوافع العبادة أنه يوقن برؤية الله عَزَّوَجَلَّ؛ فهذا أعظم ما تشتاق إليه النفوس الكبيرة المؤمنة، وهي رؤية الله عَزَّوَجَلَّ، فيُشَمِّر المؤمن عن ساعد الجدِّ في عبادة ربِّه والإخلاص له؛ لينال هذه الكرامة عند الله يوم القيامة في الآخرة.

[ورواه الطبراني في شرح السنة من طريق الأصم أيضًا].

اشترك الحاكم والطبراني في رواية هذا التفسير عن الشافعي بالأسانيد الصحيحة للشافعي؛ لأن مداره على الأصم وهو من أئمة الشافعية، ومن تلاميذ الربيع بن سليمان تلميذ الشافعي.

[وقال أبو زرعة الرازي: سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول: سُئِلَ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ - يعني هو من تلاميذ الشافعي ومن تلاميذ مالك -: هَلْ يَرَى الْخَلْقُ كُلُّهُمْ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُؤْمِنُونَ وَالْكُفَّارُ؟ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله: لَيْسَ يَرَاهُ إِلا الْمُؤْمِنُونَ].

يعني هذا رأيه، وقد تقدَّم لكم: هل يرى الكفار ربَّهم يوم القيامة؟ وذكر ابن القيم وغيره فيما تقدَّم أن المؤمنين والكفار والمنافقين يرون الله في عرصات القيامة؛ يرون الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم يقول الله عَزَّوَجَلَّ: لتتبع كلُّ أُمَّةٍ ما كانت تعبد، فيتبع عُبَّاد الشمس الشمس، وعُبَّاد القمر القمر، وعُبَّاد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة بما فيها منافقوها،

فيأتيهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيقول: هل لكم من علامة؟ فيقولون: نعم الساق، فيكشف الله عن ساقه، فيخرُّون سُجَّدًا، ويعجز المنافقون عن السجود تُصَفَّح ظهورهم، فلا يستطيعون السجود[1]؛ كما ذكر الله ذلك في آخر سورة (ن): ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣]، كانوا في الحياة الدنيا يُدعَون إلى السجود وهم سالمون فيرفضون السجود، والآن لا يُمَكِّنُهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من السجود، ويفضحهم الله عَزَّ وَجَلَّ، ويلحقون بالكفار، فيدخلهم الله النار، بل في الدرك الأسفل من النار، والعياذ بالله!

الشاهد: أن هذا ما حقَّقه ابن القيم: أن الأقوال الثلاثة في هل الكفار يرون ربهم؟ منهم من يقول: إنهم يرونه، ومنهم من يقول: لا يرونه، ومنهم محمد بن عبد الحكم هذا.

[قَالَ مُحَمَّدٌ: وَسُئِلَ الشَّافِعِيُّ عَنِ الرُّؤْيَةِ؟ - هذه طريق آخر إلى الشافعي في تفسيره لهذه الآية - فَقَالَ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لا يُحْجَبُونَ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ].

وهذا أحد الأدلة على إثبات رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهي كثيرةٌ جدًّا، وقد مضى منها ما مضى، وسيأتي منها ما يأتي.



(١) كما ثبت في حديث الشفاعة الطويل، من رواية عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في «التوحيد»، الحديث برقم [٧٤٣٩]، ومسلم في «الإيمان»، الحديث برقم [١٨٣].



فَصْلٌ

الدليل الخامس

قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣٥].

قال الطبراني: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: هُوَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ(١)، وَقَالَهُ مِنَ التَّابِعِينَ زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ وَغَيْرُهُ(٢).

يعني هذه الآية تتفق مع قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] **الحسنى**: هي الجنة، ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ما هو المزيد؟ هذا غيرُ الجنة، ما هو إلا رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الدار الآخرة.



---

(١) أثر علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه اللالكائي في «شرح أصول أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٩٣) برقم [٨٥٢].

أثر أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه البزار في مسنده [٧٥٢٨] والدارمي في «الرد على الجهمية»، ص [١٢٠]، برقم [١٩٨]، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٥٣٠) برقم [١٢٢٦]، وابن أبي حاتم - كما في «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٠٧) - وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»، ص: [١٠٤]، برقم [٩٤]، واللالكائي في «شرح أصول أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٦٩) برقم [٨١٣].

(٢) انظر: «شرح أصول أهل السنة والجماعة» لهبة الله اللالكائي الطبري (٣/ ٤٦٩).

فَصْلٌ

الدليل السادس

قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

والاستدلال بهذا أعجب! فإنه من أدلَّة النفاة، وقد قرَّر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه، وقال لي: أنا ألتزم أنه لا يحتجُّ مبطلٌ بآية أو حديث صحيح على باطله، إلا وفي ذلك الدليل ما يدلُّ على نقيض قوله، فمنها هذه الآية؛ وهي على جواز الرؤية أدلُّ منها على امتناعها؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إنما ذكرها في سياق التمدُّح، ومعلومٌ أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال، ولا يُمدَح الربُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالعدم، إلا إذا تضمَّن أمرًا وجوديًّا كتمدُّحه بنفي السِنَة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلاهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه، ونفي الشفاعة عنه بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب الشيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته؛ ولهذا لم يتمدَّح بعدمٍ محضٍ لا يتضمن أمرًا ثبوتيًّا؛ فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه.

فلو كان المراد بقوله: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ إنه لا يرى بحال؛ لم يكن في ذلك مدح ولا كمال؛ لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم الصرف لا يُرى، ولا تدركه الأبصار، والربُّ جَلَّجَلَالُهُ يتعالى أن يُمدح بما يشاركه فيه العدم المحضُ.

فإذن المعنى أنه يُرى ولا يُدرك ولا يُحاط به؛ كما كان المعنى في قوله: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾ [يونس: ٦١] أنه يعلم كلَّ شيء، وفي قوله: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨] أنه كامل القدرة، وفي قوله: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩] أنه كامل العدل، وفي قوله: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ أنه كامل القيُّوميَّة، فقوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ يدل على غاية عظمته، وأنه أكبر من كلِّ شيء، وأنه لعظمته لا يُدرك بحيث يحاط به؛ فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدرٌ زائد على الرؤية، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٢]، فلم ينف موسى الرؤية، ولم يريدوا بقولهم: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ إنَّا لمرئيُّون، فإن موسى - صلوات الله وسلامه عليه - نفى إدراكهم إيَّاهم بقوله: ﴿ كَلَّآ ﴾ وأخبر الله سُبْحَانَهُ أنه لا يخاف دركهم بقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٧٧]، فالرؤية والإدراك كلٌّ منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرَّبُّ تَعَالَىٰ يُرى ولا يُدرك كما يُعلم ولا يحاط به، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية:

قال ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ لا تُحِيطُ بِهِ الأَبْصَارُ[1].

قال قتادة: هُوَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الأَبْصَارُ[2].

وقال عطيَّةُ: يَنْظُرُونَ إِلَى اللهِ وَلا تُحِيطُ أَبْصَارُهُمْ بِهِ مِنْ عَظَمَتِهِ، وَبَصَرُهُ يُحِيطُ بِهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣][3].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٣) برقم [١٣٦٩٤].
(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٣) برقم [١٣٦٩٥]، و«زاد السيوطي نسبته في الدر المنثور» (٣/ ٣٣٥) إلى: أبي الشيخ وعبد بن حميد.
(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٣ - ١٤) برقم [١٣٦٩٦].

فالمؤمنون يرون ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأبصارهم عيانا ولا تدركه أبصارهم بمعنى أنها لا تحيط به إذ كان غير جائز أن يوصف الله عَزَّوَجَلَّ بأن شيئا يحيط به وهو بكل شيء محيط.

وهكذا يُسمِع كلامه من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه، وهكذا يعلِّم الخلق ما علَّمهم ولا يحيطون بعلمه.

ونظيرُ هذا استدلالهم على نفي الصفات بقوله تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؛ وهذا من أعظم الأدلَّة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله، وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها، وإلا فلو أريد بها نفيُ الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه، مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل: فلان لا مثل له، وليس له نظير ولا شبيه ولا مثل أنه قد تميَّز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها، وكلَّما كثرت أوصافه ونعوته فات أمثالَه، وبعُد عن مشابهة أضرابه.

فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ من أدلِّ شيء على كثرة نعوته وصفاته، وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ من أدلِّ شيء على أنه يُرى ولا يُدرك.

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] من أدلِّ شيء على مباينة الرب لخلقه؛ فإنه لم يخلقهم في ذاته، بل خلقهم خارجًا عن ذاته، ثم بان عنهم باستوائه على عرشه، وهو يعلم ما هم عليه، فيراهم وينفذهم بصرُه، ويحيط بهم علمًا وقدرة وإرادة وسمعًا وبصرًا، فهذا معنى كونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ معهم أينما كانوا.

وتأمَّل حسن هذه المقابلة لفظًا ومعنى وبين قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فإنه سُبْحَانَهُ لعظمته يتعالى أن تدركه الأبصار وتحيط به، وللطفه وخبرته يدرك الأبصار فلا تخفى عليه، فهو العظيم في لطفه، اللطيف في عظمته، العالي في قربه، القريب في علوّه الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

الشَّرح:

في هذا الفصل يضع لنا ابن تيمية وابن القيم قاعدتين، والتزما إحداهما، والثانية كذلك إن شاء الله:

الأولى- أنه لا يحتجُّ مبطلٌ على باطله بنصٍّ من القرآن والسنة الصحيحة إلا وذلك النص من القرآن أو السنة يتضمن بطلان ما يذهب إليه هذا الضال؛ ما من دليل يحتج به أهل الضلال من القرآن والسنة على أباطيلهم إلا وفي تلك الأدلة ما يدحضها ويبيِّن بطلانها، وهذا فقهٌ عظيم يؤتيه الله من يشاء من عباده، فرحم الله هذا الإمام ابن تيمية، ورحم الله ابن القيم وسائر أئمة الإسلام.

ويضرب مثلًا من هذه الآية، ويضرب لها أمثلة أخرى.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ساق الآية: والاستدلال بهذا أعجب - الاستدلال بقول الله تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] من أعجب الأدلة - فإنه من أدلة النفاة.

النفاة يعتمدون في إنكارهم رؤية الله على هذا النص وما شاكله، وهي تتضمن الحجج على بطلان ما يذهبون إليه، وعلى ضد ما يذهبون إليه.

قال: [**فإنه من أدلة النفاة، وقد قرَّر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه، وقال: أنا ألتزم أنه لا يحتجُّ مبطل** - ليس بهذه الآية فقط - **بآيةٍ أو حديث صحيح على باطله، إلا وفي ذلك الدليل ما يدلُّ على نقيض قوله - ضد قوله تمامًا** ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] **- فمنها قوله في هذه الآية، وهي على جواز الرؤية أولى منها على امتناعها**].

يحتجُّون بالآية على استحالة رؤية الله وامتناعها، وأنه لا يمكن أن يُرى الله عَزَّوَجَلَّ لا في الدنيا ولا في الآخرة، والآية تدلُّ على إمكان رؤية الله أكثر من دلالتها على استحالة رؤية الله عَزَّوَجَلَّ، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إنما ذكرها في سياق المدح.

طيِّب، وهل يمدح نفسه بلا شيء؟! يمدح نفسه بالسلوب بدون أن تتضمن كمالًا لله عَزَّوَجَلَّ؟

أيضًا القاعدة الثانية:

أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا ينفي عن نفسه شيئًا إلا وفي ذلك النفي ما يتضمن إثبات صفة كمال لله عَزَّوَجَلَّ، وضرب الشيخ أمثلة لذلك:

[**فمن أدلَّته - يعني هذه القاعدة -: فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إنما ذكرها في سياق التمدُّح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية**].

العلم أمر ثبوتي، القدرة والإرادة والسمع والبصر أمور ثبوتية، وفي الناس الكرم، والله الكريم أيضًا إلى آخره هذه الأوصاف، ما يُمدح الإنسان إلا بالصفات الثبوتية التي تتضمن الكمال، لا الصفات السلبية، والله أولى وأولى.

وأما العدم المحض فليس بكمال - كون الله لا يُرى إطلاقًا لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ فهذا ليس فيه أي مدح لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أبدًا؛ إذن ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ ليس المراد تنزيه

الله عن الرؤية عن أن يُرى، وإنما المراد إثبات أنه يُرى، ولكن لعظمته لا يُحاط به، فنفي الإدراك المراد به نفيُ الإحاطة، بل في المخلوقات ما يُرى ولا يحاط به؛ الشمس تُرى ولا يستطيع أحدٌ أن يحيط بها، السموات تُرى والكواكب والأشياء هذه، وما يستطيع المخلوقون أن يحيطوا بها، فكيف بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى!! الذي يقول: رأيت الشمس، يقال له: أحطت بها؟ يقول: لا، رأيت السماء، أحطت بها؟ يقول: لا، فكذلك الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُرى ولا يُحاط به، وهو أولى بذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن الكون بالنسبة إلى عظمة الله عَزَّوَجَلَّ كخردلة بالنسبة لأحد المخلوقين، ولا مشابهة؛ تعالى الله عن ذلك، فكيف يُحاط به!

قال: [**ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال، ولا يمدح الربُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالعدم إلا إذا تضمن أمرًا وجوديًّا - فهذه قاعدة لا ينفي عن نفسه شيئًا إلا وذلك النفي يتضمن إثبات كمال لله عَزَّوَجَلَّ كتمدحه بنفي السِّنَة والنوم**].

هذا نفي ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، فهذا لكمال قيُّوميَّته، إذن نفي السِنَة والنوم عنه لإثبات صفة كمال، وهي كمال حياته وقيوميته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ ثم قال بعدها: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] نفي السِنَة والنوم تأكيدٌ لإثبات كمال حياته وقيُّوميَّته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

[**ونفيُ الموت المتضمِّن كمال الحياة**].

فالله ينفي عن نفسه الموت لكمال حياته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكذلك حينما نفى عن نفسه الرؤية، فإنما ذلك لكمال عظمته، وأنه لا يستطيع أن يحيط به خلقه، ولا يحيطون به علمًا، وكذلك لا تدركه الأبصار مثل قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] لا يحيطون به رؤية.

[**ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة**].

لأن الإعياء واللغوب والتعب وما شاكل ذلك لا تكون إلا للضعيف، أما القوي القادر على كل شيء الذي يقول للشيء: كن، فيكون سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يناله لغوب ولا تعب ولا إعياء، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فلماذا نفى عن نفسه هذا الإعياء واللغوب وما شاكل ذلك؟ لكمال قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذه قاعدةٌ ضرب لها عددًا من الأمثلة أنه لا ينفي عن نفسه شيئًا إلا وذلك النفي يتضمن كمالًا لله عَزَّوَجَلَّ.

[ونفيُ الشريك والصاحبة والولد والظهير].

كل هذه الأشياء نُفيت عن الله عَزَّوَجَلَّ أو نفاها الله عن نفسه؛ لأنها تتضمن كمال ربوبيته وألوهيته وقهره وغناه عن خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص]. لماذا نفى هذه الأشياء عن نفسه؟ لكمال ربوبيَّته وألوهيَّته وقهره وكمال غناه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

[ونفي الأكل والشرب المتضمِّن كمال صمديَّته وغناه].

الصمد من تفسيراته السيِّد الذي بلغ نهاية السؤدد، ومن معانيه - أيضًا -: الذي لا يأكل ولا يشرب، ليس أجوف يأكل، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صمد؛ يعني: الصمد يجمع صفات عديدة من الصفات العظيمة التي تجمع صفات كمال، عديدة منها: أن الخلائق كلَّها تصمد وتتجه في مطالبها إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومنها أنه غنيٌّ عن الأكل والشرب لا يحتاج إلى أكل ولا شرب، فليس بأجوف، تعالى الله عن ذلك.

[ونفيُ الأكل والشرب المتضمِّن كمال صمديَّته وغناه].

فهو لا يحتاج إلى الأكل؛ هو مُنَزَّه عنه، تعالى الله عن ذلك.

[ونفيُ الشفاعة عنده بدون إذنه].

ليس نفيًا مطلقًا الشفاعة، لكنها لا تكون عند الله إلا بإذنه؛ لأن الملوك قد يشفع عندهم من لا يريدون منه الشفاعة، ولا يرضون بشفاعته، ولكن يتنازلون لرغبته خوفًا من انقلاب أو مشاكل وفتن، يخافون على ملكهم فيقبلون شفاعته، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يخاف، وغنيٌّ غنى مطلقًا، وعظيم غاية العظمة، بحيث لا يجرؤ أحد أن يتقدَّم بين يديه بشفاعة، إلا بعد إذنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]، فالشفاعة حقُّه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٤] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالشفاعة ملكه، ولا يجرؤ أحد من الملائكة ولا من الرسل ولا من غيرهم أن يشفع عند الله، إلا بعد أن يأذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى له، ولهذا يهاب الأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أولو العزم، يهابون الشفاعة ويتدافعونها؛ كلُّ واحدٍ يقول: لست بذاك؛ إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، اذهبوا إلى فلان؛ يحيل آدم إلى نوح، ويحيل نوح إلى إبراهيم، وإبراهيم إلى موسى، وموسى إلى عيسى، وعيسى إلى محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يذهب محمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيَخِرُّ ساجدًا تحت العرش، ويمرُّ عليه - كما في بعض الروايات[(١)] - أسبوع وهو ساجد، يحمد الله بمحامد لا يعرفها يلهمها الله إياه، ثم يقال له بعد ذلك: ارفع رأسك، وسل تُعط، واشفع تُشَفَّع[(٢)]، لا يشفع رأسًا، بل بعد تضرُّعٍ، ودعاءٍ طويل، ولجوء إلى الله، وأذكار

---

(١) عند أحمد (١/ ٤) والبزار [٧٦] وأبو عوانة (١/ ١٥٦١) برقم [٤٤٣]، وابن حبان (١٤/ ٣٩٣) برقم [٦٤٧٦] وغيرهم من حديث أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: رواه البخاري في «التوحيد» الحديث برقم (٧٤١٠، ٧٤٤٠، ٧٥١٠)، ومسلم في «الإيمان»، الحديث برقم [١٩٣].

ومن حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: رواه البخاري في «التفسير»، الحديث برقم [٤٧١٢]، ومسلم في «الإيمان»، الحديث برقم [١٩٤].

ومحامد ما يعرفها؛ علَّمه الله إيَّاها بعد كل ذلك وهو أقرب الخلق، ما أقدم على الشفاعة إلا بعد أن قال له: «ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ».

الشاهد: إن نفي الشفاعة لكمال عظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يعني هذا نفيٌ يتضمن كمالًا، كسائر الأمثلة التي سلفت والتي ستأتي.

[ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه].

لأن الحكام يفتقرون إلى الأنصار وإلى الظهراء، ويخافون منهم ويتَّقون شرَّهم لقبول شفاعتهم، وهم غير راضين، لكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قويٌّ، واحد، ربُّ هذا الكون وحده غنيٌّ عن الشفيع والظهير وما شاكل ذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا يجرؤ أحد أن يشفع عنده إلا بعد إذنه.

[ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه].

عندما يقول: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَت: ٤٦]، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكَهف: ٤٩] ويذكر في آيات كثيرة أنه لا يظلم أحدًا هل هو مجرَّدُ نفيٍ فقط، أو أن هذا النفي يتضمن كمالًا؟ يتضمن كمالًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ كمال علمه وعدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وغناه؛ لأن الإنسان قد تدفعه الحاجة إلى الظلم، وقد يدفعه حبُّ الظلم، والتعطش إلى سفك الدماء، وأخذ الأموال إلى آخره، والله مُنَزَّهٌ عن كل ذلك، إذن هو كامل في عدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غاية الكمال، وكامل في غناه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غاية الغنى، فلا يحتاج إلى ظلم أحد، ولا مثقال ذرة، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، ويتنزَّه عن الظلم.

[ونفيُ النسيان وعزوب الشيء عن علمه المتضمِّن كمال علمه وإحاطته].

إذًا ينفي عن نفسه النسيان، هل هذا يتضمن كمالًا أو لا؟ كمالٌ في غاية الكمال، وهو كمالُ علمه وإحاطته.

[ونفيُ المثل المتضمن لكمال ذاته].

سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، هل هذا مجرَّد نفيٍ فقط؟ أهل الضلال فهموا من قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ تعطيلَ الصفات ونفيَ الصفات عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ نفوا علمه، وسمعه، وبصره، واستواءه على عرشه؛ أخذًا بهذه الآية، انطلاقًا من هذه الآية! تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، لكن ماذا يفهم أئمة السنة من هذا النفي؟ يفهمون منه أن المراد به أنه بلغ الغاية من الكمال، وأنه موصوف حقًّا بصفات العظمة والجلال، وأنه لا يلحقه لاحق في كماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا أسلوب عربيٌّ؛ كما مثَّل له ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال:

[ولهذا لم يتمدَّح بعدم محض لا يتضمن أمرًا ثبوتيًّا؛ فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه].

يعني هنا نفي المثلية: هل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نفى عن نفسه المثلية لإثبات كماله وغاية كماله، أو نفى عن نفسه المثلية ليشارك المعدوم في أنه لا يوصف بشيء؟ الذي لا يوصف بشيء هو المعدوم، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، و﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] إلا لإثبات كماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غاية الكمال، لكثرة صفاته: علم، وقدرة، وإرادة، وسمع، وبصر، وصفات لا يحيط بها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، من أجل هذا نفى عن نفسه المماثلة؛ لأن الإنسان إذا تميَّز بصفات عديدة لا يشاركه فيها كثيرٌ من الناس يقال: ليس مثل فلان أحدٌ، هذه لغة عربية، تميَّز بعلم وشجاعة وكرم و و... إلى آخره، صفات كثيرة يقال: فلان هذا ليس له نظير، يعني: في كرمه وشجاعته وعلمه وكثرة صفاته فـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ لا يعني تعطيل الله من الصفات، تعالى الله عن ذلك كما يقول المبطلون المعطِّلون، وإنما هذا مدح له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن له من صفات الكمال ما لا يشاركه فيها أحد، ولا يماثله فيها أحد.

[ونفيُ المثل المتضمِّن لكمال ذاته وصفاته - فلا أحد يشاركه ويشابهه في ذاته ولا في صفته -؛ ولهذا لم يتمدَّح بعدم محضٍ لا يتضمَّن أمرًا ثبوتيًّا، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه - أبدًا الكاملُ لا يوصف بوصف يشترك فيه مع المعدوم؛ لأن هذا ذمٌّ ونقصٌ، ليس بكمال - فلو كان المراد بقوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ إنه لا يُرى بحالٍ لم يكن في ذلك مدح].

تأمَّل! قرَّر لك الإمام ابن القيم قاعدتين، وضرب لك أمثلة؛ ليثبت لك أن المراد بقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ إثباتُ كمال لله عَزَّوَجَلَّ، وأنه لعظمته يُرى ولا يُحاط به.

[لم يكن في ذلك مدحٌ ولا كمالٌ؛ لمشاركة المعدوم له في ذلك].

لأن المعدومات ما تُرى، فهل الله يمدح نفسه غاية المدح ليشارك المعدومات؟! فنعوذ بالله من عقول تتصوَّر هذا التصوُّر الفاسد: أن المقصود من قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أنه لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة، فهذا فهم رديء باطل، لا يتَّصف به إلا المعدوم، والله منزَّه عن مشابهة المخلوقات والمعدومات، فهمُهم سخيف في غاية السخف، وإنما كما قال ابن تيمية: إن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، لا بالصفات السلبية، وإذا نفى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأطلق على نفسه سلبًا فذلك السلب يتضمن كمالًا، كما في الأمثلة التي مرَّت من نفي السِنَة والنوم واللغوب وما شاكل ذلك، وهنا ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾، وهذا من الأدلة العظيمة الدالَّة على كماله، فالله لا ينفي عن نفسه شيئًا إلا لأنه يتضمَّن كمالًا، فنفيُ الإدراك هذا يتضمَّن كمالًا، وهو أنه يُرى لكن لا يحاط به لعظمته.



فنعلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ولا نحيط به علمًا، ونعلم كلام الله ولا نحيط به، ويرى المؤمنون الله في الآخرة ولا يحيطون به رؤيةً؛ لكمال عظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهذا الفصل يفيدنا جدًّا؛ **يعني**: أعطانا فيه قواعد طيّبة، تنفعنا في باب رؤية الله، وفي سائر أبواب صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الثبوتية والسلبيات، فما من سلب إلا ويتضمن كمالًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وساق الأمثلة التي تندرج تحت هذه القاعدة العظيمة.



فَصْلٌ

الدليل السابع

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وأنت إذا أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها، والكذب على المتكلّم بها سبحانه فيما أراده منها؛ وجدتها منادية نداءً صريحًا أن الله سبحانه يُرى عيانًا بالأبصار يوم القيامة، وإن أبيت إلا تحريفها الذي يسمِّيه المحرِّفون تأويلًا؛ فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها، وتأويل كلِّ نصٍّ تضمَّنه القرآن والسنة كذلك، ولا يشاء مبطلٌ على وجه الأرض أن يتأوَّل النصوص ويحرِّفها عن مواضعها، إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأوِّلٌ مثل هذه النصوص، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا!

وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محلُّه في هذه الآية وتعديته بأداة «إلى» الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدلُّ على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدَّى بإلى خلاف حقيقته وموضوعه صريحٌ في أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الربِّ جل جلاله؛ فإن النظر له عدَّة استعمالات بحسب صِلاته وتعدِّيه بنفسه؛ فإن عُدِّي بنفسه فمعناه التوقُّف والانتظار؛ كقوله: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]، وإن عدِّي بِفي فمعناه التفكُّر والاعتبار؛ كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وإن عُدِّي بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار؛ كقوله: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩]، فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محلُّ البصر!

قــال يزيد بن هارون: أنبانا مبارك، عن الحســن قــال: نَظَرَتْ إِلَى رَبِّهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَنَضُرَتْ بِنُورِهِ[(١)].

فاسمــع الآن أيُّها السُّنِّي تفســير النــبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابــه والتابعين وأئمة الإسلام لهذه الآية.

قال ابنُ مردويه في تفسيره: حدثنا إبراهيم، عن محمد، حدثنا صالح بن أحمد حدثنا يزيد ابن الهيثم حدثنا محمد ابن الصباح حدثنا المصعب بن المقدام حدثنا سفيان، عن ثوير ابن أبي فاختة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو قال: قَالَ رَسُولُ الله فِي قَوْلِـهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القِيَامَةِ: ٢٢] قَـالَ: «مِـنَ الْبَهَاءِ وَالْـحُسْـنِ» ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القِيَامَةِ: ٢٣] قَالَ: «فِي وَجْهِ الله عَزَّوَجَلَّ».

وقــال أبــو صالح، عــن ابن عبــاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تَنْظُـرُ إِلَى وَجْهِ رَبِّهَا عَزَّوَجَلَّ.

وقــال عكرمــة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القِيَامَةِ: ٢٢]، قَالَ: مِـنَ النَّعِيم، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القِيَامَةِ: ٢٣] قَالَ: تَنْظُرُ إِلَى رَبِّهَا نَظَرًا[(٢)].

ثــم حكــى عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مثله، وهذا قول كل مفسِّــر من أهل الســنة والحديث.

---

(١) رواه الآجري في «التصديق بالنظر»، ص: [٣٥] برقم [١٥]، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٦٤) برقم [٨٠٠].

(٢) رواه الدارمـي في «الـرد عـلى الجهميـة»، ص: [١٢١]، برقـم [٢٠٠]، وعبد الله بن أحمد في «السـنة» (١/ ٢٦١) برقـم [٤٨١]، والطـبري في «التفسـير» (٢٤/ ٧٢)، والآجـري في «التصديـق بالنظـر»، ص: [٣٦]، برقم (١٦، ١٧)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السـنة والجماعة» (٣/ ٤٦٥) برقم [٨٠٢].

الشَّرْحُ:

فقد أبدع ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سرد هذه الأدلة على إثبات رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الدار الآخرة، وناقشها أو ناقش الخصوم بالأدلة من حيث النصوص الصحيحة، ومن حيث العقل، ومن حيث اللغة رَحِمَهُ ٱللَّهُ مناقشة قوية، تفحم أهل الباطل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد تقدَّم لنا أدلَّة ستَّة على ثبوت رؤية الله في الدار الآخرة، وفي هذا الباب، وهذا الدليل السابع.

قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

فهذا أحد الأدلة الصريحة في إثبات رؤية المؤمنين لربِّهم يومئذ، **يعني**: يوم القيامة، فهي من الأدلَّة التي تدمغ أهل الباطل من المعتزلة والجهمية ومن جرى مجراهم من الخوارج والروافض، تدمغهم بصراحتها في إثبات رؤية الله عَزَّوَجَلَّ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **[وأنت إذا أَجَرْتَ]**: من الإجارة، يعني إذا سلمت من تأويلك هذه الآية، سلمت **[من تحريفها عن مواضعها، والكذب على المتكلِّم بها]**.

إذا سلمت من التحريف ومن الكذب على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بأن يقال على الله أنه أراد كذا، ما أراد إثبات أنه يُرى في الدار الآخرة! تأتي بتأويلات فاسدة، وتحريفات باطلة، فيقول: أنت إذا جَنَّبْت الآية هذا التحريف وهذا الكذب على الله في مراده، فيظهر لك ظهورًا واضحًا أن المراد في الآية رؤية المؤمنين لله، وأن المؤمنين يرون ربَّهم في الدار الآخرة.

[فيما أراده وجدتها منادية نداءً صريحًا - يريد أنها واضحة صريحة - أنَّ الله سُبْحَانَهُ يُرى عيانًا بالأبصار].

هذه الآية تدلُّ على أن الله يُرى عيانًا بالأبصار من وجوه كما سيأتي.

[وإن أبيت إلا تحريفها الذي يسمِّيه المحرِّفون تأويلا] هم يسمُّونه تأويلًا، ولا يعترفون أنهم يحرِّفون آيات الله؛ فهم يحرِّفون آيات الصفات: الاستواء والنزول والمجيء والرضا والغضب، وبعضهم يؤوِّل أيضًا العلم والقدرة وإلى آخره..، يحرِّفون ويسمُّون هذا التحريف تأويلًا! هم سلكوا مسالك اليهود في تحريف نصوص القرآن إلى ما يوافق أهواءهم، لكن يُلَطِّفُون اللفظ حتى يُقبل عند السُذَّج، فيقولون: التأويل؛ لأن التأويل واردٌ في القرآن وعلى ألسنة السلف؛ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ﴾ [يوسف: ١٠٠]، كلمة تأويل ماشية موجودة في القرآن، موجودة في كلام السلف؛ كان المفسِّرون كابن جرير يقول: تأويل الآية كذا، وتأويل الآية كذا، يعني يريد التأويل بمعنى التفسير، لكن هؤلاء تأويلهم معناه التحريف والتلاعب بالنصوص وصرفها عما يريد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من الإخبار بها.

[فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها].

يعني: الذين يؤوِّلون نصوص الجنة والنار والميزان والمعاد ملاحدة زنادقة، ينكرون البعث، وينكرون الجنة والنار والصراط، هذه الأشياء ينكرونها ويتأولونها، فيقول ابن القيم: إن تأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان أسهل على من يريد التلاعب بالنصوص من التلاعب بنصوص الصفات وأكثر إجرامًا، والعياذ بالله.

كيف تُسَمُّون هؤلاء ملاحدة وتُكفِّرُونهم؛ لأنهم حرَّفوا هذه النصوص، وترون أن لكم الحق في ذلك؟! لكن كيف في نفس الوقت تستجيزون تأويل النصوص التي تثبت الكمال لله العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والعلوَّ والاستواء والفوقية وما شاكل ذلك، كيف تؤوِّلونها، ثم تستنكرون على هؤلاء الملاحدة وتسمونهم ملاحدة - الذين يحرفون نصوص المعاد - ! إن كنتم تستجيزون التحريف لصفات الله بهذا المنهج الخبيث،

فهـم كذلك يسـهل عليهـم أكثر مما يسـهل عليكم تأويل هـذه الصفات، فأنتـم تُجرِّؤون أعداء الله على إنكار البعث والمعاد وإنكار الجنة والنار وتغطية ذلك بالتأويلات؟ فالمنهج واحد؛ كلكم مُحرِّفون، فلماذا تستنكرون على هؤلاء ولا تستنكرون على أنفسكم مع أنكم تدركون خطورة هذا المنهج؟! منهج سـمَّيتموه تأويلًا، وهو تحريف، والملاحدة يسمُّونه تأويـلًا مثلكم، وعندما تأتون تناظرونهم قالوا: نحن نؤوِّل نصوص المعاد والجنة والنار، وأنتـم تؤوِّلون الصفات، ما الفرق بيننا وبينكم؛ أنتم حرَّفتم، ونحن حرَّفنا؟! هذا منهج واحد؛ كله تحريف، كيف تجيزون لأنفسـكم تعطيل صفات الله وتحاربوننا وتكفِّروننا في تأويـل نصوص في مخلوقاته؛ هـذه كلِّها مخلوقات لله عَزَّوَجَلَّ تأويلُها عندكم كفر، وتحريفها كفـرٌ، فتحريـف صفـات الله وتأويلُهـا أشـدُّ وأولى! يعني كما يسـهل على هـؤلاء تأويلُ نصوص المعاد والجنة والنار، فهذه أصعب، تأويل نصوص الجنة والنار أسهل من تأويل هذه النصوص؛ لأنه لا يريد محرِّف أن يحرِّف أيَّ نصٍّ من القرآن أو النصوص الكثيرة إلا وجد سبيلًا إلى التحريف.

عندهـم المجازات، وعندهم التأويلات، وعندهم اللغة: اسـتوى بمعنى اسـتولى، يجدون السـبيل إلى تأويل «اسـتوى» بمعنى استولى، ويجدون السبيل إلى تأويل غيرها من الصفات، والملاحدة يجدون سـبيلًا إلى تأويل نصوص الجنة والنار والصراط والميزان... إلخ.

إذن هـذا المنهـج منهـج التحريـف والتأويـل بالمجـازات والتأويـلات الفاسـدة وما شـاكل ذلك يجب على المسـلمين أن يسـدُّوا هذا الباب؛ لأنك إذا فتحت هذا الباب في أي مسـألة مـن مسـائل الديـن انفتح البـاب لأعداء الإسـلام من اليهـود والنصارى والملاحـدة والزنادقة أن يُحرِّفوا كتاب الله وسـنة رسـوله، ويأتي المتسـترون مـن الزنادقة فيسـمُّون التحريف تأويلًا، كما أنتم تسـمون تحريفاتكم تأويلًا، والسبل التي يجدونها إلى

تحريف نصوص المعاد هي مثل السبل التي تجدونها أنتم في تأويل الصفات؛ عندكم مجاز وعندهم مجاز، عندكم تأويل وعندهم تأويل.

يقال بعد هذا: [وهذا الذي أفسد الدين].

هذه الطرق طرق التأويل، وهي التحريف فعلًا بالمجاز وبغيره هي التي أفسدت الدين والدنيا، اليهود أفسدوا دينهم بهذه التأويلات، والنصارى كذلك، والمعتزلة والخوارج والزنادقة كذلك يفسدون دين الناس ودنياهم بالتحريفات.

[وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محلُّه].

يعني: قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، فأضاف النظر إلى الوجوه، وهذه الإضافة مما يدلُّ دلالة واضحة أن الله يريد بالنظر النظر بالعين الباصرة إلى ذات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يوم القيامة، وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محلُّه في هذه الآية وتعديته بأداة «إلى» الصريحة في النظر بالعين.

النظر له حالات، من حالاته: إذا عُدِّيَ بـ «إلى» يصير نصًّا في النظر بالعين، وسيأتي أنه إذا عُدِّيت بـ «في» أو عُدِّيَ النظر بنفسه يكون له معنى آخر، لكن إذا عُدِّيَ بـ «إلى» فليس له معنى أبدًا إلا النظر بالعين، أضيف إلى الوجه هذا النظر وعدِّيَ بـ «إلى» وخلا من القرينة التي تصرفه عن إرادة الحقيقة؛ هذه كلها أدلة على أن المراد بالنظر في هذه الآية النظر بالعين إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محلُّه في هذه الآية وتعديته بأداة إلى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ إلى: متعلِّق بناظرة. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] فعدي النظر بـ «إلى»، فهذا يعطينا دلالة واضحة أن المراد بالنظر هنا النظر إلى وجه الله؛ لأن النظر أُسند إلى الوجوه، وعُدِّيَ بأداة «إلى» الصريحة في أن النظر إذا عُدِّيَ بها أن المراد به النظر بالعين، وأخلي من القرينة، فهذه ثلاثة أمور:

أولًا- إضافة النظر إلى الوجه، لم يضف إلى الفكر، ولا إلى الدماغ، أضيف إلى الوجه؛ لأن «نظر» يحتمل أن تكون بمعنى فكَّر، لكن أضيفت إلى الوجه.

ثانيًا- عُدِّي بأداة «إلى».

ثالثًا- إخلاؤه من القرينة الصارفة من الحقيقة إلى المجاز؛ لأنهم يشترطون في صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى المعنى المجازي، يشترطون في ذلك أن تحفَّه قرينة الكلام عند القائلين بالمجاز، لا يجوز صرفه عن ظاهره إلا إذا حفَّته قرينة تدلُّ على أن المراد بهذا اللفظ المعنى المجازي، لا المعنى المتبادر إلى الذهن. أنتم تقولون بالمجاز وتشترطون هذا الشرط، هذا الشرط غير موجود، ليس هناك قرينة تحفُّ هذا الكلام يعني تجعل المراد منه المجاز لا الحقيقة، إذن هنا أدلة وقرائن تدلُّ على أن المراد بالنظر النظر الحقيقي لا المجازي إلى ذات الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

أولًا- إسناد النظر إلى الوجه لا إلى غيره، **ثانيًا-** تعديته بـ«إلى»، **ثالثًا-** خُلُوُّ هذا الكلام من قرينة تصرفه عن المعنى الحقيقي إلى إرادة المعنى المجازي.

هذه المناقشة في غاية القوَّة، ولهذا أنا آثرت لكم أن ندرس هذه الفصول، وأرجو أن تفهموها تمامًا؛ فإنها من أقوى الأسلحة لأهل السنة على أهل البدع والضلال، أرجو أن تكرِّروا دراستها وتفهموها حق الفهم - بارك الله فيكم -، والمسألة ليست سهلة، بل إنها عظيمة! تستحق هذه العناية؛ فإن إنكار رؤية الله كفر؛ لأنه تكذيبٌ لنصوص القرآن الواضحة في إثبات رؤية الله، وتكذيبٌ للنصوص النبوية المتواترة في إثبات رؤية الله، ومواجهة تمامًا لما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان؛ فإنهم دانوا وآمنوا بأن الله يُرى في الآخرة كما سيأتي، واقرأوا فيما يتعلَّق بالرؤية في بقية الفصول؛ تزدادوا بذلك بصيرةً - إن شاء الله - وقناعة - إن شاء الله -، وإن كانت موجودة، ولكن من باب: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البَقَرَة: ٢٦٠].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **[وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محلُّه وتعديته بأداة إلى الصريحة في نظر العين]**: **يعني**: إذا عُدِّيَ النظر بـ «إلى» يكون صريحًا في النظر بالعين خصوصًا، وقد أضيف هذا النظر إلى الوجوه.

[وإخلاءُ الكلام من قرينة تدلُّ على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المُعَدَّى بـ «إلى» خلاف حقيقته]: **يعني**: لا توجد في الكلام قرينةٌ تفيد أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه خلاف حقيقته، الكلام خالٍ من القرينة التي تصرف النص من حقيقته إلى مجازه، إذن ما بقي لهم أيُّ مُتَعَلَّق.

هذه مناقشة من ناحية لغوية؛ لأن المتكلمين أكثرهم لهم عناية باللغة وأكثر المؤلفين في اللغة منهم، فيمسكهم هنا بتخصصاتهم، ولكن يلعبون فيها ويُحرِّفونها إلى ما يوافق أهواءهم؛ لأنهم درسوا الفلسفات اليونانية والمجوسية وغيرها، وتأثَّروا بنظرياتهم، ثم جاءوا إلى القرآن واللغة يُحرِّفونها، والحمد لله في أهل السنة أئمَّةٌ يعرفون اللغة أحسن من اللغويين، لهذا يقول ابن تيمية: الفقهاء في الأبواب الفقهية في اللغة يُقَدَّمون على أهل اللغة أنفسهم[١]، ولهذا ترى كثيرًا من أئمة اللغة يقولون: قال الشافعي، قال مالك، قال فلان، يحتجون بكلام الفقهاء وهم لغويون؛ لأن هؤلاء أعلم باللغة منهم.

[إذن فهذا نص صريح في أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الربِّ جَلَّ جَلَالُهُ، فإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محلُّه في هذه الآية وتعديته بأداة إلى الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة] **يعني**: هذه الأدلة الثلاثة تجعل الكلام صريحًا في أن الله أراد بهذا النص النظر بالعين إلى وجهه الكريم، النظر - كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: **[نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جَلَّ جَلَالُهُ]**.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٥٦ - ٥٧)، و(١٧/ ٤١١).

ثم يبيِّن أن النظر له عدة استعمالات، يؤكد لك أن النظر إذا عُدِّيَ بـ «إلى»، فليس المراد منه إلا نظر العين، وبيَّن لك استعمالات هذا اللفظ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **[فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صِلاته وتعدِّيه بنفسه، فإن عُدِّيَ بنفسه فمعناه التوقف والانتظار، كقوله تَعَالَىٰ:** ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]**]**.

يعني: ﴿ٱنظُرُونَا﴾ هنا بمعنى انتظرونا، والسياق يدلُّ على هذا: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الحديد: ١٢] إلى أن يقول: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣] هذا ما يلاقيه الكفار يوم القيامة.

يقولون: نحن كنَّا معكم؛ كنَّا نصلي معكم، ونحج معكم... ونتزاوج ونتوارث... الآن انتظرونا؛ قد كانت علاقات بيننا، أعطونا شيئًا من نوركم، ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] من السخرية بهم ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣] لما قالوا: ألسنا معكم؟ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٤].

هنا عند هذه الحالة المؤسفة للمنافقين - والعياذ بالله - يفضحهم الله يوم القيامة ويخزيهم، وتنتهي تلك العلاقات التي كانوا يتظاهرون بها أمام المسلمين ليشعروهم بأنهم مسلمون، وهم في الواقع يبطنون الكفر والنفاق، ففضحهم الله في هذه الحال من الآخرة، وكشفهم، وقطع دابرهم، وطبعًا مصيرهم هو الدرك الأسفل من النار تحت طبقات الكفار؛ لنفاقهم ومراءاتهم، ومخادعتهم، وتلبسهم بالإسلام كيدًا للمسلمين،

وهـم عيـون لأعداء الله على المسـلمين، يفضحهم الله يوم القيامة، ويبـيِّن حقيقة ما كانوا عليه.

الشاهد: أنه قال: ﴿ أَنظُرُونَا ﴾ **يعني:** انتظرونا، ﴿ أَنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد: ١٣]

فالشاهد أن قولهم: «انظرونا» هنا بمعنى انتظرونا، فهذا النظر هنا عُدِّي بنفسه، ما مفاده؟ مفـاده الانتظار والتوقف، توقَّفوا هنا وانتظرونا حتـى نلحق بكم ونمشي معكم، كما كنَّا معكم في الدنيا؛ هذا واحد من معاني النظر: إذا عُدِّيَ بنفسه فمعناه التوقف والانتظار.

[وإن عُـدِّيَ بـ «في» فمعناه التفكـر والاعتبار والدليل من القـرآن قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٨٥]] هـل المـراد هنا النظر بالبصر أو البصـيرة؟ بالبصـيرة التفكر والاعتبار لـماذا لا يتفكَّرون؟ لقد أعماهـم الهوى والعناد، أمـا المؤمنـون فيقـول الله في وصفهـم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١] هـذا تفكـير المؤمنين يصلـون إلى هذه النتيجة، وهؤلاء مـا يفكِّرون، وهم عميـان مسـاكين بصائرهم عمياء! فلو نظـروا واعتبروا لأدركوا أن الله سـيِّد هذا الكون وخالقـه ومدبِّـره وهو الـذي يسـتحق أن يُعبَد، لا الأوثـان، ولا الأصنـام، ولا النيران، ولا الأحجـار، ولا الأشـجار، ولا غيرها من المعبـودات الباطلة، هو الذي يسـتحق أن يُعبَد.

الشاهد أن النظر عُدِّيَ بـ «في»، إذا عُدِّيَ بـ «في» فمعناه التفكر والاعتبار.

[وإذا عُـدِّى بـ «إلى» فمعناه المعاينة بالأبصـار كقوله تعالى: ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾ [الأنعام: ٩٩]]: **يعـني:** لـما احتجَّ ابن القيم بالآية التـي هي موضع النـزاع وبيَّن مـا فيها مـن الدلالات على النظر إلى الله حقيقة لم يكتف بذلـك، بل أضاف إلى ذلك أدلَّةً أخـرى مـن القـرآن - وهم يحتجـون بالقـرآن في اللغة - وهنـا احتـجَّ الآن بأقوى حجة

عليهم، فهذه تصريفات «النظر» في القرآن: مرَّةً يُعَدَّى بنفسه، فيكون له معنى، ومرَّةً يُعَدَّى بـ «في»، فيكون له معنى، ومرَّةً يعدَّى بـ «إلى»، فيكون له معنى؛ هل أنتم تقولون: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩] هل تخالفون في هذا المعنى؟ لا يخالفون أن المراد انظروا بالعين الباصرة إلى الثمر، ثم اعتبروا بعد ذلك.

إذا عُدِّيَ بـ «إلى» أفاد النظر بالعين الباصرة: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩] ما أضاف النظر إلى الوجه، ومع هذا صار حقيقة في النظر بالعين ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩] حقيقة لا يكابرون فيها أن المراد بالنظر هنا في هذه الآية ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٩] المراد به الحقيقة؛ وهي النظر بالعين.

كيف تسلِّمون أن «نَظَرَ» المُعَدَّى بـ «إلى» هنا يفيد حقيقة الرؤية بالعين إلى هذا الثمر المنظور إليه، لا تكابرون فيه، وفي الآية التي هي موضع النزاع، هذا المعنى موجود وزيادة أنه أضيف إلى الوجه؟!

وهذا مما يُحَتِّم على من يريد الحق أن يأخذ بمذهب أهل السنة والجماعة القائم على الفقه بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والعلم باللغة، فاللغة معهم، والقرآن معهم، والسنة معهم، والفطرة والعقل معهم، وأنتم ليس معكم إلا الباطل.

قال: **[فكيف إذا أُضيف إلى الوجه الذي هو محلُّ البصر]**: وأنتم تُسلِّمون أن النظر هنا نظر بالعين، ونحن نؤكِّد لكم هذا، ونقول: إن الآية التي تنازعون فيها فيها هذا المعنى؛ التعدية بـ «إلى»، وفيها زيادة: أن النظر أضيف إلى الوجه، الفطن العاقل المنصف منهم يُسلِّم لو نوقش بما تضمنته هذه الآية من الأدلة وهو يريد الحق، يكفيه - فضلًا عن الأدلة الأخرى فضلًا عن الأدلة المتواترة - بما فيها من دلالات على إثبات رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يكفي العاقل المنصف بأن يرجع عن باطله، ويأخذ بالحق ببعض هذه الأدلة.

فسَّر هذه الآية أحسن تفسير، فإذا رددتم على أهل الأهواء يومًا من الأيام؛ ارجعوا لمثل هذا الكتاب، وسوقوا الأدلَّة في ضوء هذا التوجيه، وأنا ما أدري الذين ردُّوا في هذا العصر على الخوارج الذين ينكرون رؤية الله عَزَّوَجَلَّ، هل استقصوا هذه الأدلَّة، لا أدري، والله إذا استقصوها فقد وُفِّقُوا.

[قال يزيد بن هارون: أنبانا مبارك، عن الحسن قال: نَظَرتْ إِلَى رَبِّهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَنَضُرَتْ بِنُورِهِ]: يعني: حصلت لها النَّضرة التي هي الحسن والجمال والبهاء بسبب نظرها إلى ربِّها تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

[فاسمع الآن أيُّها السُّني تفسير النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والتابعين وأئمَّة الإسلام لهذه الآية:

قال ابن مردويه في تفسيره: حدَّثنا إبراهيم، عن محمد، حدثنا صالح بن أحمد، حدثنا يزيد ابن الهيثم، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا المصعب بن المقدام، حدثنا سفيان، عن ثوير بن أبي فاختة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو قال: قَالَ رَسُولُ الله فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] قَالَ: «مِنَ الْبَهَاءِ وَالْحُسْنِ» ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] قَالَ: «فِي وَجْهِ الله عَزَّوَجَلَّ».

الكفار محجوبون عن النظر إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ووجوههم مسودَّة - والعياذ بالله -، وعليها قترة، وعليها غبرة، وعليها كل شرٍّ وسوء - والعياذ بالله -، ووجوه المؤمنين هذا حالها؛ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُمتعها بالجنة، وبنضْرَة الوجوه، وبالنظر إلى وجهه الكريم، وبالنعيم المقيم الذي ما رأته عين، ولا سمعت به أذن، ولا خطر على قلب بشر، ولهذا لما ذكر رسول الله الرؤية قال: «**استعينوا على ذلك بصلاة الفجر وصلاة العصر**»(١) **يعني:** مما يساعدكم

---

(١) روى البخاري في «مواقيت الصلاة»، الحديث برقم (٥٥٤، ٥٧٣)، وفي كتاب «التوحيد»، الحديث برقم [٧٤٣٤] وفي غيرها، ومسلم في كتاب «المساجد»، الحديث برقم [٦٣٣]، عن جرير بن عبد الله =

ويؤهِّلكم لرؤية الله، وليس المراد الاقتصار على هذه، لكن هذه من أهمِّ الأسباب التي تؤهِّلك لرؤية الله عَزَّوَجَلَّ، وللنعيم الخالد في الدار الآخرة: توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والعمرة، والحج، والصدقة، والبر، والإحسان، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ كل هذه مؤهِّلات - إن شاء الله - للنظر إلى وجه الله الكريم، وللنعيم المقيم في دار النعيم.

هذا تفسير أسنده إلى النبيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والأحاديث في هذا الباب متواترة[(١)]، وهذا واحد من الأدلَّة، لكن هذا جاء في تفسير هذه الآية؛ أورده أحد المفسرين وهو ابن مردويه رَحِمَهُٱللَّهُ، ساق بإسناده إلى عبد الله ابن عمر أنه قال: قال رسول الله في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] قال: «مِنَ الْبَهَاءِ وَالْحُسْنِ»، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] قَالَ: «فِي وَجْهِ الله - عَزَّوَجَلَّ».

تفسير النضرة، وتفسير النظر بأنه إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ.

[وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قَالَ: تَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ رَبِّهَا عَزَّوَجَلَّ].

= رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي: الْبَدْرَ - فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ في «فتح الباري» (١٣/ ٤٣٤): «جمع الدارقطني طرق الأحاديث الواردة في رؤية الله تَعَالَىٰ في الآخرة فزادت على العشرين، وتتبعها ابن القيم في «حادي الأرواح» فبلغت الثلاثين وأكثرها جياد، وأسند الدارقطني عن يحيى بن معين قال: عندي سبعة عشر حديثًا في الرؤية صحاح». وقد نص على تواترها شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٨٩ - ٣٩٠)، والحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٦٧)، والحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٣٠٢).

هـذا تفسـير حبر القـرآن الذي دعا لـه رسـول الله أن يُفَقِّهـه في الديـن وأن يُعَلِّمه التأويل.

[وَقَالَ عِكْرِمَةُ تِلْمِيذُ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢] قَالَ: مِنَ النَّعِيمِ، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٣] قَالَ: تَنْظُرُ إِلَى رَبِّهَا نَظَرًا].

يؤكِّـد ذلك بقوله: «نظرًا»، ومن أهل البدع من فسَّر هنا قوله تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ إلى نعيـم ربهـا ناظـرة وهذا من التحريف يكفـي لإبطاله بعض مـا ورد من النصوص في المراد بهذا النظر.

[ثم حكى عن ابن عباس مثله، وهذا قول كل مفسِّر من أهل السنة والحديث].

لا خلاف بينهم في تفسير هذه الآية، وفي أن النظر إنما هو إلى وجه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

سـاق في الفصل الذي بعده ذكر أسـماء الصحابة الذين رووا أحاديث إثبات رؤية الله عَزَّوَجَلَّ في الدار الآخرة؛ وعلى رأسهم أبو بكر، وهم يبلغ عددهم فوق العشرين، أظن إلى ثلاثـين؛ وهذا مـن أقوى أنواع التواتر، والتواتر قد يحصل بالعـدد القليل، التواتر هو مـا يفيـد العلـم، وقد يفيـده الواحد، وقـد يفيده خـبر الاثنين، وقـد يفيـده الثلاثة، وقد لا يفيـده العدد الكثير؛ ففي بعض الـرواة من الأمانة والضبط والإتقان والحفظ ما يجعل الواحد منهم يقوم مقام العشرات، فهذه الأحاديث رويت في الصحيحين بالأسانيد التي رجالهـا مثل الجبال حفظًا وعلمًا وإتقانًا وصدقًا وأمانةً، وهي متواترة بالعدد، ومن حيث جلالة الرواة وحفظهم وأمانتهم وإتقانهم.

❁❁❁

فصل

في وعيد منكري الرؤية

قد تقدَّم قوله تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وقول عبد الله بن المبارك: مَا حَجَبَ الله عَنْهُ أَحَدًا إلا عَذَّبَهُ، ثُمَّ قَرَأَ قَولَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٦ - ١٧] قَالَ: بِالرُّؤْيَةِ[١].

تأمَّل هذا التفسير ما حجب الله عنه أحدًا إلا عذَّبه، وأخذ الدليل على هذا القول من النص ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٥ - ١٦] فلا يحجب الله إلا مُعَذَّبٌ، والعياذ بالله.

[وروى مسلم[٢] في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالُوا: يَا رَسُولَ الله هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ» قَالُوا: لا، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ»].

هذا تأكيد من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإخبار أن المؤمنين يرون ربهم؛ يضرب لهم مثلًا بالشمس، الشمس هذه في وضح النهار ليس دونها سحاب؛ أتشك في رؤيتها؟ قالوا: لا، قال: القمر في ليلة البدر ليس فيه سحابة تحول بينك وبين رؤيته، هل تشك في رؤيته؟ قالوا: لا، قال: كذلك يوم القيامة ترون الله عَزَّ وَجَلَّ كما ترون هذه؛ وهذا كما ذكر العلماء تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي، فالله ليس كمثله شيء.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»، ص: [٢٢٢]، برقم: [٣٤٥]، وابن شاهين في «شرح مذاهب أهل السنة»، ص: [٨٥]، برقم (٢٥ - الغرباء) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٥١٠) برقم [٨٩٤].

(٢) في «الزهد والرقائق» حديث [٢٩٦٨]، والحميدي حديث [١١٧٨]، والترمذي في جامعه حديث [٢٤٢٨] أخرج جزءًا منه.

قـال: «هَـلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَـرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَـحَابَةٍ» قَالُوا: لا، قَالَ: «فَوَالَّـذِي نَفْـسُ مُحَمَّـدٍ بِيَـدِهِ لا تُضَـارُّونَ فِي رُؤْيَـةِ رَبِّكُمْ إلا كَمَـا تُضَـارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا» - أكَّد كل هذه التأكيدات بقَسَمِه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قَـالَ: «فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُـولُ: أَيْ فُلْ!: يعني فلان، في اللغة يقال: فلان، ويقال: فُل كناية عن اسمه، وفُل مرخَّم فلان.

أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَـوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَـخِّرْ لَكَ الْـخَيْلَ وَالإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لا، فَيَقُولُ: أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُـمَّ يَلْقَـى الثَّانِيَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ! أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَـوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَـخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى أَيْ رَبِّي، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لا، فَيَقُولُ: إِنِّي أَنْسَـاكَ كَمَا نَسِـيتَنِي - هذا في حال الكفار الواضحين، ليس في حال المنافقـين - ثُـمَّ يَلْقَى الثَّالِـثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِـكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْـتُ بِكَ وَبِكُتُبِكَ وَرُسُـلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْـتَطَاعَ، فَيَقُـولُ: هَا هُنَا إِذَنْ! ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الآنَ نَبْعَثُ شَـاهِدَنَا عَلَيْكَ، فَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِـهِ مَنِ الَّذِي يَشْـهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَـى فِيـهِ وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِـهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِـي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُـهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْـمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ».

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢١] فليتَّـق الله العبدُ! والله الجوارحُ هذه تشـهد! لا يظن الإنسـان أنه إذا خلا له الجوُّ أنه ما عليه رقيب، أعضاؤك والله رقيبة عليك! الله أكبر! فليحاسب العبد نفسه أينما كان؛ يعنـي في العلانيـة، وفي السـر، وفي السـرِّ أولى بمراقبـة الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن العبد المؤمن الصادق في خلوته يظهر من إيمانه وخشوعه وبكائه من خشية الله ما لا يبديه أمام الناس،

وهـذا ممن يدخل في السـبعة الذين يظلُّهم الله في ظلِّه: «**وَرَجُلٌ ذَكَـرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»(١).

المنافق والمجرم إذا خلا أفسـد وظلم وفجر وانتهك حرمات الله، والمؤمن الصادق في حال خلوته أفضل منه في حال اختلاطه بالناس، فكونوا كذلك أيُّها الإخوة، وفَّقنا الله وإيَّاكم، وأجارنا وإيَّاكم من النفاق - والعياذ بالله -، ومن التظاهر بالخير، وإخفاء الشر، فنسأل العافية.

[فاجمع بين قوله: «فَإِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ»، وقوله لمن ظنَّ أنه غير ملاقيه: «فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي»، وإجماع أهل اللغة على أن اللقاء المعاينة بالأبصار يحصلْ لك العلم بأن منكر الرؤية أحق بهذا الوعيد]:

يعـني إذا كان الكافـر والمنافق قد يكـون الكافر ما أنكر رؤيـة الله، لكن هذا الذي يُسـخِّر اللغة والفكر والعقـل الباطل لإنكار حقيقة ثابتـة أثبتها الله في كتابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأفضـل وَعْد وَعَد الله به المؤمنين ينكـره، يكون أولى بهذا العذاب، يعني ينكر ملاقاة الله عَزَّوَجَلَّ؛ الـذي ينكـر رؤية الله ينكر ملاقاته، فيريد إثبات هـذا المعنى أن الملاقاة تعني رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإذا كان هـؤلاء الكفـار والمنافقون ما كانوا يظنون أنهم ملاقو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ باعترافهم، فكذلك الذين ينكرون رؤية الله ما يسلِّمون أنهم يلاقون الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الملاقاة هي الرؤية وهم ينكرونها.

[ومن تراجم أهل السنة على هذا الحديث: بابٌ في الوعيد لمنكري الرؤية، كما فعل شيخ الإسلام وغيره، وبالله التوفيق].

---

(١) رواه البخاري في «الأذان»، الحديث [٦٦٠]، وفي «الرقاق»، الحديث [٦٤٧٩]، ومسلم في «الزكاة»، الحديث [١٠٣١]، من رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يعني أنهم يدخلونهم في هذا الوعيد الذي توعَّد به المنافقين، وهذا العذاب الذي عُذِّب به المنافقون والكافرون.

[قال أبو عبد الله ابن بطة: سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد صاحب اللغة يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبًا يقول في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٣ - ٤٤]: أَجْمَعَ أَهْلُ اللُّغَةِ عَلَى أَنَّ اللِّقَاءَ هَا هُنَا لا يَكُونُ إلا مُعَايَنَةً وَنَظَرًا بِالأَبْصَارِ[1]، وحسبك بهذا الإسناد صحَّةً].

ما شاء الله! أثبت لك من اللغة أن الملاقاة المراد بها المعاينة بالأبصار عن إمام من أئمة اللغة، وقد سبق لنا حكاية الإجماع أن المراد بالملاقاة هو المعاينة والرؤية بالبصر، وهذه الأدلة ونصوص الملاقاة هي من نصوص إثبات رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الملاقاة معناها المعاينة والرؤية.



(١) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى -الرد على الجهمية» (٣/ ٦٢)، برقم [٥٨]، و[٧٥] برقم [٦١].

الأسئلة

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: هل يرى الإنسان ربَّه في المنام؟

جواب: ورد عن بعض الناس أنه يقول أنه رأى ربَّه، فالله أعلم، ليس عندنا دليل..، هناك حديث «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ»[(١)]، ولكنه يضعِّفه بعض العلماء، ويصححه بعضهم، وفيه جملة غريبة منكرة وهي: «فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى ظَهْرِي فَعَرَفْتُ كُلَّ شَيْءٍ»! لا يعلم كل شيء إلا الله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، فهذه الجملة فيها مخالفة واضحة للنصوص القرآنية والنبوية، وعائشة تقول: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ»[(٢)] أعلم الناس به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تقول هذا الكلام.

سؤال: شيخنا - حفظكم الله -، يقول السائل: ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الوجه الأول: أن أعلم الخلق في زمانه موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقد ورد في صحيح البخاري: «أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سأله بنو إسرائيل عن أعلم الناس، فقال: أنا، فأوحى الله إليه بلى عبدُنا خضر»[(٣)]، فهل لإطلاق ابن القيم وجهٌ نحمله عليه؟

جواب: قد يكون هذا حصل - والله أعلم - لموسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعد لقائه بالخضر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لأننا نعتقد فيه أنه نبيٌّ إن شاء الله؛ هذا أمر.

---

(١) رواه الترمذي في جامعه: في كتاب «التفسير»، سورة (ص)، حديث (٣٢٣٣، ٣٢٣٤) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وحديث [٣٢٣٥] عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري في «التفسير»، حديث [٤٨٥٥].

(٣) رواه البخاري في «أحاديث الأنبياء»، حديث [٣٤٠٠]، من رواية ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وثانيًا- أن الخضر قال لموسى عَلَيْهِمَا ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أنت على علم علَّمك الله إيَّاه، لا أعلمه أنا، وأنا على علم علَّمني الله إيَّاه، لا تعلمه أنت**».

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

سؤال: شيخنا يقول السائل: جاء في الصحيحين قول النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حَيْثُ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]»(١)، فما معنى هذا الحديث.

جواب: هـذا فرض فقط، إبراهيم لم يشـكَّ، ومحمَّدٌ لم يشـكَّ قـطُّ، ولا أحد من الأنبياء يشـكُّ، ولا أحد من الصحابة يشكُّ، لكن النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال هذا تأدُّبًا مع أبيه إبراهيـم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وتواضعًا منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإلا فهو لا يشـكُّ، ولا يعتقد أن إبراهيم يشكُّ في قدرة الله.

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

سؤال: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠] هل هي زيادة الإيمان؟

جواب: زيادة إيمان نعم، اليقـين يتفاوت، هناك علم اليقين، وهناك حق اليقين، وهناك عين اليقين كما يقال، ولهذا يقال: فما رآءٍ كمن سمعا، ولهذا لما أخبر الله موسى بأن قومه قد فُتنوا ما غضب كثيرًا، لكن لما شاهد أمامه العجل غضب وألقى الألواح(٢).

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ هذا آخر سؤال يقول السائل: ما هي الأسباب التي تجعـل عند الإنسـان شـوقًا كبـيرًا في النظـر إلى الله تَعَالَىٰ حتى بعدهـا يصبح من المشمِّرين والمؤهَّلين إلى النظر إلى الله.

---

(١) «صحيـح البخـاري»: في «التفسـير»، حديـث [٤٥٣٧]، و«صحيح مسـلم»: في «الإيـمان»، حديث [١٥١]، من رواية أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كـما جـاء في الحديـث المرفـوع عـن ابـن عبـاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ أخرجـه أحمـد (١/ ٢١٥، ٢٧١) والبـزار [٥٠٦٢]، والطـبراني في «الأوسـط» (١/ ١٢) رقـم [٢٥]، وابن حبـان (١٤/ ٩٦)، رقم [٦٢١٣]، والحاكم (٢/ ٣٥١) رقم [٣٢٥٠]، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠/ ٨٢) رقم [٧٦].



جواب:

أولًا - الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ؛ مجاهدة النفس على الإخلاص لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ومجاهدة النفس على دراسة القرآن وفهمه وتدبره؛ فإن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، والجدّ في التقرُّب إلى الله بالأعمال الصالحة؛ ومنها الصلاة، وعلى رأسها صلاة الفجر وصلاة العصر؛ فإن ذلك مما يزيد الإيمان، ويزيد من الشوق إلى لقاء الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، والخير يجرُّ إلى الخير، والشرُّ يجرُّ إلى الشر؛ البعد عن المعاصي، البعد عن الرياء، تربية النفس على الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، وعلى الخصال الحميدة: من الصدق، والأمانة، والتواضع، والحلم، والأدب، والأخلاق التي تخلَّق بها رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والله يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]. اقرؤا الحديث كثيرًا، وحاولوا أن تطبّقوا كل حديث، حتى إن أحمد ابن حنبل ما سمع حديثًا إلا وحاول أن يعمل به[(١)]، فأنتم تعلَّموا القرآن وتعلَّموا السنة للعمل، لا للخصومات والجدل، وإنما - يا إخوة - بعض الناس يبحث في النصوص وكذا ليجادل وليخاصم، لا، أولًا وقبل كل شيء للإيمان، ثانيًا للعمل، وفَّقكم الله.

وتنافسوا في الخير والأعمال الصالحة؛ ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، تنافسوا في العلم والعمل؛ فإن هذا أمر محمود؛ «**لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ الله مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ**» يعني: ينفق وينفق يمينًا وشمالًا في سبيل الله حتى يهلك

---

(١) انظر: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (١/ ١٤٤)، و«أدب الإملاء والاستملاء» لابن السمعاني، ص: [١٢٦]، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١١/ ٢١٣)، و«الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ١٤).

هـذا المال، «وَرَجُلٌ آتَـاهُ الله الْحِكْمَةَ فَهُـوَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ وَيَقْضِي بِهَـا بَيْنَ النَّاسِ»[1]، الحكمة: هي السنة، كله للعمل.

الآن الهرج كثير، والكلام كثير، والقال والقيل كثير، وذلك مما يقسي القلوب.

وفَّقنـا الله وإيَّاكـم للإيـمان الصادق، والعمـل الصالح، وأوصيكم - يـا إخوتاه - بالتآخي فيما بينكم، والبعد عن أسـباب الشقاق والخلافات، لا تُثر أنت مسألة تؤدي إلى الخلاف، وأنت لا يجرُّك الشـيطان بمجرد أن يخطئ أخوك يجرُّك إلى الخلاف والخصومة، تعلَّمـوا الصبر، تعلَّموا الحكمة، أنتم الآن في هذا الوقت بأشـد الحاجة إلى الحلم والصبر والحكمـة واللطف.. لا نقول: اسـكت وجامل وداهن، انصـح واصبر واحلم لوجه الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، والله ستستقيم أموركم يا أبناءنا وتتلاحمون وتتآخون فيما بينكم.

أنا أوصيكم - يا إخوة - بتقوى الله ومراقبته، والتآخي والتعاون على البر والتقوى، والبعد عن أسباب الفتن وأسباب الخلافات.

سؤال: شيخنا - حفظكم الله -، يقول السائل: هناك من يستدلُّ بقوله تَعَالَىٰ: ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ [الحج: ٧٣] على أن «لن» تفيد التأبيد، فما الردُّ على هذه الشبهة؟

جواب: في هذا السياق قد تفيد، لكنها ليست قاعدة، الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣] هـل الأبدية الآن مستفادة من «لن» أو من الواقع، وأنه لا خالق إلا الله عَزَّوَجَلَّ؟ فالأبدية هنا جاءت...، ونقـول ونقطـع أنه لـو اجتمع من في السـموات ومـن في الأرض على أن يخلقـوا ذرَّة أو

---

(١) رواه البخاري في «الأحكام»، الحديث [٧١٤١]، ومسـلم في «الزكاة»، الحديث [٨١٦]، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

شعيرة أو ذبابًا والله لن يستطيعوا ذلك، وليس هناك من خالق غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا شريك له في ملكه، ولا شريك له في خلقه عَزَّوَجَلَّ، هذا من عظمة الله، ومن واقع الأمر أنه ليس هناك خالق غير الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا أفادت التأبيد هنا فليس من ذاتها، وإنما هو من أمر خارج عنها؛ وهو ما ذكرناه.

سؤال: شيخنا - حفظكم الله -، يقول السائل: قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سَبَإ: ١٣]، كيف يكون شكر النعم؟

جواب: شكر النعم يكون بطاعة الله، ووضع هذه النعم التي أنعم الله في مواقعها، فأعضاؤك هذه تسخِّرها في طاعته وعبادته، وما منحك من مال تبذله في سبيله، وما أسداه عليك من نعمة تعرف هذه النعمة وفضله عليك؛ هذا من الشكر، أمر واضح؛ ما يحتاج إلى سؤال.

سؤال: شيخنا - حفظكم الله -؛ يقول السائل: لو بيَّنتم لنا توجيه الأثر الوارد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما استدلَّت بقوله تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ على نفي رؤية النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربِّه، فظاهره أنها فهمت من الآية نفي الرؤية، لا نفي الإحاطة.

جواب: لو كانت تعتقد أن الرسول رأى ربَّه في هذه الحياة كانت تثبتها وتنفي الإحاطة، لكن هي الآن نفت الرؤية؛ الرؤية التي لا يمكن أن تحصل لأحد، وعلى رأس هؤلاء محمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهي تعلم تمام العلم أن الرسول ما رأى ربَّه بعيني رأسه، ومن هنا قالت لمسروق: «**مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ** - ما قالت أحاط بربه - **مَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ**»[1].

---

(١) رواه البخاري في «بدء الخلق»، الحديث [٣٢٣٤]، ومسلم في «الإيمان»، الحديث [١٧٧].

وأبو ذر سأل النبيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟!**»(١) وفي رواية(٢): «**رَأَيْتُ نُورًا**»، **أي:** أن النور حال دون رؤيتي.

«**أنَّى**» هنا للاستبعاد؛ لأن هناك نورٌ يحجبه عن رؤية الله، وهو النور الذي قال عنه رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ؛ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(٣)، وكما أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قال لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] **يعني:** في هذه الحياة الدنيا، كذلك محمَّدٌ ما رأى ربَّه، وموسى كلَّمه ربُّه ولم يره، ومحمَّدٌ كلَّمه ربُّه في ليلة الإسراء ولم يره، وأخبر الله وأخبر رسوله أن الله يُرى في الدار الآخرة هناك، كما أن الجنة جزاء آجل وكذلك رؤية الله كرامةٌ وجزاء آجل، وكلُّ شيءٍ له وقته، حتى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إحدى رؤاه رأى قصرا له فأراد أن يدخله فقال له الملكان: أما الآن فلا وأنت داخله. ليس هذا وقته وقته في الآخرة، كذلك الرؤية(٤).

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: أفادنا بعض مشايخنا في تفسير اسم الله الصمد بأنه مستغنٍ عن الأكل والشرب كما تفضلتم - جزاكم الله خيرًا -، لكن زاد فنفى عن الله تَعَالَى أشياء أجد في نفسي منها أشياء، فنفى عن الله أعضاء مخصوصة عند البشر كالمعدة والأمعاء إلى آخره.

جواب: لا يليق هذا الكلام في وصف الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن القرآن والسنة الإثباتُ فيهما مفصَّلٌ، والنفي فيهما مجملٌ، فالله ما يقال عنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لا يأكل، لا يشرب، ومن

---

(١) رواه مسلم في «الإيمان»، الحديث [١٧٨].

(٢) لمسلم - أيضًا - في «الإيمان»، الحديث [١٧٨].

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: «صحيح البخاري» رقم [٧٠٤٨]، باب: «تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح».

كلام أهل الضلال - والعياذ بالله -: ليس له أعضاء، ليس له كذا، ليس بمركَّب، ليس فوق، ليس تحت، ليس داخل، ليس خارج، كل الكلام هذا من كلام أهل الضلال، فالله كريم وعظيم، ما يليق به إلا هذا النفي المجمل الذي يتضمن كمالًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما مرَّت بكم الأمثلة التي سبق ذكرُها.

سؤال: يقول كذلك: فهل صحيح أن ننفي ما نفاه الله عن نفسه مما ورد فقط، ونسكت عما لم يرد، أم الصحيح أن ننفي عن الله كل ما يستلزم مما ورد نفيُه، أفيدونا وجزاكم الله خيرًا.

جواب: قاعدة أهل السنة أن نعتمد على كتاب الله وسنة الرسول، فما نفاه الله عن نفسه ننفيه، وما أثبته لنفسه نثبته، وما أثبته رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي قال الله فيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤] نثبته، وما نفاه ننفيه، وما سوى ذلك نسكت عنه ولا نخوض فيه، فليس من الأدب مع الله ومع رسوله، وليس من إجلال الله عَزَّوَجَلَّ أن نخوض في أشياء لم ترد في الكتاب والسنة.

سؤال: شيخنا حفظكم الله؛ يقول السائل: ما هو الضابط في فعل الرسول الذي يقتدى به، ويقال: هو السنة، حتى نخرج مثل العمامة، وكذلك إطالة الشعر وغيرها.

جواب: ما يفعله الرسول للتشريع قد تحفُّه قرائن، وقد يحفُّه قول أنه قصد به التشريع، يعني لما كان يرمي الجمار ويقف بعرفات وهنا وهنا يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**»[1]، يصلي يركع يسجد وكذا، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»[2].

---

(١) رواه مسلم في «الحج»، الحديث [١٢٩٧]. من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه البخاري في «الأذان»، الحديث [٦٣١]. من رواية مالك بن الحويرث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فهـذه أمـور تُفعل للتشريـع؛ ولهذا لما رأى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعض النـاس يتسرَّبون إلى أماكـن يصلُّـون فيها، قال: مـاذا يفعل هؤلاء؟ قالوا: يصلُّـون في الأماكن التي صلَّى فيها الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال: لقد كدتم أن تفعلوا فعل أهل الكتاب اتخذوا آثار أنبيائهم مسـاجد وبيعًـا، لا تفعلـوا[(١)]، إذا عرفنا أن رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قصـد بهذا العمل التشريع، وقصد بهذا العمل في المكان الفلاني والزمن الفلاني التشريع والتخصيص؛ فإنَّا نتبعه في ذلك، وإذا فعله بمجرد العادة التي وجد عليها قومه، وجد قومه يلبسون العمائم، يلبسـون القمص، يلبسون السراويل؛ هذه ما كان يفعلها تشريعًا، طبيعة البشر تقتضيها، والعـادات تقتضيهـا؛ ولهـذا الصحابة لـما رأوا الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه عمامة سـوداء، مـا راحـوا اشـتروا مـن السـوق خرقًـا سـودًا وطووهـا عـلى رؤوسـهم ولا فعـل ذلك الصحابة.

الشـيعة لجهلهم وضلالهم يلبسـون العمائم السود، لماذا؟ لأن رسول الله دخل مكة وعليه عمامة سوداء! هذا يجرُّنا إلى فتح الأزرار؛ الرسول بشر ينسى كما تنسون، قد ينسى في صلاتـه؛ خـرج يومًا من الأيـام وأزراره مفتوحـة، رآه بعض الصحابة مـا فعلوا هذا، ولا أبـو بكـر، ولا عمـر، ولا الصحابـة، ولا أحد فتـح الأزرار، ولا أحد فعـل هذا، إلا ما ذُكر عن ابن عمر بإسـناد ضعيف لا يثبـت[(٢)]، فلو كان أراد فتح صدره للتشريع والله لرأيت الصحابة - رضوان الله عليهم - يفتحون الأزرة.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ١١٨/ ٢٧٣٤) وابن أبي شـيبة في «المصنف» (٢/ ٣٧٦) وابن وضـاح القرطبـي في كتاب «البـدع والنهي عنها»، ص: [٤١]، وسـعيد بن منصور في سـننه - كما في «اقتضـاء الصراط المسـتقيم» لابن تيميـة، ص: [٣٨٦] -، كلهم من طريـق الأعمش عن المعرور بن سويد عن عمر بمعناه.

(٢) روى ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ١٧٥)، والبزار (١/ ١٩٤) برقم (٢٥١/ ٢ - الإتحاف) وابن خزيمة (١/ ٣٨٢) برقـم (٧٧٩، ٧٨٠) وابن حبان (١٢/ ٢٦٧) برقم [٥٤٥٣]، والحاكم (١/ ٣٨٠) برقم [٩١٦]، والبيهقي (٢/ ٢٤٠) من طريق الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيُّ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ =

هذا لعدم الفقه! حتى كنت أقول لهؤلاء أقول لهم: الرسول ﷺ كان يلبس الحلَّة وهي أحبُّ الملابس إليه، لماذا لا تلبسونها؟ والرسول ﷺ ركب الحمار وركب البغل وركب البعير، لماذا ما تركبون عليها؟ فيسكتون! إذا كان عندكم تحرٍّ صادق واتباع للرسول ﷺ؛ فهذه أهم من فتح الصدر وأظهر وأشهر، والأحاديث فيها متواترة، لماذا ما تعملون بها؟ راحوا يبحثون عن الأشياء التي يشغلون بها الناس، يتركون العقائد والأساسيات والأمور المهمة، ويبحثون عن أشياء يشغِّبون بها على الناس، كل فرقة يعني ترتكب ضلالة وحماقة؛ تأخذ لها شيئًا من هذه النوعيات، والله لو كان فتح الصدر ولبس العمامة السوداء أو العمامة نفسها؛ لما رأيت الصحابة إلا يدعون إليها، ويحثُّون عليها، ويعملون بها، ويربُّون الناس عليها. ذهب أهل الأهواء يضعون أحاديث في العمامة: «**ركعتَانِ بعمَامَةٍ خيرٌ مِنْ سبعينَ ركعةً بغيرِ عِمَامَةٍ**»، يروون الكذب على الرسول ﷺ، الرسول كان يصلِّي بدون عمامة، كيف يفرِّط في سبعين صلاة؟!

عمر رضي الله عنه أنكر على هؤلاء الذين يتقصدون الصلاة في أماكن رأوا رسول الله يصلي فيها، وكانوا يذهبون إلى الشجرة التي بايع تحتها، وأمر بقطعها[1]، وفي رواية البخاري:

= أَسْلَمَ قَالَ: رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ يُصَلِّي مَحْلُولٌ أَزْرَارُهُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَفْعَلُهُ.

قال البيهقي: تَفَرَّدَ بِهِ زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ.

وَبَلَغَنِي عَنْ أَبِي عِيسَى التِّرْمِذِي أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ مُحَمَّدًا - يَعْنِي الْبُخَارِي - عَنْ حَدِيثِ زُهَيْرٍ هَذَا، فَقَالَ: أَنَا أَتَّقِي هَذَا الشَّيْخَ، كَأَنَّ حَدِيثَهُ مَوْضُوعٌ، وَلَيْسَ هَذَا عِنْدِي بِزُهَيْرِ ابْنِ مُحَمَّدٍ، وَكَانَ أَحْمَدُ ابْنُ حَنْبَلٍ يُضَعِّفُ هَذَا الشَّيْخَ وَيَقُولُ: هَذَا شَيْخٌ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا قَلَبُوا اسْمَهُ. وَأَشَارَ الْبُخَارِيُّ إِلَى بَعْضِ هَذَا فِي التَّارِيخِ. وَرُوِي ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مِنْ أَوْجُهٍ دُونَ السَّنَدِ.

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ١٠٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٥).

أن الله عمّاها على الناس[(١)]، وهذه من نعمة الله، وتدخله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بإزالة هذا الشر عن الأمة، حتى فرح ابن عمر بإزالتها[(٢)]، ابن عمر الذي كان يتتبّع آثار النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وقد يخطئ في هذا التتبع، ويخالفه الخلفاء الراشدون والصحابة، فرح بإزالة هذه الشجرة التي كان يبحث عنها الناس لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بايع تحتها.

يوم مولد النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لماذا الرسول ما كان يعقد موالد؟ الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما سئل عن يوم الاثنين، قال: «**ذَلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ**»[(٣)] لكن هل خصه بمولد؟ كلا.

الصحابة والأمة ربطوا التأريخ بهجرته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لا بمولده، أين المولد؟ أهل الموالد تابعوا النصارى والزنادقة زنادقة الباطنية الإسماعيلية الذين حكموا مصر، فاطميين يهود هم الذين قلّدوا النصارى في الموالد، وفي بناء المقابر، وانتشر الوباء الشركي والضلالات والبدع عن طريقهم، فترى هؤلاء ينتسبون إلى السنة من الخرافيين والقبوريين وهم مقلِّدون لهؤلاء الباطنية في هذه البدع.

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يصوم هذا اليوم يصوم الاثنين، ويصوم الخميس والأيام البيض وغيرها من الأيام التي يصومها، لكن ليس للأكل والشرب والموائد، هؤلاء يتجمعُّون لأجل المأكولات، يذبحون ويأكلون يملؤون كروشهم، ثم يرقصون! تجمُّعهم هذا للأغراض السيئة.

---

(١) «صحيح البخاري»: كتاب «المغازي»، حديث [٤١٦٣]، من رواية سعيد بن المسيب عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) روى البخاري في كتاب «الجهاد»، الحديث [٢٩٥٨]: عَنْ نَافِعٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رَجَعْنَا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَمَا اجْتَمَعَ مِنَّا اثْنَانِ عَلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي بَايَعْنَا تَحْتَهَا، كَانَتْ رَحْمَةً مِنَ اللهِ.

(٣) رواه مسلم: في «الصيام»، الحديث [١١٦٢]، من رواية أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سؤال: شيخنا؛ يقول السائل: سمعت أحدهم يتكلَّم في الأسماء والصفات، ويقول: الأسماء لا يجوز أن تصفها بالقديمة، أما الصفات فإذا كانت ذاتية فيجوز، وإذا كانت اختيارية فلا يجوز؛ لأنه يلزم منه معاقبة العبد قبل ارتكاب الذنب.

جواب: **أقول:** لا حول ولا قوة إلا بالله! هذا التفريق بين أسماء الله الحسنى وصفاته العليا تفريق باطل.

هل تقول في أسماء الله ومنها اسمه العلَم الله أنه اسم حادث؟!

وهل نقول في أسماء الله: الحكيم والعليم والسميع والبصير والخالق والرازق والقدير وغيرها من أسماء الله الحسنى إنها حادثة؟!

هل يحرم أن نقول: إن هذه الأسماء قديمة، ويجب أن نقول: إنها حادثة، تعالى الله وتقدَّست أسماؤه عن هذا القول!

أما أفعال الله المتعلِّقة بمشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إذ الله هو الفعال لما يريد ويفعل ما يشاء ويختار، وكل يوم هو في شأن؛ يحيي ويميت، ويغني ويفقر، ويُعزُّ ويُذلُّ، فهذه الأفعال المتجدِّدة والمتعلِّقة بمشيئة الله، فلا نقول عنها: إنها قديمة، وهي من جملة صفات الله، لا يقال عنها: إنها مخلوقة، بل الكائنات التي خلقها الله بكل أنواعها هي التي يقال عنها: إنها مخلوقة، يخلقها بكلامه ومشيئته وقدرته.

سؤال: هنا يقول: الحديث الشاذُّ عرَّفه ابن حجر: هو مخالفة المقبول لمن هو أولى منه، هل يقصد به المقبول الذي لا يقبل حديثه، إلا عند المتابعة، أم يقصد به حسن الحديث وصحيحه.

جواب: الظاهر أنه يقصد حسن الحديث وصحيحه.

لأن عنـده المنكر: مخالفة الضعيف للثقة، والشـاذ المعروف عند المحدثين أنه مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه، فهو يريد أن يعمِّم قليلًا، فقال: مخالفة المقبول؛ لأن الثقة يطلق على راوي الصحيح، ما يطلق على راوي الحسـن، لكن راوي الحسـن فيه ضبط لكن خفيف، فالمقبول يشـمل الجميع: راوي الصحيح، وراوي الحسن؛ فقال الشاذ: هو مخالفة المقبول لمن هو أولى منه أو أوثق منه.

سؤال: هذا آخر سؤال يا شيخ؛ يقول السائل حفظك الله، هل هناك دليل صحيح علـى أن من كنس المسـجد يُـزَوَّج بالحور العين أو في هذا المعنـى؟ وما هو الأجر لمن فعل ذلك الفعل؟ أفيدونا وجزاكم الله خيرًا.

جواب: هـذا الحديـث أورده ابن الجـوزي في الموضوعات وقـال: فيه مجاهيل، وعبـد الواحد بـن زيد ليس بثقة، قاله يحيى (يعني ابن معـين)، وقال البخاري والفلاس والنسائي: متروك الحديث»[1].

وأورده ابن عراق في «تنـزيه الشريعة»، وقال: «له شاهد أخرجه الطبراني وصححه الضيـاء المقـدسي في المختـارة»[2]، لكـن قـال الهيثمي في «المجمـع» (٢/ ٩): في إسـناده مجاهيل.

وعدَّ الشيخ الألباني هذا الحديث من الموضوعات، «الضعيفة» [٤١٤٧].

وبالمناسـبة يحسـن أن أذكر هنا بعـض الأحاديث التي أذكر فيهـا إخراج الأذى من المساجد وتطهيرها وتطييبها، مع بيان درجاتها صحَّة وضعفًا.

قال ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا هِشَامُ بن عَمَّارٍ ثنا عبد الرحمن بن سُلَيْمَانَ بن أبي الْجَوْنِ ثنـا محمد بـن صَالِحٍ الْـمَدَنِيُّ حدثنا مُسْـلِمُ بن أبي مَرْيَمَ عن أبي سَـعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال: قال

---

(١) «الموضوعات» (٣/ ٢٥٣ - ٢٥٤).

(٢) «تنزيه الشريعة» (٢/ ٣٨٢).

رسـول الله ﷺ: «مَـنْ أَخْـرَجَ أَذًى مِـنَ الْمَسْـجِدِ بَنَى الله لَـهُ بَيْتًـا فِي الْجَنَّةِ»، «سنن ابن ماجه» حديث [٧٥٧].

وهذا حديث ضعيف؛ مسلم بن أبي مريم عن أبي سعيد مرسل»، «المراسيل» لابن أبي حاتـم (ص٢١٤)، ومحمد بن صالح هو المدني الأزرق، قال فيه أبو حاتم: شـيخ[(١)]، وقال ابن حبان في «المجروحين»[(٢)]: «شيخ يروي المناكير عن المشاهير، لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد»، وعدَّ هذا الحديث من مناكيره.

قال ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا عبد الرحمن بن بِشْرِ بن الحَكَمِ وَأَحْمَدُ بن الأَزْهَرِ قالا: ثنا مَالِكُ بن سُعَيْرٍ أَنْبَأَنَا هِشَامُ ابن عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عَائِشَةَ: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَمَرَ بِالْمَسَاجِدِ أَنْ تُبْنَى فِي الدُّورِ، وَأَنْ تُطَهَّرَ وَتُطَيَّبَ»[(٣)].

قـال مسـلم رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا عبد الله بن مُحَمَّدِ بن أَسْـمَاءَ الضُّبَعِيُّ وَشَـيْبَانُ بن فَرُّوخَ قالا: حدثنا مَهْدِيُّ بن مَيْمُونٍ حدثنا وَاصِلٌ مولى أبي عُيَيْنَةَ، عن يحيى بن عُقَيْلٍ، عن يحيى ابن يَعْمَرَ، عن أبي الأَسْـوَدِ الدِّيلِيِّ، عـن أبي ذَرٍّ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَـنُهَا وَسَـيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لا تُدْفَنُ**»[(٤)].

سؤال: يقول: هل أنكر ابن القيم المجاز كما أنكره شيخ الإسلام ابن تيمية، وهل يصح إقراره في اللغة أو في القرآن؟

---

(١) «الجرح والتعديل» (٧/ ٢٨٧).
(٢) (٢/ ٢٢٩).
(٣) «سنن ابن ماجه» [٧٥٨]، ورواه - أيضًا - [٧٥٩]، وأخرجه الإمام أحمد (٦/ ٢٧٦) وأبو داود [٤٥٥] والترمذي [٥٩٤]. فهو صحيح بمجموع طرقه.
(٤) «صحيح مسلم»، حديث [٥٥٣]، ورواه أحمد في مسنده (٥/ ١٧٨، ١٨٠) وأبو عوانة في مستخرجه (١/ ٣٣٩).

جواب: أنكره ابن تيمية، وأنكره ابن القيم في [**الصواعق المرسلة**]، واعتبره من الطواغيت؛ اعتبر المجاز من الطواغيت، وذكر التأويل من الطواغيت، وهو ينكر المجاز بقوَّة وبأدلَّة، ويبطل شبهات أهل المجاز، لكن أحيانًا الإنسان لما يناظر منحرفًا يضربه بسلاحه.

سؤال: يقول: قوله تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] كأنه يخالف كلام ابن القيم في تعدية النظر بإلى وفي!

جواب: الإبل تنظر إليها بعينك، مثل النظر إلى القمر وإلى الشمس.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠] كلها ينظر إليه ا بالأعين.

سؤال: وردت كثير من الأحاديث فيها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلا يَنْظُرُ الله إِلَيْهِمْ» ما معنى النظر هنا؟

جواب: ما ينظر إليهم نظر رضا، وأما نظر السخط فيحصل لهم، فالله يراهم في الجحيم لا يحول دون رؤيته وعلمه شيء.

سؤال: يقول: هل النظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ، أم إلى ذاته، مع العلم أن تفسير الآية بالحديث فيه الوجه.

جواب: الوجه من الذات.

سؤال: هذا يقول: ما معنى المجاز؟

جواب: المجاز هو استعمال لفظ في غير ما استعمل فيه في الأصل، يعني نقله من استعماله الأصلي إلى معنى جديد وهو المجاز، كلام فارغ ليس في القرآن مجاز، ولا فائدة

من ورائه؛ لأننا لا نقول به، وهو سلاح من أسلحة أهل الباطل من الجهمية والمعتزلة ومن سار على نهجهم في تعطيل صفات الله، وأهل السنة يحطمون هذا السلاح بالحجج والبراهين.

سؤال: قوله تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] هل هنا معناه النظر الحقيقي؟

جواب: لا؛ معناه الإنظار، هذا النظرة غير النظَر، نَظِرَة ليست مأخوذة من النظر، وإنما النَظِرة من الإمهال والصبر إلى أن يتيسر حال هذا المدين المسكين.

أنا لا أحب هذه التشبيهات والتلبيسات؛ لأنها تشوش على الناس، مثل هذه الأشياء ما يجوز، بارك الله فيكم.

سؤال: ما توجيهكم لمن يبحث عن الشبه في مسألة النظر [رؤية الله]؟

جواب: لا يليق ولا يجوز، يبحث عن الحجج ويدمغ بها الباطل، هذا سبيل المؤمنين.

سؤال: شيخنا حفظكم الله، يقول السائل: لقد تلقَّينا خبر الزلزال - الذي حصل في الجزائر - العنيف بكلِّ أسًى، فنسأل الله أن يغفر لهؤلاء الموتى، ومن المعلوم أن الشرك والقبور موجودة بكثرة، وكذلك المعاصي موجودة بكثرة، فنطلب من فضيلتكم كلمة توجيهية لهذه البلاد حكومة وشعبًا، لعلهم يرجعون، ونسأل الله أن يرفع عنهم البلاء.

جواب: قد وجَّهنا لهم كلمات كثيرة ونصائح كثيرة، وقد سمعت عن زلازل حصلت في الجزائر، فيها من الموتى أكثر من هذا الزلزال، هناك زلزال حصل في إحدى السنوات في الجزائر مات فيه أكثر من ٢٠ ألفًا، وحصلت زلازل أخرى في الجزائر، مع

الأسـف الشـديد! يعني لمـا قتل في هذه البلاد عـشرون ألفًا، قاموا بنـوا في مكان الزلزال مدينة سموها مدينة الأصنام، فخسف الله بها مرَّةً أخرى، فانتقلوا إلى مكان آخر وسمَّوه شلف، فهل هناك مواعظ أكثر من هذه الزلازل!

أسأل الله أن يسلِّط هذه الزلازل على دول الكفر، وأن يعزَّ الإسلام والمسلمين، وأن يوفِّقهم للرجوع إلى كتابه وسنة نبيِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

نؤكِّـد لكـم أننـا نحبُّكم في الله عَزَّوَجَلَّ إن شـاء الله، ونرجو لكم كل توفيق وسـداد، ونسـأل الله أن يرزقنا وإيَّاكم الأخلاق الطيبـة، والاحترام لهذا المنهج، والاحترام لأهله، والتآخي في الله ومن أجله، والتعاون على البر والتقوى.

كـما أوصيكـم أيضًـا باسـتخدام الحكمـة في التعامـل فيـما بينكـم، وترك الأسـئلة - يـا إخـوان - التـي تؤدي إلى الشـحناء، وإلى القيل والقال؛ هـذه أضرَّت والله، أنا والله الآن مغلِـقٌ هاتفـي مـا أسـتقبل الأسـئلة؛ لأني وجـدت أنها سـببت مشـاكل لا أول لها ولا آخر، لكن الأسئلة عن فلان وفلان إن مدحت وإن قدحت كلها يراد بها فتن مدحت أو قدحـت، فاتركـوا - يا إخـوة - في هذه الأجواء الملبَّدة اتركوا مثل هذه الأشـياء بارك الله فيكم، اتركوا القيل والقال، يعني أنت تمدح فلان وتتعصب له، يجيء فلان ويتعصب لواحـد خصمـه و...، نحن قلنا لكم غير مرَّة: إنه كانت تقع خلافات بين الشـيخ الألباني وبين غيره من علماء السنة، والله مالها أي أثر في صفوف السلفيين في العالم كله، ما لها أي أثر، الآن طويلب صاحب فتن يتعمد إثارة الفتن بين أهل السنة، فيصبح إمامًا بين عشية وضحاهـا، جلس يدرس يومين خلاص أسـتاذ! وله عصبة يتحزَّبـون له ولا يقبلون فيه أي نقد مهما حمل هذا النقد من الحجج والبراهين! وإذا انتقده إنسـان بالحجج والبراهين قامت الدنيا وقعدت، وهؤلاء يتحزَّبون ويتعصَّبون له، وقد يكون هذا الأسـتاذ مسـكين طالب علم! هو فيه خير، لكن لماذا العصبيات هذه؟! يعني أخلاق الحزبيين تسـللت إلى

بعض السلفيين، والله ما كانت هذه الأخلاق بيننا، والله لقد تناظر أمامنا الشيخ ابن باز والألباني وغيرهما في الجامعة الإسلامية، والله ما كان لها أيُّ أثر، وكتب الشيخ الألباني وقال في وضع اليدين قال: بدعة، والله ما كان لها أيُّ أثر، وأراد الصوفية الخرافيون أن يضربوا الشباب بعضهم ببعض بابن باز وبالألباني، والله ما وجدوا سبيلًا لذلك.

وأذكر أن في مناسبة سيئة جدًّا فعلها الإخوان المسلمون، والإخوان تعرفون فيهم صوفية غلاة وأهل ضلال عندهم بدع، اعترض عليهم السلفيون، فأقاموا الدنيا وأقعدوها، في هذه المناسبة رأيت واحدًا من الإخوان المسلمين المتسترين يسأل عن صفة الصلاة للشيخ الألباني، ما أدري ماذا يريد! أحسنت به الظن، أعطيته؛ قلت: لعلَّه يريد أن يستفيد، فإذا به يفتح الصفحة التي فيها كلام الشيخ الألباني على وضع اليدين على الصدر وأنها بدعة، قال: شوفوا الألباني يبدِّع الشيخ ابن باز! قلت له: قاتلك الله ماذا تريد؟! تريد أن تضرب السلفيين بعضهم ببعض، وضربته - ضربًا بالكلام - حتى سكت.

ابن باز والألباني وسائر علماء السنة كلهم إخوة وأئمة، فعاد هذا الرجل السوء بخُفَّي حنين، وانتهى كل شيء، فتنبَّهوا لهذه الأشياء يا إخوة، اتركوا مثل هذه الأشياء، اتركوا التعصبات لفلان وفلان، ولا تتعصبوا لأي أحد؛ تفرِّقون الدعوة السلفية، ما نرضى لكم هذا أبدًا، يحتمل بعضكم بعضًا، وينصح بعضكم بعضًا بالحكمة، لا تدخلوا في متاهات التحزب والتعصب لفلان وفلان، تمزَّقت السلفية بهذه الأساليب، وسرَّبها إليكم الحزبيون، ووجدوا في كثير منكم تقبُّلًا لمثل هذه الأمور، اتركوها بارك الله فيكم.

أسأل الله أن يؤلِّف بين قلوبكم، وأن يدفع عنكم الفتن ما ظهر منها وما بطن، فعودوا يا إخوان لما كان عليه أسلافكم على امتداد التاريخ من التناصح بالحكمة والموعظة الحسنة، والتحلِّي بالأخلاق العالية.

طيِّب! الآن تأتي إلى كتب الجرح والتعديل، تجد هناك خلافات في أشخاص؛ هذا يعدِّل، وهذا يجرح، لكن لا نجد خصومات وتحزبات بين أهل السنة والحديث؛ لأن عندهم موازين وقواعد تحسم هذا الخلاف بكل يسر وسهولة، ومنها الجرح المفسر إن وُجد قضى على الخلاف، ولا نجد من يقول منهم: «لا يلزمني» أو «لا يقنعني»! ولا غير ذلك من طرق المكابرة والعناد وأساليب رفض الحق، ولا تجد بينهم خلافات في أهل البدع، فإذا بدَّع عالم منهم صاحب بدعة؛ فلا يختلفون ولا تقوم جبهات معارضة تدافع عن هذا أو ذاك المبتدع، وإن بلغ الغاية في الكذب والفجور والتلبيس كما يحصل في هذا العصر الذي بلغت فيه الفتن أوجها، ففعلت بالسلفية والسلفيين الأفاعيل، لقد كان أهل السنة في عافية من هذه الفتن وأهلها؛ لإنصافهم، وحبِّهم للحق، وبعدهم عن التهافت على الدنيا والمال، فيقولون الحق على القريب والبعيد والصديق والعدو وبالحق يعدلون، ومن هنا لا نجدهم إلا متماسكين على امتداد تأريخهم، قاهرين لأهل البدع والضلال، فلهذا تماسك أهل السنة على امتداد التاريخ، كانوا قاهرين لأهل الضلال بهذا التماسك، الآن مقهورون - يا أخوة - ! مقهورون بهذا الضياع الذي يعيشه المنتسبون للمنهج السلفي، وفَّقكم الله وسدَّد خطاكم.

سؤال: هناك من أهل البدع من يقول: أنا لا آخذ منهجي عمن كان قبل عشر سنوات مع الإخوان المسلمين، ويقصد الشيخ ربيعًا؟

جواب: والله ما أخذت بمنهج الإخوان المسلمين في ذرة من ذرات حياتي، وإنما أنا كما قلت: إن كان هؤلاء عندهم رجولة، وعندهم مروءة، وعندهم شرف؛ كررت مرارًا

وتكرارًا القول بأني ما دخلت فيهم إلا ناصحًا ومعلِّمًا وحاملًا لهم على منهج السلف، واشترطت عليهم أن يُربُّوا أنفسهم ومن تحت مسؤوليتهم من شباب حركتهم في العالم على المنهج السلفي، وأن يطردوا أهل البدع من صفوفهم. قلت هذا مرارًا وتكرارًا، ما معنى هذا الكلام؟! هؤلاء مجرمون فجرة! هذا كلام الإخوان أنفسهم، طيِّب! افرضوا أني كنت مع الإخوان مائة سنة، ثم عرفت باطلهم وتركتهم، وكتبت فيهم وحذَّرت منهم، فهل يستجيز مسلم صادق أن يعيبني وهذا واقعي وحالي؟! هذا المنهج يتناول الصحابة، ويتناول كل من كان على باطل فعلًا ثم تاب منه، افرض أن شخصًا كان إخوانيًّا جلدًا من رؤوس الإخوان المسلمين، فمنَّ الله عليه بالتوبة النصوح فشرع يبيِّن ضلالاتهم ومناهجهم وأصولهم الفاسدة في مؤلفات، فهل يجوز في شرع الإسلام أن يعيَّر هذا الرجل بأنه كان من الإخوان؟! هؤلاء الذين يعيبون ربيعًا بهذا الأسلوب من دعاة الباطل، ومن أهل الصيد في الماء العكر، ومن الصادِّين عن الحق وعن المنهج السلفي.

أبو الحسن الأشعري عاش مدة أربعين سنة يؤلِّف ويناظر عن مذهب المعتزلة، وألَّف مؤلفات ما يعرفون مثلها، ثم تركهم وحمل عليهم، فصاروا من أعدى أعدائه. الآن الإخوان ما يعادون أحدًا مثل ما يعادون ربيعًا، أشد العداوة؛ كيف إذن أنا إخواني؟! طيِّب أنا قلت لك: خذ بمنهجي أو خذ بمنهج الكتاب والسنة؟ هل أنا أنادي الناس إلى منهجي أو إلى منهج الله ومنهج الرسل ومنهج الأنبياء ومنهج الصحابة والتابعين والسلف؟

أنا ما عندي منهج يخصُّني، ولهذا أنا أسوق في كتاباتي كلها: قال الله.. قال رسول الله.. وتفسير السلف لها وسيرهم عليها، إن هؤلاء أجرم من الإخوان وأسوأ منهم!

طيِّب نحن الآن درسنا عقيدة أهل السنة في رؤية الله من كتاب حادي الأرواح، هل هو من كلامي أنا؟ وإذا أنا درَّست الشريعة بمنطق السلف ومنهج السلف، فهل

أنـا إخواني بهـذا العمل؟ هـؤلاء يكرهون هذا العمل الحـق، وينفرُّون منـه، فهل هؤلاء سلفيُّون؟!

سؤال: يقول السائل: هل حقيقةً أن الإخوان تشرَّبوا مناهج الروافض؟

جواب: والمناهج الفاسـدة، وكذلك أذنابهم أسـوأ منهم - والعياذ بالله -، ولهذا لا يطيقون هذا المنهج، ويحاربونه باسـم ربيع، هم في الحقيقة يحاربون منهج الله، يحاربون منهج الأنبياء، يحاربون منهج السـلف الصالح، لكن ما يسـتطيعون يقولون: هذا المنهج الربَّاني ما نريده، هذا المنهج السلفي الذي على رأسه الصحابة والتابعون وأحمد ابن حنبل والشـافعي ما نريده، مـا يقدرون يقولون هذا الـكلام! يقولون: فـلان.. ربيع، يحاربون المنهج باسمي؛ شيء معروف، وإلا والله هذه الحرب ليست لربيع؛ هي حرب على منهج السلف وإن تستَّروا، هذه هي الحقيقة، بارك الله فيكم.

سؤال: يقول: هل لطالب العلم الردُّ على العالم إذا رأى من خطأ؟ وما هو الأسلوب الأمثل في ذلك؟

جواب: والله له الحق في ذلك بأدب وبشرف، والله إذا كان الحق ظاهرًا للطالب؛ فلـه ذلـك، إذا كان الكبار ما يبيِّنون الحق؛ مثلًا بعيدين مـا انتبهوا، لهم عذر من الأعذار، وهذا عرف الحق وأن هذا الشيخ الكبير أخطأ، فيبيِّن له خطأه بلطف وبالحجة، بشرط أن لا يتعالى، بشرط أن لا يكون واهمًا مبطلًا ويرى نفسـه على الحق؛ لأن بعض الناس يرى نفسه على الحق وهو على باطل، فإذا كان طالب العلم بصيرًا على حقيقة أن هذا قد أخطأ والحق معه؛ فليقدِّم ما عنده من ملاحظة، بالشروط التي ذكرتها.

سؤال: يقول: يقول بعض السلف: من الخوارج المرجئة، كيف يكون ذلك؟

جواب: هذا ليس على إطلاقـه، ويمكن أن يوجد بعض من الخوارج ممن يجمع

بـين الخروج والإرجاء؛ هـذا موجود في تاريخهم، يجمعون بين أمرين، والمرجئ قد يكون خارجيًّا ويسـلُّ السـيف؛ لأن الرابطة بينهم هي البدعة، لأنه صاحب هوى مسـكين، قد يخلـط ويجمع المتناقضات، والتناقضات موجودة عند أهل البدع، وقد لا يسـلم أحد من التناقض، لكن أهل السنة الغالب عليهم السلامة؛ لأنهم على النصوص المعصومة، وأما هـؤلاء فعلى الهـوى فيقعون في تناقضات، ويبنـي اليوم ما يهدمه غدًا، ويهـدم غدًا ما بناه بالأمس، وهكذا.

سؤال: ما حكم سماع الأشـرطة التي تحتـوي على قصائد نبطية بألحان بدوية؟

جواب: إذا كانت خالية من الباطل فـلا بأس، قد يكون بدويًّا لكن عنده عقيدة صحيحة ويريد الخير، فإذا كانت سليمة من الانحرافات العقدية والمنهجية ومن الفسوق ومـن الخلاعـة فلا بأس، ولو كان فيه فصاحة سـحبان ومكانة سـيبويه في اللغة وهو من دعاة الضلال فلا تسمع له.

سؤال:

هل من كلمة للدفاع عن الشيخ الألباني؛ فإن البعض يتهمه بالإرجاء؟

جواب: قـد دافعنا عنه كثيرًا وكثـيرًا - والحمد لله -، وهو بـريء من الإرجاء، وهـو العـدو اللـدود للإرجـاء والبدع - إن شـاء الله -، وكـم كتب في الإرجـاء إلى آخر حياته، لكن قاتل الله أهل الأهواء؛ يدافعون عمن يقول بالجبر، ويسب الصحابة، ويقول بالحلول ووحدة الوجود، ويجعلونه إمامًا، ويجعلون من هذا الإمام إمام السنة الذي أفنى حياته في خدمة العقيدة السـلفية والمنهج السلفي، وفي خدمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يصفونـه بالإرجاء؛ لأن المرجـئ عندهم هو الذي يخالفهم في التكفـير، ولكن يتحايلون حتـى يُلصقـوا هـذه التهمة بأئمة السـنة، ووالله إن السـلف ليرون المرجئة أقـلَّ بكثير في

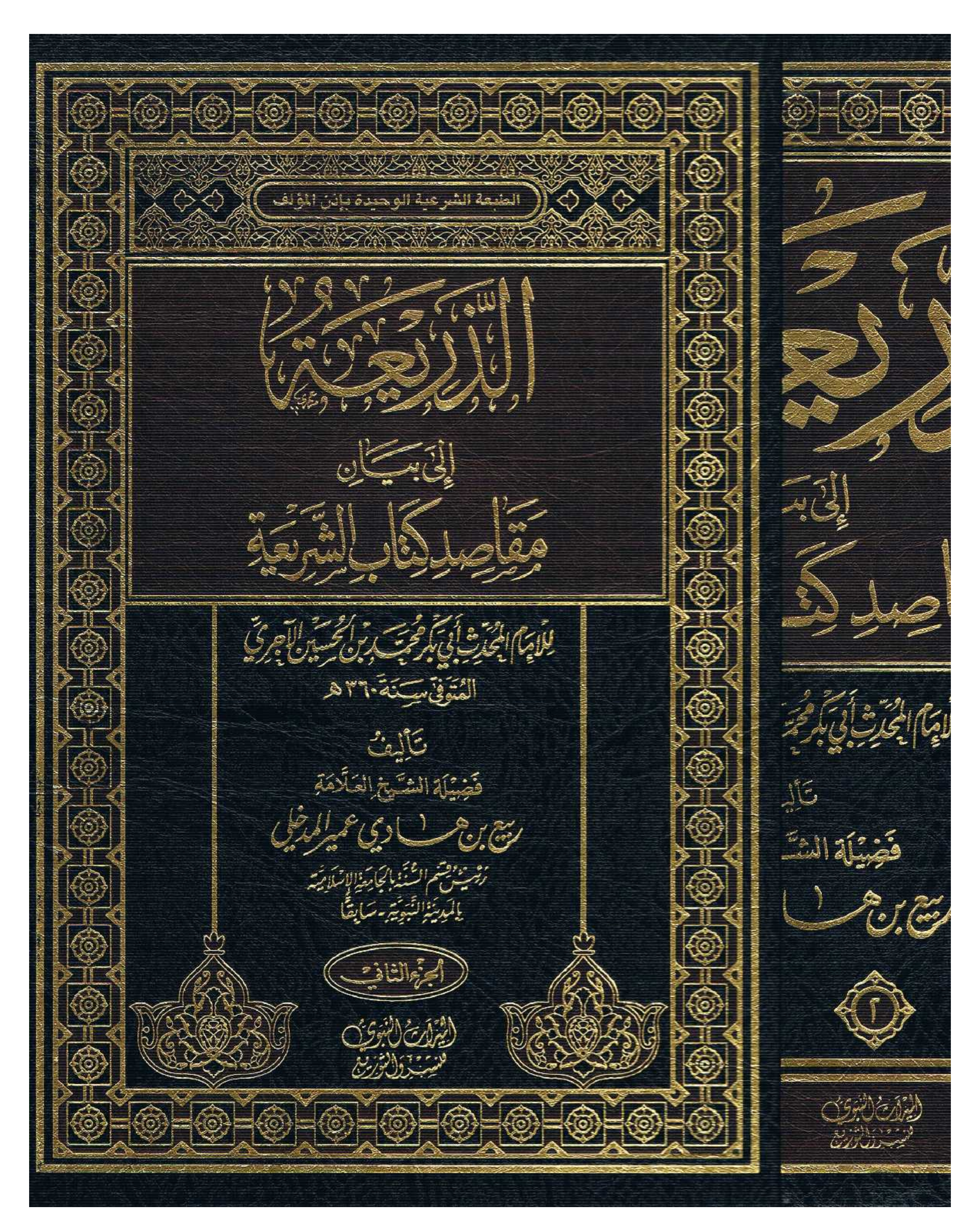
الـشرِّ مـن الخوارج، ولهذا يقول شـيخ الإسـلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أطبق أهل السـنة على إهانـة الخوارج والمعتزلة والابتعاد عنهم وعدم مدحهم وكذا وكذا، وقد أثنوا على بعض المرجئـة؛ لما عندهم من العلم والزهد والعبادة وما شـاكل ذلك، فهم فيهم أناس قريبون إلى السـنة، ويشـاركون أهل السـنة في محاربة هذه البدع: محاربة الجهمية، محاربة المعتزلة، محاربة الخوارج إلى آخره، كما هو الشـأن في فقهـاء المرجئة بالكوفة؛ فإنهم عندهم إرجاء، انتقدهـم فيه أهل السـنة أكثر من مـرَّة، ولكن قد تجدهم في ميادين كثيرة يشـاركون أهل السـنة في محاربـة الجهمية والمعتزلة والخـوارج؛ ولهذا قال: قد أُثني عـلى بعضهم بعلمهم وزهدهم وعبادتهم، أما شـيوخ الخـوارج والمعتزلة والروافض وغلاة المرجئة، فليس لهم عند أهل السنة إلا الاحتقار والازدراء والذم.

فسـيد قطـب أخذ من الروافض، أخذ مـن الخوارج، أخذ من المعتزلـة، أخذ بيديه ورجليـه مـن أهـل هذه البدع المذمومـة البغيضة، أخـذ منهم جميعًا، ومع هـذا ما تجد إلا مدحه، وأنه إمام هدى! ما شاء الله والألباني إمام ضلالة عندهم!!

أنا ما رأيت أخطر من القطبية وأذنابهم، لا أخطر منهم، نعوذ بالله من شرِّهم، والله لقد حاربوا المنهج السلفي وأهله بطريقة لا نظير لها، لا إخوانيين ولا غيرهم، فنعوذ بالله من شرِّهم.



فهرس الموضوعات


الطبعة الشرعية الوحيدة بإذن المؤلف
الذريعة
إلى بيان
مقاصد كتاب الشريعة
للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجري
المتوفى سنة ٣٦٠ هـ
تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية - سابقًا
الجزء الثاني
الميراث النبوي
للنشر والتوزيع